

الحُتُسْبُ

في تبسين وجوه شواذ القراءات
والإيضاح عنها

تأليف

أبي الفتح عثمان بن جني
المتوفى سنة ٣٩٢ هـ

دراسة وتحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الأول

منشورات

محرر كاي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (٩٦١ ١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floor.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2554-0



9 0000 >



9 782745 125545

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>

e-mail : baydoun@dm.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً، متصلاً ما دامت الأرض والسماء. الحمد لله الذى أمد لعباده فى عفوه ولم يأخذهم بما اقترفته أيديهم، إنه - سبحانه - الغفور الرحيم، تعالى عما يصفون.. وسلام على المرسلين..

وبعد:

لقد فتح الله لأمة نبيه الخاتم ﷺ من أبواب رحمته ما لم يُفتح قبله مثله، منذ أن اصطفاهم بخيرة الأنبياء والمرسلين، النبى الأُمى محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وحتى أدخلهم الجنان بمنه وفضله، وأنعم عليهم النعمة كلها وفضلهم على كثيراً ممن خلق تفضيلاً، فالحمد له - تعالى - كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ومن أبواب الرحمة التى فتحتها الله على الأمة الإسلامية - وهى أكثر من أن تحصى أو تعد - أن جعل فيهم القرآن هادياً مرشداً، فيه خير الأولين ونباً الآخرين، وحفظه من كل سوء وعبث: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وتلك مزية لم تكن لغيره من الكتب قبله.

وزاد الله فى فضله - وهو سبحانه أهل الفضل - فيسر عليهم فيه، التيسير كله، فأباح لهم قراءته، كل على قدر طاقته تخفيفاً عليهم، ورحمة منه، فقرأه الناس على حروفهم ولم يلتزموا حرفاً واحداً، وإن التزموا فى العمل وامتلوا هدى نبيهم ﷺ، فجاءت أفعالهم واحدة، وإن شاب قراءتهم بعض الاختلاف.

فالحمد لله لا نخصى ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وقد اهتم المسلمون بذلك الباب من أبواب رحمة ربهم - نعى علم القراءات - أيما اهتمام، وأفردوا له من المجلدات والأسفار الكثير؛ دلالة منهم على شكر النعمة التى أنعم عليهم ربهم عز وجل.

فقد صنف في علوم القرآن وفنونه جماعة من العلماء، منهم قاضى القضاة جلال الدين، أخو شيخ مشايخ الإسلام علم الدين البلقينى سماه «مواقع العلوم من مواقع النجوم» قال في خطبته: «أنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف، وينحصر في أمور:

الأمر الأول: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه وفي ذلك اثنا عشر نوعا:

المكي والمدني، السفري والحضري، الليلي والنهاري، الصيفي والشتائي، القراشي، أسباب النزول، أول ما نزل، آخر ما نزل.

الأمر الثاني: السند، وهو ستة أنواع:

المتواتر، الأحاد، الشاذ، قراءات النبي ﷺ، الرواة، الحفاظ.

الأمر الثالث: الأداء، وهو ستة أنواع:

الوقف، الابتداء، الإمالة، المد، تخفيف الهزمة، الإدغام.

الأمر الرابع: الألفاظ، وهو سبعة أنواع:

الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.

الأمر الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعا:

العام الباقي على عمومته، العام المخصوص، العام الذي أريد به الخصوص، ما خص فيه الكتاب السنة، ما خصت فيه السنة الكتاب، المحمل المبين، المؤول، المفهوم، المطلق، المقيد، الناسخ، المنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ، وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين.

الأمر السادس: المعاني المتعلقة بالألفاظ، وهو خمسة أنواع:

الفصل، الروصل، الإيجاز، الإطناب، القصر.

قال: ومن الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر: الأسماء، الكنى، الألقاب، المبهمات.

وتعقبه السيوطي فقال: تكلم في كل نوع بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات فصنفت في ذلك كتابا سميت «التحجير في علوم التفسير» ضمنته ما ذكره البلقينى من الأنواع مع زيادة مثلها وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها.

ومنهم الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى الذى ألف كتابا فى ذلك حافلا يسمى «البرهان فى علوم القرآن» قال فى خطبته: «لما كانت علوم القرآن لا تخصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فاستخرت الله تعالى، وله الحمد فى وضع كتاب فى ذلك جامع لما تكلم الناس فى فنونه، وخاضوا فى نكته وعيوبه،

وضمنته من المعاني الأنيفة، والحكم الرشيقة، ما بهر القلوب عجباً ليكون مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه، معيناً للمفسر على حقائقه، مطلعاً على بعض أسرارهِ ودقائقهِ، وسميته «البرهان في علوم القرآن».

ومنهم الحافظ السيوطي صاحب كتاب الإتيان في علوم القرآن، الذي قال في خطبته: «لما وقفت على هذا الكتاب - أي كتاب البرهان - ازدت به سروراً، وحمدت الله كثيراً وقوى العزم على إبراز ما أضمرت وشدت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، الكثير الفوائد والإتيان، ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، وأدجت بعض الأنواع في بعض وفصلت ما حقه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان، وسميته بـ «الإتيان في علوم القرآن».

الإتيان ٥/١، ٧.

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره.

وفي هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم للقارئ المسلم سنقف عند أحد فروع علوم القرآن، ألا وهو علم القراءات القرآنية وعلى وجه الخصوص توجيه القراءات الشاذة، هذا العلم العظيم الشأن الذي أفردت له المؤلفات العظام منذ بدلاية زمن التأليف حتى زمننا هذا، ولأهمية هذا الكتاب أردنا ألا يخلو من تقديمه بمقدمة تليق بهذا الكتاب الذي قام بتأليفه ابن جنى جامعاً مادته من عدة مؤلفات سابقة لإثمة هذا الشأن، وستدور المقدمة حول عدة محاور:

أولها: يدور حول القرآن وقراءاته.

وثانيهما: حول ابن جنى ومؤلفاته.

وآخرها: حول كتاب المحتسب.

* * *

القرآن وقراءاته

القرآن في جمعه وترتيبه:

قال الديرعاقولي في فوائده: حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري عن عبيد، عن زيد بن ثابت، قال: قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء.

قال الخطابي: إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر.

وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن...» الحديث، فلا ينافي ذلك لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور.

قال الحاكم في المستدرک: جمع القرآن ثلاث مرات:

إحداها: بحضرة النبي ﷺ ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» الحديث.

وقال البيهقي: أشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ.

الثانية: بحضرة أبي بكر.

روى البخارى في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا تهتمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعّلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فتتبع القرآن أجمعه من العصب والخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدّها مع غيره: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت عليّا يقول: «أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله».

لكن أخرج أيضا من طريق ابن سيرين، قال: «قال علي: لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا أخذ عليّ ردائي إلا لصلاة جامعة حتى أجمع القرآن فجمعه».

قال ابن حجر: هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، وبتقدير صحته، فمراده بجمعه حفظه في

صدره، وما تقدم من رواية عبد خير، إن صح عنه، فهو المعتمد.

قال السيوطي: قد ورد من طريق أخرى، أخرجه ابن الضريس في فضائله. حدثنا بشر بن موسى، حدثنا هودة بن خليفة، حدثنا عون، عن محمد بن سيرين، عن عكرمة، قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر قعد على بن أبي طالب في بيته، فقبل لأبي بكر: قد كره بيعتك: فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني، قال: رأيت كتاب الله يزداد قيه، فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا للصلاة حتى أجمعه. قال أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت.

قال محمد: فقلت لعكرمة: ألفوه كما أنزل الأول فالأول، قال: لو اجتمعت الأنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا.

وأخرجه ابن أشته في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه: أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين، قال: تطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه.

وأخرج ابن أبي داود من طريق الحسن: «أن عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمع القرآن في المصحف...» إسناده منقطع، والمراد بقوله: فكان أول من جمع، أي أشار بجمعه.

قال السيوطي: ومن غريب ما ورد في أول من جمعه ما أخرجه ابن أشته في كتاب المصاحف من طرق كهـمـس، عن ابن بريـدة، قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة أقسم لا يرتدى برداء حتى يجمعه، فجمعه ثم ائتمروا ما يسمونه، فقال بعضهم: سموه السفر، قال: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه، فقال: رأيت بالحبشة يسمى المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف، إسناده منقطع أيضا، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر.

وأخرج ابن أبي داود من طريق يحيى عبد الرحمن بن حاطب، قال: قدم عمر، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن، فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعصب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان.

وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط.

وأخرج ابن أبي داود أيضا من طريق هشام بن عروة، عن أبيه أن أبا بكر، قال: لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

قال ابن حجر: وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة.

وقال السخاوي في جمال القراء: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين

يدى رسول الله ﷺ أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن.

قال أبو شامة: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ، قال: ولذلك قال: فى آخر سورة التوبة لم أجد لها مع أحد غيره، أى لم أجد لها مكتوبة مع غيره؛ لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة.

قال السيوطى: أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته كما يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر.

وقد أخرج ابن أشته فى المصاحف عن الليث بن سعد، قال: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عدل، وأن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها، فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتبت، وأن عمر أتى بآية الرحم، فلم يكتبها؛ لأنه كان وحده.

وقال الحارث المحاسبى فى كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثه؛ فإنه ﷺ كان يأمر بكتابتها، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والأكتاف والعصب؛ وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشراً، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء.

قال: فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل: لأنهم قد شاهدوا تلاوته من النبى ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه، وقد تقدم فى حديث زيد أنه جمع القرآن من العصب واللحاف.

وفى رواية: والرقاع، وفى أخرى: وقطع الأديم، وفى أخرى والأكتاف، وفى أخرى: والأضلاع، وفى أخرى: والأقتاب والعصب جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون فى الطرف العريض، واللحاف بكسر اللام وبجاء معجمة خفيفة آخره فاء، جمع لحفة، بفتح اللام وسكون الحاء، وهى الحجارة الدقاق.

وقال الخطابى: صفائح الحجارة والرقاع، جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد، والأكتاف جمع كتف، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه، والأقتاب جمع قتب، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

وفى موطأ ابن وهب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال: جمع أبو بكر القرآن فى قراطيس، وكان يسأل زيد بن ثابت فى ذلك، فأبى حتى استعان عليه بعمر، ففعل.

وفى مغازى موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبى بكر فى الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن فى المصحف.

قال ابن حجر: ووقع في رواية عمار بن غزية: أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر، فكتبته في قطع الأديم والعسب، فلما توفي أبو بكر، وكان عمر كتب ذلك في صحيفة واحد، فكانت عنده، قال: والأول أصح، إنما كان في الأديم والعسب أولاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المتزادة.

قال الحاكم: والجمع الثالث: هو ترتيب السور في زمن عثمان.

روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلني إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أتمم زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال زيد: ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الأنصاري، فألحقناها في سورتها في المصحف.

قال ابن حجر: وكان ذلك في سنة خمس وعشرين، قال: وغفل بعض من أدركناه، فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر له مستند، انتهى.

وأخرج ابن اشته من طريق أيوب، عن أبي قلابة، قال: حدثني رجل من بني عامر يقال له أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذبون به، وتلحنون فيه، فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً يا أصحاب محمد، اجتمعوا، فاكتبوا للناس إماماً فاجتمعوا، فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا في أي آية، قالوا: هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلاناً، فيرسل إليه، وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكاناً.

وأخرج ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح، قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له انبي عشر رجلاً من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الرابعة التي في

بيت عمر فجىء بها، وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا اختلفوا فى شىء آخره.

قال محمد: فظننت إنما كانوا يؤخرونه؛ لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة، فيكتبونه على قوله.

وأخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة، قال: قال على: لا تقولوا فى عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملاءمنا، قال: ما تقولون فى هذه القراءة، فقد بلغنى أن بعضهم، يقول: إن قراءتى خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.

والفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان، أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعاً فى موضع واحد فجمعه فى صحائف، مرتباً لآيات كل سورة على ما وقفهم عليه النبى ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرؤه بلغاتهم على اتساع اللغات؛ فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قریش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم، رفعا للحرص والمشقة فى ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقصر على لغة واحدة.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل، ولا منسوخ تلاوته، كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد.

وقال الحارث المحاسبى: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهدته من المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة، فهو الصديق.

وقد قال على: لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان، انتهى.

فائدة: اختلف فى عدة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق المشهورة أنها خمسة.

وأخرج ابن أبى داود من طريق حمزة الزيات، قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف، قال ابن أبى داود: وسمعت أبا حاتم السجستاني، يقول: كتبت سبعة مصاحف، فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحد.

ترتيب الآيات:

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهة فى ذلك، أما الإجماع، فنقله غير واحد منهم الزركشى فى البرهان وأبو جعفر بن الزبير فى مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، من غير خلاف فى هذا بين المسلمين، انتهى.

وسنذكر من نصوص العلماء ما يدل عليه، وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق: «كنا عند النبى ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع».

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس، قال: «قلت: لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهى من المثانى، وإلى براءة، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطوال؟».

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب، فيقول: هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما فى السبع الطوال.

ومنها ما أخرجه أحمد، بإسناد حسن، عن عثمان بن أبى العاص، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتانى جبريل، فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ إلى آخرها.

ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير، قال: قلت لعثمان: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً، قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخى، لا أغير شيئاً منه من مكانه.

ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النبى ﷺ عن شئ أكثر مما سألت عن الكلاله حتى طعن بإصبعه فى صدرى، وقال: تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء. ومنها الأحاديث فى خواتيم سورة البقرة.

ومنها ما رواه مسلم عن أبى الدرداء مرفوعاً: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال. وفى لفظ: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف.

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة كسورة «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» فى حديث حذيفة.

و«الأعراف» فى صحيح البخارى أنه قرأها فى المغرب.

و«قد أفلح»، روى النسائى أنه قرأها فى الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سعدة فركع.

و«الروم»، روى الطبرانى أنه قرأها فى الصبح.

و«الم تنزيل» و«هل أتى على الإنسان»، روى الشيخان أنه كان يقرأهما فى صبح الجمعة.

و«ق» فى صحيح مسلم أنه كان يقرأها فى الخطبة.

و«الرحمن» فى المستدرك، وغيره أنه قرأها على الجن و«النجم» فى الصحيح أنه قرأها بمكة على الكفار، وسجد فى آخرها.

و«اقتربت» عند مسلم أنه كان يقرأها مع «ق» فى العيد والجمعة.

و«المنافقون» فى مسلم أنه كان يقرأ بها فى صلاة الجمعة.

و«الصف» فى المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه ﷺ قرأها عليهم حين أنزلت حتى ختمها. تدل قراءته ﷺ لها بمشهد من الصحابة أن ترتيب آياتها توفيقى، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبى ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

نعم يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد إني سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما.

فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن، فألحقوها فى آخرها.

قال ابن حجر: ظاهر هذا أنهم كانوا يولفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف.

قال السيوطى: يعارضه ما أخرجه ابن أبى داود أيضاً من طريق أبى العالية، عن أبى ابن كعب أنهم جمعوا القرآن، فلما انتهوا إلى الآية التى فى سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ظنوا أنها آخر ما أنزل، فقال أبى: إن رسول الله ﷺ أقرأنى بعد هذا آيتين: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ ... إلى آخر السورة.

وقال مكى وغيره: ترتيب السور بأمر من النبى ﷺ ولم يأمر بذلك فى أول براءة؛ فتركت بلا بسملة.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا.

وقال أيضاً: الذى تذهب إليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم

ينسخه، ولا رفع تلاوته، بعد نزوله هو هذا الذى بين الدفتين الذى حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من آى السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبى ﷺ ترتيب آى كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه.

قال: وهذا الثانى أقرب.

وأخرج عن ابن وهب، قال: سمعت مالكا، يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى ﷺ.

وقال البغوى فى شرح السنة: الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن يزيّدوا أو ينقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن يقدموا شيئا أو يؤخروا أو يضعوا له ترتيبا لم يأخذه من رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا، فى سورة كذا فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا ترتيبه فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ وما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف.

* * *

ترتيب السور:

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفى أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة، ففيه: خلاف فجمهور العلماء على الثانى، منهم مالك والقاضى أبو بكر فى أحد قوله.

قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين، أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذى تولته الصحابة، وأما الجمع الآخر، وهو جمع الآيات فى السور، فهو توقيفى تولاه النبى ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه مما استدل به، ولذلك اختلفت مصاحف السلف فى ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف على، كان أوله: اقرأ، ثم المدثر، ثم نون، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكويم، وهكذا إلى آخر

المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبي وغيره.

وأخرج ابن أشته في المصاحف من طريق إسماعيل بن عباس، عن حبان بن يحيى، عن أبي محمد القرشي، قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال، فجعلت سورتا الأنفال التوبة في السبع، ولم يفصل بينهما بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضي في أحد قولي. قال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخير، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فأتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرمانى في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وقال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ.

قال الزركشي: والخلاف بين الفريقين لفظي؛ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم ذلك لعلهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فالخلاف إلى أنه: هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد إسناد فعلى بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر، وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير.

وقال البيهقي: في المدخل كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سورته وآياته على الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق، ومال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطوال والجواميم والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله أقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران. رواه مسلم.

وكحديث سعيد بن خالد: قرأ ﷺ بالسبع الطوال في ركعة. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل في ركعة.

وروى البخارى عن ابن مسعود أنه قال: فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن ثلاث، فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها.

وفى البخارى أنه ﷺ كان إذا أوى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ و«المعوذتين».

وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ حديث وثلة: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال.

قال: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع المصحف على شيء واحد؛ لأنه جاء فى هذا الحديث بلفظ يدل على تأليف القرآن بتوقيفه ﷺ.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي.

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا، قال: ومما يدل على أن ترتيبها توقيفى، ما أخرجه أحمد وأبو داود، عن أوس ابن أبى أوس، عن حذيفة الثقفى، قال: كنت فى الوفد الذين أسلموا من ثقيف، الحديث، وفيه: فقال لنا رسول الله ﷺ: طرأ على حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من «ق» حتى نختم، قال: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو فى المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ.

قال: ويحتمل أن الذى كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عدها.

قال السيوطى: وما يدل على أنه توقيفى كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين «طسم» الشعراء و«طسم» القصص بـ «طس» مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت «طس» عن القصص.

والذى ينشرح له الصدر، ما ذهب إليه البيهقى، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفى إلا «براءة» و«الأنفال» ولا ينبغي أن يستدل قبل «آل عمران» لأن ترتيب السور فى القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز.

وأخرج ابن اشته فى كتاب المصاحف من طريق ابن وهب سليمان بن بلال، قال: سمعت ربعة يسأل: لم قدمت «البقرة» و«آل عمران» وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما أنزلنا بالمدينة، فقال: قدما وألف القرآن على علم ممن ألفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه.

والثابت أن: السبع الطوال أولها «البقرة» وآخرها «براءة» كذا قال جماعة.

لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس، قال: السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف.

قال الراوى: وذكر السابعة فنسيتها، وفي رواية صحيحة عن ابن أبى حاتم وغيره عن مجاهد وسعيد بن جبير أنها: يونس، وتقدم عن ابن عباس مثله فى النوع الأول.

وفى رواية عند الحاكم أنها الكهف، والمثون ما وليها سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثانى ما ولى المئين؛ لأنها ثنتها، أى كانت بعدها فهى لها ثوان، والمثون لها أوائل.

وقال الفراء: هى السورة التى آيها أقل من مائة آية؛ لأنها ثنتى أكثر مما يثنى الطوال والمثون، وقيل لثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر حكاه النكزاوى.

وقال فى جمال القراء: هى السور التى تثنت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة كما تقدم، والمفصل ما ولى المثنى من قصار السور، سمى بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة وقيل لقلّة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضا كما روى البخارى عن سعيد بن جبير، قال: إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع.

واختلف فى أوله على اثنى عشر قولاً: أحدها: «ق» لحديث أوس السابق قريبا. الثانى: «الحجرات» وصححه النووى. الثالث: «القتال» عزاه الماوردى لأكثرين. الرابع: «الجاثية» حكاه القاضى عياض. الخامس: «الصفات». السادس: «الصف». السابع: «تبارك» حكى الثلاثة ابن أبى الصيف اليمنى فى نكتة على التنبيه. الثامن: «الفتح» حكاه الكمال الذمارى فى شرح التنبيه. التاسع: «الرحمن» حكاه ابن السيد فى أماليه على الموطأ. العاشر: «الإنسان». الحادى عشر: «سبح» حكاه ابن الفركاح فى تعليقه عن المروزقى. الثانى عشر: «الضحى» حكاه الخطابى، ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير وعبرة الراغب فى مفرداته المفصل من القرآن السبع الأخير.

فائدة: للمفصل طوال وأوساط وقصار، قال ابن معن: فطواله إلى «عم» وأوساطه منها إلى «الضحى»، ومنها إلى آخر القرآن قصاره هذا أقرب ما قيل فيه.

تنبيه: أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف، عن نافع، عن ابن عمر أنه ذكر عنده المفصل، فقال: وآى القرآن ليس بمفصل، ولكن قولوا قصار السور، وصغار السور.

وقد استدل بهذا على جواز أن يقال سورة قصيرة وصغيرة، وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية، وأخرج عن ابن سيرين وأبى العالية، قالوا: لا تقل سورة خفيفة، فإنه تعالى يقول: ﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ ولكن سورة يسيرة.

فائدة: قال ابن أشته: في كتاب المصاحف أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود حدثنا أبو جعفر الكوفي، قال: هذا تأليف مصحف أبي: الحمد ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم يونس ثم الأنفال ثم براءة ثم هود ثم مريم ثم الشعراء ثم الحج ثم يوسف ثم الكهف ثم النحل ثم الأحزاب ثم بنى إسرائيل ثم الزمر... أولها، أخرجه أحمد في المسند، ثم طه ثم الأنبياء ثم النور ثم المؤمنون ثم سبأ ثم العنكبوت ثم المؤمن ثم الرعد ثم القصص ثم النمل ثم الصافات ثم صدوق ثم يس ثم الحجر ثم جمعسق ثم الروم ثم الحديد ثم الفتح ثم القتال ثم الظهار ثم تبارك الملك ثم السجدة ثم إنا أرسلنا نوحا ثم الأحقاف ثم ق ثم الرحمن ثم الواقعة ثم الجن ثم النجم ثم سأل سائل ثم المزمل ثم المدثر ثم اقترت ثم حم الدخان ثم لقمان ثم حم الجاثية ثم الطور ثم الذاريات ثم الحاقة ثم الحشر ثم الرسائل ثم عم يتساءلون ثم لا أقسم بيوم القيامة ثم إذا الشمس كورت ثم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ثم النازعات ثم التغابن ثم عبس ثم المطففين ثم إذا السماء انشقت ثم والتين والزيتون ثم اقرأ باسم ربك ثم الحجرات ثم المنافقون ثم الجمعة ثم لم تحرم ثم الفجر ثم لا أقسم بهذا البلد ثم إذا السماء انفطرت ثم والشمس وضحاها ثم والسماء والطارق ثم سبح اسم ربك ثم الغاشية ثم الصف ثم التغابن ثم سورة أهل الكتاب، وهي لم يكن، ثم الضحى ثم ألم نشرح ثم القارعة ثم التكاثر ثم العصر ثم سورة الخلع ثم ويل لكل همزة ثم إذا زلزلت ثم العاديات ثم الفيل ثم لإيلاف قريش ثم رأيت ثم إنا أعطيناك ثم القدر ثم الكافرون ثم إذا جاء نصر الله ثم تبت ثم الصمد ثم الفلق ثم الناس.

قال ابن أشته أيضا: وأخبرنا أبو الحسن بن نافع أن أبا جعفر محمد بن عمرو بن موسى حدثهم، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سالم، حدثنا علي بن مهران الطائي، حدثنا جرير بن عبد الحميد، قال: تأليف مصحف عبد الله بن مسعود، الطوال: البقرة والنساء وآل عمران والأعراف والأنعام والمائدة ويونس. والمئين: براءة والنحل وهود ويوسف والكهف وبنى إسرائيل والأنبياء وطه والمؤمنون والشعراء والصافات. والمثاني: الأحزاب والحج والقصص وطس النمل والنور والأنفال ومريم والعنكبوت. والروم ويس والفرقان والحجر والرعد وسبأ والملائكة وإبراهيم وص والذين كفروا ولقمان والزمر. والحواميم: حم المؤمن والزخرف والسجدة وجمعسق والأحقاف والجاثية والدخان. والمتحفات: إنا فتحنا لك والحشر وتنزيل السجدة والطلاق ون والقلم والحجرات وتبارك والتغابن وإذا جاءك المنافقون والجمعة والصف وقل أوحى وإنا أرسلنا والمجادلة والمتحنة ويا أيها النبي لم تحرم. والمفضل: الرحمن والنجم والطور والذاريات واقترت الساعة والواقعة والنازعات وسأل سائل والمدثر والمزمل والمطففين وعبس وهل أتى والمرسلات والقيامة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت والغاشية وسبح والليل والفجر والبروج وإذا السماء انشقت وقرأ باسم ربك والبلد والضحى والطارق والعاديات ورأيت والقارعة ولم يكن والشمس وضحاها

والتين وويل لكل همزة وألم تر كيف وإيلاف قريش وألهاكم وإنا أنزلناه وإذا زلزلت
والعصر وإذا جاء نصر الله والكواثر وقل يا أيها الكافرون وتبت وقل هو الله أحد وألم
نشرح وليس فيه الحمد ولا المعوذتان.

* * *

عدد سورة وآياته وكلماته وحروفه:

أما سورة فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل: وثلاث عشرة: يجعل
الأنفال وبراءة سورة واحدة، أخرج أبو الشيخ عن أبي، قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة.
وأخرج عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة سورتان أم سورة؟ قال:
سورتان، ونقل مثل قول أبي عن مجاهد.
وأخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن أشته عن ابن لهيعة، قال: يقولون: إن براءة من يسألونك، وإنما لم تكتب في
براءة بسم الله الرحمن الرحيم، لأنها من يسألونك وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة
ويرده تسمية النبي ﷺ كلا منهما، ونقل صاحب الإقناع أن البسملة ثابتة لبراءة في مصحف
ابن مسعود، قال: ولا يؤخذ بهذا

وأخرج القشيري في الصحيح أن التسمية لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها
فيها.

وفي المستدرک: عن ابن عباس، قال: سألت علي بن أبي طالب: لم تكتب في براءة بسم
الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأنها أمان وبراءة، نزلت بالسيف.

وعن مالك أن أولها لما سقط سقطت معه البسملة، فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة
لطولها.

وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنى عشرة سورة؛ لأنه لم يكتب المعوذتين.

وفي مصحف أبي ست عشرة، لأنه كتب في آخره سورتي القدر والخلع.

وأخرج أبو عبيد عن ابن سيرين، قال: كتب أبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب
والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد، وتركهن ابن مسعود، وكتب عثمان منهن
فاتحة الكتاب والمعوذتين.

وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي، عن يحيى بن يعلى
الأسلمى، عن ابن أبي هبيرة، عن عبد الله بن زريق الغافقي، قال: قال لي عبد الملك بن مروان:
لقد علمت ما حملك على حب أبي تراب إلا إنك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعت
القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه

رسول الله ﷺ ما علمتهما أنت ولا أبوك: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفيان الثوري، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى نقمك، إن عذابك بالكافرين ملحق.

قال ابن جريج: حكمة البسملة إنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين، فذكرهما، وأنه كان يكتبها في مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزي، عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي إسحاق قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك.

وأخرج البيهقي وأبو داود في المراسيل، عن خالد بن أبي عمران: أنه نزل بذلك على النبي ﷺ وهو في الصلاة مع قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية، لما قنت يدعو على مضر.

تنبیه: كذا نقل جماعة عن مصحف أبي أنه ست عشرة سورة، والصواب أنه خمس عشرة فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة، ونقل ذلك السخاوي في جمال القراء عن جعفر الصادق وأبي نهيك أيضا.

قال السيوطي: ويرده ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانئ أن رسول الله ﷺ قال: فضل الله قريشا بسبع... الحديث، وفيه: وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم لإيلاف قريش، وفي كامل الهذلي عن بعضهم أنه قال: الضحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرازي في تفسيره عن طائوس وغيره من المفسرين.

فائدة: قيل الحكمة في تسوير القرآن سورا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله والإشارة إلى أن كل سورة نط مستقل، فسورة يوسف تترجم عن قصته وسورة إبراهيم وبراءة تترجم عن أحوال المنافيين وأسراهم إلى غير ذلك، والصور سورا طوالا

وأوساطا وقصارا تنبيهها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه، قال الزركشى فى البرهان: فإن قلت: فهلا كانت الكتب السالفة كذلك؟ قلت: لوجهين، أحدهما أنها لم تكن معجزات من جهة النظم والترتيب، والآخر: أنها لم تيسر للحفظ.

لكن ذكر الزمخشري ما يخالفه، فقال فى الكشف: الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة وبوب المصنفون فى كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم منها الجنس إذا انطوت تحت أنواع، وأصناف كان أحسن وأفخم من أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب، ثم أخذ فى آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا نفس ذلك منه، ونشط للسير ومن ثم جزئ القرآن أجزاء وأحماسا، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، فيعظم عنده ما حفظه. ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ «البقرة» و«آل عمران» جد فينا. ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة أفضل ومنها أن التفصيل بسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملائمة بعضها لبعض وبذلك تلاحظ المعاني والنظم إلى غير ذلك من الفوائد، انتهى.

وما ذكره الزمخشري من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب، فقد أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة، قال: كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود، وذكروا أن فى الأنجيل سورة تسمى سورة الأمثال.

* * *

فى عدد الآى:

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف، قال الجعبرى: حد الآية قرآن مركب من جمل، ولو تقديرا له مبدأ ومقطع مندرج فى سورة، وأصلها العلامة، ومنه أن آية ملكة لأنها علامة للفضل والصدق والجماعة؛ لأنها جماعة كلمة.

وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها.

وقيل هى الواحدة من المعدودات فى السور سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، وعلى عجز المتحدى بها، وقيل: لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها.

قال الواحدى: وبعض أصحابنا، قال: يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية، لولا أن التوقيف ورد بما هى عليه الآن.

وقال أبو عمرو الداني: اعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله: مدهامتان.

وقال غيره: بل فيه غيرها مثل والنجم والضحي والعصر وكذا فواتح السور عند من عدّها، قال بعضهم: الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة، قال: فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن وعمّا قبلها وما بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك، قال: وبهذا القيد خرجت السورة.

وقال الرّمحشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه؛ ولذلك عدّوا «الم» آية حيث وقعت و«المص» ولم يعدّوا «الم» و«الر» وعدّوا «حم» آية في سورها و«طه» و«يس» ولم يعدّوا «طس».

قلت: ومما يدل على أنه توقيفي، ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن ابن مسعود، قال: أقرّني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من «حم» قال: يعنى الأحقاف.

وقال: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين، الحديث.

وقال ابن العربي: ذكر النبي ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، قال: وتعدد الآي من معضلات القرآن، وفي آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثنايه.

وقال غيره: سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة.

وقد أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جميع أي القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرين ألف حرف وستمائة حرف وأحد وسبعون حرفاً.

قال الداني: اجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل وأربع عشرة، وقيل وتسع عشرة، وقيل وخمس وعشرون، وقيل وست وثلاثون.

قال السيوطي: أخرج الديلمي في مسند الفردوس من طريق الفيض بن وثيق، عن فرات بن سلمان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس مرفوعاً: درج الجنة على قدر أي القرآن بكل آية درجة، فذلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض.

قال فيه ابن معين: كذاب خبيث.

وفي الشعب للبيهقي من حديث عائشة مرفوعاً: عدد درج الجنة عدد أي القرآن، فمن

دخل الجنة من أهل القرآن، فليس فوقه درجة.

قال الحاكم: إسناده صحيح، لكنه شاذ.

وأخرجه الأجرى في حملة القرآن من وجه آخر عنها موقوفا.

قال أبو عبد الله الموصلى في شرح قصيدته «ذات الرشد فى العدد»: اختلف فى الآى أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة، ولأهل المدينة عددان، عدد أول وهو عدد أبى جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وعدد آخر وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى.

وأما عدد أهل مكة، فهو مروى، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، وأما عدد أهل الشام، فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره، عن عبد الله بن ذكوان وأحمد.

* * *

القراءات القرآنية

تعريف القراءة:

فى اللغة: قال أبو الحسن اللحيانى يقال: قرأت القرآن، وأنا أقرؤه قرءاً وقراءة وقرآنا، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قراء وقراءة وقارئين، وأقرأت غيرى، أقراته إقراء، ومنه قيل: فلان المقرئ. ويقال: أقرأت من سفرى، أى: انصرفت، وأقرأت من أهلى، أى: دنوت، وأقرأت حاجتك وأقرأ بأمرى. ويقال أعتم فلان قرأه وأقرأه، أى حبسه. ويقال قرأت: إذا صرت قارئاً ناسكاً، وتقرأت بهذا المعنى، وقال بعضهم: تقرأت: تفقهت.

ويقال: أقرأت فى الشعر. وهذا الشعر على قرء هذا الشعر، أى على طريقته ومثاله.

وقال ابن بزرج: هذا الشعر على قرى هذا الشعر وقراره.

وقال اللحيانى: يقال: قارأت فلانا مقارأة، أى دراسته، واستقرأت فلانا. (انظر تهذيب اللغة «قرأ» ٢٧٥/٩).

فى الاصطلاح: هى اختلاف ألفاظ الوحى فى الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما. (انظر الإتيان ٨٠/١).

* * *

أنواع القراءات وشروطها:

اعلم أن القاضى جلال الدين البلقينى، قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر وتلحق بها

الصحابة، والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره.

وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى، قال فى أول كتابه «النشر»: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

قال أبو شامة فى «المرشد الوجيز»: لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وأنها أنزلت هكذا إلا دخلت فى الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء، فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم.

قال ابن الجزرى: فقولنا فى الضابط: «ولو بوجه» تريد به وجهها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان «بارئكم» و«يأمركم» وخفض و«الأرحام» ونصب «ليجزى قوما» والفصل بين المضافين فى «قتل أولادهم شركائهم» وغير ذلك.

قال الدانى وأئمة القراء: لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الإفشاء فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.

قال السيوطى: أخرج سعيد بن منصور فى سننه عن زيد بن ثابت، قال: القراءة سنة متبعة.

قال البيهقى: أراد أن اتباع من قبلنا فى الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذى هو إمام ولا مخالفة القراءات التى هى مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغا فى اللغة أو أظهر منها.

قال ابن الجزرى: وتعنى بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة

ابن عامر: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ في البقرة بغير واو و«بالزبر» و«بالكتاب» بإثبات الباء فيهما، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في آخر براءة بزيادة «من» فإنه ثابت في المصحف المكي ونحو ذلك، فإن لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية، فشاذا لمخالفتها الرسم المجمع عليه وقولنا: «ولو احتمالا» نعني به ما وافقه ولو تقديرا كـ«ملك يوم الدين» فإنه كتب في الجميع بلا ألف، فقراءة الحذف توافقه تحقيقا وقراءة الألف توافقه تقديرا لحذفها في الخط اختصارا كما كتب «ملك الملك».

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا نحو «تعلمون» بالتاء والياء و«يغفر لكم» بالياء والنون، ونحو ذلك، مما يدل تجرده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء وفهم ثاقب في تحقيق كل علم، وانظر كيف كتبوا «الصراط» بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الأصل؛ لتكون قراءة السين، وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك، وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل؛ ولذلك اختلف في «بسطة» الأعراف دون بسطة البقرة لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد، على أن يخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به، ووردت مشهورة مستفوضة، ولذا لم يعدوا إثبات ياء الزوائد وحذف ياء «تسئلني» في الكهف وواو «وأكون من الصالحين» والطاء من «بطنين» ونحوه من مخالفة الرسم المردودة، فإن الخلاف في ذلك مغتفر؛ إذ هو قريب إلى معنى واحد، وتمشية صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفا واحدا من حروف المعاني، فإن حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم ومخالفته.

قال: وقولنا: «وصح إسنادها» نعني به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، وهكذا حتى ينتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.

قال: وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الأحاد لا يثبت به قرآن.

قال: وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الآخرين من الرسم وغيره؛ إذ أن ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا، سواء وافق الرسم أم لا، وإذا شرطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف، انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة.

وقد قال أبو شامة: شاع على السنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السبع كلها متواترة، أي كل فرد فرد فيما روى عنهم، قالوا: والقطع بأنها منزلة من عند الله

واجب، ونحن بهذا نقول: ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق، من غير تكثير له، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر فى بعضها.

وقال الجعبرى: الشرط واحد، وهو صحة النقل، ويلزم الآخران، فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن فى العربية وأتقن الرسم، وانجلت له هذه الشبهة.

وقال مكى: ما روى فى القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به ويكفر جاحده وهو ما نقله الثقات ووافق العربية وخط المصحف، وقسم صح نقله عن الآحاد وصح فى العربية وخالف لفظه الخط، فيقبل ولا يقرأ به لأمرين: مخالفته لما أجمع عليه وأنه لم يؤخذ بإجماع، بل بنجر الآحاد ولا يثبت به قرآن ولا يكفر جاحده، وقسم نقله ثقة ولا حجة له فى العربية أو نقله غير ثقة فلا يقبل وإن وافق الخط.

وقال ابن الجزرى: مثال الأول كثير كـ«مالك» و«يخضعون» و«يخضعون»، ومثال الثانى قراءة ابن مسعود وغيره: و«الذكر والأنثى» وقراءة ابن عباس: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة» ونحو ذلك.

قال: واختلف العلماء فى القراءة بذلك والأكثر على المنع لأنها لم تتواتر وإن ثبتت بالنقل، فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى.

ومثال ما نقله غير ثقة كثير مما كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبى حنيفة التى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى ونقلها عنه أبو القاسم الهذلى ومنها: «إنما يخشى الله من عبادة العلماء» برفع الله ونصب العلماء.

وقد كتب الدارقطنى وجماعة: بأن هذا الكتاب موضوع لا أصل له.

ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له فى العربية قليل لا يكاد يوجد وجعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع «معاش» بالهمز.

قال: وبقي قسم رابع مردود أيضا، وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة، فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر.

وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر بن مقسم وعقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه، ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق الذى لا أصل له يرجع إليه، ولا ركن يعتمد فى الأداء عليه.

قال: أما أصل ذلك، فإنه مما يصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام «قال رجلان» على «قال رب» ونحوه مما لا يخالف نصا ولا يرد إجماعا مع إنه قليل جدا.

قال السيوطى: أتقن الإمام ابن الجزرى هذا الفصل جدا، وقد تحرر لى منه أن القراءات، أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى متناه وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده ولم يبلغ المتواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، يقرأ به على ما ذكره ابن الجزرى ويفهمه كلام أبى شامة السابق، ومثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض، ومن أشهر ما صنف فى ذلك «التسير» للدانى و«قصيدة الشاطبى» و«أعية النشر فى القراءات العشر» و«تقريب النشر» كلاهما لابن الجزرى.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به، وقد عقد الترمذى فى جامعه والحاكم فى مستدركه لذلك بابا أخرج فيه شيئا كثيرا صحيح الإسناد.

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدى، عن أبى بكرة أن النبى ﷺ قرأ: «متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان».

وأخرج من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قرأ: «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرات أعين».

وأخرج عن ابن عباس أنه ﷺ قرأ: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بفتح الفاء.

وأخرج عن عائشة أنه ﷺ قرأ: «فروح وريحان» يعنى بضم الراء.

الرابع: الشاذ وهو ما لم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة من ذلك قراءة: «ملك يوم الدين» بصيغة الماضى ونصب «يوم» و«إياك نعبد» ببنائه للمفعول.

الخامس: الموضوع كقراءات الخزاعى.

وظهر لى سادس يشبه: من أنواع الحديث المدرج، وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير كقراءة سعيد بن أبى وقاص: «وله أخ أو أخت من أم». أخرجها سعيد بن منصور.

وقراءة ابن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم» فى مواسم الحج أخرجها البخارى.

وقراءة ابن الزبير: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم».

قال عمرو: فما أدري أكانت قراءته أم تفسير؟ أخرجها سعيد بن منصور.

وأخرج الأنبارى وحزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: «وإن منكم إلا واردها» الورود الدخول.

قال الأنبارى: قوله: الورود الدخول، تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله فى القرآن.

قال ابن الجزرى، فى آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءات إيضاحاً وبياناً؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرأنا، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه، وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى، فقد كذب.

تنبهات:

الأول: لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً فى أصله وأجزائه وأما فى محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محققى أهل السنة للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل مثله؛ لأن هذا القرآن العظيم الذى هو أصل الدين القويم والصرط المستقيم مما تتوافر الدواعى على نقل جملة وتفصيله، فما نقل أحاداً ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً.

وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط فى ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله وليس بشرط فى محله ووضعه وترتيبه بل يكثر فيها نقل الأحاد، وهو الذى يقتضيه صنع الشافعى فى إثبات البسمة من كل سورة، ورد هذا المذهب بأن الدليل السابق يقتضى التواتر فى الجميع، ولأنه لو لم يشترط التواتر لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر، وثبوت كثير مما ليس بقرآن.

أما الأول، فلأننا لو لم نشترط التواتر فى المحل جاز أن لا يتواتر كثير مما ليس بقرآن. وأما الثانى، فلأنه إذا تواتر بعض القرآن بحسب المحل، جاز إثبات ذلك البعض فى الموضع بنقل الأحاد.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن، حكماً لا علماً، بخير الواحد، وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه.

وقال قوم من المتكلمين: إنه يسوغ إعمال رأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صوابا العربية، وإن لم يثبت أن النبى ﷺ قرأ بها، وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطوؤا من قال به، انتهى.

وقد بنى المالكية وغيرهم من قال بإنكار البسمة قولهم على الأصل وقرروه بأنها لم تتواتر فى أوائل السور، وما لم يتواتر فليس بقرآن، وأجيب من قبلنا بمنع كونها لم تتواتر قرب متواتر عند قوم دون آخرين، وفى وقت دون آخر، ويكفى فى تواترها إثباتها فى مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف مع منعهم أن يكتب فى المصحف ما ليس منه كأسماء السور، وآمين، والأعشار، فلو لم تكن قرأنا لما استجازوا إثباتها، لأن ذلك يحمل على اعتقادها قرأنا، فيكونوا مغررين بالمسلمين، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرأنا، وهذا مما لا يجوز اعتقاده فى الصحابة.

فإن قيل لعلها أثبتت للفصل بين السور أوجب بأن هذا فيه تغيير ولا يجوز ارتكابه لمجرد

الفصل، ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال.

ويدل لكونها قرآنا منزلا ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، الحديث، وفيه: وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية، ولم يعد عليهم.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي في «المعرفة» بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج البيهقي في «الشعب» وابن مردويه بسند حسن من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النبي ﷺ إلا أن يكون سليمان ابن داود: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الدارقطني والطبراني في «الأوسط» بسند ضعيف عن بريدة، قال: قال النبي ﷺ: «لا أخرج من المسجد حتى أخبرك بآية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري ثم قال: بأى شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة؟ قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: هي هي».

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي والبخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم...».

زاد البخاري: فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى.

وأخرج الحاكم من وجه آخر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت...». إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرج الحاكم أيضا من وجه آخر عن سعيد، عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبريل، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أنها سورة». إسناده صحيح.

وأخرج البيهقي في «الشعب» وغيره عن ابن مسعود، قال: كنا لا نعلم فصلا بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم.

قال أبو شامة: يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه ﷺ على جبريل كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية، فيعلم أن السورة قد انقضت، وغير ﷺ بلفظ النزول إشعارا بأنها قرآن في جميع أوائل السور، ويحتمل أن يكون المراد أن جميع آيات كل سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة واستعرض السورة فيعلم النبي ﷺ أنها قد ختمت ولا يلحق بها شيئا.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب، قيل فأين السابعة؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن علي أنه سئل عن السبع المثاني، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل له: إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية.

وأخرج الدارقطني وأبو نعيم والحاكم في تاريخه بسند ضعيف عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الواحدى من وجه آخر عن نافع، عن ابن عمر قال: نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة.

وأخرج البيهقي من وجه ثابت عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يقرأ فى الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا ختم السورة قرأها، ويقول: ما كتبت فى المصحف إلا لتقرا.

وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأتم الحمد، فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها أم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها».

وأخرج مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسما، فقال: «أنزلت علىّ أنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر...» الحديث.

فهذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوى بكونها قرآنا منزلا فى أوائل السور.

ومن المشكل على الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين الرازى، قال: نقل فى بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن، وهو فى غاية الصعوبة؛ لأننا إن قلنا: إن النقل المتواتر كان حاصلا فى عصر الصحابة، يكون ذلك من القرآن فإنكاره يوجب الكفر، وإن قلنا: لم يكن حاصلا فى ذلك الزمان، فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر فى الأصل، قال: والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة.

وكذا قال القاضى أبو بكر: لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكارا لكتابتها لا جحدا لكونها قرآنا؛ لأن السنة كانت عنده أن لا يكتب فى المصحف إلا ما أمر النبى ﷺ بإثباته فيه، ولم يجده كتب ذلك ولا سمعه أمر به.

وقال النووى فى شرح المذهب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئا كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح.

وقال ابن حزم فى كتاب القدح المعلقى تميم الجلى: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم، عن زر، عنه وفيها المعوذتان والفاتحة.

وقال ابن حجر فى شرح البخارى: قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك فأخرج أحمد

وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه.

وأخرج عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي، قال: كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله.

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما أسانيداً صحيحة.

قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة، وقد صح أنه ﷺ قرأهما في الصلاة.

قال ابن حجر: فقول من قال: إنه كذب عليه مردود والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الروايات صحيحة والتأويل محتمل.

قال: وقد أوله القاضى وغيره على إنكار الكتابة كما سبق، قال: وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله.

قال: ويمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف، فيتم التأويل المذكور، لكن قال: من تأمل سياق الطرق المذكورة استبعد هذا الجمع.

قال: وقد أجاب ابن الصباغ بأنه لم يستقر عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك وحاصله أنهما كانتا متواترتين في عصره لكنهما لم يتواترا عنده، انتهى.

وقال ابن قتيبة في مشكل القرآن: ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن؛ لأنه رأى النبي ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين، فأقام على ظنه، ولا نقول إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار.

قال: وأما أسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن معاذ الله، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد.

قال السيوطي: وإسقاطه الفاتحة من مصحفه، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدم في أوائل النوع التاسع عشر.

التنبيه الثاني: قال الزركشى في البرهان: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل هي مشهورة.

قال الزركشى: والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة أما تواترها عن النبي ﷺ، ففيه

نظر، فإن اسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهى نقل الواحد عن الواحد.

قال السيوطى: فى ذلك نظر لما سيأتى، واستثنى أبو شامة كما تقدم الألفاظ المختلف فيها عن القراء واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء الكالد والإماله وتحقيق الهمزة.

وقال غيره: اخق أن الأصل المد والإماله، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف فى كيفيته كذا قال الزركشى قال: وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواترة.

وقال ابن الجزرى: لا نعلم أحدا تقدم ابن الحاجب إلى ذلك.

وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضى أبى بكر وغيره، وهو الصواب؛ لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه لأن اللفظ لا يقوم إلا به ولا يصح إلا بوجوده.

التنبية الثالث: قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم فاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل.

وقال أبو العباس بن عمار: لقد نقل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له وأشكل الأمر على العامة بإبهامه كل من قل نظره إن هذه القراءات هى المذكورة فى الخير، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة، ووقع له أيضا فى اقتصار على كل إمام على روايين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها وقد تكون هى أشهر وأصح وأظهر وربما بالغ من لا يفهم فخطأ أو كفر.

وقال أبو بكر بن العربى: ليست السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبى جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم، فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم. وكذا قال غير واحد منهم مكى وأبو العلاء الهمدانى وآخرون من أئمة القراء.

وقال أبو حيان: ليس فى كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويا ثم ساق أسماءهم واقتصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدى، واشتهر عن اليزيدى عشرة أنفس، فكيف يقتصر على السوسى والدورى وليس لهما مزية على غيرهما؛ لأن الجميع مشتركون فى الضبط والإتقان والاشتراك فى الأخذ. قال: ولا أعرف لهذا سببا إلا ما قضى من نقص العلم.

وقال المكى: من ظن أن قراءة هؤلاء كنافع وعاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً، قال: ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم ووافق خط المصحف أن لا يكون قرأنا وهذا غلط عظيم فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبى عبيد القاسم بن سلام وأبى حاتم السجستاني وأبى جعفر الطبرى وإسماعيل القاضى قد ذكروا أضعاف هؤلاء، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن

عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، واستمروا على ذلك فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب، قال: السبب في الاختصار على السبعة مع أن في أئمة القراء من هو أجل منهم قدرًا أو مثلهم أكثر من عددهم أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيرًا جدًا، فلما تقاصرت المهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة به والاتفاق على الأخذ عنه، فافردوا من كل مصر واحدًا ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة وغيرهم.

قال: وقد صنف ابن حبر المكي مثل ابن مجاهد كتابًا في القراءات، فاقصر على خمسة، اختار من كل مصر إمامًا، وإنما اقتصر على ذلك؛ لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار، ويقال أنه وجه بسبعة، هذه الخمسة ومصحفًا إلى اليمن والبحرين، لكن لم يسمع لهما المصحفين خيرًا.

وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخير به، فوقع ذلك بمن لم يعرف أصل المسألة ولم تكن له فطنة، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع والأصل المعتمد عليه صحة السند في السماع واستقامة الوجه في العربية وموافقة الرسم وأصح القراءات سندًا نافع وعاصم وأفصحها أبو عمرو والكسائي، انتهى.

وقال القراب في الشافعي: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين، فانتشر، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك وذلك لم يقل به أحد.

وقال الكواشي: كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق خط المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ.

وقد اشد إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية وآخر من صرح بذلك الشيخ تقي الدين السبكي، فقال في شرح المنهاج قال الأصحاب: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ.

وقد نقل البغوي الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة، وهذا القول هو الصواب، قال: واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على، قسمين: منه ما يخالف رسم المصحف، فهذا لا شك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها، ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به، وإنما ورد من طريق غريب لا يعول عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضًا، ومنه ما اشتهر عن أئمة هذا الشأن القراءة به قديمًا وحديثًا

فهذا لا وجه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره.

قال: والبغوى أولى من يعتمد عليه فى ذلك فإنه مقرئ فقيه جامع للعلوم، قال: وهكذا التفصيل فى شواذ السبعة، فإن عنهم شيئا كثيرا شاذًا، انتهى.

وقال ولده فى منع الموانع: إنما قلنا فى الجوامع والسبع متواترة، ثم قلنا فى الشاذ والصحيح إنه ما وراء العشرة ولم نقل: والعشر متواترة؛ لأن السبع لم يختلف فى تواترها فذكرنا أولاً موضع الإجماع ثم عطفنا عليه موضع الخلاف، قال: على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة فى غاية السقوط ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله فى الدين، وهى لا تخالف رسم المصحف، قال: وقد سمعت أبى يشدد النكير على بعض القضاة وقد بلغه أنه منع من القراءة بها واستأذنه بعض أصحابنا مرة فى إلقاء السبع، فقال: أذنت لك أن تقرأ العشر، انتهى.

وقال: فى جواب سؤال سألته ابن الجزرى عن القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر فى شيء من ذلك إلا جاهل.

التنبيه الرابع: باختلاف القراءات يظهر الاختلاف فى الأحكام، ولهذا بنى الفقهاء وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى «المستم» و«لامستم»، وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف فى «يطهرن» وقد حكوا خلافاً غريباً فى الآية إذا قرئت بقراءتين، فحكى أبو الليث السمرقندى فى كتاب البستان قولين أحدهما: أن الله قال بهما جميعاً. والثانى: أن الله قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن تقرأ بقراءتين، ثم اختار توسطاً، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر، فقد قال بهما جميعاً وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل «حتى يطهرن»، وإن كان تفسيرهما واحداً، فإن قيل إذا قلتم أنه قال بإحادهما، فأى القراءتين هى؟ قلنا: التى بلغة قريش انتهى.

وقال بعض المتأخرين: لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، ومنها إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتاب غيرهم إلا على وجه واحد، ومنها إعظام أجرها من حيث إنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه حتى مقادير المدات وتفاوت الإمالات ثم فى تتبع معانى ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل وال ترجيح، ومنها إظهار سر الله فى كتابه وصيائنه عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة، ومنها المبالغة فى إعجازه بإيجازه، إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة لم يخف ما كان فيه من التطويل ولهذا كان قوله: «وأرجلكم» منزلاً لغسل الرجل والمسح على الخف واللفظ واحد لكن باختلاف إعرابه، ومنها أن بعض القراءات يبين ما

لعله يحمل فى القراءة الأخرى، فقراءة «يطهرن» بالتشديد مبنية لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة: «فامضوا إلى ذكر الله» تين أن المراد بقراءة «اسعوا» الذهاب لا المشى السريع.

وقال أبو عبيد فى فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة «والصلاة الوسطى صلاة العصر» وقراءة ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما».

قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين فى التفسير فيحسن، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار فى نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى، فأدنى ما يستنتج من هذه الحروف معرفة صحة التأويل، انتهى.

التنبية الخامس: اختلف فى العمل بالقراءة الشاذة فنقل إمام الحرمين فى البرهان عن ظاهر مذهب الشافعى أنه لا يجوز وتبعه أبو نصر القشيري، وحزم به ابن الحاجب لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت، وذكر القاضيان أبو الطيب والحسين والرويانى والرافعى العمل بها تنزيلا لها منزلة خير الآحاد، وصححه ابن السبكي فى الجوامع وشرح المختصر، وقد احتج الأصحاب على قطع عيين السارق بقراءة ابن مسعود وعليه أبو حنيفة أيضا، واحتج على وجوب التابع فى صوم كفارة اليمين بقراءته «متابعات» ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها.

التنبية السادس: من المهم معرفة توجيه القراءات وقد اعتنى به الأئمة وأفردوا فيه كتباً منها «الحجة» لأبى على الفارسى و«الكشف» لمكى و«الهداية» للمهدوى و«المختص» فى توجيه الشواذ لابن جنى، الذى نقدمه للقارئ اليوم.

قال الكواشى: وفائدته أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه أو مرجحا إلا أنه ينبغي التنبية على شيء وهو أنه ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقطها وهذا غير مرضى؛ لأن كلا منهما متواتر.

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب «اليواقيت» عن ثعلب أنه قال: إذا اختلف الإعرابان فى القراءات لم أفضل إعرابا على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى.

وقال أبو جعفر النحاس: السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال أحدهما أجود؛ لأنهما جميعا عن النبى ﷺ فإثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا.

وقال أبو شامة: أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة «مالك» و«ملك» حتى أن بعضهم بالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين، انتهى.

وقال بعضهم: توجيه القراءات الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة.

الصراع حول قضية القراءات قديماً وحديثاً:

وقد تكلم ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» عن قضية القراءات والصراع الذي يدور حولها تحت باب «الحكاية عن الطاعنين»، فقال: وكان مما بلغنا عنهم: أنهم يحتجون بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ وبقوله: ﴿يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.

وقالوا: وجدنا الصحابة، رضى الله عنهم، ومن بعدهم، يختلفون في الحرف: فابن عباس يقرأ: «وَأَذْكَرَ بَعْدَ أَمٍّ» وغيره يقرأ: «بَعْدَ أُمَةٍ». و«عائشة» تقرأ: «إِذْ تَلْقَوْنَهُ». و«أبو بكر الصديق» يقرأ: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ» والناس يقرأون: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ».

وقرأ بعض القراء: «وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا» وقرأ الناس: «وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا». وكان «ابن مسعود» يقرأ: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً» ويقرأ: «كالصوف المنفوش».

مع أشباه لهذا كثيرة، يخالف فيها مصحفه المصاحف القديمة والحديثة. وكان يحذف من مصحفه «أم الكتاب» ويمحو «المعوذتين».

و«أبى» يقرأ: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا». ويزيد في مصحفه افتتاح «دعاء القنوت» إلى قول الداعي: «إِنْ عَذَابِكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ» ويعدده سورتين من القرآن.

و«القراء» يختلفون: فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض ما يرفعه هذا.

* * *

باب الرد عليهم في وجوه القراءات:

أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف، فإننا نحتج عليهم فيه بقول النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف، شاف كاف، فاقراءوا كيف شئتم».

وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، وأمر، ونهى، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال. وليس شىء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل.

ومن قال: فلان يقرأ بحرف «أبى عمرو» أو بحرف «عاصم»، فإنه لا يريد شىء مما ذكروا. وليس يوجد في كتاب الله حرف قرئ على سبعة أوجه - يصح، فيما أعلم.

وإنما تأويل قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»: على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن يدللك على ذلك قول رسول الله ﷺ: «فاقرأوا كيف شئتم».

وقال عمر: سمعت «هشام بن حكيم بن حزام» يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها،

وقد كان النبي ﷺ أقرأنها، فأتيت به النبي ﷺ، فأخبرته، فقال له: اقرأ، فقرأ تلك القراءة، فقال: هكذا أنزلت. ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت. ثم قال: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرأوا منه ما تيسر».

فمن قرأه قراءة «عبد الله» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «أبى» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «زيد» فقد قرأ بحرفه.

و«الحرف» يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها، والقصيدة بكماها.

ألا ترى أنهم يقولون: قال الشاعر كذا في كلمته، يعنون في قصيدته.

والله جل وعز يقول: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾، وقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، أراد سبحانه وتعالى: من الناس من يعبد الله على الخير يصيبه من تشمير المال، وعافية البدن، وإعطاء السؤل، فهو مطمئن ما دام ذلك له. وإن امتحنه الله تعالى بالألواء في عيشه، والضراء في بدنه وماله، كفر به.

فهذا عبد الله على وجه واحد، ومعنى متحد، ومذهب واحد، وهو معنى الحرف. ولو عبد الله على الشكر للنعمة، والصبر للمصيبة، والرضا بالقضاء - لم يكن عبده على حرف.

وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ وأطهر لكم. ﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ وهل يجازى إلا الكفور. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِخْلِ﴾ وبالبخل. ﴿فَنُطِرَ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ وميسرة.

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ وربنا باعد بين أسفارنا، و﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ وتلقونه، و﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وبعد أمة.

الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ وننشزها، ونحو قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ وفزع.

الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا زُفِيَةً﴾ و﴿صِيْحَةً﴾ و﴿كَالصُّوفِ الْمَفْوشِ﴾ و﴿كَالْعِهْنِ﴾.

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة عما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله: «وَطَلَعَ مَنْضُودٌ» في موضع: «وَوَطَّلَحَ مَنْضُودٌ».

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. نحو قوله: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ»، وفي موضع آخر: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ».

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وَمَا عَمِلْتُ أَيَدِيهِمْ»، «وَمَا عَمِلَتْهُ أَيَدِيهِمْ»، ونحو قوله: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» و «إِنَّ الْغَنِيَّ الْحَمِيدُ».

وقرأ بعض السلف: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً أَنْثَى»، و «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أَظْهَرُكُمْ عَلَيْهَا».

* * *

فأما زيادة «دعاء القنوت» في «مصحف أبى»، ونقصان أم الكتاب والمعوذتين من «مصحف عبدا لله»، فليس من هذه الوجوه، وسنخبر بالسبب فيه، إن شاء الله.

وكل هذه «الحروف» كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام وذلك أنه كان يعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، ويسر على ما يشاء. فكان من تيسيره: أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم:

فلهذلى يقرأ: «عَتَى حِينَ» يريد: «حَتَّى حِينَ»؛ لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها.

والأسدى يقرأ: «تعلمون» و«تعلم» و«تَسَوَّدَ وَجْهُ» و «أَلَمْ يَعْهَدْ إِلَيْكُمْ».

والتميمى يهمز. والقرشى لا يهمز.

والآخر يقرأ: «وإذا قيل لهم» و «وَعِثُّ الْمَاءِ» بإشمام الضم مع الكسر، و «هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا» بإشمام الكسر مع الضم و «مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا» بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يطوع به كل لسان.

ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لفته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة.

فأراد الله، برحمته ولطفه أن يحمل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله، ﷺ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم.

فإن قال قائل: هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحداً، فهل يجوز أيضاً إذا اختلفت المعاني؟

قيل له: الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد «فاختلاف التضاد» لا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ.

«واختلاف التغاير» جائز، وذلك مثل قوله: وادكر بعد أمة أى بعد نسيان له، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان؛ لأنه ذكر أمر «يوسف» بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيه، ﷺ بالمعنيين جميعاً في غرضين.

وكقوله: ﴿إِذْ تَلَقُونَهُ بِالْأَسْتَكْم﴾ أى تقبلونه وتقولونه، و«تلقونه» من الولق، وهو الكذب، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان؛ لأنهم قبلوه وقالوه، وهو كذب، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعاً في غرضين.

وكقوله: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ على طريق الدعاء، و«رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» على جهة الخبر، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرقهم في البلاد فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فلما فرقهم الله في البلاد، وباعد بين أسفارهم، قالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، وأجابنا إلى ما سألنا، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين في غرضين.

وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و«لقد علمت ما أنزل هؤلاء» لأن فرعون قال لموسى: إن آياتك التى آتيت بها سحر. فقال موسى مرة: لقد علمت ما هى سحر، ولكنها بصائر. وقال مرة: لقد علمت أنت أيضاً ما هى سحر، وما هى إلا بصائر. فأنزل الله المعنيين جميعاً.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مُتَكِفًا﴾ وهو الطعام، و«أعتدت لهن متكفاً» وهو الأترج، ويقال: الزمأورد، فدلّت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام، وأنزل الله بالمعنيين جميعاً.

وكذلك «نُنشِرُهَا» ﴿نُنشِرُهَا﴾؛ لأن الإنشار: الإحياء، والإنشاز هو: التحريك للنقل، والحياة حركة، فلا فرق بينهما.

وكذلك: ﴿فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ و«فرغ»؛ لأن فرغ: خفف عنها الفزع، وفرغ: فرغ عنها الفزع.

وكل ما فى القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصا، فعلى مثل هذه السبيل.

* * *

فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه؟

قيل له: كل ما كان منها موافقا لمصحفنا غير خارج من رسم كتابه - جاز لنا أن نقرأ به. وليس لنا ذلك فيما خالفه؛ لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين، قرأوا بلغاتهم، وحروا

على عادتهم، فكان ذلك جائزا لهم، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل؛ فأما نحن معشر المتكلفين، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض، وليس لنا أن نعدوه، كما كان لهم أن يفسروه، وليس لنا أن نفسره.

ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت في مصحفنا، لجاز أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموفقون، رحمة الله عليهم.

وأما نقصان «مصحف عبد الله» بحذفه «أم الكتاب» و«المعوذتين» وزيادة «أبي» سورتي القنوت - فإننا لا نقول: إن «عبد الله» و «أبي» أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن «عبد الله» ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن «المعوذتين» كانتا كالعوذة والرقية وغيرها، وكان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يعوذ بأعوذ بكلمات الله التامة، وغير ذلك، فظن أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعا كما أقام على التطبيق.

وأقام «غيره» على الفتيا بالمتعة، والصرف.

ورأى «آخر» أكل الرد وهو صائم.

ورأى «آخر» أكل السحور بعد طلوع الفجر الثاني. وأشباه هذا كثيرة.

وإلى نحو هذا ذهب «أبي» في «دعاء القنوت»؛ لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به في الصلاة دائما، فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة.

* * *

وأما «فاتحة الكتاب» فإنني أشك فيما روى عن «عبد الله» من تركه إثباتها في مصحفه، فإن كان هذا محفوظا، فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظن به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم، والنبي ﷺ يقول: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه قراءة ابن أم عبد».

وعمر يقول فيه: «كيف ملئ علما» وهو مع هذا متقدم الإسلام بدرى لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يوم بها، وقال: «لا صلاة إلا بسورة الحمد» وهي السبع المثاني، وأم الكتاب، أى أعظمه وأقدم ما نزل منه، كما سميت مكة أم القرى؛ لأنها أقدمها قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين؛ مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها ولأنها تنشئ في كل صلاة وكل ركعة، وأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه.

فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن.

ولو أن رجلا كتب في المصحف سورا، وترك سورا لم يكتبها، لم نر عليه في ذلك وكفا إن شاء الله تعالى.

* * *

باب ما ادعى على القرآن من اللحن:

وأما ما تعلقوا به من «حديث عائشة» رضى الله عنها في غلط الكاتب، و«حديث عثمان» رضى الله عنه: أرى فيه لحنا - فقد تكلم النحويون في هذه الحروف، واعتلوا لكل حرف منها، واستشهدوا الشعر:

فقالوا: في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ وهي لغة بلحرث بن كعب يقولون: مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يديه، وركبت علاه. وأنشدوا:

أى قلو ص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها

على أن القراء قد اختلفوا في قراءة هذا الحرف: فقرأه «أبو عمرو بن العلاء»، و«عيسى بن عمر»: «إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ» وذها إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت «عائشة».

وكان «عاصم الجحدري» يكتب هذه الأحرف الثلاثة في مصحفه على مثالها في الإمام، فإذا قرأها، قرأ: «إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ»، وقرأ: «وَالْمَقِيمُونَ الصَّلَاةَ»، وقرأ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ».

وكان يقرأ أيضا في سورة البقرة: «وَالصَّابِرُونَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ» ويكتبها: «الصَّابِرِينَ». وإنما فرق بين القراءة والكتاب؛ لقول «عثمان» رحمه الله: «أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها» فأقامه بلسانه، وترك الرسم على حاله.

وكان «الحجاج» وكل «عاصم» و «ناحية بن رمح» و «على بن أصمع» يتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهما.

خبرني بذلك «أبو حاتم» عن «الأصمعي» قال: وفي ذلك يقول «الشاعر»:

وإلا رسوم لدار قفر كأنها كتاب محاه الباهلى بن أصمعا

وقرأ بعضهم: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ اعتبارا بقراءة «أبي» لأنها في مصحفه: «إِنَّ ذَانِ إِلَّا ساحران» وفي مصحف «عبد الله»: «وَأَسْرُوا النَّجْوَى إِنَّ هَذَانِ سَاحِرَانِ» منصوبة الألف يجعل: «إن هذان» تبيينا للنجوى.

وقالوا فى نصب «المقيمين» بأقاول: قال بعضهم: أراد بما أنزل إليك وإلى المقيمين.

وقال بعضهم: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين.

وكان «الكسائى» يرده إلى قوله: «يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» أى: ويؤمنون بالمقيمين، واعتبره بقوله فى موضع آخر: «يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» أى بالمؤمنين.

وقال بعضهم: هو نصب على المدح.

قال «أبو عبيدة» هو نصب على تطاول الكلام بالنسق، وأنشد «للخرنق بنت هفان»:

لا يبعدين قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقب الأزر

ومما يشبه هذه الحروف - ولم يذكره - قوله فى سورة البقرة: «وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ». و«القراء» جميعا على نصب «الصابرين» إلا «عاصما الجحدري» فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه، وينصبه إذا كتبه؛ للعللة التى تقدم ذكرها.

واعتل «أصحاب النحو» للحرف، فقال «بعضهم»: هو نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم، كأنهم ينون أفراد الممدوح بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام، كذلك قال «الفراء».

وقال «بعضهم»: أراد: «وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والصابرين فى البأساء والضراء».

وهذا وجه حسن؛ لأن البأساء: الفقر، ومنه قول الله عز وجل: «وَأُطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ».

والضراء: البلاء فى البدن، من الزمانة والعللة. فكأنه قال: وأتى المال على حبه السائلين الطوافين، والصابرين على الفقر والضر الذين لا يسألون ولا يشكون، وجعل «الموفين» وسطا بين المعطين نسقا على «من آمن بالله».

* * *

ومن ذلك قوله فى سورة الأنبياء: «كَذَلِكَ نَجِى الْمُؤْمِنِينَ» كتبت فى المصاحف بنون واحدة، وقرأها «القراء» جميعا «ننجى» بنونين إلا «عاصم بن أبى النجود» فإنه كان يقرأها بنون واحدة، ويخالف «القراء» جميعا، ويرسل الياء فيها على مثال «فعل».

فأما من قرأها بنونين، وخالف الكتاب، فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم، فأسقطها كاتب المصحف لحفائها، ونيته إثباتها.

واعتل بعض النحويين «لعاصم» فقالوا: أضمر المصدر، كأنه قال: نجى النجاء المؤمنين، كما تقول: ضرب الضرب زيدا، ثم تضرر الضرب، فتقول: ضرب زيدا.

وكان «أبو عبيد» يجتار في هذا الحرف مذهب «عاصم» كراهية أن يخالف الكتاب، ويستشهد عليه «حرفا» في سورة الجاثية، كان يقرأ به «أبو جعفر المدني»، وهو قوله: ﴿لِيَجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أى ليجزى الجزاء قوما.

وأنشدنى بعض النحويين:

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

* * *

ومن ذلك: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أكثر القراء يقرأون: «فَأَصْدَقَ أَكْنَ» بغير واو. واعتل «بعض النحويين» فى ذلك بأنها محمولة على «موضع» فأصدق، لو لم يكن فيه الفاء، وموضعه جزم، وأنشد:

فأبلونى بليتكم لعلى أصالحكم وأستدرج نوبا

فجزم «وأستدرج»، وحمله على موضع «أصالحكم» لو لم يكن قبلها: «لعلى» كأنه قال: فأبلونى بليتكم أصالحكم وأستدرج.

وكان «أبو عمرو بن العلاء» يقرأ: «فَأَصْدَقَ وَأَكُونَ» بالنصب، وينهب إلى أن الكاتب أسقط الواو، كما تسقط حروف المد واللين فى «كَلَمُونَ» وأشباه ذلك.

* * *

وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطا من الكاتب، كما ذكرت «عائشة» رضى الله عنها.

فإن كانت على مذاهب النحويين، فليس ها هنا لحن بحمد الله.

وإن كانت خطأ فى الكتاب، فليس على رسوله ﷺ حناية الكاتب فى الخط.

ولو كان هذا عيبا يرجع على القرآن، لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى:

فقد كتب فى الإمام: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ بحذف ألف التثنية. وكذلك «ألف التثنية» تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان، مثل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ و «آخِرَن يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا» وكتب كتاب المصحف: الصلوة والزكوة والحياة، بالواو، واتبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التيمن بهم، ونحن لا نكتب: «القطاة والقناة والقلاة» إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه.

وكتبوا «الربو» بالواو، وكتبوا: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فمال بلام منفردة.

وكتبوا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ بالياء «أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٌ» بالياء فى الحرفين جميعا، كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما، إنما هى مكسورة.

وكتبوا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوٌ﴾ و ﴿فَقَالَ الضَّعْفُو﴾ بواو، ولا ألف قبلها.

وكتبوا: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلْ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاوُ﴾ بواو بعد الألف، وفي موضع آخر ﴿هَاشَاءُ﴾ بغير واو، ولا فرق بينهما.

وكتبوا: ﴿أَوَلَا أَدْبَحْتَهُ أُولِيَّائِي بَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بزيادة ألف. وكذلك ﴿وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ بزيادة ألف بعد لام ألف.

وهذا أكثر في المصحف من أن نستقصيه.

وكذلك لحن اللاحنين من القراء المتأخرين، لا يجعل حجة على الكتاب. وقد كان الناس قديما يقرأون بلغاتهم كما أعلمتك.

ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلف، فهفوا في كثير من الحروف وزلوا وقرأوا بالشاذ وأخلوا.

منهم «رجل» ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقربه من القلوب بالدين. لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً، ولا أشد اضطراباً منه؛ لأنه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره، ثم يؤصل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما علة. ويختار في كثير من الحروف ما لا يخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة.

هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه في المد والهمز والإشباع، وإفحاشه في الإضجاع والإدغام، وحمله المتعلمين على المركب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله، وتضييقه ما فسحه.

ومن العجب أنه يقرئ الناس بهذه المذاهب، ويكره الصلاة بها!.

ففي أي موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها!؟.

وكان «ابن عيينة» يرى لمن قرأ في صلاته بحرفه، أو ائتم بقراءته: أن يعيد، ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين منهم «بشر بن الحارث» و«أحمد بن حنبل».

وقد شغفت بقراءته عوام الناس وسوقتهم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها، فإذا رآوه قد اختلف في أم الكتاب عشراً، وفي مائة آية شهراً، وفي السبع الطوال حولا، ورآوه عند قراءته مائل الشدقين، دار الوريدين، راشح الجبينين - توهموا أن ذلك لفضية في القراءة وحذق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خيار السلف ولا التابعين؛ ولا القراء العالمين؛ بل كانت قراءتهم سهلة رسة.

وهكذا نختار لقراء القرآن في أورادهم ومحاريبهم. فأما الغلام الرريض والمستأنف للتعلم، فنختار له أن يؤخذ بالتحقيق عليه، من غير إفحاش في مد أو همز أو إدغام؛ لأن في ذلك تذليلاً للسان، وإطلافاً من الحبسة، وحلا للعقدة.

وما أقل من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم:

فقد قرأ «بعض المتقدمين»: «مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَذْرَأْتُكُمْ بِهِ» فهمز، وإنما هو من دريت بكذا وكذا.

وقرأ: «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ» توهم أنه جمع بالواو والنون.

وقرأ آخر: «فَلَا تَشْمِتْ بِيِ الْأَعْدَاءِ» بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب الأعداء. وإنما هو من: أشتت الله العدو فهو يشتمته، ولا يقال: شمت الله العدو.

وقال: «الأعمش» قرأت عند «إبراهيم» «وطلحة بن مصرف»: «قَالَ لَمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ»، فقال: «إبراهيم» ما تزال تأتينا بحرف أشنع! إنما هو: «لمن حوله» واستشهد «طلحة» فقال مثل قوله.

قال «الأعمش»: فقلت لهما: لختما، لا أقاعدكما بعد اليوم.

وقرأ «يحيى بن وثاب»: «وَأِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا» من الولاية. ولا وجه للولاية هاهنا، إنما هي تلوا - بواوين - من ليك في الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر.

قال الله عز وجل: «يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ» واتبعه على هذه القراءة «الأعمش» و«حمزة».

وقرأ «الأعمش»: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيٍّ» بكسر الياء، كأنه ظن أن الباء تخفض الحرف كله، واتبعه على ذلك «حمزة».

وقرأ «حمزة»: «وَمَكَّرَ السَّيِّئُ وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» فجزم الحرف الأول، والجزم لا يدخل الأسماء، وأعرب الآخر وهو مثله.

وقرأ «نافع»: «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» بكسر النون. ولو أريد بها الوجه الذي ذهب إليه، لكانت «فَبِمَ تُبَشِّرُونَنِي» بنونين؛ لأنها في موضع رفع.

وقرأ «حمزة»: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ» بالياء. ولو أريد بها الوجه الذي ذهب إليه لكانت: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ». وهذا يكثر.

* * *

ابن جنى ومؤلفاته

نسبة ابن جنى^(١):

هو عثمان ابن جنى، كان أبوه رومياً يونانياً، وكان مملوكاً لـ«سليمان بن فهد بن أحمد

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الموصول ٥١/١، الكامل لابن الأثير، المختصر لابن كثير في حوادث سنة

الأزدي»؛ لذلك ينسب ابن جنى أزدياً بالولاء، قال فى آخر كتابه «المنصف»: «قال أبو الفتح عثمان بن جنى الأزدي».

وجنّى، بكسر الجيم وكسر النون مشددة وسكون الياء، فلا تشدد الياء كياء النسب؛ إذ ليست بها. وفى «حاشية الشمنى على المغنى» بعد أن أورد ترجمة ابن جنّى: «وفى الشرح فى غير هذا الموضع: هو بإسكان الياء، وليس منسوباً، وإنما هو معرب. كذا فى شرح المفصل للأسفندارى».

وإعراب جنى على الحكاية لحالها فى العجمية، فلا تعامل فى الإعراب معاملة الكلمات العربية؛ وذلك أنها لو ذهب بها هذا المذهب فعولت معاملة المنقوص لقل: ابن جن فتضيع صورة العلم، ويلتبس الأمر بالجنّ، فمن ثم أبقيت كما هى حفاظاً على صورتها. وقد جاء من الأعلام على نسق جنّى: جنّى.

ويقول ابن ماكولا فى كتابه: «وأما جنّى - بكسر الحاء المهملة وتشديد النون الممالة - فهو أبو الحسن علىّ بن أبى بكر ابن أحمد بن علىّ بن يحيى البيع البغدادي، يعرف بابن حنى. حدث عن ابن رزقويه»، وذكر أن مولده فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

وقد ذكر صاحب القاموس فى «حنن» هذا الاسم، وذكر أيضاً آخر يعرف بابن حنى.

* * *

مولده (٢):

ولد ابن جنى فى الموصل، ويقول من ترجم له: إنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة، ولا يعينون مولده بعد هذا، إلا أبا الفداء فى المختصر، يذكر أن وفاته سنة ٣٠٢هـ. ويقول ابن قاضى شهبّة فى طبقات النحاة: إنه توفى وهو فى سن السبعين. فإذا أخذ بهذا وروعى أن وفاته كانت فى سنة ٣٩٢هـ، فإن ولادته تكون فى سنة ٣٢٢هـ أو سنة ٣٢١هـ.

ويذكر الرواة أنه صحب أبا على الفارسى أستاذه أربعين سنة بعد اتصاله به على أثر حادثة مسجد الموصل - وستأتى قصتها - وكانت هذه الحادثة سنة ٣٣٧هـ، فإذا وضع تاريخ ولادته فى سنة ٣٢٢هـ، كانت سنه عندئذ خمس عشرة سنة.

وقول ابن قاضى شهبّة: إنه توفى فى سن السبعين، قد يكون «السبعون» فيه محرفة عن التسعين.

ويرى بعض الكتّابين عنه من علماء المشرقيات أن ولادته كانت سنة ٣٢٠هـ، وهذا قريب مما ذكرت. وبعض هؤلاء جعل مولده سنة ٣٠٠هـ، وهذا قريب مما جاء فى رواية أبى الفداء.

* * *

نشأته:

نشأ ابن جنى بالموصل، وتلقى مبادئ التعلم فيها. وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش.

ويذكر ابن خلكان أنه قرأ الأدب في صباه على أبي عليّ الفارسي.

ويقول ابن ماكولا: سمع جماعة من المواصلة والبغداديين.

ويذكر أنه في بدء اتصاله بأستاذه: أن أبا الفتح كان يدرس العربية في جامع الموصل وهو شاب، فمر به أبو عليّ، فوجده يتكلم في مسألة قلب الواو ألفاً، في نحو قال وقام، فاعترض عليه أبو عليّ، فوجده مقصراً، ونبهه على الصواب، وقال له: تزببت وأنت حصرم! فتبع أبا عليّ، حتى نبغ بسبب صحبتته إياه، وبلغ من أمره ما بلغ.

وكان خطأه أمام أستاذه في مسألة قلب الواو ألفاً كان سبباً في عنايته بها.

وتراه في الخصائص يعرض لها في أكثر من موضع، ومن ذلك ما جاء في جـ ١٤٥/١، ١٥٣، وإن كان الكلام كان أيضاً في قلب الياء ألفاً، وهما من واد واحد.

وتكاد الروايات تتفق على أن ابن جنى لم يكن يعرف أبا عليّ قبل هذه الحادثة.

وفي ياقوت بعد أن ذكر سؤال أبي عليّ له في مسألة التصريف متحدثاً عن ابن جنى: «فسأل عنه، فقليل له: هذا أبو عليّ الفارسي».

وفي هذا بيان أنه لم يلقه قبل هذا. ولم يشذ عن هذا - فيما علمت - إلا ابن خلكان، فهو يقول: «قرأ الأدب على الشيخ أبي عليّ الفارسيّ المقدّم ذكره في حرف الحاء وفارقه. وقعد للإلقاء بالموصل، فاجتاز به شيخه أبو عليّ، فجلس في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه، فقال له: «تزببت، وأنت حصرم!». فتزك حلقة وتبعه حتى تمهر».

ويذكرنا عجز ابن جنى عن الجواب على ما أورده عليه أبو عليّ من الاعتراض في مسألة التصريف التي كان يتكلم فيها بمحاذة لأبي عليّ مع نحويّ موصلي. وكأنما ثار أبو عليّ يوماً مع محمد بن سعيد البصير الموصلي العروضي النحوي عند أبي بكر بن شقير. فقال محمد بن سعيد لأبي عليّ: في أي شيء تنظر يا فتى؟ فقال: في التصريف.

فجعل يلقي عليه من المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر منه أبو عليّ، فهرب منه إلى النوم، فقال: هربت يا فتى! قال: نعم، هربت.

ويؤرخ الرواة اجتياز أبي عليّ بالموصل بسنة ٣٣٧هـ. وقد كان أبو عليّ جوالاً بالبلاد.

ولكن الباحث يسأل: فيم كان اجتيازه بالموصل؟ فهل كان ذلك لعلم يتلقاه، أو رواية يسمعاها؟

وأغلب الظن عندي أنه كان معز الدولة البويهى، فقد أغار على الموصل في هذا

التاريخ، وهاجم الحمدانيين. وكان أبو عليّ على اتصال وثيق بآل بويه.

وكان أكثر اتصاله بعضد الدولة، حتى إن عضد الدولة كان يذكر عن نفسه أنه غلام أبي عليّ.

وقد يكون من دواعي هذه الصلة الاشتراك في الانتساب إلى الفرس، ومعرفة الفارسية، فقد كان أبو علي يعرفها، كما يذكر تلميذه أبو الفتح. ويبدو أنه كان يصحب آل بويه في حروبهم؛ ففي البغية في ترجمة أبي عليّ: أن عضد الدولة لما تهيأ لقتال ابن عمه دخل عليه أبو عليّ، فقال له عضد الدولة: ما رأيك في صحبتنا؟.

فقال له أبو عليّ: أنا من رجال الدعاء، لا من رجال اللقاء.

ولولا أن أبا عليّ من عادته أن يصحب عضد الدولة في مثل هذا الوجه لما عرض عليه هذا العرض. ويبدو أن اعتذار أبي عليّ عن صحبة عضد الدولة؛ لأنه كان يقصد حرب رجل من أسرة آل بويه، وهو لا يبغي أن يحمل أحد منهم حقدا عليه وضغنا نحوه.

وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا علي بعد سنة ٣٣٧هـ، ولازمه في السفر والحضر، وأخذ عنه، وصنف كتبه في حياة أستاذه، فاستجاده ووقعت عنده موقع القبول. وهو كثير الاعتزاز بأبي عليّ، كثير الرواية عنه في كتبه. وهو يثنى عليه الثناء الجيد.

ويقول في «الخصائص ١/٢٠٨»: «قلت مرة لأبي بكر أحمد بن عليّ الرازي - رحمه الله - وقد أفضنا في ذكر أبي عليّ ونبل قدره، ونبأه محله: أحسب أن أبا عليّ قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا.

فأصغى أبو بكر إليه، ولم يتبشع هذا القول عليه؛ وهو يريد بالعلم علم العربية.

ويقول أيضاً في «الخصائص ١/٢٧٦»: «في أبي عليّ: «و الله هو، وعليه رحمته! فما كان أقوى قياسه، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه! مع جلة أصحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة علله، ساقطة عنه كلفه، وجعله همه وسدمه، لا يعتاقه عنه ولد، ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلب، وقد حط عنه أثقاله، وألقى عصا ترحاله».

ويشبه ابن جنى في نقله في كتبه علم أبي عليّ، سيويه في نقله علم الخليل.

على أن ابن جنى كثيراً ما يذكر أن أستاذه كان يسأله في بعض المسائل، ويرجع إلى رأيه فيها، وأن أبا عليّ كان يقتنع بعلم ابن جنى في بعض الأمور فيدون رأيه في كتبه. فهو يقول في الخصائص ١/٣٦٥: «قلت مرة لأبي عليّ، رحمه الله: قد حضرني شيء في علة الإتياع في نقيذ، وأن تكون عينه حلقيه؛ وهو قرب القاف في الخاء والغين. فكما جاء عنهم النخير والرغيف كذلك جاء عنهم النقيذ. فجاز أن تشبه القاف لقربها من حروف الحلق بها، كما شبه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم. فالنقيذ في الإتياع كالمنخل والمنغل فيمن أخفى النون. فرضيه وتقيله. ثم جاء فيما بعد بخطه في تذكرته».

ويقول فى الخصائص فى «باب فيما ىرد عن العربىّ مخالفا لما عليه الجمهور»: «ودخلت يوماً على أبى علىّ - رحمه الله - خاليا فى آخر النهار، فحين رآنى قال لى: أين كنت؟ أنا أطلبك. قلت: وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حوريت؟ فخصنا معا فيه، فلم نحل بطائل منه.

فقال: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة ابنى نزار، فلا ينكر أن ييىء مخالفا لأمثلتهم». وقد ينهج فى تأليفه منهجا غير منهج شيخه أخرى عنده بالاتباع.

وقد ألف أبو علىّ «الحجة» فى توجيه القراءات السبعة، وألف ابن جنى «المحتسب» فى توجيه الشواذ من القراءات، ويقول فى خطبة هذا الكتاب: «إلا أننا - مع ذلك - لا ننسى تقريبه على أهل القرآن ليحيطوا به. فإن أبا علىّ - رحمه الله - عمل كتاب الحجة فى القراءات، فتجاوز فيه قدر حاجة القراء، إلى ما يحفو عنه كثير من العلماء».

وقد يذكر موضع اجتماعه بأبى علىّ. فهو فى الخصائص ١٢١/١ يقول: «فقال لى أبو علىّ بالشام» وفى «باب فى الاستخلاص من الأعلام معانى الأفعال» يذكر أن أبا علىّ أنشده بيتا وهما فى دار الملك.

والأقرب أنها دار الملك لآل بويه فى بغداد، وكان لهم دار ملك أيضاً فى شيراز. وفى «باب التفسير على المعنى دون اللفظ» أنه كان معه بحلب سنة ٣٤٦هـ، وظاهر أن ذلك كان عند سيف الدولة ابن حمدان.

وقد يكتب إليه فى غيبته عنه فى مسائل علمية. وفى سر الصناعة «حرف الياء»: «وكتب إلى أبو علىّ من حلب فى جواب شىء سألته عنه».

* * *

صحبه للمتنبى:

وقد صحب المتنبى واجتمع به بحلب عند سيف الدولة ابن حمدان، وفى شيراز عند عضد الدولة. وكان المتنبى يجله، ويقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس. وكان المتنبى إذا سئل عن شىء من ذقائق النحو والتصريف فى شعره، يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح.

ويقول فى مسالك الأبصار: «وكان أبو الطيب المتنبى إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب، حصل فيه إغراب، دل عليه، وقال: عليكم بالشيوخ الأعور ابن جنى فسلوه، فإنه يقول ما أردت وما لم أرد».

وترجع مقالة المتنبى الأخيرة، إذا صح نسبتها إليه، إلى سعة علم ابن جنى وتشعب

مذاهبه، فقد يقع له فى الكلام من المعانى ما لم يقع لقائله.

وابن جنى أول من شرح ديوان المتنبى، وقد شرحه شرحين، الشرح الكبير والشرح الصغير، والأخير هو الباقي لنا.

وقد تعقب معاصروه ومن بعدهم شرحه، ومن هؤلاء الربعى على بن عيسى المتوفى سنة ٤٢٠، له كتاب «التنبية على خطأ ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى»، وهو ممن شارك ابن جنى فى الأخذ عن أبى على وملازمته.

ومنهم محمد بن أحمد، المعروف بابن فورجه، له «كتابا» الفتح على أبى الفتح، والتجنى على ابن جنى، يرد فيهما على ابن جنى فى شعر المتنبى، وللشريف المرتضى على بن الحسين كتاب فى تتبع آيات المعانى للمتنبى التى تكلم عليها ابن جنى.

وللشيخ العميد أبى سهل محمد بن الحسن الزوزنى استدراك على ابن جنى باسم «قشر الفسر» منه نسخة بمكتبة طلعت بدار الكتب مخطوطة سنة ١٢٧٥هـ.

وكان ابن جنى يحسن الثناء على المتنبى فى كتبه، ويستشهد بشعره فى المعانى والأغراض، ويعبر عنه بشاعرنا. ويقول فى الخصائص ٢٣٩/١: «وحدثنى المتنبى شاعرنا، وما عرفته إلا صادقاً»، وفى ص ٢٤: «وأمثله شاعرنا آخرًا فقال:

فلو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول

ويسوق البديعى فى «الصبح النبى» قصة تنبئ عن إعجاب ابن جنى بالمتنبى، وعن وجوده بشيراز، حين كان المتنبى هناك، وذلك فى آخر حياة الشاعر؛ فقد قتل بدير العقول عند منصرفه عن شيراز. ذاك أن أبا على كان إذ ذاك بشيراز «وكان إذ مر به أبو الطيب يستقله على قبح زيه، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء.

وكان لابن جنى هوى فى أبى الطيب، كثير الإعجاب بشعره، لا يبالى بأحد يذمه أو يحط منه. وكان يسوءه إطناب أبى على فى ذمه. واتفق أن قال أبو على يوماً: اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحت فيه. فبدأ ابن جنى وأنشد:

حلت دون المزار فالسيوم لوزر ت لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو على واستعاده. وقال: لمن هذا البيت فإنه غريب المعنى؟ فقال ابن جنى: للذى يقول:

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وانشئ وبياض الصبح يغرى بى

فقال: والله هذا أحسن! بديع جداً! فلمن هما؟ قال: للذى يقول:

أمضى إرادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا

فكثر إعجاب أبى على، واستغرب معناه، وقال: لمن هذا؟ فقال ابن جنى: للذى يقول:

ووضع الندى فى موضع السيف بالمعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى فقال: وهذا أحسن! والله لقد أظلت يا أبا الفتح، فأخبرنا من القائل؟ فقال: هو الذى لا يزال الشيخ يستقله، ويستقبح زيه وفعله. وما علينا من القشور إذا استقام اللب!. قال أبو على: أظنك تعنى المتنبى. قال: نعم».

ومن دلائل عناية ابن جنى بالمتنبى أنه أخذ شيئاً من أخباره عن على بن حمزة البصرى، لأن المتنبى لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها. كما ذكره ياقوت فى ترجمة على بن حمزة.

* * *

جلالته والثناء عليه:

بلغ أبو الفتح فى علوم العربية من الجلالة والخطر ما لم يبلغه إلا القليل. وقد سلف لك قول المتنبى فيه، وقد كان المتنبى ذا قدم مكينة وبصر نافذ وإحاطة تامة بالعربية.

وقد أصبح ابن جنى فى مجرى القرون بعده مضرب المثل فى معرفة النحو والتبريز فيه. يقول العماد فى حديثه عن الحسن بن صافى المعروف بملك النحاة: «وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتى، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى». ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى الشيخ عبدالكريم سلمان: «وجعلته منى مكان النحو من ابن جنى».

ويقول ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار: «لم ير مثله فى توجيه المعانى، وشد بيوت القصائد الوثيقة المبانى».

ويقول ابن ماكولا: «وكان نحوياً حاذقاً مجوداً».

ويقول الثعالبي فى اليتيمة: «هو القطب فى لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة فى الأدب». وقد يبدو للباحث أن ابن جنى لم يبلغ فى حياته من المكانة العلمية ما يستحقه، ولم يدرك ما أدركه بعد النبالة ونباهة الذكر. وقد يطل له هذا المعنى من قول المتنبى فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس.

وقد يطيب له أن يحتج لهذا رأى بأنه لا يرجع إلى عراقه أصل، ولا يتول إلى شرف محمد، وبأن العصر كان مشحوناً بأفاضل العلماء، وحلة الفهماء، فكان يجرى فى مضمارهم بمقدار.

ولكن التوسع فى دراسة ابن جنى قد يصرف عن هذا رأى، وقد يقول بصاحبه إلى أن الرجل أوتى حظاً من الشهرة العلمية فى حياته، ورزق من القبول ما هو أهله. ألسنا نراه يخلف أستاذه أبا على فى التدريس فى بغداد بعد وفاته، ويدين له بالتلمذ. ومنهم أئمة عظام كعبد السلام البصرى، والسهمسى.

وأبو على لا ينكر أمره وأستاذيته. فهذا شرف استأثر به أبو الفتح واستبد به على أصحاب أبي على، وهم كثر.

ويقول القفطى فى «إنباه الرواة» فى الحديث عن زميل لابن جنى وهو العبدى: «وكان العبدى قد أدركه حمول الأدب، ولم يحصل له من السمعة ما حصل لابن جنى والربعى، وكان كثير الشكوى لكساد سوق الأدب فى زمانه».

ولابن جنى قصيدة بائية سلف منها أبيات فى الكلام على نسبه، أوردها ياقوت فى ترجمته، وفيها ما ينبئ عن أنه نال ما يبغي من الكمال والمنزلة. ومن ذلك قوله:

شكرت الله نعمته	وما أولاه من أرب
زكث عندى صنائعه	فوفقنى وأحسن بى
تحولنى وخولنى	ونولنى ونوه بى
وأخبر من	وأعلانى وأرغم
يقادمنى	بى

ويقول فى الحديث عن كتبه:

تناقلها الرواة لها	على الأجفان من حذب
فيرتع فى أزاهرها	ملوك العجم والعرب

ويبدو فضله وعلمه فى كتبه ومباحثه التى توفر عليها، وأحسن عرضها. وهو يعد بحق فيلسوف العربية وياقورها.

وعلى مباحث ابن جنى طابع الاستقصاء والغوص فى التفاصيل، والتعمق فى التحليل، واستنباط المبادئ والأصول. من الجزئيات. وهو فى هذا يشبه ابن الرومى فى الشعر. وكأنما للجنس الرومى الذى ينتميان إليه أثر فى هذا.

ومن مباحثه التى اهتمت لها، وسبق بها الاشتقاق الأكبر، وإن كان استمد فكرته من أستاذه أبى على. وهو يقول فى الخصائص، فى الباب الذى قصره على هذا المبحث: «هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا؛ غير أن أبا على كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر؛ لكنه - مع هذا - لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن».

وابن جنى - مع حرصه على اتباع من سبقه وتبجيله لهم - لا يبالى أن يخالفهم إذا تهدى لرأى لم يقولوا به، واستوى له دليله، واستقرت عنده حجته. ومن ذلك ما رآه فى مسألة: «هذا حجر ضب خرب» وهو رأى خالف به السلف.

وقد سن للباحث أن يذهب إلى ما يهتدى إليه بعد أن رأيناه وسوغنا مرتكبه - لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التى قد طال بحثها، وتقدم نظرها، وتالت أواخر على أوائل،

وأعجازاً على كلاكل، والقوم الذين لا نشك في أن الله - سبحانه تقدمت أسماءه - قد هداهم لهذا العلم الكريم، وأراهم وجه الحكمة في الترحيب له والتعظيم، وجعله ببركاتهم، وعلى أيدي طاعاتهم، خادماً للكتاب المنزل، وكلام نبيه المرسل، وعونا على فهمهما، ومعرفة ما أمر به أو نهى عنه الثقلان منهما، إلا بعد أن يناهضة إتقاناً، ويثابته عرفاناً؛ ولا يخلد إلى سائح خاطره، ولا إلى نزوة من نزوات تفكره».

* * *

عبارته:

اشتهر ابن جنى ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو يسمو في عبارته، ويبلغ بها الفصاحة، في المسائل العلمية الجافة البعيدة عن الخيال ووجوه التطرية. وقد عرفت عنه هذا.

يقول الأيوردي، في أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي: «وهو يتفاح في تصانيفه كابن جنى». والمرزوقي أيضاً ممن أخذ عن أبي علي:

ولابن جنى في عباراته وجوه في استعمال بعض المفردات يدونها اللغويون، وينهون بها كما يدونون ما صدر عن العرب؛ ثقة بطبيعته العربية، وسجيته اللغوية.

فهو يستعمل الأصلية في معنى التأصل، ويقول في ذلك صاحب اللسان «أصل»: «واستعمل ابن جنى الأصلية موضع التأصل، فقال: الألف وإن كانت في أكثر أحوالها بدلاً أو زائداً، فإنها إذا كانت بدلاً من أصل جرت في الأصلية مجراه. وهذا لم تنطق به العرب، وإنما هو شيء استعملته الأوائل في بعض كلامها».

وظاهر أنه يريد بالأوائل قدامى المؤلفين بعد عهد العرب، وأن أول هؤلاء في الاستعمال ابن جنى، كما يبدو من صدر هذا الكلام.

ويقول في الخصائص في «باب في امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس»: «فالعين في الصحيح اللام إنما غاية أصليتها أن تقع متحركة».

على أن ابن جنى إذ يستعمل الأصلية في معنى التأصل لم يرتكب بدعاً، وإنما جرى في هذا على انتهاج المصدر الصناعي، فالأصلية للشيء كونه أصلاً، وهذا معنى التأصل.

ويقول المجد صاحب القاموس في «بغية الرشاف من خطبة الكشف» عند قول الزمخشري: أنشأ كتاباً ساطعاً بيانه، قاطعاً برهانه: «أنشأ لا يستعمل إلا في الجواهر، وقد تقدم معناه يقال: أنشأ داراً: أى بناها، وأنشأ الله السحاب: رفعه.

وقال ابن جنى في تأدية الأمثال على ما وضعت عليه: يؤدي ذلك في كل موضع على صورته التي أنشئ في مبدئه عليها. فاستعمل الإنشاء في العرض الذي هو الكلام».

على أنه قد تند منه بعض الهنات الكلامية التي لا تثلم البلاغة، ولا تغض من شأوه، وفراة أسلوبه.

فهو يدخل «قد» على الفعل المنفى. ففي «الخصائص ٢٠/١»: «كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره». وهذا لا يميزه النحويون.

وهو يدخل «ال» على بعض، والنحويون لا يميزون هذا، وإن جاء ذلك في عبارة سيويه والأخفش.

ومن أمثلة هذا ما جاء في «الخصائص ٦٤/١»: «فلما كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض».

ويقول في «الخصائص ٣٦/١»: «وبذلك تعرف حاله: أصلب هو أم رخو؟ وأصحيح هو أم سقيم؟» وتراه قدم حرف العطف على أداة الاستفهام، وهذا لا يميزه النحو، والواجب أن يقال: أو صحيح هو أم سقيم؟ وكذلك يقول في ص ١٥٩: «ثم ألا ترى».

ويقول في «الخصائص ٣٤٨/١»: «وإنما جاز ذلك في هذا الموضع لا لشيء يرجع إلى نفس أو، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى: أى أو» وهذا أسلوب غير قاصد. فإن «لا» في قوله: لا لشيء، عاطفة، ولم يتقدم معطوف عليه.

ويقول في «الخصائص ٣٦١/١»: «لاسيما والأصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس» ودخول الواو بعد لاسيما لا يميزه بعض النحويين، وهو المرادى، وإن أجازاه غيره.

* * *

علمه باللغة:

كان ابن جنى واسع الرواية والدراية في اللغة، ونرى قدرًا صالحًا من اللغة مرجعه إلى هذا الإمام.

ومن أمثلة هذا ما جاء في الخصائص في باب «في الشيء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره»، فقد أورد البيت:

مارية لؤلؤان اللون أودها ظل وبنس عنها فرقد خضر

ثم قال: «وقوله: بنس عنها، هو من النوم». وفي اللسان بنس: «قال ابن سيده: قال ابن جنى: قوله: بنس عنها، إنما هو من النوم، غير أنه إنما يقال للبقرة. ولا أعلم هذا القول من غير ابن جنى».

وفي اللسان فرح: «ورجل فرح، ومفروح، عن ابن جنى».

وقوله: «عن ابن جنى» راجع إلى الصيغتين الأخيرتين كما ذكره في التاج.

وفي اللسان أيضًا خرفع: «الخرفع، والخرفع، والخرفع - بكسر الخاء وضم الفاء - الأخيرة.

عن ابن جنى». وهذا فى الخصائص ٦٨/١.

وكذلك قال فى الضئيل؛ فقد حكى صاحب اللسان عن ابن جنى: الضئيل، بكسر الضاد وضم الباء، وهو ما فى الخصائص فى الوطن السابق.

وفى اللسان: «واستكبر الشىء: رآه كبيراً وعظم عنده، عن ابن جنى».

وهو فى علل العربية وتخريجها وبيان الحكمة فى تصاريدها واستخراج مناسبات الاشتقاق لا يشق له غبار.

على أنه قد يركب من الشطط والإسراف فى الاشتقاق.

فهو فى باب «فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمباني» من الخصائص يذكر أن المسك فعل من أمسكت الشىء، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه، ولا يعدل صاحبها عنه.

والمسك فارسى معرب، ذكره الجوالقى فى كتابه «المعرب» وعريبته المسموم كما فى المزهرة ١٦٦/١.

ويقول الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على معرب الجوالقى: «لم أجد من ادعى أن المسك معرب غير الجوالقى»، وقد علمت أن المزهرة قد عرض لعدة من المعربات، وقد نقله عن الثعالبى.

وفى اللسان مسك: «وقال الجواهرى: المسك من الطيب فارسى معرب. قال: وكانت العرب تسميه المسموم».

وذكر فى الباب السابق للقطعة من المسك، ثم قال: «فليل له صوار؛ لأنه فعال من صاره يصوره إذا عطفه وثناه. وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يسمه إليه، وليس من خبائث الأرض فيعرض عنه، وينحرف إلى شق غيره» والصوار أيضاً فارسى كما فى اللسان، وإن أهمله الجوالقى.

وفى الباب نفسه يذكر الرطل الذى يوزن به، ويشتهق من ترطل الشعر، وهو فارسى معرب. وقد ذكر فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.

وفى هذا الباب يقول: «فلان طفيلى». وذلك أنه يميل إلى الطعام». وهذا - وإن قال بعض اللغويين - غير المشهور المتعارف؛ فإنما الطفيلى منسوب إلى طفيل بن زلال: وهو رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولايم دون أن يدعى إليها، فنسب إليه من يأتى هذا العمل.

* * *

مذهبه الفقهي:

يبدو أن ابن جنى كان حنفى المذهب، فإن لم يكنه، فقد كان له هوى فى هذا المذهب

وانعطاف نحوه. ولا غرو، فهو عراقي يصبو إلى مذهب أهل العراق.

وهو في ذلك كأغلب نحوى العراق، كالسيراى الذى كان يقضى على مذهب العراقيين. وليس لدينا من المصادر ما يقفنا على من أخذ عنه الفقه فى شبيبته. وأحمد بن محمد الموصلى الذى أخذ عنه النحو كان شافعيًا، كما يذكر السيوطى فى البغية، وإن لم أقف على ترجمته فى طبقات الشافعية، ولم أقف على تاريخ وفاته.

وانتسابه للحنفية فى الفقه يبدو من قوله فى الخصائص ١/١٦٣: «وكذلك كتب محمد بن الحسن - رحمه الله - إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لأنهم يجدونها مثورة فى أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق، ولا تجد له علة فى شىء من كلامه مستوفاة محررة. وهذا معروف من هذا الحديث عند الجماعة غير منكور».

وظاهر أنه يريد محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة، وأنه يتحدث عن استخراج العلل الفقهية من كتبه. فقوله: «أصحابنا» يعنى به أتباع أبى حنيفة. ويبدو أن ابن حنى كان ينظر فى كتب الفقه وأصوله كثيرا، وقد احتذى فى مباحث النحو كثيرا من منهج الفقه وأصول الفقه. وكان لهذا معنيا بكتب محمد بن الحسن. وكذلك كان شيخه أبو على معنيا بآثار محمد هذا.

ويقول ابن حنى فى الحديث عن شيخه: «وحدثنى أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين. قال: وكنت قد كتبت ذلك كله بخطى، وقرأته على أصحابنا، فلم أجد من الصندوق الذى احترق شيئا البتة، إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن».

وفى ثبت كتب ابن حنى عند بروكلمان: «مسألتان من كتاب الإيمان لمحمد بن الحسن الشيبانى»، ويذكر بروكلمان أنه فى الفاتيكان. فهذا لا يدع مجالاً للشك فى صلته بمذهب العراقيين فى الفقه.

وتراه ينصر الحنفية على الشافعية. ومن أمثلة هذا ما أورده فى «سر الصناعة» فى حرف الباء: «وأما ما يحكيه أصحاب الشافعى عنه من أن الباء للتبويض، فشئ لا يعرفه أصحابنا، ولا ورد به ثبت».

وتراه فى «سر الصناعة» فى حرف الواو، ينكر على الشافعية ما يرونه من الترتيب فى غسل أعضاء الوضوء، ويعتمد فى هذا على أن الواو لا تفيد الترتيب. وقد عطف غسل هذه الأعضاء بالواو فى الكتاب. وتراه يحتفل للرد ويفيض فيه بما إفاضة.

وجاء ذكر الإمام أبى حنيفة فى مبحث الدور من الخصائص ١/٢٠٨؛ وفى هذا الموطن يذكر الجصاص أبا بكر الرازى شيخ الحنفية فى بغداد. وفى ص ٢٠٦ يذكر أبا يوسف صاحب أبى حنيفة.

مذهب النحوى:

كانت المذاهب النحوية فى عهد ابن جنى ثلاثة: مذهبان قديمان، وهما البصرى والكوفى. ومذهب حدث من خلط المذهبين والتخير منها. وهو مذهب للبغداديين. وكان ابن جنى - كشيخه أبى على - بصرياً. فهو يجرى فى كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب، وهو ينافح عنه ويذب، ولا يألو فى ذلك جهداً. وتراه فى «سر الصناعة» فى حرف النون، يقول: كما قال الآخر:

أن تهبطن بلاد قـ م يرتعون من الطـلاح

فهذا على تشبيه «أن» بـ«ما» التى فى معنى المصدر، فى قول الكوفيين. فأما على قولنا نحن فإنه أراد أن الثقيلة، وخففها ضرورة. وتقديره: أنك تهبطين.

وفى «سر الصناعة» أيضاً فى حرف الكاف: «فإذا قلت: أنت كزيد، وجعلت الكاف اسماً فلا ضمير فيها؛ كما أنك إذا قلت: أنت مثل زيد، فلا ضمير فى مثل؛ كما لا ضمير فى الأخ ولا الابن، إذا قلت: أنت أخو زيد، وأنت ابن زيد. هذا قول أصحابنا. وإن كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون فى هذا النحو الذى هو غير مشتق من الفعل ضمير؛ كما يكون فى المشتق». ومن الجلى أنه يريد بقوله: «أصحابنا» البصريين.

ولم يدر بخلد ناظر، إن كان ابن جنى كوفياً؛ فهذا ما لم يجر فى الوهم والخيال. ولكن بعض الباحثين طاب له أن يسلك ابن جنى فى عداد البغداديين. وشبهته فى هذا أن سكن بغداد واستوطنها، حتى لقي ربه فيها. وإنما كان مقامه ببغداد بأخرة بعد أن نضج واستقرت إمامته وتأصل عده فى البصريين. والناظر فى كلام ابن جنى من الدلائل ما لا يحصى على هدم هذه الدعوى، ونقضها.

ومن هذا ما سقته عن سر الصناعة. وفى هذا الكتاب أيضاً فى حرف الفاء: «وقوى البغداديين: أنا نصب الجواب على الصرف، كلام فيه إجمال، بعضه صحيح، وبعضه فاسد...». وفيه أيضاً فى حرف الواو: «واعلم أن البغداديين قد أجازوا فى الواو أن تكون زائدة فى مواضع. فأما أصحابنا فيدفعون هذا التأول البتة، و يجيزون زيادة هذه الواو».

على أن الرجل كان منهوماً بالعلم يأخذه عن أهله، بصرياً كان أو غيره. فهو كثير النقل عن ثعلب والكسائى وأضرابهما، حسن الذكر لهذين الرجلين والثناء عليهما. فهو يقول فى الكسائى - فى الخصائص: «باب فى قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف»: «وكان هذا الرجل كبيراً فى السداد والثقة عند أصحابنا».

وهو برىء من العصبية التى تعمى عن الحق، وينحى باللائمة على من ينساق معها، ويمضى فى سبيلها. فتراه يقول فى سر الصناعة، فى حرف الهاء: «ورأيت أباً محمد بن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى فى هذا الموضع من كتابه الموسوم بشرح الفصيح،

وظلمه وعصبه حقه.

والأمر عندى بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه فى كثير مما ألزمه إياه. وما كنت أراه بهذه المنزلة، ولقد كنت أعتقد فيه الترفع عنها. فإن كان من أصحابى، وقائلاً بقول مشيخة البصريين فى غالب أمره، وكان أحمد بن يحيى كوفياً قلباً، فالحق أحق أن يتبع، أين حل وصقع».

وقد يرى فى النحو ما هو بغدادى. فتراه يثبت فى ألفاظ التوكيد التابعة لأجمع وأتبع وما تصرف منه، فيقول فى الخصائص ٨٣/١: «وجه ما ذكرناه من ملالتها الإطالة - مع مجبئها بها للضرورة الداعية إليها - أنهم لما أكدوا فقالوا: أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون...».

ويقول الرضى فى شرح الكافية ٣٣٦/١: «وأما أكتع وأخواته، فالبصريون - على ما حكى الأندلسى عنهم - جعلوا النهاية أبصع ومتصرفاته، ولم يذكروا أبتع ومتصرفاته... والبغدادية جعلوا النهاية أبتع وأخواته، فقالوا: أجمع أكتع أبصع أبتع».

ولا يقضى هذا الرفاق للبغداديين أن يكون ابن جنى بغدادياً؛ فإن هذه مسألة ترجع إلى السماع، وقد صح عنده هذا، ولكنه باق على أصول البصريين، ولا يرضى لنفسه أن يكون بغدادياً، فهو كثير النيل منهم والتصريح بخلافهم.



ابن جنى بين النحو والصرف:

كان ابن جنى إماماً فى النحو والصرف، وهو على إمامته فيهما فى النحو أمثل منه فى الصرف، كما يذكره الكاتبون لترجمته، وإن كان لا يعرف إلا بالنحو، فالنحو - بالمعنى العام - ينتظم الصرف.

ومرد نبوغه فى الصرف وتفوقه فيه أن عجزه أمام أبى على كان فى مسألة صرفية؛ كما سبق إيراده، فكان جدّه فى الصرف أكثر وأبلغ من جدّه فى النحو.

وقد يونس بتخلفه فى النحو، القصة التى يروها صاحب نزهة الألباء فى ترجمة على ابن عيسى الربعى. وها هى ذى: «اجتمع الربعى وابن جنى بمشيان فى موضع، فاجتاز على باب خربة فرأى فيها كلباً - أى الربعى - وكان مغرى بقتل الكلاب - فقال لابن جنى: قف على الباب، ودخل. فلما رآه الكلب يريد أن يقتله هرب وخرج، ولم يقدر ابن جنى على منعه. فقال له الربعى: ويلك يا ابن جنى! مدير فى النحو، ومدير فى قتل الكلاب!».

ويذكر ابن عقيل فى شرحه للألفية فى مبحث الابتداء أن أبا الفتح سأل ولده عن إعراب بيت أبى نواس:

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن

فارتبك في إعرابه.

ومن آرائه النحوية التي لم يتابع فيها تجويزه إظهار متعلق الظرف الواقع خيرا في الكون العام، نحو زيد عندك زيد عندك. قال ابن يعيش في شرح المفصل ٩٠/١: «وقد صرح ابن جني بجواز إظهاره».

ومن هذا أنه في الخصائص ١٠٦/١، ٣٤٢ يميز أن يقال: مررت بزيد وعمرا، بعطف عمرا على محل زيد المحرور بالحرف، وهذا لا يميزه النحويون؛ لأن شرط العطف على المحل عندهم ظهور الإعراب المحلى في فصيح الكلام. وانظر المغنى في مبحث العطف من الكتاب الرابع.

ومن آرائه التي خالف فيها اصطلاح النحويين ما يراه في علل منع الصرف. فهو في الخصائص ١٠٩/١ يقول: «ألا ترى أن الأسباب المانعة من الصرف تسعة: واحد منها لفظي، وهو شبه الفعل لفظا؛ نحو أحمد ويرمع وتنضب وإئثم وأبلم وبقم وإستيرق. والثمانية الباقية كلها معنوية؛ كالتعريف والوصف والعدل والتأنيث وغير ذلك» واصطلاح النحاة المتأخرين أن المعنوي منها التعريف والوصف، وما عدا هذين لفظي.

ومن آرائه أنه يرى في بغى في معنى الفاجرة أن زنتها فعيل لا فعول. ويقول الزمخشري في الكشف في تفسير سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكْ بِغِيَا﴾: «والبغى: الفاجرة التي تبغى الرجال. وهي فعول عند المبرد: بغوى، فادغمت الواو في الياء. وقال ابن جني في كتاب التمام: هي فعيل. ولو كانت فعولا لقليل: بغو؛ كما قيل: فلان نهو عن المنكر».

* * *

شعره:

كان لابن جني شعر. ويقول ابن الأثير وابن ماكولا: «وله شعر بارد». وكان أساس هذا الحكم منهما أن ابن جني كان يتعاطى في شعره الغريب والمعقد من الأساليب، وأنه لم يكن يعنى بالشعر، فقد كان همه العلم، وكان غناه به، وكانت به حظوته عند الملوك وذوى السلطان، فلم يكن يحتاج إلى الشعر يسمتيح به.

ويقول الثعالبي: «وكان الشعر أقل خلاله، لعظم قدره وارتفاع حاله».

وابن الجوزي أحسن رأيا فيه، فهو يقول: «وكان يقول الشعر ويحيد نظمه»، وكذلك من قبله الخطيب في تاريخ بغداد يقول المقالة السالفة.

وقد كان ابن جني - لما أسلفت - مقلا من الشعر، غير مشهور به. ويقول الباهرزي في

الدمية: «وما كنت أعلم أن له القريض، حتى قرأت له مراثية في المتنبي...».

على أنه يقع له من الشعر ما يأخذ بالقلوب، ويأسر الألباب.

وشعره فيما يحسه، من فقد حبيب أو غزل فيه، أو فخر بعلمه ومآثره. ولا نرى له شعرا في مدح ملك إلا لماما.

ومن شعره مراثية في المتنبي التي بها الباهرزى. وفيها يقول:

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحة الكتب
سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه كما تخطف بالخطية السلب
ما زلت تصحب فى الجلى إذا انشعبت فلما جميعاً وعزما غير منشعب
وقد حلبت لعمرى الدهر أشطره تمطو بهمة لا وان ولا وصب
من للهواجل يحى ميت أرسمها بكل جائلة التصدير والحقب
قباء خوصاء محمود علاقتها تنبو عريكتها بالجلس والقتب
وترى من هذا ميله للغريب.

وله فى الغزل:

غزال غير وحشى حكى الوحشى مقلته
رأه السورد يحنى السور د داود فاستكساه حلتته
وشم بأنفه الرجحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريحه الصهبا ء فاختلسته نكهته
وهو شعر يسيل من الرقة، كما ترى.

وله فى الغزل أيضاً:

تجيب أو تدع أو تقبى فلا والله لا أزداد حبا
أخذت ببعض حبك كل قلبى فإن رمت المزيد فهات قلبا

تجيب، أى البس الجبة، وتدرع: البس المدرعة - وهى ثوب من صوف - وتقبا، أى البس القباء. ويقع هذان البيتان فى كثير من الكتب محرفين.

وله فى الحنين إلى الشباب وبكاء عهده الناضر:

رأيت محاسن ضحك الريى مع طال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشيب فى لمتى فلم لا أبكى ربيع الشباب
أأشرب فى الكأس كلا وحاشا لأبصره فى صفاء الشراب

ترى فى هذا معنى بديعا، فهو يتجنب الشرب فى الكأس خشية أن يرى فى صفائها شبيهه، فتناله الحسرة ويأخذ الجزع.

وله قصيدة طويلة يفخر فيها، مطلعها:

وحلـو شمائل الأدب منيف مراتب الحسب

أحلى فخر مفاخرة
له كلف عما كلفت
عقائل عقلية الأدب
به العلماء ملعرب
وقد أورد له الثعالبى فى اليتيمة:

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتووا
وجنود المنى ألا يكاثر بالمنى
ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا
ونيل الغنى ألا يكاثر بالغنى
ومن كان فى الدنيا أشد تضرورا
يجده عن الدنيا أشد تصونا

ومما أذكره فى هذا الوطن أن صاحب تاريخ الموصل أورد من شعره:

شواهد عيناي أنى بها
وأعجب الأشياء أن التى
بكيت حتى ذهبى واحدة
قد بقيت فى صحبتى زاهدة

وهذا شعر لأبى الحسن على بن منصور أورد له ابن خلكان فى ترجمة ابن جنى فى
صدد الكلام على شعره الذى يذكر فيه عوره، على ما سلف.

* * *

وفاته:

بلغ ابن جنى المنهل الذى يرده كل من على ظهرها، ورحل عن هذه الحياة فى يوم
الخميس السابع والعشرين من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. ويكاد الرواة يجمعون على
سنة وفاته، إلا ما كان من ابن الأثير فى تاريخه، فهو يضع وفاته سنة ٣٩٣، وتبعه على هذا
أبو الفداء فى المختصر.

ويبدو أن وفاته كانت ليلا، أى ليلة الجمعة. ففى فهرست ابن النديم: «توفى ليلة
الجمعة».

وفى «ديوان الشريف الرضى» عند إيراد مراثيه فى ابن جنى: «وتوفى ببغداد ليلة الجمعة».
وفى «الديوان» أيضا فى الموطن السابق: «وتولى الصلاة عليه الشريف الرضى» وكان
بينهما صداقة وكيدة.

وقد كانت وفاته ببغداد، حيث استقر فى آخر أيامه. ودفن فى مقابرهما، ولا أدرى فى
أيها دفن، ودفن أبو على أستاذه فى الشونيزية، فهل دفن فيها بجوار شيخه.

وقد رثاه الشريف الرضى بقصيدة عامرة عدتها تسعة وخمسون بيتا، مثبتة فى ديوانه،
يقول فى أولها:

ألا يالقوم للخطوب الطوارق
وللدهر يعرى جانبى من أقاربي
وللنفس قد طارت شعاعا من الجوى
لها كل يوم موقف من مودع
وللعظم يرمى كل يوم بعارق
ويقطع ما بينى وبين الأصادق
لفقد الصفايا وانقطاع العلائق
ولتلف فى عقب ماض مفارق
مغاربها فوت العيون الروامق

ويقول بعد توجع كثير:

لتيك أبا الفتح العيون بدمعها والسنا من بعدها بالمناطق
إذا هب من تلك الغليل بدامع تسرع من هذى الغرام بناطق
شقيقى إذا التاث الشقيق وأعرضت خلألق قومى جانباً عن خلألقى

* * *

كتبه:

لقد خلف ابن جنى كتباً حسناً تدل على فضله الجم الغزير. وقد تخير لها أسماء حسناً كذلك، حتى يقال إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦هـ وأستاذ المدرسة النظامية قد سمى بعض كتبه بأسماء كتب لابن جنى؛ وذلك أن لأبى إسحاق المذهب والتنبيه فى الفقه، فقه الشافعية، واللمع والتبصرة فى أصول الفقه. وهذه أسماء كتب لابن جنى، كما سيأتى إيراده.

ولقد كتب ابن جنى إجازة بكتبه لبعض الآخذين عنه فى سنة ٣٨٤هـ، أى قبل موته بنحو ثمانى سنوات. وذكر فيها ما يأتى:

١ - «الخصائص». وهو مطبوع.

٢ - «التمام». وهو تفسير ما أغفله السكرى من أشعار الهذليين. ويبلغ - على حسب ما يذكر المؤلف أن حجمه خمسمائة ورقة - نحو نصف الخصائص. وشرح السكرى المتوفى سنة ٢٧٥هـ. وجاء ذكر هذا الكتاب بعنوان «كتابنا فى شعر هذيل» فيها ١/١٥١. وجاء ذكره بعنوان «التمام» فى الخزانة ٣/١٥٣. ولم أقف عليه فى كشف الظنون. ولا يعلم له وجود فى مكتبات العالم.

٣ - «سر الصناعة». وهذا الكتاب نسخه الخطية كثيرة. ويقوم بعض الأساتذة بتحقيقه وتهيئته للطبع. وقد أورده صاحب كشف الظنون، وذكر أن عليه حاشية لأبى العباس أحمد بن محمد الإشبيلي المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٦٤٧هـ.

٤ - «تفسير تصريف المازنى». ويسمى «المنصف». وفى الخزانة ١/٥٠٥. «قال ابن جنى فى المنصف، وهو شرح تصريف المازنى» وقد عرض لهذا الكتاب صاحب كشف الظنون تحت اسم «تصريف المازنى»، فقد قال: «وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنى». وقد يحرف «المنصف» إلى المنصف. وقد يظن أنه كتاب آخر غير شرح تصريف المازنى. والمنصف كـ «سر الصناعة» كثير النسخ المخطوطة.

٥ - «شرح مستغلق أبيات الحماسة، واشتقاق أسماء شعرائها». ويبدو أن هذا كان كتاباً واحداً، ثم جعله بعد كتابين: الأول «التنبيه على مشكل أبيات الحماسة». والآخر «المبهج فى أسماء شعراء الحماسة». والأول يوجد منه نسخ خطية. وجاء ذكره فى الخزانة ١/٢٩، ٩٧ باسم «إعراب الحماسة». وقد طبع المبهج. ونقل عنه فى الخزانة ٢/٢٦٤.

٦ - «شرح المقصور والمدود لابن السكيت». ولم أقف على شيء يتعلق به.

٧ - «تعاقب العربية». يقول السيوطى فى الأشباه والنظائر النحوية ١/١٣٢: «وقد ألف ابن جنى كتاب التعاقب فى أقسام البديل والمبدل منه، والعوض والمعوض منه. وقال فى أوله: اعلم أن كل واحد من ضربى التعاقب - وهما البديل والعوض - قد يقع فى الاستعمال موقع صاحبه. وربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله، إلا أن البديل أعم استعمالاً من العوض». وجاء ذكره فى الخصائص ١/٢٦٤، ٢٦٦ وفى الخزانة ٧/٢٠١ وأورده فى كشف الظنون.

٨ - «تفسير ديوان المتنبى الكبير». ويسمى القسر. ويذكر المؤلف أنه ألف ورقة ونيف، فهو أكبر من الخصائص.

ويذكر صاحب كشف الظنون أنه فى ثلاث مجلدات.

ويذكر بروكلمان أن الثانى منه يوجد فى الأسكوريال، وأنه يوجد منه نسخة فى المتحف الأسبوى فى بطرسبرج. ولأبى سهل محمد بن الحسن الزوزنى استدراك على هذا الكتاب باسم: «قشر القسر» السابق ذكره.

٩ - «تفسير معانى ديوان المتنبى». وهو شرح ديوان المتنبى الصغير. ويوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب.

١٠ - «اللمع فى العربية». يقول عنه فى كشف الظنون: «جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى» منه نسخ خطية بدار الكتب، وهذا الكتاب عليه شروح كثيرة. يوجد معظمها فى المكتبات مخطوطاً.

١١ - «كتاب مختصر التصريف». ويبدو أنه هو المعروف بالتصريف الملوكى، وقد طبع، وعليه شرح لابن يعيش. ويوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب.

١٢ - «كتاب مختصر العروض والقوافى». ذكر بروكلمان كتابين: الأول مختصر العروض، ويقول: إنه يوجد فى مكتبة برلين وفى المتحف البريطانى، وفى ليدن. والثانى مختصر القوافى، وقال: إنه فى الأسكوريال. وكأنهما الكتاب السابق جعلاً كتابين فيما بعد.

١٣ - «كتاب الألفاظ المهموزة». ذكر بروكلمان من كتبه «ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصوز وممدود، وعقود الهمز وخواص أمثلة الفعل، وقال: إن هذين الكتابين طبعاً مع المقتضب.

١٤ - «كتاب المقتضب». وهو فى اسم المفعول المعتل العين من الثلاثى. وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة مع الكتابين السابقين.

١٥ - «تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب». ويذكر ابن جنى فى إجازته أنه لم يكن أمه.

١٦ - «الحاسن فى العربية» يذكر المؤلف حين كتب الإجازة أنه فقد منه، وأن الحوادث أزلت يده عنه. وقد أورده فى كشف الظنون.

١٧ - «النودار الممتعة» ويذكر المؤلف فى إجازته أنه فقد منه أيضاً. وقد جاء ذكره فى الخصائص ١/٣٨٢.

١٨ - «الخطاريات». ويذكره المؤلف هكذا: «ما أحضرني الخاطر من المسائل المنشورة، مما أملتته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته» وقد نقل عنه في الخزانة ٢/٤٧٠، ١٠/٤. وورد في كشف الظنون تحت اسم «الخطاريات». وهذه هي الكتب التي وردت في الإجازة. وأورد ياقوت كتباً أخرى ويبدو أنه ألفها بعد الإجازة. وهي.

١٩ - «كتاب المحتسب في شرح شواذ القراءات». ومنه مخطوطات كثيرة في مكتبات العالم.

٢٠ - «تفسير أرجوزة أبي نواس». ويبدو أنها أرجوزته في الطرد.

٢١ - «تفسير العلويات». ويقول ياقوت: «وهي أربع قصائد للشريف الرضى، كل واحدة في مجلد. وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة أولها:

ألقى الرماح ربيعة بن نزار أودى الردى بقريعك المغوار
ومنها قصيدته التي رثى بها صاحب بن عباد وأولها:

أكذا المنون تقطر الأبطالاً أكذا الزمان يضعضع الأجيالاً
وقصيدته التي رثى بها الصابي أولها:

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا زناد الوادى
ولا يذكر ياقوت القصيدة الرابعة.

وفى فهرست ابن النديم ١٢٨: «كتاب تفسير المراثي الثلاث، والقصيدة الرائية للشريف الرضى» ويبدو أن المراثي الثلاث هن ما ذكر ياقوت فيما سلف، فأما الرائية فيبقى البحث عنها.

٢٢ - «كتاب البشرى والظفر». يقول ياقوت: «صنعه لعضد الدولة - ومقداره خمسون ورقة - فى تفسير بيت من شعر عضد الدولة:

أهلاً وسهلاً بذى البشرى ونوبتها وباشتمال سرايانا على الظفر

٢٣ - «رسالة فى مد الأصوات ومقادير المدات». يقول ياقوت: «كتبها إلى أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى، مقدارها ست عشرة ورقة، بخط ولده».

٢٤ - «كتاب المذكر والمؤنث». يذكر بروكلمان أنه نشر فى مجلة الشرق الأوسط ج ٨ ص ١٩٣ - ٢٠٢. وهذا غير الكتاب السالف الذكر: «تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب».

٢٥ - «كتاب المنصف». ويبدو أن هذا تحريف عن «المنصف» وهو شرح تصريف المازنى كما سبق الكلام عليه: وقد وقع فى هذا الخطأ - فيما أحسب - صاحب كشف الظنون، وهو عند ابن خلكان: «المنصف».

٢٦ - «كتاب مقدمات أبواب التصريف». والراجح أن هذا هو مختصر التصريف الذى سبق الكلام عليه واستظهر أنه التصريف الملوكى.

٢٧ - «كتاب النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبي وتخطئته». وابن وكيع هو أبو محمد

الحسن بن على التنيسى الشاعر المشهور. ذكره ابن خلكان، وذكر أن له كتاباً بين فيه سرقات المتنبي، سماه المنصف. ويبدو أن كتاب النقض لابن جنى فى نقد كتاب السرقات هذا.

٢٨ - «المعرب فى شرح القوافى». وقد يصحف فى بعض المواطن بالمغرب. وهو تفسير قوافى أبى الحسن الأخفش. وجاء ذكره فى الخصائص ٨٤/١، وكذا فى «باب فى اتفاق اللغتين واختلاف المعنيين فى الحروف والحركات والسكون»، وفى الخزانة ٣٣١/٢، وفى المخصص ١٣/١.

٢٩ - «كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام».

٣٠ - «كتاب الوقف والابتداء». ويبدو أنه فى أحكام الوقف والابتداء النحوية، وليس فى أحوال الوقف والابتداء القرآنية. كما يشتهر فيه هذان الاسمان، كالوقف والابتداء لابن الأثير وغيره.

٣١ - «كتاب المعانى المحررة».

٣٢ - «كتاب الفرق».

٣٣ - «كتاب الفائق».

٣٤ - «كتاب الخطيب». ويبدو أنه جعله للخطب المنبرية وغيرها. وقد أورد ياقوت فى ترجمته خطبة نكاح.

٣٥ - «كتاب الأراجيز».

٣٦ - «كتاب ذى القد». ورد ذكره فى الخزانة ١٢٩/٢، وفى هامشها: «جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى. من هامش الأصل».

ويبدو أن «ذا» فى «ذى القد» بمعنى صاحب، فمن ثم جاءت الياء فى عنوان الكتاب لوقوعها مجرورة.

«وقال السيوطى فى شرح أبيات المغنى: ونقل ابن جنى فى ذى القد عن أبى على...» ويعارض هذا ما جاء فى مقدمة الإتقان فى عد الكتب التى اعتمد عليها: «وذا القد» وهو مرفوع فى كلامه.

وكذلك فى الخزانة فى المواطن السابق: «وهذا البيت نسبته ابن جنى فى كتاب ذى القد لبعض العرب» ومقتضى هذا أن «ذا» اسم إشارة. وفى «التصريح شرح التوضيح» فى مبحث ألف التأنيث: «وحلكنى - بالحاء المهملة - لدوية. قال أبو على الفارسى: هى مقصورة. حكاه عنه ابن جنى فى».

٣٧ - «شرح الفصيح». والفصيح لثعلب. وذكر فى كشف الظنون تحت اسم:

«الفصيح» من شروحه، شرح ابن جنى.

٣٨ - «كتاب شرح الكافى فى القوافى». فى كشف الظنون: «كافى فى شرح القوافى

للأخفش لابن جنى» ويبدو أنه شرح آخر غير المعرب الذى سبق الكلام عليه.

ومما لم يذكره ياقوت ما يلي:

٣٩ - «التلقين فى النحو». ذكره الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣١١/١١، وابن خلكان.

٤٠ - «التذكرة الأصبهانية» ذكره ابن خلكان.

٤١ - «التهذيب». وهو تهذيب أبى على، عن ابن خلكان.

٤٢ - «المهذب». ذكره ابن خلكان.

٤٣ - «التبصرة». ذكره ابن خلكان.

٤٤ - «كتاب الزجر». يقول فى الخصائص فى آخر «باب فى هذه اللغة أفى وقت واحد وضعت أن تلاحق تابع منها بفارط»: «وقد كنت حضرته وقتا فيه نشطة، فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف فى كتاب ثابت فى الزجر».

٤٥ - «مسألان من كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن الشيبانى». ذكره بروكلمان، وقال: إنه يوجد فى الفاتيكان.

٤٦ - «علل الثنية». ذكره بروكلمان، وقال: إنه يوجد فى ليدن.

٤٧ - «المسائل الواسطية». فى ياقوت فى ترجمة على بن عيسى الربعى: «حكى أبو غالب بن بشران النحوى الواسطى، قال: ورد أبو الفتح بن جنى عثمان إلى واسط. ونزل فى دار الشريف أبى على الجوانى نقيب العلويين، وكنا نتردد إليه ونسأله، ويملئ علينا مسائل سماها الواسطية».

٤٨ - «كتاب شرح الإبدال ليعقوب». يقول فى الخصائص فى «باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه»: «ونحن نعتقد إن أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والإبدال».

وفى ختام سرد كتب ابن جنى أذكر أن بعض الكاتبين لحياته ذكر له كتاب «مفردات القراء السبعة». وهذا الكتاب ليس لابن جنى، وإنما هو لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى. وقد جاء الاشتباه من توافقهما فى الاسم «عثمان».

* * *

أما المحتسب الذى هو موضوع عملنا هذا

فقد قام ابن مجاهد على رأس المائة من الهجرة بتأليف كتابه: «القراءات السبعة»، وفيه قسم القراءات إلى شاذة وغير شاذة، وغلب وصف الشاذ على ما عدا القراءات السبع.

ثم بدا لأبى على الفارسى أن يحتج مدافعا عن «القراءات السبع» فألف كتابه «الحجة».

ثم كان منه أن فكر بعض الوقت فى تأليف كتاب مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، بل إنه فيما يقول ابن جنى فى «مقدمة المحتسب» عراضا لجهد شيخه أبى على فى هذا المضمار: «قد

هَمْ أن يضع يده فيه ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت كبواته بينه وبينه.
و لأجل هذا تجرد ابن جنى للقراءات الشاذة علّه يمكنه النيابة عن شيخه فى الاحتجاج لها،
وتأدية حقها عليه، كما أدى شيخه حق القراءات غير الشاذة عليه؛ إذ كانت دواعى
الاحتجاج للنوعين ثابتة، والاستجابة لها لازمة، بل لعل دواعى الاحتجاج للشاذ أثبت،
والاستجابة لها ألزم.

يقول فى «مقدمة المحتسب» شارحاً غرضه المرجو فى الاحتجاج للشاذ: «... غرضنا منه
أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب فى صحة الرواية بجراحه، آخذ من سَمَت
العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مرى أن العدول عنه إنما هو غرض منه أو تهمة له».
وقال فى موضع آخر منها، يبين رأيه فى الشاذ ومكانه عند الله: «... إلا أننا وإن لم نقرأ
فى التلاوة به؛ مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع فى القراءة كل جائر رواية ودارية، فإننا
نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه
حبيب إليه، ومرضى من القول لديه».

وزاد من رغبته فى الإقبال على الشاذ والاحتجاج له أن أحداً من أصحابه لم يتقدم
للاحتجاج له على النحو الذى يريد.

قال: «إذا كانت هذه حاله عند الله... وكان من مضى من أصحابنا لم يضعوا للحجج
كتاباً فيه، ولا أولوه طرفاً من القول عليه، وإنما ذكروه مروياً مسلماً، مجموعاً أو متفرقاً، وربما
اعترضوا الحرف منه فقالوا القول المقتنع فيه... حسن بل وجب التوجه إليه، والتشاغل بعمله،
وبسط القول على غامضه ومشكله».

وهكذا أصبح كتاب «المحتسب فى الاحتجاج لشواذ القراءات»، الذى ألفه أبو الفتح
عثمان بن جنى، ضرورة ملحّة على كاتبه إمام العربية، رغم علو سنه آنذاك.

قال الشريف الرضى: كان شيخنا أبو الفتح النحوى عمل فى آخر عمره، كتاباً يشتمل
على الاحتجاج بقراءة الشواذ.

وقال أبو الفتح فى مقدمة المحتسب: «وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك
بنا، وتلافتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مُدَدنا،
واستوفى ما فى الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفسنا، واستوفت أحوال الدار الآخرة بنا،
فاقلبنا إلى كنز جنتك التى لم تخلف إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك».

وهذا كلام قلما يقوله إلا امرؤ غلب عليه التفكير فى الآخرة، واستبد به حبُّ التزود لها؛
لأنه يشعر أن منيته قد دنت، وأن حياته قد آذنت بزوال، فهو يتخضع لله، ويتغنى إليه
الوسيلة؛ عسى أن يشييه الله مغفرة منه ورضواناً.

وربما كانت تسمية الكتاب «المحتسب» مرجعها أنه يحتسب أجره على هذا الكتاب عند

الله سبحانه وتعالى، وهو نعم الميثب على الأعمال، وهو أعظم من يؤجر على فضائل الأفعال، ولهذا اختار أن يدل باسمه على الغرض الذى يريده به، لا على الموضع الذى يريده عليه.

ومنهج المحتسب كمنهج الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة والقراءة الشاذة، فأبو الفتح يعرض القراءة، ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع فى أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويونسها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه فى قصد وإجمال، أو تفصيل وافتنان على حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأى فى القراءة.

وهو فى الجملة أخذ بها، مطمئن إليها، وربما وقع فى نفسك من كثرة ما عدد من خصائصها واستخرج من لطائفها، أنه يؤثرها ويحكم لها على قراءة الجماعة، كما فى الاحتجاج لقراءة الحسن: «أهلنا صراطا مستقيما» وإن هو لم يجد للقراءة وجها يسكن إليه، إما لشذوذه فى اللغة، وإما لحاجته فى الاحتجاج إلى ضرب من التكلف والاعتساف، لم يتخرج أن يردها أو يضعف القراءة بها، لا يكاد يأخذها هى نفسها بهذا أو ذاك، ولكن يأخذ به الوجه الذى يتجه بها إليه، فهو أخذ غير مباشر ولا صريح.

فقال مثلاً فى الاحتجاج لقراءة ابن مُحيصين: «ثم أطره إلى عذاب النار» بإدغام الضاد فى الطاء: هذه لغة مردولة.

وقال فى الاحتجاج لقراءة أبى جعفر يزيد: «للملائكة اسجدوا» بضم التاء: «هذا ضعيف عندنا جداً».

وليس عجيباً ولا منكوراً أن يتشابه الكتابان فى المنهج على هذا النحو؛ فموضوعهما واحد، وصاحب الحجة أستاذ لصاحب المحتسب، ووحدة الموضوع تستدعى تشابهاً فى علاج مسائله، وللاستاذ فى تلميذه تأثير، وللتلميذ فى أستاذه قدوة.

ولهذا كان «المحتسب» كما كان «الحجة» معرضاً حافلاً، يزخر بكثير من الشواهد والتوجيهات، وألوان من الآراء والبحوث اللغوية والصوتية التى تدل على الغزارة والتمكن، وعلى شمول الإحاطة، ودقة الملاحظة، وبراعة القياس، وصحة الاستنباط.

وليس هذا بكثير على أبى الفتح، ولا هو مما يتعاطمه، فذلك دأبه فى أكل ما عرفنا له من كتب، ثم هو بعد هذا قد ألف المحتسب فى آخر حياته كما سبق، أى حين استفاضت تجاربه، واستحصدت ملكاته، وبلغت معارفه غاية ما قدر لها من نضج واكتمال.

على أن ابن جنى كان يأخذ على الحجة أن الشيخ أبا على قد أغمضه وأطال الاحتجاج فيه حتى عى به القراء، وجفا عنه كثير من العلماء.

قال فى مقدمة المحتسب: «فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء».

وقال فى الاحتجاج لقراءة: «تماما على الذى أحسن»: وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة فى قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرا ممن يدعى العربية فضلا عن القراءة وأحفاهم عنه.

فلم يشأ أن يكون فى المحتسب كما كان شيخه من قبله فى الحجة، لهذا لا تراه يكثر مثله من الشواهد، ولا يعن إمعانه فى الاستطراد، ولا يغمض إغماضه فى الاحتجاج. وهو يذكر هذا وينبه عليه فى مواطن شتى من الكتاب.

فيقول فى الاحتجاج لقراءة: «لا تنفع نفسا إيمانها»: «والشواهد على ذلك كثيرة، لكن الطريق التى نحن عليها مختصرة قليلة قصيرة».

ويقول فى الاحتجاج لقراءة: «فأكثر جدلنا»: «ولولا أن القراء لا ينبسطون فى هذه الطريق لنهت على كثير منه، بل إذا كان منتحلوا هذا العلم والمترسمون به قلما تطوع طباعهم لهذا الضرب منه... فما ظنك بالقراء لو جشمو النظر فيه والتقرى لعزوره ومطاويه؟».

ولجزوف ابن جنى عن الإسهاب والإمعان فى الاستطراد فى مقدمة المحتسب يفضل كتاب أبى حاتم السجستاني فى الشواهد على كتاب قطرب «من حيث كان كتاب أبى حاتم مقصوراً على ذكر القراءات، عارياً من الإسهاب فى التعليل والاستشهادات التى انحط قطرب فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها».

على أن أبا الفتح عثمان بن جنى لم يلتزم الاقتصاد فى الاستشهاد فى كل مقام، ولا سيما حين تكون القراءة غريبة، يدعو ظاهرها إلى التكرار والتعجب منها.

فقد استشهد فى قراءة: «اهدنا صراطاً مستقيماً» بعشرة شواهد، بعضها من شعر المولدين. واحتج لقراءة: «ولا أدراأتكم به» فأطال الاحتجاج ما شاء الله أن يطيل، ثم ختمه بقوله: وهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تعطى اليد بفساده.

وعبارة المحتسب مرسله متدفقة، فيها طلاوة بادية، وعليها مسحة ملازمة من عذوبة الفن وأناقة، مبسطة فى غير حشو ولا فضول، يشيع فيها الازدواج، ويطول الفصل، جزلة الألفاظ، لا تخلو أحياناً من بعض الغريب الذى يحتاج فى الكشف عن معناه الذى يقتضيه المقام إلى فضل تأول وإمعان.

أما شواهد المحتسب فكثيرة، لكن يشيع فيها التكرار، لتكرر مقتضيات الاستشهاد بها، وجملتها من الشعر، وفيها قليل من حديث الرسول وكلام البلغاء والأمثال السائرة. وطريقته فى إيرادها لا تخالف طريقة العلماء الآخرين، فهو ينسب بعضها ولا ينسب بعضها الآخر، ويرويه فى أكثر الأمر أبياتاً كاملة، وفى أقله أجزاء الآيات يبلغ أحدها شطر البيت وقد يقل عنه أو يزيد عليه. وربما روى الشاهد مع بعض صلته، فإذا هو معها بضعة أبيات.

وأكثر شواهد ما يتردد فى كتب اللغة وعلومها، وبينها طائفة من أشعار المولدين، يأتى

بها للاستئناس والتمثيل، أو لإيضاح المعنى وتأنيده.

قال: وقد روى بيتا للمتنبي في أقناء الاحتجاج لقراءة: «وليلبسوا عليهم دينهم»، بفتح الباء: «ولا تقل ما يقوله من ضعفت نجيزته وركت طريقته: هذا شاعر محدث، وبالأمس كان معنا، فكيف يجوز أن يُحتج به في كتاب الله - جل وعز - فإن المعاني لا يرفعها تقدم، ولا يُزرى بها تأخر. أما الألفاظ فلعمري إن الموضع معتبر فيها».

* * *

مصادر المحتسب:

يوضح ابن جنى في مقدمة «المحتسب» أنه استند في كتابه الذي بين أيدينا إلى ضربين من المصادر التي اعتبرها جديرة بالركون إليها والثقة فيها:

الأول: كتب يأخذ منها ويستند إلى بعض ما ورد فيها من علم أصحابها.

والآخر: روايات صح لديه الأخذ بها.

فأما الكتب فهي:

١ - كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة.

٢ - كتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني.

٣ - كتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب.

٤ - كتاب المعاني للزجاج.

٥ - كتاب المعاني للفراء.

وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غير فيقول عنه: «لأنالو فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرى الصحة في روايته».

وقد نقل عن طائفة من رواة اللغة وعلمائها، وسنقصر الكلام على نقله عن ييدو أثرهم في الكتاب ويكثر ذكرهم فيه.

ولم يكن ابن جنى يتقبل كل ما ينقله أو يأخذه على ما خيلت، ولكنه كان ينظر فيه وينقده، في تطفل ورفق حيناً، وفي قوة وعنف حيناً آخر، صريحاً واضحاً وحراً مستقلاً، وعادلاً منصفاً في كل حين، ينشد الحقيقة وينزل على حكمها أنى تكون.

لقد نقل عن سيويه واستشهد بكثير من شواهد، فوافقه وخالفه، وربما جاوز الوفاق إلى الدفاع، وجاوز الخلاف إلى الإنكار والملام.

ويظهر ذلك واضحاً حلياً في الاحتجاج لقراءة: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ» بسكون الميم، فقد أورد قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل

ثم قال: «وأما اعتراض أبي العباس هنا على الكتاب، فإنما هو على العرب لا على صاحب الكتاب؛ لأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن في الوزن أيضاً غيره. وقول أبي العباس: إنما الرواية

فاليوم فاشرب، فكأنه قال لسيبويه: كذبت على العرب، ولم تسمع ما حكيت عنهم! وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه.

وكما في الاحتجاج لقراءة عيسى بن عمر: «على تقوى من الله» بالتنوين، فقد روى أن سيبويه سئل عن وجه التنوين هنا، فقال: لا أدري، ولا أعرفه.

وقال ابن جنبي بين الوجه: «وأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءة، فإن قياسه أن تكون ألفه للإلحاق لا للتأنيث... وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف في قياس ذلك، وألا يقول: لا أدري... فأما أن يقول سيبويه: لم يقرأ بها أحد فجائز، يعني فيما سمعه. لكن لا عذر له في أن يقول: لا أدري».

ونقل عن شيخه أبي على الفارسي، فروى مما أنشده إياه من شواهد، وما أخذه عنه من أصول، وما انتهيا إليه من رأى في المسائل التي دار بينهما فيها حوار ومساءلة، يعرض كل أولئك في صراحة وأمانة، ثم يختم النقل ويعقب عليه بما قد يكون عنده من مزيد، فتراه مثلاً يقول:

أنشدنا أبو على...، أو: حدثني أبو على، أو: وهذا أخذناه عن أبي على. ثم يقول: هذا آخر الحكاية عن أبي على، ويتنقل إلى إضافة ما يريد أن يضيف، مما يستقل به من رأى. فتراه مثلاً يقول: «ينبغي أن يُعلم ما أذكر»، أو: «وفيه عندي شيء لم يذكره أبو على ولا غيره من أصحابنا»، أو: «وجه ذلك عندي ما أذكره». أو نحو ذلك مما يتردد كثيراً في مواضع مختلفات من المحتسب.

ونقل عن الكسائي فأعجب به وأنكر عليه، ففي الاحتجاج لقراءة: «وما يُخدَعون إلا أنفسهم» بضم الياء وفتح الدال يقرر أنها جاءت «على خدعته نفسه» لما كان معناه معنى انتقصته نفسه أو تخونته نفسه.

ورأيت أبا على يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي في قوله:

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

لأنه قال: عدى رضيت بـ«على» كما يعدى نقيضها وهي سخطت به، وكان قياسه رضيت عنى، وإذا جاز أن يجرى الشيء مجرى نقيضه، فإجراؤه مجرى نظيره أسوَّغ، فهذا مذهب الكسائي وما أحسنه!

وفي الحديث عن قراءة يعقوب: «ويك أنه لا يُفْلِح الكافرون» بالوقف على «ويك» والابتداء بـ«أنه» يقول بعد أن أورد بيت عنزة:

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عتري أقدم

وقال الكسائي فيما أظن: أراد ويك، ثم حذف اللام. وهذا يحتاج إلى خبر نبي ليقبل.

ونقل عن ابن مجاهد فوثق به في النقل والرواية، وتعقبه في اللغة بالإنكار والمخالفة، فيقول في المقدمة عن كتابه في الشواذ: «أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عنم ليست له روايته ولا توفيقه ولا هدايته».

وينقل تفسيره لقراءة: «ولا يورده حفظهما» بلا همز، ثم يقول: «خلط ابن مجاهد في هذا التفسير تخليطاً ظاهراً غير لائق بمن يعتد إماماً في روايته، وإن كان مضعوفاً في فقاهته».

وينقل قراءة يحيى وإبراهيم السلمى: «أنحكم الجاهلية يئغون» بالياء ورفع الميم، وينقل معها قول ابن مجاهد فيها: وهو خطأ. ويقول: قول ابن مجاهد: إنه خطأ فيه سرف، لكنه وجهٌ غيره أقوى منه.

وينقل قراءة: «أنبهم» بوزن أعطهم، وقراءة: «أنبيهم» بلا همز، وقراءة: «أنبيهم» وينقل معها أيضاً قول ابن مجاهد فيها: وهذا لا يجوز، ثم يعضى في الاحتجاج لهذه القراءات والتماس الوجه لكل منها، حتى إذا بلغ من ذلك غايته، قال: فقد علمت بذلك أن قول ابن مجاهد: هذا لا يجوز - لا وجه له لما شرحناه من حاله.

ورحم الله أبا بكر فإنه لم يأل فيما علمه نصحا، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره الله تعالى إياه.

وسبحانه قاسم الأرزاق بين عبادِهِ، وإياه نسأل عصمة وتوفيقاً وسداداً بفضلِهِ.

ورأينا ابن جنى في المحتسب يأخذ ببعض ما لم ير الأخذ به في الخصائص، فإذا هو بذلك لا يخالف رأياً له وحسب، ولكنه يخالف مذهبه النحوى أيضاً.

قال في الخصائص: وسمعت الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى فى نحو: يعدو وهو محموم، ولم أسمعها من غيره من عقيل.

فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته. وما أظن الشجرى إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك حرف الحلق بالفتح إذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البغداديين.

وهذا قاسه الكوفيون، وإن كنا نحن لا نراه قياساً، لكن مثل: يعدو وهو محموم، لم يرو عنهم فيما علمت.

وقال فى المحتسب فى الاحتجاج لقراءة: «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ» بفتح القاف والراء: قرح وقرح كالحلب والحلب.

وفيه أيضاً قرح على فعل، بقرأ بهما جميعاً، ثم لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفاً حلقياً يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكناً من حروف الحلق، نحو قولهم فى الصخر: الصخر.

ولعمري إن هذا عند أصحابنا ليس أمراً راجعاً إلى حرف الحلق لكنها لغات.

وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتدلاً معتمداً، فلقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم تحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً، لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم: نحوه، يريد نحوه.

وهذا ما لا توقف فى أنه أمر راجع إلى حرف الحلق؛ لأنه الكلمة بنيت عليه.

وبعد أن دلل على ذلك وذكر ما سمعه من الشجرى، قال: ولا قرابة بينى وبين البصريين،

لكنها بينى وبين الحق والحمد لله.

وقد سمع ابن جنى من عرب عَقِيل، ونقل عن يثق بعريته منهم إلى المحتسب وغيره، كما فعل سيبويه من قبل. فتراه يقول فى المحتسب مثلاً: حضرني قديماً بالموصل أعرابى عقيلى، أو رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم، أو سمعت غلاماً حدثاً من عقيل ... وهكذا.

ويبدو أن سبب اختصاصه بنى عقيل بالأخذ والرواية أنهم كانوا بالكوفة والبلاد الفراتية والجزيرة والموصل، هاجروا إليها بعد ما غلبوا على مساكنهم فى البحرين.

وأفاد ابن جنى فى الاحتجاج للشواذ من لهجات القبائل، يرجع إليها ويخرج على مقتضاها، ولهذا ورد فى المحتسب كثير منها.

ويذكر ابن جنى فى المحتسب طائفة من أصول العربية وقواعدها العامة من لغوية ونحوية وعروضية، دعتة دواعى الاحتجاج وتأييد الرأى إلى إيرادها فى مواطن شتى من الكتاب من مثل: العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه.

ويجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش فى اللغة، والخطاب بالتاء أذهب فى قوة الخطاب، والقوافى حوافر الشعر، وتشبع العرب مدات التأسيس والردف والوصل والخروج عناية بالقافية، إذا كانت للشعر نظاماً، وللبيت اختتاماً والأمثال تجرى مجرى المنظوم فى تحمل الضرورة.

وفى الكتاب كذلك عرض لبعض مسائل البلاغة، وفى الاحتجاج لقراءة ابن عباس: «إنى أرانى أعصر عنباً» كلام عن بعض صور المجاز المرسل.

وفى الاحتجاج لقراءة: «وعلم آدم الأسماء كلها»، كلام عن نظم الأسلوب وعلاقته بإرادة ناظمه.

* * *

منهج التحقيق

وقد اعتمدنا فى تحقيقنا لهذا الكتاب الجليل فى فرعه على نسختين:

الأولى: نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم ٧٨/قراءات، والتى يرجع تاريخها إلى سنة ٥٢٨هـ، وتقع فى ١٦٩ ورقة، وهى موهورة بتوقيع غير مكتمل: «عبد.....أحمد بن محمد» والذي يرجح أن يكون اسم الناسخ، وتفتح النسخة بالآتى:

«قرأ على هذا الكتاب الفقيه الأجل العالم البرُّ عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الدانى المقرئ حرسه الله من هذا الفرع وأنا أنظر فى أصل كتاب أبى الحسن نصر بن عبدالعزيز بن نوح الشيرازى الذى عليه خط على بن زيد القاسانى يسماعه، وكان يرويه عن مؤلفه أبى الفتح.....».

وأما نسختنا الأخرى التى اعتمدناها فى التحقيق، فهى محفوظة - أيضاً - بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٢/قراءات، ويرجع تاريخها إلى سنة ١٣٣٥هـ، ومنسوخة بمعرفة

الأستاذ محمود بن عبيد.

أما ما كان له عظيم الأثر في إتمام عملنا الذى نأمل أن يحوز رضاء كل المهتمين باللغة العربية والبحوث المتخصصة فى علوم القرآن؛ فكان النسخة المنقحة الدقيقة التى أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق الفضلاء السادة: د. على النجدي ناصف، ود. عبدالحليم النجار، ود. عبدالفتاح إسماعيل شلبى.

وقد قمنا فى التحقيق بعمل، يتضاءل إذا ما نظرنا إليه بجوار قيمة هذا المتن الجامع لمؤلفه أبى الفتح عثمان بن جنى، نلخصه فى الآتى:

- ١- قمنا بتخريج الآيات القرآنية.
- ٢- قمنا بتخريج القراءات القرآنية منسوبة لأصحابها، لتحقيق الإفادة بذكر من أغفلهم ابن جنى من القراء حين عرضه للقراءة.
- ٣- قمنا بالترجمة للأعلام الذين تحقق الترجمة زيادة فى الفائدة عند التعرض للقراء.

* * *

أما ما لا يمكن أن ننساه، فهو الدور الرائد الذى تلعبه دار الكتب العلمية، وعلى رأسها صاحبها ومديرها السيد الأستاذ: محمد على عبدالحفيظ بيضون، الذى آل على نفسه ألا يغفل أثرًا من أهم ما خلفه العرب فى علوم القرآن، وتلك مهمته التى تصدى لها منذ سنوات طوال، فى نشر كل ما يخص التراث العربى الممتلى ثراءً، لا يدخر فى ذلك جهدًا أو وقتًا. والله نسأل أن يوفيه خير الجزاء.

والله نسأل الأجر والإثابة، وأن هذا العمل مُحْتَسِبًا لنا عنده، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والله من وراء القصد وهو سبحانه يهدى سواء السبيل.

* * *

مراجع التحقيق

- ١ - آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن المتوفى (٣٢٧هـ). تحقيق عبد الغنى عبد الخالق. نشر مكتبة التراث بحلب.
- ٢ - آداب العصر في شعراء الشام والعراق ومصر: لسعد ميخائيل.
- ٣ - الآداب، للإمام البيهقي، المتوفى (٤٥٨ هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤ - أبعاد العلوم: لصديق حسن خان القنوجي. طبع في بهوبال ١٢٩٥هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٥ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: للبشاري. طبع في لندن ١٩٠٩.
- ٦ - أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ٧ - أحوال الرجال، لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المتوفى سنة ٢٥٩ هـ، تحقيق صبحي السامرائي مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٨ - أخبار أبي تمام: لأبي بكر الصولي. طبع في مصر ١٣٥٦/١٩٣٧.
- ٩ - الأخبار الطوال: للدینوری. طبعة مصر ١٣٣٠هـ.
- ١٠ - أخبار القضاة: لوكيع. طبع في القاهرة سنة ١٣٦٦ - ١٣٦٩هـ.
- ١١ - أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد السيرافي. من مطبوعات معهد المباحث الشرقية بالجزائر ١٩٣٦.
- ١٢ - أدب الإملاء والاستملاء: لعبد الكريم بن محمد السمعاني. طبع في لندن ١٩٥٢.
- دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير. خمسة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٠هـ.
- دار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٤ - أسماء الصحابة الرواية: لابن حزم. طبع مع «جوامع السيرة». ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٥ - أسماء المغتالين من الأشراف: لمحمد بن حبيب. طبع في نوادر المخطوطات ٢: ١٠٥.
- ١٦ - أسماء خيل العرب وفرسانها: للحواليقي. طبع مع نسب الخيل للكلبي، بليدن ١٩٢٨.
- ١٧ - الأسماء والكنى: للحافظ الحاكم محمد بن محمد النيسابوري.
- ١٨ - الأصمعيات: اختيار الأصمعي. طبع في مصر ١٣٧٥/١٩٥٥.
- ١٩ - الأعلام النفيسة: لابن رسته. طبع في لندن ١٨٩١.

- ٢٠ - أعلام الأدب والفن: لأدهم الجندى. طبع بدمشق ١٩٥٤.
- ٢١ - الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: محمد بن على بن شداد. والجزء الثانى منه فى تاريخ مدينة دمشق. طبع بها ١٣٧٥/١٩٥٦.
- ٢٢ - أعلام النساء: لعمر رضا كحالة. ثلاثة مجلدات. طبع فى دمشق ١٣٥٩هـ.
- ٢٣ - الأغاني: لأبى الفرج الأصفهاني. طبعة الساسى. مصر ٢١ جزءاً، عدا الفهارس وهى ٤ أجزاء. سنة ١٣٢٣. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٢٤ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه: محمد بن حبيب. طبع بمصر ١٣٧٤/١٩٥٤ (فى نواذر المخطوطات ٢: ٢٧٩).
- ٢٥ - الأمالى الشجرية لابن الشجرى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
- ٢٦ - أمالى المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الاولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م البابى الحلي.
- ٢٧ - الأمالى: لإسماعيل بن القاسم القالى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٤٤/١٩٢٦. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٢٨ - أمثال العرب: للمفضل الضبى. طبع بالآستانة ١٣٠٠هـ.
- ٢٩ - أنساب الخيل: لابن الكلبي. طبع فى مصر ١٩٤٦.
- ٣٠ - الأنساب المتفقة فى الخط، المتماثلة فى النقط والضبط: لابن القيسراني. طبع فى ليدن ١٨٦٥.
- ٣١ - الأنساب: للسمعاني. طبع بالزنكوغراف، بليدن ١٩١٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٣٢ - الأنيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس: لأبى عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبى زرع. مطبوع على الحجر بفاس ١٣٠٥هـ.
- ٣٣ - أيام العرب فى الجاهلية: لمحمد أحمد جاد المولى، وعلى البجاوى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم. طبع فى مصر ١٣٦١/١٩٤٢.
- ٣٤ - إنباه الرواة على إنباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
- ٣٥ - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي.
- ٣٦ - إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشرة، لأحمد الدمياطى البنا، ط. عبد الحميد حنفى بالقاهرة.
- ٣٧ - إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن: لمحمد بن على، ابن المحب الطبرى. مخطوط فى مكتبة محمد ماجد الكردى، بمكة.
- ٣٨ - الإقتان فى علوم القرآن للسيوطى ط. الثالثة ١٣١٧هـ/١٩٥١م.
- ٣٩ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء: للسيوطى. بدار الكتب العلمية. بيروت.
- ٤٠ - الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان، لأبى الحسن على بن بلبان الفارسى المتوفى

(٧٣٩ هـ)، طبع دار الكتب العلمية. بيروت.

٤١ - الإدغام الكبير للداني مخطوطة معهد جامعة الدول العربية رقم ٣ قراءات.

٤٢ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء: لياقوت الحموي. سبعة أجزاء، طبعة مرجليوث، بمصر ١٩٠٧-١٩٢٥. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٣ - إسعاف المبطل برجال الموطن: لجلال الدين السيوطي. طبعة الهند ١٣٢٠ هـ. بآخر تنوير الحوالك شرح موطن مالك للسيوطي أيضاً. طبعة مصر ١٣٤٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٤ - الإشارة بلطيف العبارة في القراءات الماثورات بالرويات المشهورات مخطوطة معهد جامعة الدول العربية رقم ٦ قراءات.

٤٥ - الإشراف في منازل الأشراف: لابن أبي الدنيا. دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

٤٦ - الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٩٣٩/١٣٥٨. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٧ - إعجام الأعلام: لمحمود مصطفى. طبع في مصر ١٩٣٥/١٣٥٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٨ - إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين: لمحمد بن علي بن طولون. رسالة طبعت في دمشق ١٣٤٨ هـ.

٤٩ - إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: لمحمد راغب الطباخ الحلبي. سبعة مجلدات. طبع في حلب ١٣٤٢ هـ.

٥٠ - الإعلام بتاريخ الإسلام: لأبي بكر بن أحمد، ابن قاضي شهبة الأسدي، المتوفى سنة ٨٥١ هـ.

٥١ - الإعلام بفضائل الشام: لأحمد بن علي الميني. طبع في القدس.

٥٢ - الإعلام بما وقع في مشتهب الذهب من الأوهام: جردها من توضيح المشتبه مؤلفهما محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد، المعروف بابن ناصر الدين. مخطوط كتب سنة ٨٢٩. في المكتبة العربية بدمشق.

٥٣ - الإعلام بمن حل مراكز وأغمار من الأعلام: لعباس (بن محمد بن محمد) بن إبراهيم المراكشي. خمسة مجلدات منه، طبعت بغاس ابتداء من سنة ١٩٣٦.

٥٤ - الإعلان بالتواريخ لمن ذم التاريخ: للسخاوي. طبع بدمشق ١٣٤٩ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٥٥ - الإكليل: للهمداني. الجزء الثامن. طبع في بغداد ١٩٣١ وفي برنستن ١٩٤٠.

٥٦ - الإكمال في رفع الارتباب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب: للأمير علي بن هبة الله بن مأكولا. مخطوط في مجلدين ضخمين. كتب سنة ٥٩١ هـ. وطبع بدار الكتب العلمية. بيروت.

- ٥٧ - إمتاع الأسماع: للمقرئى. المجلد الأول منه. طبع فى القاهرة ١٩٤١.
- ٥٨ - الإمتاع والمؤانسة: لأبى حيان التوحيدى. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٩٣٩.
- ٥٩ - إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون: لعلى بن برهان الدين الحلبى. يعرف بالسيرة الحلبىة. ثلاث مجلدات. طبع بمصر ١٢٩٢هـ.
- ٦٠ - الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى تحقيق محبى الدين عبد الحميد ط. الثانية بمصر ١٩٥٣م.
- ٦١ - الإهداء فى الوقف والأبتداء للشيخ على السخاوى مخطوطة دار الكتب رقم ٢٢٥ تفسير تيمور.
- ٦٢ - إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى البغدادى. مجلدان. طبع فى استانبول، الأول ١٣٦٤/١٩٤٥ والثانى ١٣٦٦/١٩٤٧.
- ٦٣ - إيضاح الوقف والأبتداء فى كتاب الله عز وجل، لأبى بكر محمد ابن القاسم بن بشار الأنبارى تحقيق محبى الدين عبد الرحمن رمضان. ط. مجمع اللغة العربىة بدمشق ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ٦٤ - الاستدراك، لأبى بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطة، المتوفى ٦٢٩ هـ. نسخة الظاهرىة (٤٢٩) ونسخة دار الكتب المصرىة (١٠).
- ٦٥ - الاستيعاب فى أسماء الأصحاب: لىوسف بن عبد الله بن عبد البر، أربعة أجزاء طبع على هامش «الإصابة» بمصر ١٣٥٨/١٩٣٩. ودار الكتب العلمىة. بيروت.
- ٦٦ - الاشتقاق: لابن دريد الأزدى. طبع فى جوتنجن ١٨٥٤.
- ٦٧ - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط: لأبى عبد الله محمد بوجندار الرباطى. مخطوط، جزآن فى مجلد واحد. نسخة عبد الله بن العباس الجرارى، فى الرباط.
- ٦٨ - بحر الأنساب، المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف: لمحمد بن أحمد بن عميد الدين الحسينى النجفى. طبع بمصر، على الحجر ١٣٥٦هـ.
- ٦٩ - البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر: لمحمود فهمى المهندس. أربعة أجزاء. طبع فى بولاق ١٣١٢-١٣١٣هـ.
- ٧٠ - البحر المحيط لأبى حيان، مكتبة النصر الحديثة/ الرياض.
- ٧١ - البخلاء: للجاحظ. طبع بمصر ١٩٤٨. ودار الكتب العلمىة. بيروت.
- ٧٢ - البدء والتاريخ: المنسوب لأحمد بن سهل البلخى، وهو لمظهر بن طاهر المقدسى. ستة أجزاء. طبع فى شالون ١٩١٦.
- ٧٣ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور: لابن إياس. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٣١١هـ.
- والرابع والخامس منه: طبعاً فى استامبول ١٩٣١ و١٩٣٢.
- ٧٤ - البداية والنهاية فى التاريخ: لابن كثير. أربعة عشر جزءاً. طبع فى مصر ١٣٥١-١٣٥٨هـ. ودار الكتب العلمىة. بيروت.
- ٧٥ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكانى مجلدان. طبع بمصر

١٣٤٨هـ.

٧٦ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لابن عميرة الضبي. طبع في مجريط ١٨٨٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٧٧ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الأولى، عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٧٨ - بلاغات النساء: لأحمد بن طيفور. طبع بمصر ١٣٢٦/١٩٠٨.

٧٩ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: لمحمود شكرى الألوسى البغدادي. الطبعة الثانية، بمصر ١٣٤٢/١٩٢٤ ثلاثة أجزاء. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٨٠ - بلوغ المرام، في شرح مسك الحتام، في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام: الحسين بن أحمد العرشي. ختم حوادثه سنة ١٣١٨هـ، وزاد عليه الأب أنستاس ماري الكرمل، فأوصله إلى ١٣٥٨هـ. طبع بمصر ١٩٣٩.

٨١ - بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين: لمحمد بن أحمد بن عبد الله الغزى الشافعي الدمشقي: مخطوط. في الظاهرية بدمشق.

٨٢ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشي. أربعة أجزاء، الأول والثاني طبعة ليدن ١٩٤٨ و١٩٥١ والثالث طبعة باريس ١٩٣٠ والرابع طبعة تطوان ١٩٥٦.

٨٣ - البيان في عد آي القرآن للداني مخطوطة دار الكتب رقم ٤٨ قراءات مكتبة قولة.

٨٤ - البيان في غريب أعراب القرآن أبو البركات الأنباري تحقيق د. طه عبد الحميد. مصر ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٨٥ - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب: للمقريزي. رسالة طبعت بمصر ١٣٣٤/١٩١٦. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٨٦ - البيان والتبيين: للجاحظ. أربعة أجزاء. طبع في مصر ١٣٦٧ - ١٣٦٩ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٨٧ - تاج التاجم: لقاسم بن قطلوبغا الحنفى. مخطوط ناقص الآخر. في المكتبة الخالدية بالقلس. (طبع في ليبسيك ١٨٦٢).

٨٨ - تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدي. عشر مجلدات. طبع بمصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٨٩ - تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري. مجلدان. طبع بمصر ١٢٨٢هـ.

٩٠ - تاريخ آداب العرب: لمصطفى صادق الرافعي. ثلاثة أجزاء طبع اثنان منها بمصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢ هـ. ثم طبع الثالث بعد وفاة مؤلفه.

٩١ - تاريخ ابن الفرات: لمحمد بن عبد الرحيم بن الفرات. المجلدات ٧، ٨، ٩ وطبعت في بيروت ١٩٣٦ - ١٩٤٢.

٩٢ - تاريخ ابن خلدون ط. دار البيان

- ٩٣ - تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية: محاضرات لكارلو نالينو. نسقتها وترجمت بعض حواشيها الإيطالية إلى العربية، ابنته مريم نالينو. طبع فى مصر ١٩٥٤.
- ٩٤ - تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا: للفيث من الأساتذة بمدارس «الفريير». طبع بالإسكندرية ١٩٢٥هـ.
- ٩٥ - تاريخ الآداب العربية، فى الربع الأول من القرن العشرين: للويس شيخو. طبع فى بيروت ١٩٢٦.
- ٩٦ - تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبرى. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٩٧ - تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والمرحدين: ليوسف أشباخ (الألماني). ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان. جزآن. طبع بمصر ١٣٥٩/١٩٤٠.
- ٩٨ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: للذهبي طبع منه بمصر، خمسة أجزاء.
- ٩٩ - تاريخ الخط العربى وآدابه: لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكي الخطاط. طبع فى مصر ١٣٥٨/١٩٣٩.
- ١٠٠ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد الديار بكرى. مجلدان. طبع فى مصر ١٢٨٣هـ.
- ١٠١ - تاريخ السليمانية: لمحمد أمين زكى. طبع ببغداد ١٣٧٠/١٩٥١.
- ١٠٢ - تاريخ السودان: لعبد الرحمن عبد الله بن عمر السعدى. طبع فى باريس ١٨٩٨.
- ١٠٣ - تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبد الله بن محمد بن حامد السقاف. خمسة أجزاء. طبع بمصر ابتداء من ١٣٥٣هـ.
- ١٠٤ - تاريخ الشعوب الإسلامية: لكارل بروكلن. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. خمسة أجزاء. طبع فى بيروت ١٩٤٨-١٩٥٠.
- ١٠٥ - تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار المعارف بمصر.
- ١٠٦ - تاريخ العرب قبل الإسلام: لجواد على. طبع منه سبعة مجلدات، ببغداد ١٩٥٠-١٩٥٨.
- ١٠٧ - تاريخ الفتح العربى فى ليبيا: للطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى. طبع فى مصر ١٣٧٣/١٩٥٤.
- ١٠٨ - تاريخ القضاء فى الإسلام: لمحمود عرنوس. طبع فى مصر ١٣٥٢/١٩٣٤.
- ١٠٩ - تاريخ المساجد الأثرية (فى مصر): لحسن عبد الوهاب. طبع بمصر ١٩٤٦.
- ١١٠ - تاريخ الموصل: لابن إياس الأزدى. مخطوط.
- ١١١ - تاريخ الموصل: لسليمان صائغ الموصلى. جزآن. طبع الأول فى مصر ١٩٢٣ والثانى فى بيروت ١٩٢٨.
- ١١٢ - تاريخ يعقوبى: لأحمد بن إسحاق بن واضح يعقوبى. ثلاثة أجزاء. طبعة النجف ١٣٥٨هـ.

- ١١٣ - تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي. أربعة عشر مجلدًا. طبع بمصر ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١١٤ - تاريخ حماة: لأحمد الصابوني. طبع في حماة ١٣٣٢هـ. وأعيد طبعه فيها ١٩٥٦ معلقاً عليه، ومصدرًا بترجمة لمؤلفه.
- ١١٥ - تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى ٥٧١هـ، نسخة الظاهرية (تاريخ ٢٤١).
- ١١٦ - تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: لحمزة بن الحسن الأصفهاني. طبع في برلين ١٣٤٠هـ.
- ١١٧ - تاريخ طرابلس الغرب، المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الأخبار: وهو شرح لمحمد بن خليل غلبون الطرابلسي، على قصيدة أحمد بن عبد الدائم الأنصاري. طبع في مصر ١٣٤٩هـ.
- ١١٨ - تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب: لروحي الخالدي. طبع بمصر ١٩١٢.
- ١١٩ - تاريخ علماء أهل مصر: لأبي القاسم يحيى بن علي بن الطحان. جزء صغير منه. مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق.
- ١٢٠ - تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضي. جزآن. طبع في مدريد ١٨٩٠. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٢١ - تاريخ علماء بغداد، المسمى منتخب المختار: لمحمد بن رافع السلامي، ذيل به على تاريخ ابن النجار. انتخبه التقى القاسي المكي. طبع ببغداد ١٣٥٧/١٩٣٨.
- ١٢٢ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها. مخطوط.
- ١٢٣ - التبر المسبوك في ذيل السلوك: للسخاوي. طبع بمصر ١٨٩٦.
- ١٢٤ - التبيان في تخطيط البلدان: لإسماعيل رأفت. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.
- ١٢٥ - تمة اليتيمة: لأبي منصور الثعالبي. جزآن صغيران. طبع في طهران ١٣٥٣هـ.
- ١٢٦ - تجويد التلاوة وتحقيق القراء لللداني مخطوطة معه جامعة الدول العربية رقم ١٧ قراءات.
- ١٢٧ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري تحقيق عبد الفتاح القاضي ومحمد الصادق قمحاوي دار الوعي بحلب.
- ١٢٨ - تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات: لعلي بن أحمد السخاوي. طبع بمصر ١٣٥٦هـ.
- ١٢٩ - تحفة الأديب بأسماء سلاطين مملوك: لمحمد سعيد ديدى. طبع بمصر ١٣٥٤هـ.
- ١٣٠ - تحفة الإخوان: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافي. طبع بمصر ١٣٦٥هـ.
- ١٣١ - تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر: لعمر بن المدرس عبد السلام الداغستاني المدني. مخطوط.

- ١٣٢ - تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلطين: لعبد الله الشرقاوى. طبع بمصر على هامش «أخبار الأول» للإسحاقى ١٣٠٣هـ.
- ١٣٣ - تحفة ذوى الأرب: لابن خطيب الدهشة. طبع بليدن ١٩٠٥.
- ١٣٤ - تذكرة الحفاظ: للذهبي. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٣-١٣٣٤هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٣٥ - التذكرة الكمالية مخطوط فى الخزانة التيمورية بدار الكتب بمصر.
- ١٣٦ - تراث الإسلام: لجمهرة من المستشرقين، بإشراف توماس أرنولد. ترجمه إلى العربية جرجيس فتح الله. جزآن. طبع فى الموصل ١٩٥٤.
- ١٣٧ - تراجم الأعيان، من أبناء الزمان: للحسن بن محمد البورىنى. مخطوط، فى دار الكتب المصرية.
- ١٣٨ - تراجم علماء طرابلس وأدبائها: لعبد الله حبيب نوفل، طبع فى طرابلس ١٩٢٩.
- ١٣٩ - ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضى عياض، مجلدان.
- ١٤٠ - الترجمة للدانى مخطوط دار الكتب مكتبة قولة ٤٩ قراءات.
- ١٤١ - تفسير ابن كثير ط. دار إحياء الكتاب العربى البابى الحلبي.
- ١٤٢ - تفسير ابن كثير ط. كتاب الشعب تحقيق د. محمد إبراهيم البنا ومحمد إحمد عاشور وعبد العزيز غنيم.
- ١٤٣ - تفسير الفخر الرازى ط. الأولى بمصر ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.
- ١٤٤ - تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمى ١٩١٤م ط. دار إحياء الكتب العربية البابى الحلبي وشركاه.
- ١٤٥ - تفسير القرطبى ط. دار الكتب ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ١٤٦ - تفسير غريب القرآن لابی محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى تحقيق أحمد صقر ط. البابى الحلبي.
- ١٤٧ - تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. طبع فى دلهى ١٢٩٠هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٤٨ - تقويم البلدان: للملك المؤيد أبى الفداء إسماعيل بن على بن أيوب. طبع فى باريس ١٨٤٠.
- ١٤٩ - التكملة لوفيات النقلة: إملاء الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى. مخطوط.
- ١٥٠ - تلقيح فهوم أهل الأثر، فى عيون التاريخ والسير: لابن الجوزى. طبع مختصراً فى ليدن ١٨٩٢ وكاملاً فى دلهى ١٢٨٦/١٨٦٩.
- ١٥١ - تمام المتون، فى شرح رسالة ابن زيدون: لصلاح الدين الصفدى. طبع فى دمشق ١٣٢٧هـ.

- ١٥٢ - التنبيه والإشراف: للمسعودى. طبع بمصر ١٣٥٧/١٩٣٨.
- ١٥٣ - التنبيه والإيقاظ، لما فى ذبول تذكرة الحفاظ: لأحمد رافع الطهطاوى. طبع بدمشق ١٣٤٨هـ.
- ١٥٤ - التنبيه، على أوهام أبى على فى أماليه: لأبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكرى. طبع بمصر مع كتاب «ذيل الأمالى والنوادر» ١٣٤٤/١٩٢٦.
- ١٥٥ - التنقيح، لألفاظ الجامع الصحيح: لبدر الدين الزركشى مطبوع.
- ١٥٦ - تهذيب الأسماء واللغات: لأبى زكريا النسوى. طبع بمصر. أربعة أجزاء. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٥٧ - تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى حيدر آباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ.
- ١٥٨ - تهذيب الكمال، لأبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى، المتوفى ٧٤٢هـ. النسخة المصورة بواسطة دار المأمون للتراث بدمشق، عن نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة.
- ١٥٩ - تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران. طبع منه سبعة أجزاء، فى دمشق ١٣٢٩-١٣٥١هـ.
- ١٦٠ - التهذيب لانفراد أئمة القراء السبعة للدانى مخطوطة معهد جامعة الدول العربية رقم ١٩ قراءات.
- ١٦١ - تهذيب مستمر الأوهام، لأبى نصر على بن هبة الله بن جعفر الأمير ابن ماکولا، المتوفى ٤٧٨ هـ، نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة (تاريخ ١٩٠) عن نسخة تركيا.
- ١٦٢ - التيسير فى القراءات السبع للدانى تصحيح اوتوبرتزل استنبول ط. الدولة ١٩٣٠م.
- ١٦٣ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ط. البابى الحلبي الثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- ١٦٤ - جامع كرامات الأولياء: ليوسف النبهانى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.
- ١٦٥ - الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي: عشرون جزءًا. طبع فى مصر ١٣٦٩-١٣٥٤هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
- ١٦٦ - جامع مسانيد الإمام الأعظم أبى حنيفة: لمحمد بن محمود الخوارزمى. جزآن. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.
- ١٦٧ - جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: لابن القاضى. طبع بفاس، على الحجر ١٣٠٩هـ.
- ١٦٨ - جذوة المقتبس، فى ذكر ولاية الأندلس: للحميدى. طبع بمصر ١٣٧٢/١٩٥٢.
- ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٦٩ - الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن محمد الرازى. أربعة مجلدات ضخمة. طبع فى

- ثمانية أجزاء، فى حيدر آباد ١٣٧١/١٩٥٢-١٣٧٣/١٩٥٣. ودار الكتب العلمية بيروت.
- ١٧٠ - جهرة أشعار العرب: لابن أبى الخطاب. طبع بمصر ١٣٠٨هـ.
- ١٧١ - جهرة اللغة: لابن دريد، أربعة مجلدات، الأخير منها فهارس. طبع فى حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ.
- ١٧٢ - الجواهر المضية فى طبقات الخنفية: لعبد القادر بن محمد القرشى. مجلدان. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.
- ١٧٣ - حسن الصحابة، فى شرح أشعار الصحابة: لعلى فهمى المستارى. طبع الأول منه بالآستانة ١٣٢٤ رومية.
- ١٧٤ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ١٧٥ - حضارة الإسلام، فى دار السلام: لجميل نخلة المدور. طبع بمصر ١٣٢٣هـ.
- ١٧٦ - الحضارة الإسلامية، فى القرن الرابع الهجرى: لأدم متز. ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة. جزآن. طبع بمصر ١٣٦٦/١٩٤٧.
- ١٧٧ - حضارة العرب: لجوستاف لوبون. نقله إلى العربية عادل زعيتر. طبع بمصر ١٣٦٧/١٩٤٨.
- ١٧٨ - حقائق الأخبار، عن دول البحار: لإسماعيل سرهنك. مجلدان وقسم من الثالث. طبع بمصر ١٣١٤-١٣٤١هـ.
- ١٧٩ - الحقيقة والمجاز، فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز: لعبد الغنى النابلسى. مخطوط فى ثلاثة أجزاء، الأول فى بقاع الشام، والثانى فى زيادات مصر، والثالث فى ديار الحجاز.
- ١٨٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبى نعيم الأصبهاني. عشرة مجلدات. طبع بمصر ١٣٥١هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ١٨١ - حلية البشر، فى تاريخ القرن الثالث عشر: لعبد الرزاق البيطار. مخطوط فى مكتبته بدمشق ثلاثة مجلدات.
- ١٨٢ - الحور العين: لنشوان الحميرى. طبع بمصر ١٩٤٨.
- ١٨٣ - الحيوان: للجاحظ. جزآن طبع بمصر ١٣٢٣-١٣٢٤هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
- ١٨٤ - الخطط التوفيقية الجديدة: لعلى مبارك. عشرون جزءًا. طبع بمصر ١٣٠٤ - ١٣٠٦هـ.
- ١٨٥ - خطط الشام: لمحمد كرد على. ستة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٤٣ - ١٣٤٧هـ.
- ١٨٦ - خلاصة الأثر، فى أعيان القرن الحادى عشر: للمحبى. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٤هـ.
- ١٨٧ - خلاصة تاريخ تونس: لحسن حسنى عبد الوهاب. طبع بتونس ١٣٧٣هـ.

- ١٨٨ - خير ما ابتدئ به القرآن الكريم.
- ١٨٩ - دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندى، وأحمد الشنتاوى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبع منها أحد عشر مجلدًا، فى مصر ١٩٣٣ - ١٩٥٧.
- ١٩٠ - دائرة المعارف: وتعرف بدائرة المعارف البستانية. أحد عشر مجلدًا. طبعت فى بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠.
- ١٩١ - دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين): لمحمد فريد وجدى. عشرة أجزاء، طبعت فى مصر ١٩٣٧/١٣٥٦.
- ١٩٢ - الدارس فى تاريخ المدارس: لعبد القادر النعمى الدمشقى. مجلدان. من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٦٧ - ١٣٧٠هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
- ١٩٣ - الدر الثمين، فى أدباء القرن العشرين: لعيسى إسكندر المعلوف. مخطوط.
- ١٩٤ - در الحب، فى تاريخ أعيان حلب: لرضى الدين ابن الحنبلى. مخطوط، مصور فى الخزانة التيمورية بمصر.
- ١٩٥ - الدر الفريد، الجامع لمفردات الأسانيد: لعبد الواسع بن يحيى الواسعى. طبع فى مصر ١٣٥٧هـ.
- ١٩٦ - الدر الكمين، فى علماء دمشق سنة ١٣٤٠: لمحمد جميل الشطى: رسالة بخطه، اشتملت على ٤٠ ترجمة. فى المكتبة العربية بدمشق.
- ١٩٧ - الدر اللامع مع همع الهوامع للشنقيطى دار المعرفة بيروت ط. الثانية ١٩٧٣م.
- ١٩٨ - الدر المنتخب، فى تاريخ المصريين والعرب: لإتربى أبى العز. الجزء الأول منه، طبع بمصر ١٣١١/١٨٩٤.
- ١٩٩ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ط. إيران ١٣٧٧هـ.
- ٢٠٠ - الدر النثر مخطوطة دار الكتب التيمورية رقم ٢٣٥ تفسير.
- ٢٠١ - الدرر البهية، والجواهر النبوية فى الفروع الحسنية والحسينية: لإدريس بن أحمد الحسنى العلوى. مجلدان. مطبوع على الحجر بفاس، بالخط المغربى، فى حياة مؤلفه ١٣١٤هـ.
- ٢٠٢ - الدرر السنية، فى أخبار السلالة الإدريسية: لمحمد بن على السنوسى الخطابى. طبع بمصر ١٣٤٩هـ.
- ٢٠٣ - الدرر الكامنة، فى أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلانى: أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٢٠٤ - دروس فى كتب النحو تأليف الدكتور عبدة الراجحى. دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م.
- ٢٠٥ - دمية القصر، وعصرة أهل العصر: لعلى بن الحسن الباخريزى. طبع فى حلب ١٣٤٩هـ.

- ٢٠٦ - دول الإسلام للذهبي: جزآن في مجلد. طبع في حيدر آباد ١٣٣٧هـ.
- ٢٠٧ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي): لابن فرحون. طبع بمصر ١٣٢٩ و ١٣٥١هـ.
- ٢٠٨ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور. دار التراث.
- ٢٠٩ - ديوان الإسلام: لشمس الدين الغزي. مخطوط. في الخزانة التيمورية بمصر.
- ٢١٠ - ديوان الحماسة: لأبي تمام. جزآن. طبعة مصر ١٣٣٥هـ.
- ٢١١ - ديوان المفضليات: لأبي العباس الفضل بن محمد الضبي، مع شرحه لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري. طبعة كارلوس يعقوب لايل. في بيروت ١٩٢٠ مجلدان.
- ٢١٢ - ديوانا عروة بن الورد والسمؤال. دار صادر بيروت ١٩٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- ٢١٣ - ذخائر العقبى، في مناقب ذوى القربى: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري. طبع بمصر ١٣٥٦هـ.
- ٢١٤ - ذخائر القصر، في تراجم أبناء العصر: لابن طولون. مخطوط بمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية.
- ٢١٥ - ذخيرة الدارين، فيما يتعلق بسيدنا الحسين: للسيد عبد المجيد. طبع في النجف (على الحجر) ١٣٤٥هـ.
- ٢١٦ - الذخيرة السنية، في تاريخ الدولة المرينية: مجهول المصنف. كتب في عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق (في القرن السابع للهجرة) طبع في الجزائر ١٣٣٩هـ.
- ٢١٧ - الذخيرة، في محاسن أهل الجزيرة: لعلى بن يسام. أقسام منه في ثلاثة أجزاء، طبعت بمصر ١٣٥٨ - ١٣٦٤هـ.
- ٢١٨ - ذكر أخبار أصبهان: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. مجلدان. طبع في ليدن ١٩٣١.
- ٢١٩ - الذهب المسبوك، في ذكر من حج من الخلفاء والملوك: رسالة للمقرئ. نشرت في المجلد السادس من مجلة الحج بمكة. ثم طبعت مستقلة في مصر ١٩٥٥.
- ٢٢٠ - ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين: لابن جرير الطبري. مختارات منه. طبعت في مصر ١٣٢٦هـ، في آخر كتابه «تاريخ الأمم والملوك».
- ٢٢١ - الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب. الجزء الأول منه. طبع في بيروت ١٣٧٠/ ١٩٥١ ونشر كاملاً في جزأين بمصر ١٣٧٢هـ.
- ٢٢٢ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لمحمد بن محمد بن عبد الملك. ثلاثة أجزاء مخطوطة منه.
- ٢٢٣ - الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوزان القشيري. طبعت بمصر ١٢٨٤هـ.
- ٢٢٤ - رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا: لمرتضى الحسيني الزبيدي. مخطوط في عشرين ورقة.

٨٦ المحتسب

٢٢٥ - الروض الأنف، في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام: لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي. جزآن. طبع بمصر ١٣٣٢/١٩١٤.

٢٢٦ - الروض المعطار في أخبار الأقطار: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم الحميري.

٢٢٧ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني أربعة أجزاء في مجلد واحد. الطبعة الثانية على الحجر ١٣٤٧ هـ.

٢٢٨ - الروضة الفيحاء، في تاريخ النساء: لياسين الخطيب العمري. مخطوط في الخزانة التيمورية بمصر.

٢٢٩ - الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري. جزآن. طبع في مصر ١٣٢٧ هـ.

٢٣٠ - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (إلخ): للمالكي. الجزء الأول منه، طبع في مصر ١٩٥١.

٢٣١ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: للخفاجي. طبع في مصر ١٢٧٣ هـ.

٢٣٢ - سراج الملوك: للطرطوشي. طبع بمصر ١٢٨٩ هـ.

٢٣٣ - سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر: للمرادى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٠١ هـ.

٢٣٤ - سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكباس، فيمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر الكتاني. ثلاثة أجزاء. طبع بفاس ١٣١٦ هـ.

٢٣٥ - السلوك في طبقات العلماء والملوك، ويعرف بطبقات الجندی: لمحمد بن يوسف الجندی اليماني. مخطوط.

٢٣٦ - سمط اللآلئ: يحتوي على «الآلئ في شرح أمالي القالي» لأبي عبيد البكري، جزآن في مجلد متسلسل الأرقام، وشرح ذيل الأمالي وصلة ذيله والتنبيه على الأغلاط المعدودة فيهما، في جزء ثالث منفرد، وفهارس سمط اللآلئ في جزء آخر. نسّقه وأكثر من التعليق عليه عبد العزيز الميمنى (الراجكوتى). طبع في مصر ١٣٥٤/١٩٣٦.

٢٣٧ - سنن ابن ماجة محمد فؤاد عبد الباقي ط. البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م.

٢٣٨ - سنن الترمذى ضبطه عبد الرحمن محمد عثمان نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٣٩ - سنن الدارمى تحقيق عبد الله هاشم يماني ط. دار محاسن بالقاهرة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م.

٢٤٠ - سنن النسائي ط. البابي الحلبي ومحمود نصار الحلبي ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م.

٢٤١ - سبوية الكتاب كعبة مصورة عن بولاق ١٣١٧ هـ.

٢٤٢ - سير النبلاء: للذهبي. مخطوط في ١٥ مجلدًا.

٢٤٣ - سيرة أحمد بن طولون: لعبد الله بن محمد المديني البلوى. طبع في دمشق ١٣٥٨ هـ.

- ٢٤٤ - السيرة النبوية: لابن هشام. «شرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي». ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٢٤٥ - شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربى بيروت لبنان.
- ٢٤٦ - شذا الندى، فى تاريخ نجد: لمطلق بن صالح. مخطوط صغير.
- ٢٤٧ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.
- ٢٤٨ - شرح الأشموني على الفية ابن مالك. دار أحياء الكتب العربية ط. البابي.
- ٢٤٩ - شرح المفصل لابن يعيش طبعة المنيرية. القاهرة.
- ٢٥٠ - شرح جامع الترمذى عبد الرحمن محمد عثمان ط. الفجالة بالقاهرة ١٣٨٦هـ.
- ٢٥١ - شرح ديوان الحماسة: للتبريزي. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٢٩٦ هـ.
- ٢٥٢ - شرح ديوان امرئ القيس تأليف حسن السندوبى الطبعة الثالثة ١٣٧٣هـ - ١٩٦٨م ط. الأستقامة بالقاهرة.
- ٢٥٣ - شرح سنن أبى داود تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ط. المجد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٢٥٤ - شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام تأليف محيى الدين عبد الحميد ط. السادسة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م.
- ٢٥٥ - شرح شواهد المغنى: للسيوطى. طبع بمصر ١٣٢٢ هـ.
- ٢٥٦ - شرح نهج البلاغة: لابن أبى الحديد. أربعة مجلدات. طبع فى بيروت ١٣٧٤ هـ.
- ٢٥٧ - الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية: لطاشكبرى زاده. مطبوع على هامش وفيات الأعيان، طبعة مصر ١٣١٠ هـ.
- ٢٥٨ - صاحب الأغاني: لمحمد أحمد خلف الله. طبع فى مصر ١٩٥٣.
- ٢٥٩ - صبح الأعشى: للقلقشندي. أربعة عشر مجلدًا. طبع فى مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٢٦٠ - صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار: لمحمد بن عبد الله بن بليهد النجدي. خمسة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٧٠ - ١٣٧٢ هـ.
- ٢٦١ - صفة جزيرة الأندلس: منتخبة من كتاب الروض المعطار، لمحمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الحميرى. طبع بمصر ١٩٣٧.
- ٢٦٢ - صفة جزيرة العرب: للهمداني. طبع فى ليدن ١٨٨٤ ثم بمصر.
- ٢٦٣ - صفوة الاعتبار، بمستودع الأمصار والأقطار: لمحمد بيرم (الخامس) خمسة أجزاء طبع بمصر ١٣٠٢ - ١٣١١ هـ.
- ٢٦٤ - صفوة العصر، فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر: لزكى فهمى. الجزء الأول. طبع بمصر ١٣٤٤ / ١٩٢٦.
- ٢٦٥ - صلة التكملة، فى وفيات النقلة: للحافظ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني:

مخطوط.

٢٦٦ - صلة الصلة: لابن الزبير. مخطوط فى مجلد.

٢٦٧ - صلة تاريخ الطبرى: لغريب بن سعد القرطبي. طبع فى مصر ١٣٢٦ باسم «الجزء الثانى عشر» من تاريخ الطبرى.

٢٦٨ - الصلة لابن بشكوال ابى القاسم خلف بن عبد الملك ط. الدار المصرية ١٩٦٦م.

٢٦٩ - صورة الأرض: لابن حوقل. طبع القسم الأول منه، فى ليدن ١٩٣٨.

٢٧٠ - الصيد والتذكية فى الشريعة الإسلامية عبد الحميد شهاب العيىدى بغداد. دار الرسالة.

٢٧١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥٣.

٢٧٢ - الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد: للأدقوى. طبع فى مصر ١٣٣٢/١٩١٤.

٢٧٣ - طبقات الأطباء والحكماء: لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى، المعروف بابن جحل.

٢٧٤ - طبقات الحفاظ للسيوطى تحقيق على محمد عمر ط. دار الكتب.

٢٧٥ - طبقات الحفاظ: للسيوطى. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٧٦ - طبقات الخنايلة: لابن أبى يعلى. جزآن. طبعة الفقى. مصر ١٣٧١/١٩٥٢.

٢٧٧ - طبقات الشافعية: لأبى بكر بن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف. طبع فى بغداد.

٢٧٨ - الطبقات الصغرى: لتاج الدين عبد الوهاب السبكى. مخطوط فى جزء واحد.

٢٧٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد ط. بيروت ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

٢٨٠ - طبقات المفسرين للحفاظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى تحقيق

على محمد عمر ط. دار الكتب ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٢٨١ - طبقات المفسرين: لمحمد بن على الداودى المالكى. طبع بدار الكتب العلمية.

بيروت.

٢٨٢ - طبقات النحاة واللغويين: لابن قاضى شعبة. مخطوط فى معهد المخطوطات.

٢٨٣ - طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر ١٩٧٣.

٢٨٤ - الطبقات الوسطى: لمحمد بن إبراهيم المناوى. مخطوط.

٢٨٥ - طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحى. شرحه محمود محمد شاكر. طبع

فى مصر ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٨٦ - عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: ويعرف بتاريخ الجبرتى. مطبوع.

٢٨٧ - عدة الأديب: لسليم الجندى ومحمد الداودى. ثلاثة أجزاء صغير. طبع فى

دمشق ١٣٤٥/١٩٢٦.

٢٨٨ - المسجد المسبوك في من تولى اليمن من الملوك: لأبى الحسن على بن الحسن الخزر جى الأنصارى. مخطوط.

٢٨٩ - عصر سلاطين المماليك: لمحمود رزق سليم. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٦٦م - ١٣٦٩هـ.

٢٩٠ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لتقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى. مخطوط في مكتبة الحرم بمكة.

٢٩١ - عقد الدرر، فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر والرابع: جمعه إبراهيم بن صالح بن عيسى. طبع في دمشق ١٣٧٢/١٩٥٢ صفحة.

٢٩٢ - العقد الفريد: لابن عبد ربه. سبعة أجزاء. سابعا للفهارس. طبع بمصر ١٣٥٩ - ١٣٧٢هـ.

٢٩٣ - العقد المفصل: لحيدر الحسينى الحلى. جزآن. طبع فى بغداد ١٣٣١ - ١٣٣٢هـ.

٢٩٤ - العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: للشقائق النعمانية. مطبوع على هامش الجزء الثانى من «وفيات الأعيان» في مصر ١٣١٠هـ.

٢٩٥ - عقود الجمان، في أيام آل سعود في عمان: جمعه عبد الله بن صالح المطوع من أهالى بلدة الشارقة في ساحل عمان، سنة ١٣٧٤هـ. مخطوط، في ٢٢٠ صفحة.

٢٩٦ - عقود الجمان، في شعراء هذا الزمان (أى عصر المؤلف): لابن الشعار، من أهل أواخر القرن السادس وأوائل السابع. مخطوط في معهد المخطوطات بالقاهرة.

٢٩٧ - عمدة الأخبار، في مدينة المختار: لحمد بن عبد الحميد العباسى. نشره أسعد درابزونى، بمكة.

٢٩٨ - العمدة: لابن رشيق القيروانى. طبع بمصر ١٣٢٥/١٩٠٧.

٢٩٩ - عنوان الأريب، عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب: لحمد النيفر. جزآن. طبع في تونس ١٣٥١هـ.

٣٠٠ - عيون الأخبار: لابن قتيبة. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٣٤٣ - ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٠١ - غاية الأرب، في خلاصة تاريخ العرب: ترجمه عن الفرنسية محمد بن أحمد ابن عبد الرزاق. طبع بمصر ١٢٨٩هـ.

٣٠٢ - غاية المرام، في رجال البخارى إلى سيد الأنام: لمحمد بن داود البازلى. مخطوط.

٣٠٣ - غاية النهاية في طبقات القراء لابن الحزرى عنى بنشره ج برجتراسر. مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٣٠٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى محب الدين الخطيب ط. السلفية ١٣٨٠هـ.

٣٠٥ - فتح القدير للشوكانى ط. الأولى. بمصر البابى الحلبي. بمصر ١٣٥٠هـ.

- ٣٠٦ - فنون العجائب، للنقاش ، نسخة دار الكتب المصرية.
- ٣٠٧ - فهرس شواهد سيبويه. أحمد راتب النفاخ ط. الأولى ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م.
- ٣٠٨ - الفهرست لابن النديم. المطبعة الرحمانية بمصر.
- ٣٠٩ - الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون: من تأليفه. طبع في دمشق ١٣٤٨ هـ.
- ٣١٠ - القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: لمحمد رمزي. ثلاثة أجزاء منه. طبع في مصر ١٩٥٣ - ١٩٥٨.
- ٣١١ - القاموس: للفيروزآبادي. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٣٠ هـ.
- ٣١٢ - قبول الأخبار ومعرفة الرجال: لأبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود (الكعبي) البلخي. مخطوط.
- ٣١٣ - قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس (أو عرائس المجالس): لأحمد بن محمد الثعلبي. طبع في مصر ١٢٨٢ هـ.
- ٣١٤ - القطع والانتاف لأبي جعفر النحاس. رسالة دكتوراه تحقيق أحمد خطاب العمر نسخة الطالب.
- ٣١٥ - القلائد الجوهريّة، في تاريخ الصالحية: لابن طولون. جزآن. طبع في دمشق ١٩٤٩ / ١٣٦٨.
- ٣١٦ - قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان: لإبراهيم بن عامر بن علي العبيدي المالكي.
- ٣١٧ - قلائد العقيان، للفتح بن خاقان: طبعه سليمان الحرثري، بباريس ١٢٧٧ هـ. طبع مصر ١٢٨٣ هـ).
- ٣١٨ - الكافي، في تاريخ مصر القديم والحديث: لميخائيل شاروويم. أربعة أجزاء. طبع في مصر ١٨٩٨ / ١٣١٥.
- ٣١٩ - الكافية لابن الحاجب شرح رضى الدين الأسترابادي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٣٢٠ - الكامل: لابن الأثير ١٢ جزءًا. طبع في مصر ١٣٠٣ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٣٢١ - كتاب الروضتين، في أخبار الدولتين: لأبي شامة. جزآن. طبع بمصر ١٢٨٧ هـ.
- ٣٢٢ - كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة. مجلدان، متسلسلا الأرقام. طبع في حيدر آباد ١٩٤٩ / ١٣٦٨.
- ٣٢٣ - كتاب المعمرين: لسهل بن محمد السجستاني. طبع بمصر ١٣٢٣ هـ.
- ٣٢٤ - كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوي. مجلدان. طبع بالهند ١٨٦٢.
- ٣٢٥ - الكشاف للزمخشري ط. شركة مصطفى البابي الحلبي وشركاء الطبقة الأخيرة. ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م.

- ٣٢٦ - الكشف للزمخشري ط. مصطفى البايي الحلبي بمصر ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.
- ٣٢٧ - كشف الأستار عن رجال معاني الآثار: للطحطاوى. تلخيص رشد الله شاه السندهى. طبع على الحجر فى دهلى ١٣٤٩هـ.
- ٣٢٨ - كشف الحجب والأستار، عن أسماء الكتب والأسفار: لإعجاز حسين النيسابورى الكنتورى. طبع فى كلكتا ١٣٣٠هـ.
- ٣٢٩ - كشف الظنون لحاجى خليفة ط. طهران الطبقة الثالثة ١٩٤٧م.
- ٣٣٠ - كشف الظنون، عن أسامى الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب جلى. مجلدان طبع فى استامبول ١٣٦٠/١٩٤١.
- ٣٣١ - كشف النقاب عن وجه التلفظ بالكنى والألقاب: لمحمد بن إسماعيل الصفائى التونسى.
- ٣٣٢ - كشف النقاب، عما روى الشيخان للأصحاب: للحافظ خليل العلائى الشافعى، رسالة مخطوطة فى الخزانة البديرية بالقدس.
- ٣٣٣ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لأبى محمد مكى طالب القيس تحقيق محى الدين رمضان دمشق ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
- ٣٣٤ - كلا وما جاء منها فى كتاب الله لابن فارس تحقيق عبد العزيز الراجكوتى ط. القاهرة. ١٣٨٧هـ المطبعة السلفية ومكتبتها. مقالة فى ١٥ صفحة.
- ٣٣٥ - الكنى والأسماء: للدولابى. جزآن. طبع فى حيدر آباد ١٣٢٢هـ.
- ٣٣٦ - الكواكب الدرية، فى تراجم السادة الصوفية: لعبد الرؤوف المناوى. الجزء الأول. طبع فى مصر ١٣٥٧هـ.
- ٣٣٧ - الكواكب السائرة، فى أعيان المائة العاشرة: لنجم الدين الغزى. مخطوط فى مجلد ضخمة. كتب سنة ١١٧٣هـ.
- ٣٣٨ - لب الآداب: لأسامة بن منقذ. طبع بمصر ١٣٥٤/١٩٣٥.
- ٣٣٩ - لب الألباب: لمحمد صالح السهروردى. جزآن فى مجلد واحد متسلسل الأرقام. طبع فى بغداد ١٣٥١/١٩٣٣.
- ٣٤٠ - لب اللباب، فى تحرير الأنساب: للسيوطى. طبع فى ليدن ١٨٦٠ - ١٨٦٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٣٤١ - اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير. مكتبة المقدس ١٣٨٦هـ.
- ٣٤٢ - لسان العرب: لابن منظور. عشرون جزءاً. طبعة بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٨هـ.
- ٣٤٣ - لسان الميزان: لابن حجر العسقلانى. ستة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣١هـ.
- ٣٤٤ - لطائف الأشارات لفنون القراءات للقسطلانى تحقيق عامر السيد ودكتور عبد الصبور شاهين. القاهرة ١٣٩٢ ١٩٧٢.
- ٣٤٥ - اللطائف، فى تاريخ الطائف: لحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى. رسالة فى خمسة كرايس، مخطوط.

- ٣٤٦ - لطف السمر، وقطف الثمر، من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر: لنجم الدين الغزى. ذيل على كتابه «الكواكب السائرة» مخطوط فى ١١٦ ورقة. فى معهد المخطوطات عن الأصل المحفوظ فى مكتبة أحمد عارف، بالمدينة.
- ٣٤٧ - لقط الفرائد: لابن القاضى. مخطوط مختصر.
- ٣٤٨ - المؤلف والمختلف: للآمدى. طبع فى مصر ١٣٥٤هـ.
- ٣٤٩ - المؤلف والمختلف، فى أسماء نقلة الحديث: لعبد الغنى الأزدى. طبع فى الهند ١٣٢٧هـ.
- ٣٥٠ - مثير الوجد، فى معرفة أنساب ملوك نجد: لراشد بن على بن جريس النجدى النعامى الحنبلى. رسالة مخطوطة.
- ٣٥١ - مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المنى التميمى للدكتور محمد فؤاد سزكين ط. الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م الناشر محمد الخانجى بمصر.
- ٣٥٢ - مجالس ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام هرون دار المعارف بمصر.
- ٣٥٣ - مختصر المنتظم، (١٩٩٠ تاريخ) نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة وكذلك (١٧٤٤ تاريخ).
- ٣٥٤ - المدارس النحوية د. شوقى ضيف ط. دار المعارف بمصر الطبعة الثانية.
- ٣٥٥ - مرآة الجنان: لليافعى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ.
- ٣٥٦ - مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان: لسبط ابن الجوزى. مخطوط.
- ٣٥٧ - المرادفات من قريش: لأبى الحسن، على بن محمد المدائنى. رسالة طبعت بمصر ١٣٧٠/ ١٩٥١ (فى نوادر المخطوطات ١: ٥٧).
- ٣٥٨ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لعبد المؤمن بن عبد الحق. ثلاثة مجلدات. طبعة بريل ١٨٥٢ - ١٨٥٤.
- ٣٥٩ - المزهرة: لجلال الدين السيوطى. جزآن. طبعة بولاق ١٢٨٢هـ.
- ٣٦٠ - مسالك الممالك: للاصطخرى. طبع فى ليدن ١٩٢٧.
- ٣٦١ - مسامرات الظريف بحسن التعريف، تاريخ فقهاء الدولة الحسينية بتونس: لمحمد السنوسى. النصف الأول منه، مطبوع فى تونس.
- ٣٦٢ - المستطرف فى كل فن مستظرف: للأبشيهى. جزآن. طبع بمصر ١٢٧٢هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٣٦٣ - مسند الإمام أحمد طبعة المكتب الإسلامى ودار صادر بيروت.
- ٣٦٤ - مطالع البدور فى منازل السرور: لعلاء الدين البهائى الغزولى. جزآن. طبع فى مصر ١٢٩٩ - ١٣٠٠هـ.
- ٣٦٥ - المعارف: لابن قتيبة الدينورى. طبع فى مصر ١٣٥٣/ ١٩٣٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٣٦٦ - معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان لعبد الرحمن بن محمد الأنصارى الدباغ

- مكتبة الخانجي. بمصر تصحيح. وتعليق إبراهيم شيوخ ط. الثانية ١٩٦٨.
- ٣٦٧ - معاني القرآن تحقيق الأستاذ أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ط. دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م.
- ٣٦٨ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي بيروت.
- ٣٦٩ - معجم الأدباء لياقوت الحموي عنى بنسخه وتصحيحه مرجليوت. طبعة مصورة عن الأولى.
- ٣٧٠ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي: للمستشرق زامباور. أخرجه جماعة برئاسة زكي محمد حسن. جزآن، متسلسلا الأرقام. طبع في مصر ١٩٥١.
- ٣٧١ - معجم البلدان: لياقوت الحموي. ثمانية أجزاء. طبع في مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ ودار الكتب العلمية. بيروت.
- ٣٧٢ - معجم الشعراء: للمرزباني. طبع في مصر ١٣٥٤ هـ، ملحقًا بكتاب «المؤتلف والمختلف» للأمدى.
- ٣٧٣ - معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب: لعبد الحفيظ الفاسي. جزآن. طبع في الرباط ١٣٥٠ هـ.
- ٣٧٤ - معرفة القراء الكبار عن الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين أبي عبد الله الذهبي تحقيق محمد سيد جاد الحق ط الأولى.
- ٣٧٥ - المعزة فيما قيل في المزة: لمحمد بن علي بن طولون. رسالة طبعت في دمشق ١٣٤٨ هـ.
- ٣٧٦ - المغرب في حلى المغرب تحقيق د. شوقي ضيف ط. ثانية دار المعارف ١٩٦٤.
- ٣٧٧ - مغنى اللبيب لابن هشام تحقيق محي الدين عبد الحميد ط. المدني.
- ٣٧٨ - المعنى، في أسماء رجال الحديث: لمحمد طاهر الفتني. طبع في دلهي، على هامش «تقريب التهذيب» ١٢٩٠ هـ.
- ٣٧٩ - مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديث مطبعة الاستقلال الكبرى.
- ٣٨٠ - مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصفهاني. طبع في مصر ١٣٦٨ / ١٩٤٩ (وسبق الأخذ عن طبعة النجف ١٣٥٣ هـ).
- ٣٨١ - المقاصد النحوية: لمحمود بن أحمد العيني. أربعة أجزاء. طبع على هامش خزانة الأدب للبغدادى، في مصر ١٢٩٩ هـ.
- ٣٨٢ - المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة القاهرة ١٣٨٨ هـ.
- ٣٨٣ - المقتطف من تاريخ اليمن: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع في مصر ١٣٧٠ / ١٩٥١.
- ٣٨٤ - المقدمة لابن خلدون. مطبعة مصطفى محمد بمصر.
- ٣٨٥ - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لبرهان الدين إبراهيم بن محمد،

ابن مفلح الحنبلى. مخطوط فى مجلد. فى المكتبة العربية بدمشق.

٣٨٦ - المقصد لتلخيص مافى المرشد لأبى يحيى الأنصارى على هامش كتاب منار الهدى.

٣٨٧ - المقنع للدانى عن مخطوطة دار الكتب مكتبة قولة ٥٢ قراءات.

٣٨٨ - منار الهدى فى معرفة الوقف والأبتداء للأشموني. مصر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٨٩ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم: لأبى الفرج ابن الجوزى. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا.

٣٩٠ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين لأبن الجزرى نشر مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.

٣٩١ - المنهل الصافى، والمستوفى بعد الوافى: لابن تغرى بردى. طبع فى مصر ١٩٥٦/١٣٧٥.

٣٩٢ - المنهل العذب، فى تاريخ طرابلس الغرب: لأحمد بن حسين النائب الأوسى الأنصارى. طبع فى الآستانة ١٣١٧هـ.

٣٩٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقرئى: طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.

٣٩٤ - الموضع فى الفتح والأماله للدانى. مخطوطة معهد جامعة الدول العربية ٩٦ قراءات.

٣٩٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: للذهبى. ثلاثة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٢٥هـ.

٣٩٦ - نثار الأفكار: جزآن، أصدرتهما جريدة الهدى فى نيويورك ١٩١٣.

٣٩٧ - النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة: لابن تغرى بردى. طبع فى دار الكتب المصرية.

٣٩٨ - النحو والقراءا لمحمد الشاطر رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٣٩٩ - النزاع والتخاصم، فيما بين بنى أمية وبنى هاشم: للمقرئى. رسالة. طبعت فى مصر ١٩٣٧.

٤٠٠ - نزهة الألباب، فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحياب: لمحمد حسنى العامرى. طبع عصر ١٣١٤هـ.

- ٤٠١ - نزهة الأنام، فى محاسن الشام: لعبد الله بن محمد البدرى. طبع بمصر ١٣٤١هـ.
- ٤٠٢ - نزهة الأنظار، فى فضل علم التاريخ والأخبار، ويعرف بالرحلة والورثيلية: للحسن بن محمد الورثيلانى. طبع فى الجزائر ١٣٢٦/١٩٠٨.
- ٤٠٣ - نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس: للعباس بن على الموسوى. مجلدان طبع فى مصر ١٢٩٣هـ.
- ٤٠٤ - نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر: للشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى. ثلاثة أجزاء طُبعت فى حيدرآباد.
- ٤٠٥ - نسب قريش: للمصعب بن عبد الله الزبيرى. طبع فى مصر ١٩٥٣.
- ٤٠٦ - نشر اللطائف فى قطر الطائف: لابن عراق. مخطوط بدار الكتب المصرية.
- ٤٠٧ - نشر المثنائى لأهل القرن الحادى عشر والثانى عشر: لمحمد بن الطيب القادرى. جزآن فى مجلد. طبع بفاس ١٣١٥هـ.
- ٤٠٨ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى دمشق ١٣٤٥هـ.
- ٤٠٩ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقرى. أربعة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٠٢هـ.
- ٤١٠ - نكت الهميان، فى نكت العميان: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى. طبع فى مصر ١٣٢٩/١٩١١.
- ٤١١ - نهاية الأرب، فى معرفة أنساب العرب: للقلقشندى. طبع فى بغداد.
- ٤١٢ - نهاية الأندلس: لمحمد عبد الله عنان. طبع فى مصر ١٣٦٨/١٩٤٩.
- ٤١٣ - نهاية الإيجاز، فى سيرة ساكن الحجاز: لرفاعة رافع (الطهطاوى) طبع فى مصر ١٢٩١هـ.
- ٤١٤ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر: لعبد القادر بن شيخ العيدروس. طبع فى بغداد ١٣٥٣/١٩٣٤.
- ٤١٥ - هدى السارى، مقدمة فتح البارى: لابن حجر العسقلانى. جزآن. طبع بمصر ١٣٤٧هـ.
- ٤١٦ - ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٤١٧ - هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل «باشا» البغدادى. مجلدان. طبع فى استامبول ١٥٩١ - ١٩٥٥.

- ٩٦ المحتسب
- ٤١٨ - همع الهوامع للسيوطى تصحيح محمد بدر الدين النعسانى ط دار المعرفة بيروت.
- ٤١٩ - الوافى بالوفيات لابن ابيك الصفدي. مخطوط مصور فى معهد الجامعة العربية.
- ٤٢٠ - الوسيط، فى الأدب العربى وتاريخه: لأحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى. طبع فى مصر. ١٩٢٨/١٣٤٧.
- ٤٢١ - الوسيط، فى تراجم أدباء شنقيط: لأحمد بن الأمين الشنقيطى. طبع فى مصر ١٩١١/١٣٢٩.
- ٤٢٢ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لعلى بن عبد الله السهروردى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٦هـ.
- ٤٢٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محيى الدين عبد الجميد ط الأولى ١٣٦٧هـ. ١٩٤٨م.
- ٤٢٤ - الولاة والقضاة: لمحمد بن يوسف الكندى. طبع فى بيروت ١٩٠٨.
- ٤٢٥ - يتيمة الدهر: للثعالبي. أربعة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٠٣هـ.
- ٤٢٦ - البواقيت الثمينة، فى أعيان مذهب عالم المدينة: لمحمد البشير ظافر الأزهرى. طبع فى مصر ١٣٢٤هـ.

* * *



وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمة المؤلف^(١)

قال أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله تعالى وعفا عنه:

اللهم إنا نحمدك أقصى مدى الحامدين، ونعترف بآلائك كما أوجبت على المطيعين من عبادك المعترفين، ونسألك أن تصلى على نبيك المرتضى محمد وآله الطاهرين، وأن تحسن عوننا وتسديدنا على ما أجمعنا فيه القربة إليك فى أملنا به لطف المسعاة فيما يدنى منك، ويحظى بالزلفة^(١) لديك، وأن تجعل أعمالنا لك، واتصالاتنا بك، ومطالبنا مقصورة على مرضاتك، وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا.

فإذا انقضت علائق مددنا، واستوفى ما فى الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفاسنا، واستوفت أحوال الدار الآخرة بنا، فاقبلنا إلى كنز جنتك التى لم تخلق إلا لمن وسع ظل رحمتك، واجعل أمامنا هاديا من طاعاتنا لك وزكوات ما علمتناه من وجوه حكمتك، وشرحت صدورنا لمعرفته من لطائف مودعات لغة نبيك، التى فضلتها على سائر اللغات، وفرعت بها فيه سامى الدرجات، وخصصت بأشرفها طريقاً وألطفها مسرى وعروفاً - كتابك المنزل على لسان أمينك، المرسل إلى جنان صفيك خاتم الرسل، ثم معقب الأنبياء والملل صلى الله عليه وسلم وبجل وكرم.

وجعلت عنوان تصديقه، الباعث على سلوك طريقه، ما أودعته من إعجاز كلمه

(*) هذا العنوان غير موجود بالأصول.

(١) له زلفة، وزلفى واحتمل فلان الكلف، حتى نال الزلف، وأزلفته: قربته، وأزلفنى كذا عند الأمير، وأزلف إليه: اقترب، قيل:

كل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الأجل تزدلف وزلف الشيء: قربه وقدمه، وزلف إليه: دنا وتقدم. انظر: (أساس البلاغة «زلف»). المعجم الوسيط «زلف».

الذى كد بمهله شد المجدين، واستولى بأوله على آخر غاية الناطقين، ورذيت^(١) دون أدناه ممن الميرزين، وخطت^(٢) إليه ألسن المفوهين، وخرست لحكمه شقاشق الشياطين فانتظم لغات العرب على مثنتاتها [....]^(٣) وارد القراءات من متوجهاتها، فأتى ذلك على طهارة جميعه، وغزارة ينوعه - ضربين:

ضربا اجتمع عليه أكثر قرّاء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد^(٤) رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة^(٥)؛ وهو بشهرته غان عن تحديده.

وضربا تعدّى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذّا، أى خارجا عن قراءة القرّاء السبعة^(٦)

(١) رذى: ضعف، وأثقله المرض، ورذى الناقة: حسرها السفر حتى لا تستطيع براحا ولا تنبعث، فهو رذى، جمع رذاة، وهى رذية جمع رذايا. انظر: المعجم الوسيط «رذى».

(٢) خطّل خطلا استرخى واضطرب، يقال أذن خطلاء: طويلة مسترخية، وثلة خطّل وخطّل: أخطأ وأفحش، يقال: خطّل كلامه. انظر: (أساس البلاغة «خطّل»، المعجم الوسيط «خطّل»).

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) أحمد بن موسى بن العباس التميمى، أبو بكر بن مجاهد، (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ = ٨٥٩ - ٩٣٦ م). كبير العلماء بالقراءات فى عهده. من أهل بغداد، وكان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطنا جوادا، له كتاب: القراءات الكبير، وكتاب قراءة ابن كثير، وقراءة أبى عمرو، وقراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة حمزة، وقراءة الكسائى، وقراءة ابن عامر، وقراءة النبى ﷺ، وكتاب البيئات، وكتاب الثاءات. انظر: (الفهرست ٣١/١، غاية النهاية ١٣٩/١، الأعلام ٢٦١/١).

(٥) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ الدكتور شوقى ضيف، ط دار المعارف فى جزء واحد كبير.

(٦) ظاهر كلام ابن جنى أن ما عدا السبعة فهو شاذ، وهذا مردود عليه، قال السيوطى فى الإتيان (٧٥/١): اعلم أن القاضى جلال الدين البلقينى قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم، وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزرى قال فى أول كتابه النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، مخفوف بالروايات من أمامه وورائه؛ ولعله، أو كثيراً منه، مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه. نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنف^(١) بغيره فصاحته، وتمطوه قوى أسبابه، وترسو به قدّم إعرابه؛ ولذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عَنان القول فيه، وماكّنه عليه، وراده إليه، كأبي الحسن أحمد بن محمد بن شنبوذ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم^(٢)، وغيرهما ممن أدى إلى رواية استقواها، وأنحى على صناعة من الإعراب رضيها واستعلاها. ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغاً للعدول عما أغزته الثقات عنهم؛ لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحّة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مَرى أن العدول عنه إنما هو غرض منه، أو تهمّة له.

ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(٣)؟ وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأخذه: هو الأخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه، فإن قَصُرَ شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله ﷺ فلن يقصُر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والإسهاب، إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه^(٤)، وتتابّع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضى من القول لديه. نعم وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعراباً وأنهض قياساً؛ إذ هما جميعاً مرويان مسندان إلى السلف رضى الله عنه.

فإن كان هذا قادحاً فيه، ومانعاً من الأخذ به فليكون ما ضعف إعرابه مما قرأ بعض

(١) عَنَفَ به وعليه عُنفاً وعنافة: أخذه بشدة وقوة، ولأمه وغيره فهو عنيف جمع عُنْف. انظر: المعجم الوسيط «عنف».

(٢) محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار، أبو بكر (٢٦٥ - ٣٥٤ = ٨٧٨ - ٩٦٥م): عالم بالقراءات والعربية. من أهل بغداد. من كتبه: «الأنوار» في تفسير القرآن، «الرد على المعتزلة»، «اللطائف في جمع هجاء المصاحف»، كتاب في النحو كبير. انظر: (بغية الوعاة ٣٦، غاية النهاية ١٢٣/٢، تاريخ بغداد ٢/٢٠٦، إرشاد الأريب ٦/٤٩٨، نزهة الألبا ٣٦٠، الأعلام ٨١/٦).

(٣) سورة الحشر: الآية (٧).

(٤) انظر: خلاف العلماء حول القراءة به في: (النشر ١/١٤١، غاية النهاية ٢/١٢٤، ١٢٥، الإتيان ١/٧٦، ٧٧).

السبعة به هذه حاله^(١)، ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير^(٢) «ضياء»^(٣) بهمزتين مكتنفتي الألف^(٤)، وقراءة ابن عامر^(٥): «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم»^(٦)، وسنذكر هذا ونحوه في مواضعه متصلاً بغيره، وهو أيضاً مع ذلك مأخوذ به.

(١) قال ابن الجزرى: فقولنا فى الضابط ولو بوجه نريد به وجهها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر أنكارهم كإسكان (بارئكم) (وبأمركم) وخفض (والأرحام) ونصب (ليجرى قوماً)، والفصل بين المضافين فى (قتل أولادهم شركائهم) وغير ذلك.

قال الدانى، وأئمة القراء: لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الإفشاء فى اللغة، والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشوا لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. انظر: (الإتقان ٧٥/١).

(٢) عبد الله بن كثير الدارى المكى، أبو معبد (٤٥ - ١٢٠ هـ = ٦٦٥ - ٧٣٨ م): أحد القراء السبعة. كان قاضى الجماعة بمكة. وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار «دارياً» فعرف بالدارى. وهو فارسى الأصل. مولده ووفاته بمكة.

انظر: (وفيات الأعيان ٢٥٠/١، الأعلام ١١٥/٤).

(٣) وردت فى سورة يونس الآية (٥)، وسورة الأنبياء الآية (٤٨)، وسورة القصص الآية (٧١).

(٤) هى رواية قبل عن ابن كثير. انظر: (إتحاف فضلاء البشر للبنا ٣١١، السبعة فى القراءات لابن مجاهد ٤٢٩، الكشف للزخشرى ٥٧٥/٢، غيث النفع للصفاقسى ٢٩٣، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٤٩، التيسير للدانى ١٢٠، تحبير التيسير ١٤٣).

(٥) عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبى الشامي (٨ - ١١٨ هـ = ٦٣٠ - ٧٣٦ م): أحد القراء السبعة. ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك. ولد فى البلقاء، فى قرية «رحاب» وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفى فيها، قال الذهبى: مقرئ الشاميين، صدوق فى رواية الحديث. انظر: (تهذيب التهذيب ٢٧٤/٥، غاية النهاية ٤٢٣/١، ميزان الاعتدال ٥١/٢، الأعلام ٩٥/٤).

(٦) سورة الأنعام الآية (١٣٧). وقراءته وردت فى: (السبعة فى القراءات لابن مجاهد ٢٧٠، النشر فى القراءات العشر ٢٦٣/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٧، البحر المحیط لأبى حيان ٢٢٩/٤، إعراب القرآن للنحاس ٥٨٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٥٢/١، التيسير للدانى ١٠٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٩١/٧، جامع البيان للطبرى ١٣٧/١٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٥٠، التبيان فى التفسير القرآن للطوسى ٣٠٩/٤، الحجة لأبى زرع ١٧٣، غيث النفع للصفاقسى ٢١٧، الكشف للقيسى ٤٥٣/١، الكشف للزخشرى ٤٥٣/١، مجمع البيان للطبرسى ٣٧٠/٢، معانى القرآن للقراء ٣٥٧/١، الإتقان ٧٥/١، مغنى اللبيب لابن هشام ١٦٣/٢).

ولعمري إن القارئ به من شاعت قراءته، واعتيد الأخذ عنه. فأما أن نتوقف عن الأخذ به لأن غيره أقوى إعراباً منه فلا، لما قدمنا، فإذا كانت هذه حاله عند الله جل وعلا، وعند رسوله المصطفى، وأولى العلم بقراءة القراء، وكان من مضي من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه، ولا أولوه طرفاً من القول عليه، وإنما ذكروه مروياً مسلماً مجموعاً أو متفرقاً، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقتنع فيه. فأما أن يفردوا له كتاباً مقصوداً عليه، أو يتجردوا للانتصار له، ويوضحوا أسرارهِ وعلله فلا نعلمه - حسن بل وجب التوجه إليه، والتشاغل بعمله ويسط القول على غامضه ومشكله، وما أكثر ما يخرج فيه بإذن الله، وأذهبهُ في طريق الصنعة الصريحة، لاسيما إذا كان مشوباً بالألفاظ السمحة السريحة، إلا أننا مع ذلك لا ننسى تقييده على أهل القراءات ليحفظوا به، ولا ينأوا عن فهمه.

فإن أبا علي^(١) رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات^(٢)، فتجاوز فيه قدر

= قال الدكتور أحمد مكي في كتابه الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين: وهي قراءة سبعة متواترة عن رسول الله ﷺ... ولكن طائفة من النحاة الطغاة - ساعهم الله - وقفوا مواقف المعارضة من هذه الآية الكريمة في أعلى قراءاتها وهي القراءة السبعة... فهذا أبو زكريا الفراء يحكم عليها بالبطلان - وهذا أبو علي الفارسي يحكم عليها بالقبح فيقول: «هذا قبيح قليل الاستعمال». وكذلك فعل الإمام ابن خالويه حين قال: «وهو قبيح في القرآن، وإنما يجوز في الشعر». إلى غير ذلك من أوصاف (الضعف) والشذوذ والرداءة، وأكثر من هذا أنهم نسبوها إلى اللحن، وأنها زلة من زلات ابن عامر، وفي هذا يقول أبو غانم النحوي: «قراءة ابن عامر لا تجوز في العربية وهي زلة عالم، وإذا زل العالم لم يجز اتباعه، ورد قوله إلى الإجماع.. فهو أولى من الإصرار على غير الصواب.

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ = ٩٠٠ - ٩٨٧ م): أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧ هـ، وتبحر في كثير من البلدان. وقدم حلب سنة ٣٤١، فأقام مدة عند سيف الدولة وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النجوم، وصنف له كتاب «الإيضاح» في قواعد اللغة العربية، ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها.

كان مهتماً بالاعتزال، وله شعر قليل. من كتبه: «التذكرة» في علوم العربية، عشرون مجلداً، و«تعاليق سيبويه»، و«الشعر»، و«الحجة في علل القراءات»، و«جواهر النحو»، و«الإغفال»، و«المقصود والممدود»، و«العوامل في النحو»، و«المسائل الشيرازية»، و«المسائل العسكرية»، و«المسائل البصريات»، و«الحليبات»، و«البغداديات». انظر: (وفيات الأعيان ١/ ١٣١)، نزهة الألبا ٣٨٧، تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، إنباه الرواة ١/ ٢٧٣، الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٣١، الأعلام ١٧٩/٢، ١٨٠).

(٢) هو كتابه في توجيه القراءات السبع المتواترة التي جمعها ابن مجاهد في مؤلفه السبعة في =

حاجة القراء إلى ما يجفون عنه كثير من العلماء، ونحن بالله وله وإليه وهو حسبن.

على أن أبا على رحمه الله قد كان وقتا حدث نفسه بعمله، وهم أن يضع يده فيه، ويبدأ به، فاعتزضت خواجه^(١) هذا الدهر دونه، وحالت كَبَوَاتُهُ بينه وبينه؛ هذا على ما كان عليه من خلّو سربه، وسروح فكره، وفروده بنفسه، وانبتات علائق الهموم عن قلبه، يبيت وقواصى نظره محوطة عليه، وأحناء تصوره محوذة إليه، مضجعه مقرر جسمه ومجال همته، ومغذاه ومراحه مقصوران على حفظ بنيت. ولعلّ الخطرة الواحدة تخرق بفكرى أقصبي الحُجُب المتراخية عنى فى جمع الشتات من أمرى، وذمّل العوارض الجائحة لأحوالى، وأشكر الله ولا أشكوه، وأسأله توفيقاً لما يرضيه.

وأنا بإذن الله بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذّ عن السبعة، وقائل فى معناه مما يَمَنّ به الله عز اسمه، وإياه نستعين وهو كافىّ ونعم الوكيل.

* * *

أعلم أن جميع ما شذّ عن قراءة القراء السبعة^(٢)، وشهرتهم مغنية عن تسميتهم ضربان.

=القراءات، وقد طبع جزءان فى مصر، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، كما قام مجموعة من الباحثين بتحقيق بعض أجزاءه كرسائل علمية، وأخيراً طبع كاملاً فى بيروت.

(١) خَلَجَ الشيء خَلَجًا وَخَلُوجًا وَخَلَجَانًا: تحرك واضطرب، ويقال: خلجت عيني، وخلج فى مشيته: تمايل وتخلع، فهو خالَج، وهى خُلُوج. انظر: المعجم الوسيط «خلج».

(٢) القراء السبعة، هم:

١ - نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى بالولاء المدنى (١٦٩هـ = ٧٨٥م): كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة. أصله من أصبهان اشتهر فى المدينة وانتهت إليه رئاسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، وتوفى بها. انظر: (غاية النهاية ٣٣٠/٢، ابن خلكان ١٥١/٢، التيسير للدانى، الأعلام ٥/٨).

٢ - عبد الله بن كثير: سبق ترجمته.

٣ - عاصم بن أبى النجود بهذلة الكوفى الأسدى بالولاء (١٢٧هـ = ٧٤٥م): أحد القراء السبعة، تابعى، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة فى القراءات، صدوق فى الحديث. قيل: اسم أبوه عبيد، وبهذلة اسم أمه. انظر: (تهذيب التهذيب ٣٨/٥، الوفيات ٢٢٣/١، غاية النهاية ٣٤٦/١، العبر ١٦٧/١، الأعلام ٢٤٨/٣).

٤ - حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل، التميمى، الزيات (٨٠ - ١٥٦هـ = ٧٠٠ - ٧٧٣م): أحد القراء السبعة. كان من موالى تيم فتنسب إليهم. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. ومات بحلوان كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع =

ضرب شذ عن القراءة عاريا من الصنعة، ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله فلا وجه للتشاغل به؛ وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأُغْرِبت^(١) طريقته.

وضرب ثان وهو هذا الذى نحن على سمته، أعنى ما شذ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعولّ عليه، المولى جهة الاشتغال به. ونحن نورد ذلك على ما رويناه ثم على ما صحّ عندنا من طريق رواية غيرنا له، لا نألو فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحريّ الصحة فى روايته، وعلى أننا ننحى فيه على كتاب أبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله الذى وضعه لذكر الشواذ من القراءة^(٢)، إذ

=على تلقى قراءته بالقبول. قال الثورى: ما قرأ حمزة من كتاب الله إلا بأثر. انظر: (تهذيب التهذيب ٢٧/٣، وفيات الأعيان ١٦٧/١، ميزان الاعتدال ٢٨٤/١، وقيل: توفى سنة ١٥٨، الأعلام ٢٧٧/٢).

٥ - على بن حمزة بن عبد الله الأسدى بالولاء، الكوفى، أبو الحسن الكسائى (١٨٩هـ = ٨٠٥م): إمام فى اللغة والنحو والقراءات. من أهل الكوفة. ولد فى إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل فى البادية، وسكن بغداد، وتوفى بالرى، عن سبعين عاماً. انظر: (غاية النهاية ٢٣٠/١، تاريخ بغداد ٤٣٠/١١، نزهة الألبا ٨١ - ٩٤، طبقات النحويين ١٣٨، إنباه الرواة ٢٥٦/٢، الأعلام ٢٨٣/٤).

٦ - زيان بن عمار التميمى المازنى البصرى، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠ - ١٥٤هـ = ٦٩٠ - ٧٧١): من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. قال الفرزدق:

ما زلت أغلق أبواباً وأفتجها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت عامة أخباره من أعراب أدركوها الجاهلية. له أخبار وكلمات مأثورة. وللصولى كتاب أخبار أبى عمرو بن العلاء. انظر: (غاية النهاية ٢٨٨/١، فوات الوفيات ١٦٤/١، ابن خلكان ٣٨٦/١، الذريعة ٣١٨/١، نزهة الألبا ٣١، الأعلام ٤١/٣).

٧ - ابن عامر: سبق ترجمته. انظر ترجمته: (تهذيب التهذيب ٢٧٤/٥، غاية النهاية ٤٢٣/١، ميزان الاعتدال ٥١/٢، الأعلام ٩٥/٤).

(١) أُغْرِبت: صار غريباً، يقال: أغرب المال، وأغربت الحال، والشئ: نحاه وأبعده. انظر: المعجم الوسيط «غرب».

(٢) وصنع ابن مجاهد كتاباً آخر فى القراءات الشاذة، ولكنه من كتب القراءات المفقودة التى لم تصل إلينا.

كان مرسومًا به مَحْنُوًّا الأَرْجَاءَ عليه، وإذ هو أثبت في النفس من كثير من الشواذ الحكيمة عن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته.

فأما ما رويناه في ذلك فكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان^(١) السجستاني رحمه الله، أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني، عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني^(٢) عن أبي حاتم، وروينا أيضًا في كتاب أبي علي محمد بن المستنير قُطْرُب^(٣) من هذه الشواذ صدرا كبيرا. غير أن كتاب أبي حاتم أجمع من كتاب قطرب لذلك؛ من حيث كان مقصورا على ذكر القراءات، عاريا من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انخطَّ قطرب فيها، وتناهى إلى متباعد غاياتها.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن علي بن وكيع عن أبي الحسن أحمد بن سفيان بن عبد الله الدمشقي، قال: حدثني محمد بن صالح المصري وراق علي بن قطرب، قال: قرأت علي أبي محمد بن المستنير قطرب من سورة النحل إلى آخر القرآن. قال: وقرأت علي علي ابن قطرب من البقرة إلى النحل عن أبيه محمد بن المستنير بمصر في سنة تسع وأربعين ومائتين. قال أبو الحسن الدمشقي: وحدثني أبو بكر العبدى بسر من رأى في سنة سبع وخمسين ومائتين، قال: سمعت أبا علي محمد بن المستنير قطربًا يعليه في مدينة السلام، فكتبته منه من البقرة إلى سورة مريم ثم قطع الكتاب، قال: وسمع مني أبو بكر العبدى من سورة مريم إلى آخر الكتاب، وسمعت منه من فاتحة الكتاب إلى سورة مريم.

وأخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي سمعًا مع من قرأ عليه كثيرًا من هذا

(١) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (٢٤٨ هـ = ٨٦٢ م): من كبار العلماء باللغة والشعر، من أهل البصرة كان المبرّد يلازم القراءة عليه. له نيف وثلاثون كتابًا، منها كتاب: «المعمرين - ط» و«النخلة» و«ما تلحن فيه العامة» و«الشجر والنبات» و«الطيور» و«الأضداد» و«الوحوش» و«الحشرات» و«الشوق إلى الوطن» و«العشب والبقول»، وله شعر جيد. انظر: (الفهرست ٥٨/١، الوفيات ٢١٨/١، بغية الوعاة ٢٥٦، الأعلام ١٤٣/٣).

(٢) محمد بن هارون الروياني، أبو بكر (٣٠٧ هـ = ٩٢٠ م): من حفاظ الحديث، له مسند وتصانيف في الفقه. نسبته إلى رويان بنواحي طبرستان. انظر: (تذكرة الحفاظ ٢٨٦/٢، الرسالة المستطرفة ٥٤، الأعلام ١٢٨/٧).

(٣) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب (٢٠٦ هـ = ٨٢١ م): نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالي. كان يرى رأى المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع «المثلث» في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه «سيبويه» فلزمه. انظر: (وفيات الأعيان ١/٤٩٤، تاريخ بغداد ٢٩٨/٣، طبقات النحويين ١٠٦، بغية الوعاة ١٠٤، نزهة الألبا ١١٩، الأعلام ٩٥/٧).

الكتاب، وأنا حاضره، عن أبي على الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي، عن الدمشقي أيضاً. وآخرنا أيضاً بما في كتاب المعاني^(١) عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج^(٢) بسماعه منه، وبمعاني الفراء^(٣) عن ابن مجاهد عن الفراء^(٤). وروينا غير ذلك مما سنذكر سنده وقت إحضاره القول على مشكله إن شاء الله.

اللهم أخلص أعمالنا لوجهك، وأوسعنا من عافيتك وعفوك، إنك سميع الدعاء فعّال لما تشاء.

* * *

(١) يقصد كتاب الزجاج معاني القرآن وإعرابه، وقد طبع بدار الحديث تحقيق د. عبدالفتاح شليبي وهو غير إعراب القرآن، المنسوب للزجاج.

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١ = ٨٥٥ - ٩٢٣م): عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخطر الزجاج ومال إلى النحو فعلمه الميرد.... من كتبه: «معاني القرآن وإعرابه»، «الاشتقاق»، «خلق الإنسان»، «الأمالي»، «فعلت وأفعلت»، «المثلث». انظر: (معجم الأدباء ٤٧١)، نزهة الألبا ٣٠٨، إنباه الزواة ١/١٥٩، الأعلام ١/٤٠).

(٣) وهو كتابه معاني القرآن طبع عدة طبعات، منها طبعة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، وأخرى طبعة بيروت.

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد «أو بني منقر» أبو زكرياء، المعروف بالفراء (١٤٤ - ٢٠٧هـ = ٧٦١ - ٨٢٢م): إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد. وتوفي في طريق مكة. من كتبه «المقصود والممدود»، «معاني القرآن»، «المذكر والمؤنث»، «اللغات»، «والفاحر»، «وما تلحن به العامة»، «والحدود»، «ومشكل اللغة». انظر: (إرشاد الأريب ٢٧٦/٧، وفيات الأعيان ٢/٢٢٨، ابن النديم ٦٦ - ٦٧، مفتاح السعادة ١/١٤٤، غاية النهاية ٢/٣٧١، نزهة الألبا ١٢٦، مراتب النحويين ٨٦، الأعلام ٨/١٤٥، ١٤٦).

سورة فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ^(١)

قراءة أهل البادية: «الحمد لله» ^(٢) مضمومة الدال واللام، ورواها لي بعض أصحابنا
قراءة لإبراهيم بن أبي عبلة: «الحمد لله» ^(٣) مكسورتان ^(٤)، ورواها أيضاً لي قراءة لزيد

(١) سوف نذكر الآيات كما هي في المصحف بقراءة حفص عن عاصم وهي القراءة التي اتفق عليها
الجمهور، في وسط السطر؛ تسهيلاً على القارئ.

(٢) انظر القراءة في: (معاني القرآن للفراء ٣/١، إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/١، إعراب القرآن
للعكبري ٣/١، الكشف للزنجشري ٨/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٦/١، جمع البيان
للطبرسي ٢١/١، شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى ٣٥٥/٢ الخصائص ١٤٧/٢).

(٣) وهي أيضاً قراءة الحارث بن أسامة بن لوى، ورؤية بن العجاج. انظر: (معاني القرآن للفراء
٣/١، إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٢٠/١، إعراب القرآن للعكبري ٣/١، البحر المحيط
١٨/١، التبيان للطوسي ٣١/١، الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١، الكشف للزنجشري ٨/١،
جمع البيان للطبرسي ٢١/١، إتحاف فضلاء البشر ١٢٢، شرح المفصل لابن يعيش ١٢٩/٧،
الأشباه والنظائر للسيوطي ٨/١، ٦٧/٣، الأمل الشجرية لابن الشجري ١٢٠/٢، مغنى اللبيب
لابن هشام ١٧٥/١، تهذيب اللغة للأزهري مادة «حمد»، الخصائص ١٤٧/٢، اللسان مادة
«حمد» ١٥٥/٣).

(٤) وأجمع القراء السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من «الحمد لله». ورؤي عن سفيان بن عيينة
ورؤية بن العجاج: «الحمد لله» ينصب الدال، وهذا على إضمار فعل. ويقال: «الحمد لله» بالرفع
مبتدأ وخبر، وسبيل الخبر أن يفيد، فما الفائدة في هذا؟ فالجواب أن سيبويه قال: إذا قال الرجل
الحمد لله بالرفع ففيه من المعنى مثل ما في قولك: حمدت الله حمداً، إلا أن الذي يرفع الحمد يخبر
أن الحمد منه ومن جميع الخلق لله، والذي ينصب الحمد يخبر أن الحمد منه وحده لله. وقال غير
سيبويه: إنما يتكلم بهذا تعرضاً لعفو الله ومغفرته وتعظيماً له وتمجيدها، فهو خلاف معنى الخبر
وفيه معنى السؤال. وفي الحديث: «مَنْ شَغَلَ بِذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَته أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ
السَّائِلِينَ». وقيل: إن مدحه عز وجل لنفسه وثناءه عليها ليعلم ذلك عبادة، فالمعنى على هذا: =

ابن على رضى الله عنهما، والحسن البصرى^(١) رحمه الله.

وكلاهما شاذ فى القياس والاستعمال؛ إلا أن من وراء ذلك ما أذكره لك، وهو: أن هذا اللفظ كثير فى كلامهم، وشاع استعماله، وهم لما كثر فى استعمالهم أشدّ تغييراً، كما جاء عنهم لذلك: لم يك، ولا أذر، ولم أبّل، وأيش تقول، وجا يجى، وسا يسو، بحذف همزتيهما.

فلما اطّرد هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصار «الحمد لله» كعُتِق وطُنِب، و«الحمد لله» كإِبِل وإِطِل^(٢). إلا أن «الحمد لله» بضم الحرفين أسهل من «الحمد لله» بكسرهما من موضعين:

=قولوا الحمد لله. قال الطبري: «الحمد لله» ثناء أننى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء قولوا إياك. وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه، كما قال الشاعر:

وَأَعْلَمُ أَنَّنَى سَأَكُونُ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوْاعِجُ لَا يَسِيرُ

المعنى: المحفور له وزير، فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه، وهذا كثير.

وروى عن ابن أبى عَبلّة: «الحمد لله» بضم الدال واللام على إتياع الثانى الأوّل وليتجانس اللفظ، وطلب التجانس فى اللفظ كثير فى كلامهم نحو: أجوءك، وهو منحدر من الجبل، بضم الدال والجيم. قال: «أضرب الساقين أمك هابل». بضم النون لأجل ضم الهمزة. وفي قراءة لأهل مكة «مُردفين» بضم الراء إتياعاً للميم، وعلى ذلك «مُقتلين» بضم القاف. وقالوا: لا أمك، فكسروا الهمزة إتياعاً للام وأنشد للنعمان بن بشير:

وَبِيلَ أَمَّهَا فِى هَوَاءِ الْجَوِ طَالِبَةٌ وَلَا كَهَذَا الَّذِى فِى الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ

الأصل: وبيل لأمها فحذفت اللام الأولى واستقل ضم الهمزة بعد الكسرة فنقلها للام ثم أتبع اللام الميم.

وروى عن الحسن بن أبى الحسن وزيد بن على: «الحمد لله» بكسر الدال على إتياع الأوّل الثانى.

(١) الحسن بن يسار البصرى، أبو سعيد (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م): تابعى، كان إمام أهل البصرة، وخبير الأمة فى زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب فى كنف على بن أبى طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية وسكن البصرة، وعظمت هيئته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف فى الحق لومة لائم. انظر: (ميزان الاعتدال ١/٢٥٤، حلية الأولياء ١٣١/٢، ذيل المذيل ٩٣، أمالي المرتضى ١/١٠٦، الأعلام ٢/٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) الإِطِلُ الخاصرة، والجمع أطال. انظر: المعجم الوسيط «إطل».

أحدهما: أنه إذا كان إتباعاً فإنَّ أقيس الإتباع أن يكون الثاني تابِعاً للأول؛ وذلك أنه جار مجرى السبب والمسبب، وينبغي أن يكون السبب أَسْبَقَ رُتْبَةً من المسبب، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال كما نقول مُدٌّ وَشُدٌّ، وَشَمٌّ وَفِرٌّ فتتبع الثاني الأول، فهذا أقيس من إتباعتك الأول للثاني في اقتل، وأدخل؛ ومع هذا فإن هذا الإتباع أعنى اقتل وبابه لا يكاد يعتد، وذلك أن الوصل هو الذى عليه عقد الكلام واستمراره، وفيه تصح وجوهه ومقاييسه، وأنت إذا وصلت سَقَطَتِ الهمزة، فقلت: فاقتل زيدا، فادخل يا هذا. وليست كذلك ضمة الدال في مُدٌّ، ولا فتحة الميم في شَمٌّ، ولا كسرة الراء في فِرٌّ لأنهنَّ ثوابتُ في الوصل الذى عليه معقد القول، وإليه مفرع القياس والضوب، فكان أن مُدٌّ أقيس إتباعاً من: اقتل، لما ذكرنا من الوصل المرجوع إليه المأخوذ بأحكامه؛ ولأن السبب أيضاً أسبق رتبة من المسبب، فكذلك الحمد لله أسهل مأخذاً من الحمد لله.

والآخر: أنَّ ضمة الدال في «الحمد» إعراب، وكسرة اللام في «لله» بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلت: الحمد لله فقريب أن يغلب الأقوى الأضعف، وإذا قلت الحمد لله جنى البناء الأضعف على الإعراب الأقوى، مضافاً ذلك إلى حكم تغيير الآخر الأول، وإلى كثرة باب عُتُقَ وَطُنَّبَ في قلة باب إِبِلَ إِطِلَ فاعرفه. ومثل هذا في إتباع الإعراب البناء ما حكاه صاحب الكتاب^(١) في قول بعضهم:

وقال اضرب الساقين إِمَّكَ هَابِلَ^(٢)

كسر الميم لكسرة الهمزة، ثم من بعد ذلك أنك تفيد من هذا الموضع ما تنتفع به في موضع آخر. وهو أن قولك: الحمد لله جملة، وقد شبه جزءاًها معاً بالجزء الواحد، وهو مُدٌّ أو عُتُقَ فيمن أسكن ثم أتبع، أو السُّلْطَانُ أو القُرْفُصَاءُ أو الْمُتَنِّ دَلَّ ذَلِكَ على

(١) انظر: (الكتاب ٤/٢٤٦).

(٢) عجز بيت لم يعرف صدره ولا قائله كما في شرح شواهد الشافية ٤/١٧٩. انظر: (الخصائص ٢/١٤٧، ٣/١٤٣). وقال فيه: وأصله: أمك هابل، إلا أن همزة «أمك» كسرت لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ «فلا اله الا الله» [النساء: ١١].

وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: (البحر المحیط ٣/١٨٤). فصار: إِمَّكَ هَابِلَ، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها، فهذا شاذ لا يقاس عليه، ألا تراك لا تقول: قَدِيرِكَ واسعة، ولا عَذْلِكَ ثَقِيلَ، ولا بَيْتِكَ عَاقِلَ. (الخصائص ٣/١٤٣). ومن الناس من يرويه: اضرب الساقين أمك بضم النون في الساقين إتباعاً همزة أمك. وانظر: (تفسير القرطبي ١٣٦/١، الكتاب ٤/١٤٦).

شدة اتصال المبتدأ بخبره؛ لأنه لو لم يكن الأمر عندهم كذلك لما أجزوا هذين الجزأين مجرى الجزء الواحد، وقد نَحَوَا هذا الموضع الذى ذكرته لك فى نحو قولهم فى تأبط شرًّا: تأبطى، وقولهم فى رجل اسمه زيد أخوك: زيدى، فحذفوا الجزء الثانى، كما يحذفون اجزاء الثانى من المركب فى نحو قولهم فى حضرموت: حضرمى، وفى رام هُرْمُز: رامى، وكما يقولون أيضا فى طلحة طَلْحَى، فاعرف ذلك دليلا على شدة اتصال المبتدأ بخبره، وما علمت أحدا من أصحابنا نحا هذا الموضع على وضوحه لك، وقوة دلالته على ما أثبتته فى نفسك.

ومثله أيضا فى الدلالة على هذا المعنى: قراءة ابن كثير: «فإذا هى تَلَقَّفُ»^(١) ألا ترى إلى تسكين حرف المضارعة من «تَلَقَّفُ»؟ فلولا شدة اتصاله بما قبله للزم منه تصور الابتداء بالساكن، لا بل صار فى اللفظ قولك: «هَيْتَ» كاجزاء الواحد الذى هو خِدَبٌ^(٢)، وَهَيْفٌ^(٣)، وَهَيْبٌ^(٤)، وهذا أقوى دلالة على قوة اتصال المبتدأ بخبره من الذى أريناه من قبله لما فيه إن لم تنعم به من وجوب تصور الابتداء بالساكن. نعم ومن ورائه أيضا ما هو ألطف مأخذا، وهو أن قوله سبحانه: «تلقف» جملة ومشفوعة أيضا بالمفعول الموصول الذى هو «ما يَأْفِكُونَ»، وأصل تصور الجمل فى هذا المعنى: أن تكون منفصلة قائمة برؤوسها، وقد قرأها هاهنا كيف تصورت شديدة الحاجة إلى المبتدأ قبلها؟ فإذا جاز هذا الخلط له، ووكادة الصلة بينه وبين ما قبله فما ظنك بخبر المبتدأ إذا كان مفردا؟ ألا تعلم أنه به أشد اتصالا، وإليه أقوى تساندا وانحيازاً، فاضمم ذلك إلى ما قبله.

وَنَحَوْنَا نحن على سمته، وبسبيل الغرض فيه - حكاية الفراء عن بعضهم، وجرى

(١) سورة الأعراف الآية (١١٧)، وهى قراءة البزى عنه. انظر القراءة فى: (السبعة فى القراءات ٢٩٠، غيث النفع ٢٢٧، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧١، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٨، التبيان للطوسى ٤/٥٣٥ التيسير للدانى ٨٣، الحجة لأبى زهرة ٤٩٢، البحر المحيط ٤/٣٦٣ إعراب القرآن للعكبرى ١/١٦٢).

(٢) الخِدَب: العظيم الجافى، والضحخم من كل شىء، يقال: رجل خِدَب، وسنام خِدَب وجَمَل خِدَب: شديد صلب ضخم قوى. انظر: المعجم الوسيط «خدب».

(٣) الهَيْف: الظليم المسن، والجافى الثقيل من الناس ومن النعام، والواسع الجَوْف. انظر: المعجم الوسيط «هيف».

(٤) الهَيْب: الواسع الخلق الذى يلتقم كل شىء، والضحخم فى طول وجسم. انظر: المعجم الوسيط «هيب».

ذكر رجل فقيل: ها هو ذا. فقال مجيباً: نَعَمْ أَلْهَا هُوَ ذَا هُوَ، فإلحاقه لام المعرفة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر من أقوى دليل على تنزلها عندهم منزلة الجزء الواحد. نعم، وفي صدر هذه الجملة حرف التنبيه، وهو يكاد يفصلها عن لام التعريف بعض الانفصال، وهما مع ذلك كالمثلاقيتين المعتقتين مع حَجْزِهِ بينهما وإعراضه على كل واحد منهما.

* * *

﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

ومن ذلك: ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قرأها الفضل الرقاشي: «وَأَيَّاكَ»^(١) بفتح الهمزة.

قال أبو الفتح: قد ذكرنا في كتابنا الموسوم بسر صناعة الإعراب: ما تحتمله إِيَّا من المثل: هل هي فَعَلٌ، أو فَعِيلٌ، أو فِعُولٌ، أو إِفْعَلٌ، أو فِعْلَلٌ.

أَمِنْ: آءٌ، أَمْ مِنْ آيَةٍ، أَمْ مِنْ أَوَيْتُ، أَمْ مِنْ وَأَيْتُ، أَمْ مِنْ قوله:

فَأَوْ لَذَكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا^(٢)

فأما فتح الهمزة فلغة فيها: إِيَّاكَ وَأَيَّاكَ وَهَيَّاكَ^(٣) وَهَيَّاكَ^(٤)، والهَاءُ بدل من الهمزة، كقولهم: فِي أَرَقَّتْ: هَرَقَتْ، وَأَرَدَتْ هَرَدَتْ، وَأَرَحَتْ الدابة: هَرَحَتْ، وَأَنَرَتْ الثوب: هَنَرَتْ. قال:

فَهَيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ^(٥)

(١) وهي قراءة على أيضا. انظر القراءة في: (البحر المحيط ٢٣/١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

١٤٦/١، إعراب القرآن للنحاس ١٢٢/١، إعراب القرآن للعكبري، تفسير الألوسي ٨٦/١).

(٢) ذكره في الخصائص ٩١/٢ أيضا غير منسوب وعجزه: «ومن بعد أرض بيننا وسماء».

ورواه أيضا في الخصائص ٤٠/٣: «فأوه من الذكرى إذا ما ذكرتها». وقال: ويروى: فأد لذكرها.

(٣) وقد قرأها في الشواذ: ابن السوار الغنوي «هَيَّاكَ». انظر: (البحر المحيط لأبي حيان ٢٣/١).

(٤) وقد قرأها في الشواذ: ابن السوار الغنوي «هَيَّاكَ». انظر: (البحر المحيط ٢٣/١)، الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/١).

(٥) ورد في شرح الشافعية، ونسبه البغدادي لمضر بن ربيع، وقيل: طفيل الغنوي. انظر: (شرح شواهد الشافعية ٤٧٦/٤).

وقرأ عمرو بن فايد^(١): «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(٢)، بتخفيف الياء فيهما جميعاً، فوزن إيا على هذا فِعْل كَرَضًا، وَجِجًا وَجَمًى، ونظيره: إيا الشمس، قال طرفة^(٣):
سقته إياة الشمس إلا لثاته أسفّ ولم تكدم عليه بإئمد^(٤)
ويقال فيه: أياء الشمس بالفتح والمد. قال ذو الرمة^(٥):

تَنَازَعَهَا لَوْنَانِ وَرَدٌ وَحُوَّةٌ تَرَى لِأَيَّاءِ الشَّمْسِ فِيهِ تَحَدُّرًا
وَيَا فِعْلًا، وَأَيَّاءَ فَعَالٍ، وكلاهما من لفظ الآية ومعناها، وهى: العلامة، وذلك أن ضوء الشمس إذا ظهر عُلم أن جرمها على وجه الأرض.

وحدثنا أبو بكر محمد بن علي قال: كان أبو إسحاق يقول فى قول الله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أى حقيقتك نعبد، وكان يشتقه من الآية، وهى العلامة، وهذا يجيئ ويسوغ على رأى أبى إسحاق؛ لأنه كان يعتقد فى إِيَّاكَ أنه اسم مظهر خص به المضمر، فأما على قول الكافة فاشتقاقه فاسد؛ لأن إِيَّاكَ اسم مضمر، والأسماء المضمرة لا اشتقاق فى شىء منها، وينبغى أن يكون عمرو بن فايد إنما قرأ «إِيَّاكَ» بالتخفيف؛ لأنه كره اجتماع التضعيف مع ثقل الياءين والهمزة والكسرة، ولا ينبغى أن يحمل إِيَّاكَ بالتخفيف على أنها لغة؛ وذلك أنا لم نر لذلك أثراً فى اللغة ولا رسمًا ولا مرًا بنا فى نشر

(١) عمرو بن قائد، أبو على الأسوارى التميمى (بعد ٢٠٠هـ = بعد ٨١٥م): معتزلى قدرى، من القراء القصاص، من أهل البصرة، وكان متروك الحديث، ليس بثقة ولا يكتب حديثه. انظر: (لسان الميزان ٣٧٢/٤، الباب ٤٧/١، ٤٨، الأعلام ٨٣/٥).

(٢) وهى قراءة أبي بن كعب أيضا. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤٦/١، البحر المحيط ٢٣/١).

(٣) هذا البيت من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ تَلُوحُ كِبَاكِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

انظر: (ديوانه ١٩).

(٤) إياة الشمس: شعاعها. اللثة: مغرز الأسنان. والجمع اللثات. الأسفاف: أفعال من سفت الشىء أسفه سفا. الإئمد: الكحل. الكدم: العض. ثم وصف ثغرها فقال: سقاها شعاع الشمس أى: كأن الشمس أعارته ضوءها. ثم قال: إلا لثاته، يستثنى اللثات لأنه لا يستحب بريقها، قال: أسف عليه الإئمد: أى: ذر الإئمد على اللثة، ولم تكدم بأسنانها على شىء يؤثر فيها، وتقدير أسف بإئمد ولم تكدم عليه بشىء، ونساء العرب تذر الإئمد على الشفاة واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان. انظر: هامش الديوان ص ٢١.

(٥) غير موجود فى ديوانه المطبوع.

ولا نظم. نعم ومن لم يُخلد مع ثقته إلى نظر يُعصم به ويتساند إليه بأمانته أتى من قبل نفسه من حيث يظن أنه ينظر لها، وكان ما دهاه في ذلك من أجل فقاوته لا أمانته.

وإذا جاز أن تخفف الحروف الثقال مع كونها صحاحا وخفافا، فتخفيف الضعيف الثقيل أخرى وأولى. فمن ذلك قولهم في رُبَّ رجل: رُبَّ رجل، وفي أرَّ: أرَّ، وفي أَى: أَى، أنشدنا أبو علي للفرزدق^(١):

تنظرت نصراً والسماكين أيهما^(٢) عَلَى من الغيث استهلت مواطره
ويبدلون أيضا ليختلف الحرفان فيخفا، وذلك قوله:

يا ليتما أمنا شالت نعماتها أَيْمًا إِلَى جَنَّةٍ أَيْمًا إِلَى نار
وقالوا في اجلواذ: اجليواذ، وفي دِوَان ديوان؛ والشئ من هذا ونحوه، أوسع لكن كل واحد من هذه الحروف وغيرها قد سمع وشاع، فأما إِيَاكَ بالتخفيف فلم يسمع إلا من هذه الجهة، وينبغي للقرآن أن يُختار له، ولا يُختار عليه.

* * *

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

ومن ذلك قراءة الحسن رضى الله عنه: «اهْدِنَا صراطا مستقيما»^(٣).

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون أراد - والله أعلم - التذلل لله سبحانه، وإظهار الطاعة له، أَى قد رضيّا منك يا ربنا بما يقال له: صراط مستقيم، ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ: الصراط المستقيم، أَى: الصراط الذى قد شاعت استقامته وتعملت في ذلك حاله وطريقته، فَإِنَّ قليل هذا منك لنا زالك عندنا وكثير من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإلى ما تأمر به وتنهى فيه صائرون. وزاد في حسن التذكير هنا ما دخله من المعنى؛ وذلك أن تقديره: أَدِمْ هدايتك لنا؛ فَإِنَّك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم؛ فجرى حينئذ مجرى قولك: لئن لقيت رسول الله ﷺ لَتَلَقَّيْنِ مِنْهُ رجلا

(١) من قصيدة له يمدح فيها نصر بن سيار، مطلعها:

كيف نخاف الفقر يا طيب بعدما أتينا بنصر من هراة مقادره

انظر: (ديوانه ٢٨١ ط دار صادر).

(٢) أيهما: مخفف أيهما.

(٣) وهى قراءة: زيد بن على، والضحاك، ونصر بن على أيضا. انظر: (إتحاف فضلاء البشر للبنا

١٢٣، البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ٢٦/١).

متناهيًا في الخير، ورسولا جامعا لسبيل الفضل. فقد آلت به حال إلى معنى التجريد كقول الأخطل^(١):

بَنَزَوَةٌ لَصَ بَعْدَ مَا مَرَّ مَصْعَبٌ بِأَشْعَثَ لَا يُفْلَى وَلَا هُوَ يَقْمَلُ^(٢)
ومصعب نفسه هو الأشعث، وعليه قول طرفة^(٣):

جَازَتِ الْقَوْمَ إِلَى أَرْحُلِنَا آخِرَ اللَّيْلِ بِيَعْفُورٍ خَلْدِرٍ^(٤)
وهي نفسها عنده اليعفور. أنشدنا أبو علي^(٥):

أَفَاءَتِ بَنُو مَرْوَانَ أَمْسٍ دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ يَحْكَمْ حَكَمَ عَدْلٌ
وهو سبحانه أعرف المعارف، وقد سماه الشاعر حكما عدلا، فأخرج اللفظ مخرج

(١) انظر: (الخصائص ٤٧٧/٢ بنصه، والبيت في ديوانه ١٠).

(٢) الأشعث: الوتد، سمى بذلك لشعث رأسه، وقد وصفه بأنه لا يصيبه القمل، فلا يحتاج إلى أن يفلى، ليميزه عن الأشعث من الناس. انظر: (هامش الخصائص ٤٧٧/٢).

(٣) انظر: (الخصائص ١٧٩/٢، ٤٧٧) بنصه، وهذا البيت من قصيدته التي مطلعها:

أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أَمْ شَاقَّتْكَ هَر وَمِنَ الْحَبِّ حَنُونٌ مُسْتَعِر

(٤) قوله: (القوم) يروى (البيد)، وقوله: جازت يعني خيالها، وأنه لأنه كأنه هي، والخير عنه خير عنها. وإنما قال: «آخر الليل» لأن التعريس أي النزول وقطع السير يكون آخر الليل، وعند التعريس والنوم يأتيه خيالها، واليعفور: ظبي تعلوه حمرة، والخدر: الفاتر العظام البطيء عند القيام. يقول: قطعت البيد إلينا بمثل ظبي في ملاحته وحسنه، وإنما عنها نفسها، وهذا من باب التجريد، انظر: (شرح الشتمري لديوانه، وhamش الخصائص ١٧٩/٢).

(٥) ورد في الخصائص كروايته في المحتسب. انظر: (الخصائص ٤٧٧/٢)، وورد في معاهد التنصيص ١٦/٣: «أباحث بنو مروان ظلما دماءنا ولم ينسبه».

وورد في حماسة ابن الشجري في أبيات لأبي الخطار الكلبي هكذا:

أَفَاءَتِ بَنُو مَرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ يَنْصَفُوا حَكَمَ عَدْلٌ
وبعده:

كَأَنْكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ ثَمَّ لَهُ الْفَضْلُ
انظر: (هامش الخصائص ٤٧٧/٢).

التنكير. فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف، وفيه مع ذلك لفظ الرضا باليسير، فإذا جاز أن يَرْضَى الإنسان من مخلوق مثله بما رضى به الشاعر من محبوبه بما دل عليه قوله، أنشده ابن الأعرابي^(١):

وإني لأرضى منك^(٢) ياليلُ بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلابله^(٣)
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد أمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى وأخيره لا نلتقى وأوائله
وأنشدنى بعض أصحابنا لبعض المولدين:

عدينا واكذبينا وامطينا فقد أومنت من سوء العقاب
فلسنا من وعيدك فى ارتياب ولا من صدق وعدك فى اقتراب
ولكننا لشوم الجدد منا نفر من العذاب إلى العذاب
وعليه قول الآخر:

عللينى بموعِد وامطلى ما حييت به
ودعينى أعيش منى لك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما ن بجنبى فينتبه

ونظائره كثيرة، قديمة ومولدة - كان العبد البرُّ والزاهد المجتهد أحرى أن يسأل خالقه جل وعز، مقتصداً فى سؤاله، وضامناً من نفسه السمع والطاعة على ذلك ممن يأمره.

ويؤكد عندك مذهب ما أنشدته آنفا ما حدثنا به أبو على قال: لما قال كثير^(٤):

ولست براض من خليلي بنائل قليل ولا أرضى له بقليل
قال له ابن أبى عتيق: هذا كلامٌ مكافئ، هلا قلت كما قال ابن الرقيات^(٥):

(١) من قصيدة لجميل بثينة، قال صاحب الأغاني: سعت خادمة بثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عند بثينة الليلة فجاءها وكل يحمل سيفه فوجدهما يجتمعين وجميل يشكو إليها وجده فقال أبوها لأخيه: قم بنا وسوف لا تمنع هذا الرجل بعد اليوم من لقاءها، فانصرفا وتركاهما. انظر: (ديوان العذريين ١٥١) ط دار الجيل بيروت.

(٢) وقع فى المطبوع من الديوان «من بثينة».

(٣) قرت بلابله: سكت وامتنع عن الوشاية.

(٤) انظر البيت: فى الأغاني (١/١٥٤، ١/٥٥)، وهو من بحر الطويل.

(٥) وردت هذه القصة فى كتاب الأغاني (١٠٥/٥) ط دار الكتب العلمية) مع تغير فى سياقها، وهو:

رُقِيَّ بَعْمَرُكُمْ^(١) لا تهجرينا ومنّينا المنى ثم امطينا^(٢)
وأنشدني بعض أصحابنا:

وعليني بوعد منك آمله إنني أسبرُ وإن أخلفت أن تعدى
وعليه قول الله عز اسمه: ﴿وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٣)؛ أى: هديناهم من
نعمتنا عليهم، ونظرنا لهم صراطا مستقيما. وقال كثير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم
وهذا كقولك: أمير المؤمنين على الصراط المستقيم لا فرق بينهما، وذلك أن مفاد
نكرة الجنس مفاد معرفته من حيث كان في كل جزء منه معنى ما في جملة؛ ألا ترى
إلى قوله:

وأعلم إن تسليمنا وتركنا لآل متشابهان ولا سواء
فهذا في المعنى كقوله: إن التسليم والترك لا متشابهان ولا سواء.

* * *

= أنشد كثير ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها:

ولست براض من خليلي بنائل قليل ولا أرضى له بقليل
فقال له: هذا كلام مكافئ «ليس بعاشق»، القرشيان أقنع وأصدق منك: ابن أبي ربيعة حيث
يقول:

لبت حظي كلحظة العين منها وكثير منها القليل المهنا
وقوله أيضا:

فعدي نائلا وإن لم تُنيلي وإنه يُقنع المحب الرجاء
وابن قيس الرقيات حيث يقول:

رُقِيَّ بعيشكم لا تهجرينا ومنّينا المنى ثم امطينا
عدينا في غد ما شئت إنا نحب وإن مطلّت الواعدينا
فإما تنجزى عدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حيننا

قال: فذكرت ذلك لأبي السائب المخزومي ومعه ابن المولى، فقال: صدق ابن أبي عتيق وفقه
الله.

(١) وفي الأغاني (١٠٥/٥): «رقي بعيشكم لا تهجرينا»، والموشح ١٤٩.

(٢) انظر: (ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ١٣٧ ط صادر، الأغاني ١٠٥/٥).

(٣) سورة النساء الآية (٦٨).

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]

ومن ذلك قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ذكر أبو بكر أحمد بن موسى: أن فيها سبع قراءات: عليهم^(١)، وعليهم^(٢)، بضم الميم من غير إشباع إلى الواو، وعليهم^(٣)، بسكون الميم مع ضمة الهاء، وعليهم^(٤)، وعليهم بكسر الهاء وسكون الميم، وعليهم^(٥) بكسر الهاء وواو بعد الميم، وعليهم^(٦) مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو.

وزاد أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش^(٧) على ما قال أبو بكر ثلاثة أوجه،

(١) قراءة أبي عمرو، وابن كثير، وأبي جعفر، وابن أبي إسحاق، وقالون، وعيسى الثقفي، وابن محيصن، والأعرج، والخفاف، ومسلم بن جندب. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٢٤/١، إعراب القرآن للعكري ٦/١، البحر المحيط ٢٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٨/١، جمع البيان للطبرسي ٢٨/١، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٢٤، التبيان في تفسير القرآن ٤٣/١، والتيسير للداني ١٩).

(٢) قراءة ابن كثير، وقالون، والأعرج. انظر: (البحر المحيط لأبي حيان ٢٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٨/١، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٣٣/١، إعراب القرآن للعكري ٦/١، جمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٢٨/١).

(٣) قراءة حمزة، وأبي الحسن الأخفش، ويعقوب، والمطوعي، والشنوذي. انظر: (إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١، إعراب القرآن للعكري ٥/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٦/١، إتحاف فضلاء البشر ١٢٣، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٤٣١/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٦٣، الحجة لأبي زرعة ٨٠، السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفافسي ٦٣، جمع البيان للطبرسي ٢٨/١).

(٤) قراءة الحسن البصري، وعمرو بن فائد. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٢٤/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٦/١، إعراب القرآن للعكري ٥١/١، جمع البيان للطبرسي ٢٨/١).

(٥) قراءة ابن كثير، والأعرج، وقالون. انظر: (السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفافسي ٦٣، البحر المحيط ٢٦/١، الحجة لأبي زرعة ٨٠، شرح الكافية للرضي ١٢/٢).

(٦) قراءة الأعرج. انظر: (جمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٢٨/١، إعراب القرآن للعكري ٦١/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٧/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٩/١).

(٧) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ = ٨٣٠م): نحوى، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. ومن مصنفاته: «تفسير معاني القرآن»، «شرح أبيات المعاني»، «الاشتقاق»، «معاني الشعر»، «كتاب الملوك»، «القوافي». انظر: (وفيات الأعيان ٢٠٨/١، إنباه الرواة ٣٦/٢، بغية الوعاة ٢٥٨، مرآة الجنان ٦١/٢، نزهة الألبا ١٨٤، الأعلام ١٠٢/٣).

فصار الجميع عشرة أوجه. والثلاثة: عليهما^(١) بضم الهاء، وميم مكسورة بعدها ياء. وعليهم بضمه الهاء وكسرة الميم من غير إشباع إلى الياء، وعليهم^(٢) بكسر الهاء وكسرة الميم أيضا من غير بلوغ ياء. فتلك عشرة أوجه: خمسة مع ضم الهاء، وخمسة مع كسرها.

قرأ: «عليهم» ابن أبي إسحاق^(٣) ومسلم بن جندب والأعرج وعيسى الثقفي وعبد الله بن يزيد^(٤). وقرأ: «عليهم» الحسن، وعمر بن فايد، وروى عن الأعرج: «عليهم»، مكسورة الهاء، مضمومة الميم من غير بلوغ واو.

وقرأ: «عليهم»، مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو. رويت عن الأعرج أيضا. قال أبو الفتح: أما «عليهم» فهي الأصل؛ لأنها رسيمة عليهما في التثنية: أعنى: ثبات الواو كثبت الألف، وينبغي أن تعلم: أن أصل هذا الاسم المضممر الهاء، ثم زيدت عليها الميم، علامة لتجوز الواحد من غير اختصاص بالجمع، ألا ترى الميم موجودة في التثنية: «عليهما»؟، وأما الواو فلا خلاص الجمعية.

وأما «عليهم» فطريقه: أنه كسرت الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة، وضعف الهاء، فأشبهت لذلك الألف، لاسيما وهي تجاورها في المخرج. لا بل أبو الحسن يدعى أن مخرج الألف هو مخرج الهاء البتة. فكما أن الياء الساكنة إذا وقعت قبل الألف قلبتها ياء؛ نحو قولك في تحقير كتاب: كتيب. كذلك كسرت الهاء، فكان انكسار الهاء للياء قبلها تغييرا لحقها لهما، كما أن انقلاب الألف ياء لمكانها تغيير لحقها من أجلها، فصار

(١) قراءة أبي الحسن الأخفش. انظر: (البحر المحيط ٢٧/١).

(٢) قراءة الحسن البصري، وعمر بن فايد. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٩/١، إعراب القرآن للعكبري ١٥١/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٦/١).

(٣) عبد الله بن أبي إسحاق الزبيدي الحضرمي (٢٩ - ١١٧ هـ = ٦٥٠ - ٧٣٥ م): نحوي، من الموالى، من أهل البصرة. أخذ عنه كبار من النحاة كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي والأخفش. فرّع النحو، وقاسه، وكان أعلم البصريين به. انظر: (خزانة الأدب ١١٥/١، طبقات النحويين، الأعلام ٧١/٤).

(٤) عبد الله بن يزيد، أبو عبد الرحمن العدوي العمري (١٢٠ - ١٢٣ هـ = ٧٣٨ - ٨٢٨ م): مقرر. كان شيخ مكة وقارئها ومحدثها. درس علم القراءات في البصرة ثلاثين عاما، وفي مكة خمسة وثلاثين عاما. وبقي من آثاره خمس عشرة ورقة في الحديث، بعنوان: «أحاديث أبي عبد الرحمن مما وافق الإمام أحمد - خ» في الظاهرية. انظر: (العبر ٣٦٤/١، الأعلام ١٤٦/٤).

اللفظ بها من بعد عليهمو، فكرهوا الخروج من كسر الهاءِ إلى ضم الميم ثم الواو من بعدها، فكسروا الميم لذلك فصارت عليهمو، فانقلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها فصارت عليهمى.

ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فقال: «عليهم» فإنه لما انتهت به الصنعة إلى كسر الهاء احتمل الضمة بعد الكسرة؛ لأنها ليست بلازمة؛ إذ كانت ألف التثنية تفتحها، لكنه حذف الواو تفادياً من ثقلها مع ثقل الضمة التى تجشّمها.

ومن قرأ: «عليهم» بضم الهاء والميم، فإنه حذف الواو استخفافاً، واحتمل الضمة قبلها دليلاً عليها.

لكن من قال: «عليهمى» بهاء مضمومة، وياء بعد الميم ففيه نظر، وذلك أنه كُره ضمة الهاء وضمة الميم ووقوع الواو من ذلك كما كُره فى الاسم المظهر ووقوع الواو طرفاً بعد ضمة، وذلك نحو قولهم فى دَلُو وَحَقُو: أدل وأحق، وأصلها أفعل أدلّو وأحقّو، ككَلَب وأكَلَب؛ فأبدلوا من الضمة كسرة تطرقاً إلى قلب الواو، فصارت فى التقدير: أدلّو وأحقّو، فقلبت الواو ياء بعدز قاطع وهو: وقوع الكسرة قبلها، فصارت أدلى، وأحقى، وكذلك أبدلت ضمة الميم من «عليهمو» كسرةً فصارت عليهمو، فأبدلت الواو ياءً للكسرة قبلها فصارت عليهمى.

وأما «عليهم»، بكسرة الميم من غير ياء فإنه لما كانت الصنعة فيه إنما طريقها الاستخفاف - اكتفى بالكسرة من الياء.

وكذلك من قال: «عليهم»، بكسر الهاء مع ضم الميم اكتفى بالضمة من الواو، وقد ذكرناه، ومن قال: «عليهم»، بكسر الهاء والميم من غير ياء فإنه اكتفى بالكسرة أيضاً من الياء استخفافاً فأما قول الشاعر - ورويناه عن قطرب -:

فهمو بطانتهم وهم وزراؤهم وهم القضاء، ومنهم الحكام^(١)

(١) رواه فى الخصائص (١٣٤/٣) عن محمد بن محمد عن أحمد بن موسى عن محمد بن الجهم عن يحيى بن زياد.

قال بعده: فإن وقفت على «هم» من قوله: وهم القضاء، قلت: همى، وكذلك الوقوف على منهم الحكام: منهمى. فإن وقفت على «هم» من قوله: وهم وزراؤهم، قلت: همو؛ لأنك كذا رأيته فعل الشاعر لما قال فى أول البيت: فهمو، ففصلت بين حركة التقاء الساكنين وغيرها كما فصل، وإن شئت قلت: وهمى، تريد: وهم وزراؤهم وقلت: وهمو تريد: وهم القضاء، حملاً -

وروينا عنه أيضاً^(١):

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم هم الناس لما أخصبوا وتمولوا^(٢)
فقوله: وهم القضاة، ومنهم الحكام فيحتمل كسر الميم وجهين:
أحدهما: أن يكون حركه لالتقاء الساكنين.

والآخر: أن يكون على لغة من قال عليهمى، فحذف الياء لالتقاء الساكنين من اللفظ، وهو ينويها في الوقف.

ووجه ثالث: أن يكون على لغة من قال عليهم بكسر الميم من غير ياء.
وقوله: «هم الناس». يحتمل أيضاً هذه الأوجه الثلاثة.

وروينا عن قطرب أيضاً: عافاكم الله، ففيه أيضاً ما فيما قبله، واللغات في هذا ونحوه كثير.

* * *

= على قوله: فهم بطانتهم؛ لأنك إذا فعلت ذلك لم تعد أن حملت على نظير. وكلما جاز
شيء من ذلك عند وقفة التذكر جاز في القافية البتة على ما تقدم. انظر: (الخصائص
١٣٥، ١٣٤/٣).

(١) هو لعبرة بن الورد، وقد كان عروة بن الورد، إذا أصابت الناس سنة شديدة وتركوا في دارهم
الكبير والمريض والضعيف، يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته، في الشدة ويحفر لهم
الأسراب، ويكنف عليهم الكنف، ويكسوهم، ومن قوى منهم إما مريض يبرأ من مرضه، أو
ضعيف تنوب قوته، خرج به معه، فأغار وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيباً. وذات يوم
قيض له، وهو في ماوان، رجل صاحب ستة من الإبل قد فر بها من حقوق قومه، فقتله، وأخذ
إبله وامراته، وكانت من أحسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف، فحلبها لهم وحملهم
عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم. فقالوا: لا
واللات والعزى لا نرضى حتى نجعل المرأة نصيباً، فمن شاء أخذها. فجعل يهّم بأن يحمل عليهم
فيقتلهم، ويتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع، فأنكر
طويلاً ثم أحابهم إلى أن يرّد عليهم الإبل، إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا
ذلك عليه حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه، فقال عروة في ذلك، تلك
القصيدة التي مطلعها البيت المذكور. انظر: (ديوان عروة بن الورد ص ٥٩ ط دار صادر).

(٢) الكنيف: الحظيرة من الشجر، تحظر على الناس كما تحظر على الإبل، ففقهيم من الريح والبرد،
يريد: وجدتهم كالناس، وما زائدة. انظر: (هامش الديوان ص ٥٦).

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

ومن ذلك: قراءة أيوب السخيتاني^(١): «ولا الضَّالِّينَ» بالهمز^(٢).

قال أبو الفتح: ذكر بعض أصحابنا: أن أيوب سئل عن هذه الهمزة، فقال: هي بدل من المدة لالتقاء الساكنين. واعلم أن أصل هذه ونحوه: الضاللين، وهو «الفاعلون» من ضلَّ يضل، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الآخرة، فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدة الألف، واعتدلت وطأة المد، فكان ذلك نحواً من تحريك الألف؛ وذلك أن الحرف يزيد صوتاً بحركاته كما يزيد صوت الألف بإشباع مدته.

وحكى أبو العباس محمد بن يزيد^(٣) عن أبي عثمان^(٤) عن أبي زيد^(٥) قال: سمعت

(١) أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني البصري، أبو بكر (٦٦ - ١٣١ هـ = ٦٨٥ - ٧٤٨ م): سيد فقهاء عصره، تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثباتاً ثقة روى عنه نحو ٨٠٠ حديث. انظر: (تهذيب التهذيب ١/٢٩٧، حلية الأولياء ٣/٣، اللباب ١/٥٣٦، الأعلام ٣٨/٢).

(٢) انظر: (الكشاف للزخشري ١/١٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١٥١، البحر المحيط ٣٠/١، شرح المفصل لابن يعيش ٩/١٣٠، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للأشموني ١/٦٥، مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام ١/٢١٨، لسان العرب مادة «ضل») ١١/٣٩٠، الخصائص ٣/١٤٩).

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر التمانى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالميرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ = ٨٢٦ - ٨٩٩ م): إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه: «الكامل»، «المذكر والمؤنث»، «المقتضب»، «التعازي والمدائى». انظر: (بغية الرواة ١١٦، وفيات الأعيان ١/٤٩٥، سمط اللآلى ٣٤٠، السيرافى ٩٦، تاريخ بغداد ٣/٣٨٠، آداب اللغة ٢/١٨٦، لسان الميزان ٥/٤٣٠، طبقات النحويين ١٠٨ - ١٢٠، الأعلام ٧/١٤٤).

(٤) بكر بن محمد بن حبيب بن بقة، أبو عثمان المازنى (٢٤٩ هـ = ٨٦٣ م)، من مازن شيان، أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة، ووفاته فيها. له تصانيف. انظر: (وفيات الأعيان ١/٩٢، معجم الأدباء ٢/٢٨٠، السيرافى ٧٤، إنباه الرواة ١/٢٤٦، الأعلام ٢/٦٩).

(٥) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى (١١٩ - ٢١٥ هـ = ٧٣٧ - ٨٣٠ م): أحد أئمة الأدب واللغة. من أهل البصرة. ووفاته بها. كان يرى رأى القدرية. وهو من ثقات اللغويين، قال ابن الأنبارى: كان سيبويه إذا قال: «سمعت الثقة، عني أبا زيد». من تصانيفه كتاب: «النوادر» في=

عمرو بن عبید^(١) يقرأ: «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ»^(٢). قال أبو زيد: فظنته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول: شَابَّةٌ وَمَادَّةٌ وَدَابَّةٌ، وعليه قول كثير^(٣).

إِذَا مَا الْعَوَالِي بِالْعَبِيْطِ اَحْمَارَتْ

وقال^(٤):

وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فَتَجَلَّلَتْ بِيَاضًا وَأَمَّا بِيَضُهَا فَادَّهَأَمَتْ^(٥)

وقد ذكرنا من هذا الضرب في كتابنا الموسوم بالخصائص^(٦) ما فيه كفاية عن غيره.

ومن ضريف حديث إبدال الألف همزة ما حكاه اللحياني من قول بعضهم في الباز: الباز بالهمز. ووجه ذلك: أن الألف ساكنة وهي مجاورة لفتحة الباء قبلها وقد أرينا في كتاب الخصائص وغيره من كتبنا: أن الحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تنزله

= اللغة، «الهمز»، «المطر»، «اللبا واللبن»، «المياه»، «خلق الإنسان»، «لغات القرآن»، «الشجر». انظر: (وفيات الأعيان ٢٠٧/١، جمهرة الأنساب ٣٥٢، السيرافي ٥٢، تاريخ بغداد ٧٧/٩، نزهة الألبا ١٧٣، إنباه الزواة ٣٠/٢ - ٣٥، الأعلام ٩٢/٣).

(١) عمرو بن عبید التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري (٨٠ - ١٤٤ هـ = ٦٩٩ - ٧٦١ م): شيخ المعتزلة في عهده، ومفتيها. انظر: (وفيات الأعيان ٣٨٤/١، أخبار أصبهان ٣٣/٢، البداية والنهاية ٧٨/١٠، ميزان الاعتدال ٢٩٤/٢، الأعلام ٨١/٥).

(٢) سورة الرحمن الآية (٧٤).

(٣) ورد البيت في الديوان ٩٧/٢:

وأنت ابن ليلي خير قومك مشهداً إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

وهكذا ورد البيت في اللسان «حنن»، وهو من قصيدة في مدح عبدالعزيز بن مروان وهذه هي الرواية المذكورة في الخصائص انظر: (الخصائص ١٢٨/٣ وهامشه).

(٤) أي كثير، من قصيدة في مرثية عبدالعزيز بن مروان، وقبلة - وإن لم يكن على ترتيب الديوان :-

عجبت لأن النائحات وقد علت مصييته فهذا فعمت وصمت
نعين ولو أسمعنا أعلام صندد وأعلام رضوى ما يقلن ادرهمت

(٥) وهو يريد بتجلل الأرض بياضا واسواداد بياضا اضطرابها أو يريد أن قبورها أصبحت بياضا به، وظهرها أصبح أسود بزواله عنه. وفي الديوان المطبوع بتحقيق د. إحسان عباس عام ١٩٧١ م ص ٣٢٣. «أدهأمت»، بدلا من «أسوأدت». انظر: (هامش الخصائص ١٢٥/٣).

(٦) انظر: (الخصائص ١٤٧/٣ وما بعدها).

العرب منزلة المتحرك بها؛ من ذلك قولهم في الوقف على بكر: هذا بكر ومررتُ بـبكر
ألا ترى حركتي الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها. ومنه قول جرير^(١):

لَحَبَّ الموقدانِ إلى موسى^(٢)

فهمز الواو في الموضعين جميعاً، لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما، فصارت الضمة
كأنهما فيهما؛ والواو إذا انضمت ضمّاً لازماً فهمزها جائز، نحو: «أَقَّتْ» في «وَقَّتْ»،
وَأَجَوْه في «وَجَوْه»، ونظائر ذلك كثيرة^(٣).

وكذلك الفتحة قبل الألف في باز لما جاورتها صارت على ما ذكرنا كأنها فيها،
والألف إذا حركت هُمزت على ما ذكرنا في «الضَّالِّينَ» و«جَأَنَّ» فهذا وجهه.

فإن قلت: فقد حكى أيضاً جمعه بـتزان بالهمز، فصارت لذلك كـرأل ورئلان، فما
أنكرت أن يكون ذلك لغة في الباز لا على البدل الذي رُمته؟.

قيل هذا وجه يُذهب إلى مثله، لكننا لم نسمع الهمز في هذا الحرف أصلاً إلا في هذه
الحكاية، والواو فيه هي الشائعة المستفيضة.

حدثنا أبو علي قال: قال أبو سعيد الحسن بن الحسين^(٤) يقال: بأز، وثلاثة أبواز

(١) من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك، ومطلعها:

عفا النسران بعدك والوحيد ولا يبقى لجدته جديد

انظر: (ديوان جرير ١١٥).

(٢) وفي المطبوع من الديوان: «لحب الموقدانِ إلى موسى». انظر: (ديوانه ١١٦) وعجزه: «وجعدة
إذا أضاءها الوقود». وقبل البيت:

نظرنا نار جعدة هل نراها! أبعد غال ضوءك أم همود

وجعدة ابنته، وموسى ابنه. انظر: (الديوان ١٤٧)، شواهد المغنى السيوطي ٣٢٥، خزنة الأدب
١٠٥٢/٢، الخصائص ١٧٧/٢، ١٤٨/٣، ١٧١، ٢٢٢، شرح شواهد الشافية ٤/٤٢٩، وأثر
الجوار في البيت إبدال الواو في (الموقدان) و(موسى) همزة لجاورتها للضمة قبلها، فكأنها
مضمومة، والهمزة يجوز في الواو المضمومة؛ نحو أجوه في وجوه، وأقتت في وقتت. وانظر
المعنى، في القاعدة الثانية من الباب الثامن انظر: (هامش الخصائص ١٧٧/٢، والخصائص
٢٢٢/١٥١/٣).

(٣) انظر: (الخصائص ١٥١/٣).

(٤) الحسن بن الحسين بن عبيد الله العنكي السكري، أبو سعيد (٢١٢ - ٢٧٥ هـ = ٨٢٧ -
٨٨٨ م): عالم بالأدب، راوية، من أهل البصرة جمع أشعار كثير من الشعراء، كما روى القيس، -

فإذا كثرت فهي البيزان.

وقالوا: بازٍ وبَوَازٍ وبُزاةٍ؛ فباز وبزاة كغزازٍ وغزاة، وهو مقلوب الأصل الأول، وأنشدنا لذي الرمة:

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهِ كُلِّ سُدُقَةٍ^(١) صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ الْوَوَائِكِ^(٢)
وقالوا في تصريفه: بزافلان ييزو إذا غلب، فكأن البازي اسم الفاعل في الأصل،
ثم خص به هذا الجارح على وجه التسمية به له، كما أن الصاحب في أصله اسم
الفاعل من صحب، ثم خص بالتسمية به، ونُسي أصل وصفيته.

وكما أن الوالد كذلك، فقد ترى إلى سعة تصرف هذا الأصل على الواو. ولم
نسمع في تصرفه شيئاً من الهمز غير هذه الحكاية من هذه الجهة، على ما يقال في
صاحبها.

وحدثني أبو علي قال: قال أبو بكر^(٣) في نوادر اللحياني: إنه لا يترقى بهما
السماع إليه. وعلى أنه قد يمكن في الباز ما ذكرناه فلما سُمع فيه بأز بالهمز أشبه في
اللفظ رألاً، فقيل في تكسيره: بزان، كما قيل رثلان. وإذا جاز استمرار البدل في نحو
عيد وأعياد، وإجراؤه مجرى قِيلَ وأُقِيْلَ مع أن البدل في حرف المد الذي لا يكاد يُعْتَدُ

= والنابعة، وزهير، والخطيئة. وجمع أخبار بعض القبائل وأشعارها من تصانيفه: «شرح ديوان
بحران - خ»، «أخبار اللصوص - ط»، «شرح ديوان الشعراء الهذليين - ط»، «شرح ديوان كعب
بن زهير - ط»، «شرح ديوان الفرزدق - خ». انظر: (إرشاد الأريب ٢/٦٢ - ٦٤، آداب اللغة
١٦٩/٢، تاريخ بغداد ٧/٢٩٦، إنباه الرواة ١: ٢٩١، الأعلام ٢/١٨٨).

(١) ورد في الخصائص ٧/١: «كأن على أنيابه سُدُقَة».

وهو في أسرار البلاغة ٧٢ وفيه: «سحرة» مكان «سُدُقَة»، وهو أيضاً في الكامل ٧/١٦ طبعة
المجمع: ويقول المجمع: إن الصواب «أنياه» إذ هو في وصف بعير، وكذلك هو في الديوان طبعة
أوريه ٤١٨ انظر: (هامش الخصائص ٧/١).

(٢) السدفة: الظلمة، اللوائك: يريد المواضع من الأسنان، وهو في وصف إبل.

(٣) محمد بن السري بن سهل، أبو بكر (٣١٦هـ = ٩٢٩م): أحد أئمة الأدب والعربية. من أهل
بغداد. كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا. ويقال: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله
مات شاباً. من كتبه: «الأصول» في النحو، و«شرح كتاب سيبويه» و«الشعر والشعراء» و«الخط
والهجاء» و«المواصلات والمذكرات» في الأخبار، و«الموحز في النحو والعروض». انظر: (بغية
الوعاء ٤٤، الوفيات ١/٥٠٣، طبقات النحويين واللغويين ١٢٢، الوافي ٣/٨٦، نزهة الألبا
٣١٣، الأعلام ٦/١٣٦).

البدل فيه للضعف - فأن يجوز استمرار هذا في الهمزة لأنها أقوى، فالأمر لذلك فيها أثبت وأحرى وأجدر؛ ألا ترى أنهم قالوا في تحقير قائم: قَوَيْتُمْ، فأثبتوا همزه كما أثبتوا همزة سائل من سأل؟ وقالوا في تحقير أدور: أدَيْثِر، فأجروها بحرى همزة أُرُوس. ولو كان مكان هذه الهمزة واو مبدلة من ياء لما ثبتت، وذلك قولك في تحقير عُوْطَط: عَيْطَط، ولا تقرُّ الواو وإن كانت عينا.

وكذلك لو كسرت الطوبى والكوسى على فُعَل، لقلت: الطَّيِّب والكَيِّس.

ولو كسرتهما على مثل حُبلى وحبالى لقلت: طَيَّابى وكَيَّاسى.

وعلى هذا قالوا في تكسير ريح: أرواح، فلم يحفلوا بانقلاب العين من ريح؛ لأن العمل إنما هو في الواو ليست لها عصمة الهمزة.

فأما ما حُكى عن عُمارة من قوله في تكسير ريح أرياح، وعلى أن اللحياني أيضا قد حكى هذا - فمردود عندنا، ومنعى عليه في آرائنا.

قال أبو حاتم^(١) - وقد أغلظ في ذلك - أنكرتها على عمارة، قال: فقال لى: قد قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢) قال: ولم يعلم عمارة أن الياء في الرياح بعد كسرة فهذا أمر قاد إليه همزُ أيوب «الضالين».

وفيه أكثر من هذا، ولولا تنكُّب الإطالة كراهية الإملال والسَّامة لأتينا به، وعلى أنه مثبت في أماكن من تأليفنا وإملائنا.

* * *

(١) انظر: (الخصائص ٢٩٧/٣).

(٢) سورة الحجر الآية (٢٢).

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

ومن ذلك قراءة «أَنذَرْتَهُمْ»، بهمزة واحدة من غير مد^(١).

قال أبو الفتح: هذا مما لا بد فيه أن يكون تقديره: «أَنذَرْتَهُمْ»، ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفاً لكراهة الهمزتين؛ ولأن قوله: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ» لا بد أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولجئء أم من بعد ذلك أيضاً، وقد حُذفت هذه الهمزة في غير موضع من هذا الضرب. قال^(٢):

فأصِبحْتُ فيهِم آمناً لا كَمِعرٍ أَتُونِي فقالوا: مِن رَّبعة أم مضر^(٣)؟
فيمَن قال: أم؛ أي: أَمِن رَّبعة أم مضر؟
ومن أبيات الكتاب^(٤):

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً شِيعْتُ بنُ سَهم أم شِيعْتُ بنُ مِنقر
وقال الكمي^(٥):

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لَعباً مني وذو الشيب يلعبُ

(١) قراءة ابن كثير، والزهرى، وابن محيصن. انظر: (الكشاف ٢٦/١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تفسير الفخر الرازي ١٧٨/١، الحجة لأبي زرعة ٨٦، الأشباه والنظائر ٤١/١، حاشية الخضرى ٦٣/٢.

(٢) أى عمران بن حطان، وهو من شعر يقوله فى قوم من الأزْد نزل بهم متكرراً ويشكر صنيعهم معه. انظر: (الكامل ٨٧/٧)، الخصائص لابن جنى ٢٨٣/٢.

(٣) انظر النص فى: (الخصائص ٢٨٣/٢).

(٤) نُسبه فى الكتاب (١٧٥/٢) للأسود بن يعفر. انظر: (الكامل ٣٨٠، ٥٣٧، الخزائن ٤٥٠/٤، العيني ١٣٨/٤، شرح شواهد المغنى ٥١، مع الهوامع ١٣٢/٢، شرح التصريح ١٤٣/٢، شرح الأشموني ١٠١/٣، ١٠٢).

(٥) هذا مطلع إحدى هاشمياته انظر البيت فى: (الخصائص ٢٨٣/٢، العيني ١١١/٣، هامش الخصائص ٢٨٣/٢).

قيل: أراد: أوذو الشيب يلعب؟^(١).

وقالوا في قول الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢)؛ أراد: أو تلك نعمة؟. وقال^(٣):

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا بسبع رَمِينِ الجمر أم بثمان^(٤)؟
يريد: أبسبع؟.

وعلى كل حال فأخبرنا أبو عليّ. قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس؛ وذلك أن الحرف نائب عن الفعل وفاعله. ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت «ما» عن «أنفى»، كما نابت «إلا» عن «أستثنى»، وكما نابت الهمزة وهل عن «أستفهم»، وكما نابت حروف العطف عن أعطف، ونحو ذلك. فلو ذهبت تحذف الحرف لكان ذلك اختصارا، واختصار المختصر إجحاف به، إلا أنه إذا صح التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه.

فإن قيل: فلعله حذف همزة «أنذرتهم» بحىء همزة الاستفهام، فكان الحكم الطارئ على ما يشبه هذا من تعاقب ما لا يجمع بينه.

قيل: قد ثبت جواز حذف همزة الاستفهام على ما أرينا في غير هذا، فيجب أن يحمل هذا عليه أيضا.

وأما همزة أفعل في الماضى فما أبعد حذفها!، فليكن العمل على ما تقدم بإذن الله.

* * *

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾

ومن ذلك قراءة: أبى طالوت عبد السلام بن شدّاد، والجارود بن أبى سبرة «وما

(١) انظر: (الخصائص ٢/٢٨٣).

(٢) سورة الشعراء الآية (٢٢).

(٣) أى عمر بن أبى ربيعة من قصيدة قالها فى عائشة بنت طلحة، مطلعها:

لقد عرضت لى بالخصب من منى مع الحجّ شمسٌ سترتُ بيمان

انظر: (ديوانه ٣٩٩، خزنة الأدب ٤/٤٤٧، الكتاب ٣/١٧٥، أمالى ابن الشجرى ١/٢٦٦،

٣٣٥/٢، شرح ابن يعيش ٨/١٥٤، العينى ٤/١٤٢، مع الهوامع ٢/١٣٢).

(٤) وقع فى المطبوع من الديوان:

فوالله ما أدرى وإنى لحاسب بسبع رميت الحجر أم بثمان

يُخَذُّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»^(١)، بضم الياء وفتح الدال.

قال أبو الفتح: هذا على قولك: خدعتُ زيداً نفسه؛ ومعناه عن نفسه، فإن شئت قلت على هذا: حُذِفَ حرفُ الجر، فوصل الفعل. كقوله عز اسمه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾^(٢) أى: من قومه، وقوله: ^(٣)

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ^(٤)

أى: بالخير. وإن شئت قلت: حملته على المعنى؛ فأضمر له ما ينصبه، وذلك أن قولك: خدعتُ زيداً عن نفسه يدخله معنى: انتقصته نفسه، وملكتُ عليه نفسه، وهذا من أسدِّ وأدمث مذاهب العربية، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه إليه، ويصرفه بحسب ما يؤثره عليه. وجملة: أنه متى كان فعل من الأفعال فى معنى فعل آخر فكثيراً ما يُجرى أحدهما مُجرى صاحبه، فيُعَدَّلُ فى الاستعمال به إليه، ويحتذى فى تصرفه حذو صاحبه، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه. ألا ترى إلى قول الله جل اسمه: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾^(٥)؟ وأنت إنما تقول: هل لك فى كذا؟ لكنه لما دخله معنى: أجبك إلى كذا وأدعوك إليه. قال: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾؟ وعليه قول الفرزدق:

كيف ترانى قاليا مجنى قد قتل الله زيادا عنى^(٦)

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٥٧، الكشف للزمخشري ١/٣٢، الإنصاف (بمناشئة الكشاف) لابن النمر الإسكندري ١/٣٢، الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١، تفسير الفخر الرازي ١/١٩٢).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٥).

(٣) عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

(٤) تمامه:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مالٍ وذا نَشَبٍ

انظر: (الكتاب ١/٣٧، خزنة الأدب ١/١٦٤، ١/١٦٦).

(٥) سورة النازعات الآية (١٨).

(٦) ورد فى الخصائص (٢/٢١٣):

كيف ترانى قاليا مجنى أضربُ أمرى ظهره لليطن

قد قتل الله زيادا عنى

قال بعده:

لما كان معنى قد قتله قد صرفه، عندها بنعن

انظر: (الخصائص ٢/٢١٣).

فاستعمل «عن» هاهنا لما دخله من معنى قد صرفه الله عنى؛ لأنه إذا قتله فقد صُرف عنه.

وعليه قوله تعالى: ﴿أَحْلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نَسَائِكُمْ﴾^(١) وأنت لا تقول: رفئتُ إلى المرأة، وإنما تقول: رفئتُ بها ومعها. لما كان الرفث بمعنى الإفشاء عُدى بـإلى كما يعُدَّى أفضيت بـإلى، نحو قولك: أفضيت إلى المرأة. وهو باب واسع ومنقاد، وقد تقصيناه فى كتابنا «الخصائص»^(٢). فكَذلك قوله عز وجل: «وَمَا يُخَذَّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»، جاء على خذعته نفسه لما كان معناه معنى انتقصته نفسه، أو تخونته نفسه. ورأيت أبا على رحمه الله يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي فى قوله^(٣):

إِذَا رَضِيتَ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

لأنه قال: عدى رضيت بعلى، كما يعدى نقيضها وهى سخطت به، وكان قياسه: رضيت عنى، وإذا جاز أن يجرى الشيء بجرى نقيضه فإجراؤه بجرى نظيره أسوغ. فهذا مذهب الكسائي وما أحسنه! وفيه غيره على سم ما كنا بصدد، وذلك أنه إذا رضى عنه فقد أقبل عليه؛ فكأنه قال: إذا أقبلت على بنو قشير. وهو غور من أنحاء العربية طريف ولطيف ومصون وبطين.

* * *

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ

ومن ذلك قال ابن دريد^(٤) عن أبى حاتم، عن الأصمعى، عن أبى عمرو: «فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»^(٥) ساكنة.

(١) سورة البقرة الآية (١٨٧).

(٢) انظر: (الخصائص ٢/٣١٠، ٣١٣).

(٣) أى: القحيف العقيل، بمدح حكيم بن المسيب القشيري. انظر: (النوادر ١٧٦)، خزانة الأدب ٢٤٧/٤، الخصائص ٢/٣١٣ وهامشه.

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالى بنى شيبان، أبو عبد الله (١٣١ - ١٨٩ هـ = ٧٢٨ - ٨٠٤ م): إمام بالفقه والأصول، وهو الذى نشر علم أبى حنيفة. أصله من قرية حرسة، فى غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، له كتب كثيرة فى الفقه والأصول. انظر: (الفهرست ٢٠٣/١، الفوائد البهية ١٦٣، الوفيات ٤٥٣/١، البداية والنهاية ٢٠٢/١٠، الجواهر المضية ٤٢/٢، ذيل المذيل ١٠٧، لسان الميزان ١٢١/٥، النجوم الزاهرة ١٣٠/٢، لغة العرب ٢٢٧/٩، تاريخ بغداد ١٧٢/٢ - ١٨٢، الأعلام ٨٠/٦).

(٥) انظر: (الكشاف للزمخشري ٣٢/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٧/١، البحر المحيط لأبى حيان ٥٨/١، اللسان مادة «مرض»، جمهرة اللغة لابن دريد مادة «رضم»).

قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون «مَرَضٌ» مخففاً من مَرَضٍ؛ لأن المفتوح لا يخفف، وإنما ذلك في المكسور والمضموم كإبل وفخذ، وطنب وعَضُد، وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذ لا يقاس عليه، نحو قوله:

وما كل مبتاع ولو سلف صفقه يراجع ما قد فات به برداد^(١)
يريد: سَلَفٌ، فأسكن مضطراً. وعلى أننا قد ذكرنا هذا في كتابنا الموسوم «بالمُنصف»^(٢)، وهو شرح تصريف أبي عثمان، وهذا ونحوه قد جاء في الضرورة والقرآن يتخير له ولا يتخير عليه.

وينبغي أن يكون «مَرَضٌ» هذا الساكن لغة في مَرَضٍ المتحرك، كالحلب والحلب، والطرْد والطرْد، والشلل والشلل، والعيب والعياب، والذيم والذام. وقد دللنا في كتابنا اختصاص على تفاوت الفتحة والسكون، ولأنهما يكادان يجريان مجرى واحداً في عدة أماكن.

منها أن كل واحد منهما قد يُفَزَعُ ويُسْتَرَوَحُ إليه من الضمة والكسرة؛ ألا تراهم قالوا في غُرُفَاتٍ ونحوها: تارة غُرُفَاتٍ بالفتح وأخرى غُرُفَاتٍ بالسكون، كما قالوا في

(١) انظر: (المُنصف ٢١/١) ويروى صدره: «وما كل مغبون ولو سلف صفقه»، والمغبون الذي يخذع وينقص منه في الثمن أو غيره، وسلف بسكون اللام أصله سلف بفتحها فسكنها حين اضطره الوزن إلى ذلك، ومعناه مضى ووجب، وصفقه مصدر مضاف إلى ضمير المبتاع أو المغبون، والصفق إيجاب البيع، وأصله أن البائع والمشتري كان أحدهما يضرب على يد الآخر، والباء في براجع زائدة، ويروى يراجع «وهي رواية المحتسب» «فعلاً مضارعاً» فاعله ضمير المبتاع أو المغبون، والرداد بكسر الراء وفتحها فسخ البيع. انظر: (شرح شواهد الشافية على هامش شرح الشافية ٤٤/١).

(٢) قال ابن جنى: قالوا: أراد سَلَفٌ ولكنه اضطرب فخفف المفتوح، وهذا عندهم من الشاذ، فهذا ما قال أصحابنا فيه، ويحتمل عندي وجهاً آخر، وهو أن يكون مخففاً من فِعَلٍ المكسور العين، ولكنه فِعْلٌ غير مستعمل إلا أنه تقدير الاستعمال وإن لم ينطق به، كما أن قولهم: «تفرقوا عبادي وشماطيظ» كأنهم قد نطقوا فيه بالواحد من هذين الجمعين وإن لم يكن مستعملاً في اللفظ، فكأنهم استغنوا بسلف هذا المفتوح عن ذلك المكسور أن ينطقوا به غير مسكن وإذا كانوا قد جاءوا بجمع لم ينطقوا بها بأحد، مع أن الجمع لا يكون إلا عن واحد، فإن يستغنى بفعل عن فعل من لفظه ومعناه - وليس بينهما إلا فتحة عين هذا وكسرة عين ذاك - أحدر وأرى أنهم استغنوا بالمفتوح عن المكسور لخفة الفتحة فهذا ما يحتمله القياس وهو أحسن من أن تحمل الكلمة على الشذوذ ما وجدت لها ضرباً من القياس. انظر: (المُنصف ١٢/١، ٢٢).

سِدَرَات تارة: سِدَرَات بالفتح، وأخرى: سِدَرَات بالسكون.

وأَجَرُوا أَيْضاً الْيَاءَ الْمَفْتُوحَةَ فِي اقْتِضَائِهَا الْإِمَالَةَ بِجَرَى الْيَاءِ السَّاكِنَةِ، فَأَمَالُوا نَحْو: السَّيَالِ وَالصَّبَّاحِ^(١)، كَمَا أَمَالُوا نَحْو: شَيْبَانَ وَقَيْسَ عَيْلَانَ، وَقَالُوا: ضَرْبُ يَدِهَا، فَأَمَالُوا فَتَحَةَ الدَّالِ لِلْيَاءِ الْمَفْتُوحَةِ، وَقَالُوا أَيْضاً فِي تَكْسِيرِ جَوَادٍ: جِيَادٍ، فَأَعْلَوْا الْعَيْنَ كَمَا أَعْلَوْهَا فِي ثَوْبٍ وَثِيَابٍ، فَأَجَرُوا «وَاو» جَوَادٍ بِجَرَى «وَاو» ثَوْبٍ. وَقَالُوا: مَرَضٌ مَرَضًا فَهُوَ مَارِضٌ، كَمَا قَالُوا: حَرَدَ حَرْدًا فَهُوَ حَارِدٌ، وَالْفَعْلُ كَالْأَصْلِ فِي مَصَادِرِ الثَّلَاثِيَةِ لِأَسِيْمَا فِي الْمُتَعَدَّى مِنْهَا، وَالْمُتَعَدَّى أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِ الْمُتَعَدَّى؛ فَلِذَلِكَ سَاغَ فِيهَا فَعْلٌ.

وإنَّما كَانَ الْمُتَعَدَّى أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ قَبْلِ أَنَّ الْفِعْلَ قَدْ يَكُونُ حَدِيثًا عَنِ الْمَفْعُولِ بِهِ نَحْوَ ضَرْبِ زَيْدٍ، كَمَا يَكُونُ حَدِيثًا عَنِ الْفَاعِلِ نَحْوَ قَامَ زَيْدٌ، فَكَمَا لَا بَدَّ لِلْفِعْلِ مِنْ الْفَاعِلِ فَكَذَلِكَ كَثُرَ الْمُتَعَدَّى؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَسْبِيًّا إِلَى أَنَّ يَكُونُ الْفِعْلُ حَدِيثًا عَنِ الْمَفْعُولِ.

* * *

أَوَّلِيكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ تَجَدَّرْتُهُمْ ﴿١٦﴾

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ^(٢) وَابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَأَبَى السَّمَالِ: «اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ»^(٣).

(١) انظر: (الكتاب ٤/١٢٢) وفيها السَّيَالِ والضَّيَاحِ.

(٢) يحيى بن يعمر الوشقى العدواني، أبو سليمان (١٢٩هـ = ٧٤٦م): أول من نقط المصاحف. ولد بالأهواز. وسكن البصرة. وكان من علماء التابعين، عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب، من كتاب الرسائل الديوانية، وفي لغته إغراب وتقعير. أدرك بعض الصحابة. وأخذ اللغة من أبيه، والنحو عن أبي الأسود الدؤلي، وكان فصيحاً، ينطق بالعربية المحضة، طبيعة فيه، غير متكلف، وتشيع لأهل البيت من غير انتقاص لفضل غيرهم. انظر: (الإرشاد ٧/٢٩٦)، الجهشاري ٤١ - ٤٢، وفيات الأعيان ٢/٢٢٦، تهذيب التهذيب ١١/٣٠٥، نزهة الألبا ١٩، طبقات النحويين ٢٢، بغية الوعاة ٤١٧، مرآة الجنان ١/٢٧١، رغبة الأمل ١/٢٣٤، ٣/١٤٢، النجوم الزاهرة ١/٢١٧، الأعلام ٨/١٧٧).

(٣) انظر: (الخصائص لابن جني ٢/٣٣٧، ٣/١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢١٠، مجمع البيان للطبرسي ١/٥٢، معاني القرآن للأخفش ١/٥٠١، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ١/٨٢، إعراب القرآن للنحاس ١/١٤٢، البحر المحيط لأبي حيان ١/٧١، إعراب القرآن للعكبري ١/١٢، الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٧٠، جمع الجوامع للسيوطي ١/١٨٢).

قال أبو الفتح، في هذه الواو ثلاث لغات: الضم، والكسر، وحكى أبو الحسن فيها الفتح: «اشترُوا الضلالة»^(١)، ورويناه أيضا عن قُطْرُب، والحركة في جميعها لسكون الواو وما بعدها، والضم أَفْشَى، ثم الكسر، ثم الفتح.

وإنما كان الضم أقوى لأنها واو جمع، فأرادوا الفرق بينها وبين واو «أو»، و«لو»؛ لأن تلك مكسورة، نحو قول الله سبحانه: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، ومنهم من يضمها^(٣)، فيقول: «لَوْ أَطْلَعْتَ» كما كَسَرَ أَبُو السَّمَّال وغيره من العرب واو الجمع تشبيها لها بواو «لو».

وأما الفتح فأقلها، والعذر فيه خفة الفتحة مع ثقل الواو، وأيضا فإن الغرض في ذلك إنما هو التبليغ بالحركة لاضطرار الساكنين إليها، فإذا وقعت من أى أجناسها كانت - أفتعت في ذلك كما روينا عن قُطْرُب من قراءة بعضهم: «قَمَ اللَّيْل»^(٤) بالفتح^(٥)، و«قُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ»^(٦) وبيع الثوب.

قال: وقيس تقول: «اشترءوا الضلالة»^(٧). قال: وقال بعض العرب: عصتوا الله مهموزة.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون ذلك على إجراء غير اللازم مجرى اللازم، وقد كتبنا في هذا بابا كاملا في الخصائص^(٨)، وذلك أنه شبه حركة التقاء الساكنين - وليست بلازمة - بالزمة اللازمة في «أفتت» وأدور وأجوه، إلا أن همز نحو «اشترءوا الضلالة» من ضعيف ذلك.

(١) قراءة أبي السمال قعنب العدوى، وقع في البحر المحيط ٧١/١: أبو السماك وهو تصحيف، وأبى الحسن، وأبى زيد الأنصارى. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٠/١، البحر المحيط لأبى حيان ٧١/١، إعراب القرآن للنحاس ١٤٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٢/١، الخصائص لابن جنى ٣٣٧/٢، ١٣٤/٣، همع الهوامع للسيوطى ١٨٢/١ الأشباه والنظائر للسيوطى ١٧٠/١).

(٢) سورة الكهف الآية (١٧).

(٣) قراءة المطوعى. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٥).

(٤) سورة المزمل الآية (٢).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٣٦٠/٨).

(٦) سورة الكهف الآية (٢٩)، وهى قراءة أبى السمال. انظر: (البحر المحيط ١٢٠/٦).

(٧) قراءة الكسائى. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٤٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٢/١).

(٨) انظر: الخصائص (٨٩/٣: ٩٥) «باب في إجراء اللازم مجرى غير اللازم وإجراء غير اللازم مجرى اللازم».

ولو وقفت مستذكرا وقد ضمنت الواو - لقلت: اشترووا، ففصلت ضمة الواو فأنشأت بعدها واوا؛ كأنك تستذكر «الضلالة» أو نحوها فتمد الصوت إلى أن تذكر الحرف. ولو استذكرت وقد كسرت لقلت: اشتروى، فأنشأت بعد الكسرة ياء. ولو استذكرت وقد فتحت الواو لقلت: اشتروا، كما أنك لو استذكرت بعد من، وأنت تريد الرجل ونحوه لقلت: منا؛ لأنك أشبعت فتحة من الغلام، وفي منذ: منذو، وفي هؤلاء، هؤلاءى.

وحكى صاحب الكتاب: أن بعضهم قال فى الوقف: قالوا، وهو يريد قال. وحكى أيضا: هذا سيفنى كأنه استذكر بعد التنوين، فاضطر إلى حركته فكسره، فأحدث بعده ياء. ولو استذكرت مع الهمز لقلت: اشتروا، فالواو بعد الهمزة واو مَطْلُ الضمة، وليست كواو قولك: اجترؤا، وأنت تريد افعلوا من الجرأة.

* * *

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى السَّمَّال: «وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ»، ساكنة اللام. قال أبو الفتح: لك فى ظُلُمَاتٍ وكِسِرَاتٍ: ثلاث لغات: إِتباع الضم الضم، والكسر الكسر، ومن استقل اجتماع الثقيلين فتارة يعدل إلى الفتح فى الثانى يقول: ظُلُمَاتٍ وكِسِرَاتٍ، وأخرى يسكن فيقول: ظُلُمَاتٍ وكِسِرَاتٍ، وكل ذلك جائز حسن. فأما فَعْلَةٌ بالفتح فلا بد فيه من التثقيب إِتباعا، فتقول: ثَمَرَةٌ وَثَمَرَاتٍ، قال (١): ولما رأونا بادياً رُكْبَاتُنَا على موطن لا نخلط الجِدَّ بالهَزَل (٢) وقال النابغة (٣):

- (١) انظر: (الكتاب ٥٧٩/٣، المختضب ٨٩/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٢٩/٥).
(٢) كذا ضبط فى الطبعة السابقة من المحتسب ٥٦/١، وضبط فى الكتاب ٥٧٩/٣ «بالهَزَل» قال الشيخ عبدالسلام هارون: والهزل بالتحريك: لغة فى الهزل.
بدو الركبة: كناية عن التأهب للحرب، والكشف عن السوق فيها، على موطن من مواطن الحرب يجد من يحضره ولا يهزل.
(٣) من قصيدة نظمها يعتذر إلى النعمان أبى قابوس ويرر اتصاله بالغساسنة، وينفى الخيانة عن نفسه، مطلعها:

أرسما جديداً من سعاد تجنب عفت روضة الأجداد منها فينقب

انظر: (ديوانه ٣٩ ط دار الهلال بيروت).

وَمَقْعَدُ أَيْسَارٍ عَلَى رُكَبَاتِهِمْ وَمَرْبُطُ أَفْرَاسٍ وَنَادٍ وَمَلْعَبٌ
وَعَلَيْهِ قِرَاءَةُ أَبِي جَعْفَرٍ: «مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ»^(١).
وقال بشر:

حتى سقيناهاهم بكأس مرة مكروهة حُسَوَاتِهَا كَالْعَلِيقِ
وقد أَسَكَّنُوا المَفْتُوحَ، وهو ضرورة، قال لبيد^(٢):
رُحِّلْنِ لَشَقَّةٍ وَنُصِبْنِ نَصْبًا لَوَغْرَاتِ الْهَوَاجِرِ وَالسَّمُومِ^(٣)
وقال ذو الرمة^(٤):

أَبَتْ ذَكَرٌ عَوْدَنْ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوفًا وَرَفُضَاتُ الْهَوَى فِي الْمَفَاصِلِ
روينا ذلك كله، وروينا أيضا أن بعض قيس قال: ثلاث ظبيات، فأسكن موضع العين. وروينا عن أبي زيد أيضا عنهم: شربة وشريبات وهو الخنظل، والتسكين عندي في هذا أسوغ منه في نحو رُفُضَاتٍ ووَغْرَاتٍ، من قَبْلِ أَنْ قَبْلَ الْأَلْفِ ياء محركة مفتوحا ما قبلها، وهذا شرط اعتلالها بانقلابها ألفا، وتحتاج أن تعتذر من ذلك بأن تقول: لو قلبت ألفا لوجب حذفها لسكونها وسكون الألف بعدها، وليس في نحو رُفُضَاتٍ ما يوجب الاعتذار من الحركة، وكان رُفُضَاتٍ أقرب مأخذا من ثمرات من قَبْلِ أَنْ رُفُضَاتٍ حدث ومصدر، والمصدر قوى الشبه باسم الفاعل الذي هو صفة، والصفة لا تحرك في نحو هذا، نحو: صعبة وصعبات، وخَذَلَةٌ وخَذَلَاتٌ.

ويدلك على قوة شبه المصدر بالصفة وقوع كل واحد منهما موقع صاحبه، وذلك نحو قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾^(٥) أي: غائرا، وقولهم: قم قائما؛ أي قياما، وعليه قول الفرزدق^(٦):

(١) سورة الحجرات الآية (٤).

(٢) من قصيدة للبيد يفتخر بماثره ويذكر مبلغ سخائه وسخاء قومه، مطلعها:

رَأَيْتُنِي قَدْ شَحِبْتُ وَسَلَّ جَسْمِي هَلَابِ النَّازِحَاتِ مِنَ الْهَمُومِ

انظر: (ديوانه: ١٨٤).

(٣) يروى: نصصن نصاء الشقة: الأرض البعيدة. نصبن: رفعن، الوغرات: جمع وغرة، وهي شدة حر النهار. السموم: الريح الحارة. نصصن: أعملن السير. انظر: (هامش الديوان ١٨٥).

(٤) انظر: (ديوانه ٤٠٤).

(٥) سورة الملك الآية (٣٠).

(٦) انظر: (ديوان الفرزدق ٧٦٩، خزانة الأدب ١/١٠٨، ٢/٢٧٠، الكامل ٦٩، الكتاب

ألم ترني عاهدت ربي وإني
على خلفه لا أشتُم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام
أى ولا يخرج خروجا. وعليه أيضا كسروا المصدر، وهو فعلٌ على ما يكسر عليه
فاعل في الوصف وهو فواعل. أنشدنا أبو علي:

وإنك يا عام بن فارس قرزل معيدٌ على قيل الخنا والهواجر^(٢)
يريد جمع هجر، فكأنه كسر هاجرا على هواجر.
وأنشدنا أيضا:

فليتك حال البحر دونك كله وكنت لقي تجرى عليه السوائل^(٣)
يريد السيول جمع سيل، وهو كثير جدا، فكذاك سهل شيئا إسكان نحو رفضة
ووغرة، لكونهما حدثين ومصدرين لشبههما بالصفة.

ويزيد في أنسك تسكين عين ما لامة حرف علة لما تعقب من الاعتذار من تحريك
عينه - امتناعهم من تحريك العين في فعلة إذا كانت حرف علة، وذلك نحو جَوَزَات
وَلَوَزَات وَيِيضَات.

ألا ترى أنه لو حرّك فقال: جَوَزَات وَيِيضَات لوجب أن يعتذر من صحة العين مع
حركتها وانفتاح ما قبلها بأن يقول: لو أعللت لوجب القلب، فأقول: جازات
وباضات؛ فيلتبس ذلك بما عينه في الواحد ألف منقلبة نحو قارة وقارات، وجارة
وجارات.

وإذا جاز إسكان العين الصحيحة، نحو: ثمرات وشعرات صار المعتل أخرى بالضمّة.
نعم، وربما جاء الفتح في العين إذا كانت واوا أو ياء كما قال الهذلي^(٤):

(١) الرتاج: الباب العظيم، أو الباب المغلق، والمراد رتاج الكعبة، وقد استشهد في اللسان «رتج»
بهذا البيت دون نسبة.

(٢) نسيه في اللسان لسلمة بن الخرشب الأغارى، وهو من قصيدة يخاطب عامر بن الطفيل. انظر:
لسان العرب «قرزل»، «هجر».

(٣) انظر: اللسان مادة «لقي».

(٤) انظر: (الخصائص ١٨٨/٣، قال في الخزانة ٤٢٩/٣): والبيت مع كثرة وجوده في كتب النحو
والصرف لم أطلع على قائله ولا على تيمته «وهو في وصف ذكر النعام». وانظر: المنصف

أَبُو بَيْضَاتٍ رَاضِحٌ مُتَأَوِّبٌ رَفِيقٌ بِمَسْمَعِ الْمُنْكَيْنِ سَبُوحٌ
وعذره في ذلك: أن هذه الحركة إنما وجبت في الجمع، وقد سبق العلم بكونها في
الواحد ساكنة، فصارت الحركة في الجمع عارضة فلم تحفل. وفي هذا بعد هذا
ضعف؛ ألا ترى أن هذه الألف والتاء تبني الكلمة عليهما، وليستا في حكم المنفصل؟
يدلك على ذلك صحة الواو في خُطُوات وكُسُوات، ولو كانت الألف والتاء في ذلك
في حكم المنفصل لوجب إعلال الواو؛ لأنها لام وقبلها ضمة، كما أنك لو بنيت فُعْلَةٌ
على التذكير من غزوت لأعللت اللام فقلت: غُزِيَةٌ، حتى كأنك نطقت بفعل منه
فقلت: غُزِ.

ولو بنيتها على التأنيث لصحت اللام فقلت: غُزُوة. فعليه قلت: خُطُوات لأنه
مبنى على التأنيث، ولو كان على التذكير قلت: خُطَيَات كما قلت: غُزِ في فُعْل من
الغزو.

قال أبو علي: يدلك على أن الكلمة مبنية على الألف والتاء اطرادُ إتيانِ الكسر
للكسر في سِدَرَات وكِسِرَات مع عزة فِعَل في الواحد، وإنما حكى سيبويه منه: إِبِل لا
غير، وهم كما ذكر، إلا أن ما يؤنس بكون حركة العين غير ملازمة ما زويناه عن
قُطْرُب فيما حكاه عن يونس: من قوله في جِرُوة: إذا قلت جِرَوات فصحة الواو وهي
لام بعد الكسرة تدلك على قلة الاعتداد بها، وعلى ذلك أن يُقال: إن هذا شاذ، يدل
على شذوذه امتناعهم أن يحرکوا عين كُليَّة ومُذِيَّة، وأن يقولوا: كُليَّات ومُذِيَّات؛
لما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياء إلى الواو، فدلنا ذلك على أن نحو جِرَوات
شاذ.

وبإزاء هذا أن يقال: هلا قلبوا، فقالوا: كَلُوات ومُذَوَّات، كما أنهم لو بنوا مثل
فُعْلَةٌ من قضيت ورميت على التأنيث قلبوا فقالوا: رُمُوة وقُضُوة، فهذه أشياء تراها
متكافئة أو كذلك، وعلى كل حال فالاختيار خُطُوات بالإسكان؛ ألا ترى أن الألف
والتاء وإن بنى الاسم عليهما فإن الجمع على كل حال خارج من الواحد الذي هو
الأصل، فمعنى الفرعية موجود في الجمع بتلفته إلى الواحد، وليست فُعْلَةٌ إذا بنيت على
التأنيث مما خرج عن تذكيره فإعاعى فيه حكمه، كما روعى في الألف والتاء حكم
الواحد، فاعرفه فصلا.

يَكَادُ الزُّقُّ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ﴿٥٠﴾

ومن ذلك ما حكاه الفراء عن بعض القراء فيما ذكر ابن مجاهد «يَخْطِفُ»^(١) بنصب الياء والخاء والتشديد.

قال ابن مجاهد: ولم يُروَ لنا عن أحد.

قال أبو الفتح: أصله يُخْطِفُ، فآثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد؛ ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتاً من المهموس، ومتى كان الإدغام يُقَوَّى الحرف المدغم حسن ذلك. وعلمته أن الحرف إذا أدغم خفى فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوى لقوته، فكان في ذلك تدارك وتلاف لما جنى على الحرف المدغم فأسكن التاء لإدغامها والخاء قبلها ساكنة، فنقلت الحركة إليها، وقلت التاء طاءً وأدغمت في الطاء، فصارت «يَخْطِفُ».

ومنهم من إذا أسكن التاء ليدغمها كسر الخاء لالتقاء الساكنين، فاستغنى بحركتها عن نقل الحركة إليها، فيقول: يَخْطِفُ.

ومنهم من يكسر حرف المضارعة إتباعاً لكسرة فاء الفعل ما بعده فيقول: يَخْطِفُ، وأنا إخطِفُ، وأنشدوا لأبي النجم:

تدافع الشَّيبَ ولم يَقْتُلْ^(٢)

أراد تقتل فأسكن التاء الأولى للإدغام، وحرك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر، فصار تقتل، ثم أتبع أول الحرف ثانية فصار تقتل.

وعلى هذا قالوا في ماضيه: خِطِفُ، وأصلها اختطف، فأسكن التاء للإدغام فانكسرت الخاء لسكونها وسكون التاء فحذف همزة الوصل لتحرك الخاء بعدها، وأدغمت التاء في الطاء فصار «خِطِفُ».

(١) قراءة الحسن البصري، وأبي رجاء، ويونس، ومجاهد. انظر: (معاني القرآن للأخفش ٥٠/١، إعراب القرآن للعكبري ١٣/١، البحر المحيط لأبي حيان ٩٠/١، إعراب القرآن للنحاس ١٤٥/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/١، الكشف للزحشرى ٤٢/١، لسان العرب مادة «خطف» ٧٥/٩).

(٢) قال في المنصف (٢٢٥/٢): ثم إنه كسر حرف المضارعة إتباعاً لكسرة التاء بعدها، أو لأن ماضيه «افتعل» كما تقول: تقطع ونحوه، فصار تقتل.

ومنهم من يتبع الطاء كسرة الخاء فيقول : حِطَّف. وأنشدونا^(١).

لا حِطَّب القوم ولا القوم سقى^(٢)

أراد: احتطب على ما مضى.

وحكى أبو الحسن عنهم: فَتَحُوا الأبواب؛ أى: افْتَحُوا، على ما تقدم.

وكذلك الكلام فى قوله: يَهْدَى وَيَهْدَى وَيَهْدَى^(٣)، وجاء المعذرون والمُعْذِرُونَ والمُعْذِرُونَ^(٤) ومُرْدَفَيْن ومُرْدَفَيْن، تَبِعَ الضَم الضم، كما أُتِبَت الكسر الكسر. وأصله كله: المعتذرون ومرتدوفون، وهو باب منقاد، وهذه طريقه. ومن بعد فيسأل فيقال: ما مثال «يَخْطِف»؟.

قيل: إن أردت الأصل فيفتعل أى: يَخْطِف، وإن أردت اللفظ ففيه الصنعة وعليه المسألة، فوزنه: يَفْطَعِل، وذلك أن التاء فى يفتعل زائدة، فكما أنها لو ظهرت لكانت زائدة، فكذلك إذا أبدلت فالبديل منها زائد؛ لأن البديل من الزائد زائد، ألا ترى أن الطاء من اصطير بدل من التاء فى اصتير الذى هو افتعل؟ فكما أن التاء زائدة فكذلك ما هو بدل منها - وهو الطاء - زائد. فوزن اصطير على أصله افتعل، وعلى لفظه افطعل، فكذلك وزن يَخْطِف من الفعل على لفظه يَفْطَعِل. فإذا ثبت ذلك - وقد ثبت بحمد الله - فوزن خِطَف: فِطْعِل، ووزن خِطَف: فِطْعِل، ووزن تَقْتَل تَفْعِل، ووزن مُرْدَفَيْن مُفْدَعِلَيْن؛ لأن الدال فيه بدل من التاء الزائدة، فهى زائدة من هذا الوجه، كما كانت الطاء فى خِطَف زائدة من هذا الوجه.

وكذلك لو قال قائل: ما مثال «ازَيَّنْتَ»^(٥) على أصله؟.

قلت: تفعلت، أى تزينت، وعلى لفظه ازْفَعَلْتَ.

وكذلك قالوا: «اطْيَرْنَا»^(٦) ووزنه اطفَعَلْنَا، وكذلك قول العجلى:

(١) نسبه فى لسان العرب مادة «حطب» للشماخ بن ضرار.

(٢) صدره. «خب حروز إذا جاع بكى».

(٣) يشير إلى الآية من سورة يونس (٣٥).

(٤) يشير إلى الآية من سورة التوبة (٩٠).

(٥) سورة يونس الآية (٢٤).

(٦) سورة النمل الآية (٤٧).

مِنْ عَبَسِ الصَّيْفُ قُرُونًا إِلَّا جَلَّ (١)

يريد الإيّل فإن اعتقدت أنه فِعُولٌ أو فَعِيلٌ فى الأصل فوزنه بعد البدل: فِعْجَلٌ؛ لأن الجيم على هذا بدل من واو فِعُولٌ أو ياء فَعِيلٌ، وهما زائدتان فهى زائدة فاعرف ذلك وقسه.

قال ابن مجاهد: وحكى الفراء أن بعض أهل المدينة يسكن الخاء والطاء ويشدد (٢) فيجمع بين ساكنين.

قال ابن مجاهد: ولا نعلم أن هذه القراءة رُويت عن أهل المدينة.

قال أبو الفتح هذا: الذى يميزه الفراء من اجتماع ساكنين فى نحو هذا لا يثبت أصحابنا، وإنما هو اختلاس وإخفاء فيلطف عليهم فيرون أنه إدغام، وإنما هو إخفاء للحركة وإضعاف للصوت، وهذا كما يروى فى قوله:

وَمَسَّحِهِ مَرُّ عُقَابٍ كَاسِرٍ (٣)

أن الخاء مدغمة فى الهاء، وباليث شعرى كيف يجوز لذى نظر أو من يُخْلِدُ إلى أدنى تفكير أن يدعى أن هنا إدغاما، أو أن تجمع بين ساكنين وقد قابل به جزء التفعيل، وإذا وقع التحاكم إلى بديهة الحس فقد سقطت كلفة إتعاب النفس؛ ألا ترى أن وزن

(١) صدره: «كأن فى أذنايهن الشؤل». والضمير فى أذنايهن للإبل، والشؤل، جمع شائل بلا هاء، وهى الناقة التى تشؤل بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا. والعيس، بفتحتين: ما يتعلق فى أذناى الإبل من أبعادها وأبوالها فيجف عليها، يقال منه: أعيست، وعيس الوسخ فى يد فلان: أى عيس وخص العيس بالصيف لأنه يكون أقوى وأصلب، فشبهه بقرون الأيل لأنها أصلب من قرون غيرها، والأيل بضم الهمزة وكسرها: الذكر من الأزعال. وأنشد أبو بكر عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى قبلهما: «حتى إذا ما ثلن مثل الخرول». انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٤٨٥).

(٢) قراءة مجاهد. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/١٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٤٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٤، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٢٢).

(٣) من قول رؤبة بن العجاج كما فى أحد نسخ سر صناعة الإعراب، وصدره: «كأنها بعد كلال الزاجر».

وهو بغير نسب فى: الكتاب ٤/٤٥٠، سر صناعة الإعراب ١/٥٨، المخصص ٨/١٣٩، اللسان «كسر» ٦/٥٦، كأنها أى: الناقة، عقاب. كاسر: كسرت جناحيها وقبضتهما عند انقضائهما. المسح: أن تتعب الإبل وتدبرها وتهزلها، وقد رسمت فى الكتاب هكذا: ومسحى. وبعده: يريدون ومسحه. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١/٥٨).

قوله: «ومسحى» مفاعلن، فالحاء مقابل بها عين «علن»، والعين، أول الوند، وهى كما ترى وتعلم محرقة. أفيقابل فى الوزن الساكن بالمتحرك؟ وإذا أفضى الأمر فى السفور إلى هاهنا حَسَر شبهة اللبس والعناء، وقد قلنا فى كتابنا الموسوم «بسر الصناعة»^(١) فى هذا ما فيه كفاية وغناء.

قال ابن مجاهد: وقد روى عن مجاهد والحسن: «يَخْطِف»^(٢) ولم يبلغنا أن أحدا قرأ خَطَفَ بفتح الطاء فيقرأ هذا الحرف يَخْطِف، وأحسب أن هذا غلط ممن رواه.

قال أبو الفتح: قد قلنا فى كتابنا الموسوم «بالمصنف» وهو شرح. تصريف عثمان فى نحو هذا من قوله:

وما كل مبتاع ولو سَلَفَ صَفَقُهُ يراجع ما قد فاتته برداد^(٣)
فإذا تأملتَه أغنى عن إعادته إن شاء الله، وجملته أن يكون استغنى بِخَطَفٍ عن خَطَفٍ
فى الماضى، وجاء المضارع عليه كما أن قوله: «سَلَفَ» يكون مُسَكَّنًا من «سَلِفَ» وإن

(١) قال فى سر صناعة الإعراب (٥٨/١): فقال سيبويه كلاما يظن به فى ظاهره أنه أدغم الحاء فى الهاء بعد أن قلب الهاء حاء فصار فى ظاهر قوله: وَمَسَحُ. واستدرك أبو الحسن ذلك عليه، وقال: إن هذا لا يجوز إدغامه لأن السين ساكنة، ولا يجمع بين ساكنين. فهذا - لعمري - تعلق بظاهر لفظه، فأما حقيقة معناه فلم يرد محض الإدغام، وإنما أراد الإخفاء، فتجوز بذكر الإدغام، وليس ينبغى لمن قد نظر فى هذا العلم أدنى نظر أن يظن بسيبويه أنه ممن يتوجه عليه هذا الغلط الفاحش، حتى يخرج فيه من خطأ الإعراب إلى كسر الوزن؛ لأن هذا الشعر من مشطور الرجز، وتقطيع الجزء الذى فيه السين والحاء «وَمَسَحَى» مفاعلن، فالحاء بإزاء عين مفاعلن، فهل يليق بسيبويه أن يكسر شعرا وهو من ينبوع العروض وبحبوحة وزن التفعيل، وفى كتابه أماكن كثيرة تشهد بمعرفته بهذا العلم واشتماله عليه، فكيف يجوز عليه الخطأ فيما يظهر ويبدو لمن يتساند إلى طبعه، فضلا عن سيبويه فى جلالة قدره! ولعل أبا الحسن أراد بذلك التشنيع عليه، وإلا فهو كان أعرف الناس بحاله. وقد تلا أبا الحسن فى تعقب ما أورده سيبويه فى كتابه حلة أصحابنا، كأبى عمر، وأبى عثمان، وأبى العباس، وغيرهم، فقلما ضره الله بذلك، إلا فى الشئ الندر القليل من قوله. انظر: (سر صناعة الإعراب ٥٨/١، ٥٩).

(٢) قراءة يحيى بن وثاب، وعلى بن الحسين، ويونس، وأبى رجاء (قال ابن عطية: نسبتها إلى الحسن وأبى رجاء وهُم، انظر: (البحر المحيط ٩٠/١ إعراب القرآن للنحاس ١٤٥/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٣/١، البحر المحيط ٨٩/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١، الكشف للزمخشري ٤٢/١، مجمع البيان للطبرسى ٥٨/١، معانى القرآن للأخفش ٥٠/١، اللسان، الجوهرة مادة «خطف»، تفسير الفجر الرازى ٢٠٢/١).

(٣) سبق الاستشهاد به.

لم يستعمل، استغناءً بسلف عنه، وقد شرحناه هناك فتركناه هنا.

* * *

فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءة الحسن بخلاف ومجاهد وطلحة بن مصرف^(١) وعيسى الهمداني: «وَقُودُهَا النَّاسُ»^(٢).

قال أبو الفتح: هذا عندنا على حذف المضاف أى: ذو وقودها، أو أصحاب وقودها الناس؛ وذلك أن الوقود بالضم هو المصدر، والمصدر ليس بالناس. لكن قد جاء عنهم الوقود بالفتح في المصدر، لقولهم: وَقَدَّتِ النَّارُ وَقُودًا، ومثله: أُولِعْتُ بِهِ وَلُوعًا، وهو حسن القبول منك، كله شاذ، والباب هو الضم.

وكان أبو بكر يقول في قولهم: تَوَضَّأتُ وَضُوءًا: إن هذا المفتوح ليس مصدرًا، وإنما هو صفة مصدر محذوف.

قال: وتقديره: تَوَضَّأتُ وَضُوءًا وَضُوءًا؛ لقولك: تَوَضَّأتُ وَضُوءًا حسنًا؛ لأن الوضوء عنده صفة من الوضوءة.

وقرأت على أبي عليّ في نوادر أبي زيد: رجل ساكوت بين الساكوتة. فقال: قياس مذهب أبي بكر في الوضوء أن يكون هذا على أنه أراد رجل ساكوت بين الساكوتة الساكوتة.

وعليه قولهم فيما حكاه الأصمعي: رجل بين الضارورة؛ أى بين الضرة، أو المضرة الضارورة.

(١) طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو الهمداني اليامي الكوفي، أبو محمد (١١٢هـ = ٧٣٠م): أقرأ أهل الكوفة في عصره. كان يسمى «سيد القراء» وهو من رجال الحديث الثقات، ومن أهل الورع والنسك. شهد وقعة الجمامم وقال: رميت فيها بأسهم، ولوددت أن يدي قطعت ولم أشهدا. انظر: (تهذيب التهذيب ٢٥/٥، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٣٠، حلية الأولياء ١٤/٥، الأعلام ٢٣٠/٣).

(٢) قراءة الحسن البصري، وأبي حيوة. انظر: (الكشاف للزحشرى ٥٠/١، البحر المحيط ١٠٧/١، إعراب القرآن للنحاس ١٥١/١، إعراب القرآن ١٥/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١، تفسير الفخر الرازي ٢٢٩/١).

وأما قولهم: لص بين اللصوصية، وحرٌّ بين الحرورية، وخصصته بالشئ خصوصيةً، فإن شئت قلت: هو على مذهب أبى بكر لص بين اللصة اللصوصية، والخصّة الخصوصية، والحرية الحرورية.

وإن شئت قلت غير هذا، وذلك أن ما لا يجىء من الأمثلة بنفسه قد يجىء إذا اتصلت ياءُ الإضافة به، وذلك كقول الأعشى^(١):

وما أَيْلَى^(٢) على هيكـل بنائه وصلّب فيه وصارا
فأَيْلَى كما ترى فَيْعْلِيّ، ولولا ياءُ الإضافة لم يجز ذلك؛ ألا ترى أنه لم يأت عنهم فَيْعُلْ؟ وكذلك قولهم فى الإضافة إلى تحية: تَحَوّى، ومثاله: تَقَلّى. وليس فى كلامهم اسم على تفل، فكذلك جاز خصوصية وأختاها، هذا مع ما حكى عنهم من القبول والوضوء والولوع والوقود، فإذا جاء هذا المثال فى المصدر من غير أن تصحبه ياءُ الإضافة فهو بأن يأتى معهما أجدر.

* * *

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿٦٦﴾

ومن ذلك قراءة رؤبة: «مثلاً ما بعوضة»^(٣)، بالرفع.

قال ابن مجاهد: حكاه أبو حاتم عن أبى عبيدة عن رؤبة.

وقال أبو الفتح: وجه ذلك: أن «ما» هاهنا اسم بمنزلة الذى؛ أى: لا يستحي أن يضرب الذى هو بعوضة مثلاً، فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ.

ومثله قراءة بعضهم: «تماماً على الذى أحسن»^(٤)، أى: على الذى هو أحسن.

(١) انظر: (ديوانه ص ٨٤) وهى من قضيدة بمدح قيس بن معد يكرب مطلعها:

أأزمعت من آل ليلى ابتكاراً وشطّطت على ذى هوى أن تُزَارَ

(٢) الأيلى: الراهب الذى يحمل الأيل وهى العصا التى يضرب بها الناقوس.

(٣) قراءة الضحاك، وإبراهيم بن أبى عبله، وقطرب، ومالك بن دينار، وابن السماك. انظر: (الجامع

لأحكام القرآن للقرطبى ٢٤٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ١٢٣/١، إعراب القرآن للنحاس

١٥٣/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٦/١، تفسير الفخر الرازى ٢٣٨/١، شرح الأشموني على

ألفية ابن مالك للأشموني ١٦٨/١ حاشية الخضرى ٨٠/١).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٥٤)، وهى قراءة الحسن، والأعمش، ويحيى بن يعمر، وابن أبى إسحاق.

انظر: (معانى القرآن للفراء ٣٦٥/١، مجمع البيان للطبرسى ٣٨٥/٢، الكشاف للزحشرى=

وحكى صاحب الكتاب عن الخليل: ما أنا بالذى قائل لك شيئاً. أى الذى هو قائل لك شيئاً. وعليه قوله^(١):

لم أر مثل الفتيان فى غير الـ أيام ينسون ما عواقبها^(٢)
أى ينسون الذى هو عواقبها، وحذف الضمير من هنا ضعيف؛ لأنه ليس فضلة
كالهاء فى نحو قولك: ضربت الذى كلمت؛ أى: كلمته.

وإن شئت كان تقديره: ينسون أى شىء عواقبها، فتكون ما استفهاماً، وعواقبها
خبراً عنها، والجملة فى موضع نصب بينسون، وجاز فيها التعليق؛ لأنها ضد يذكرون
ويعلمون، فيجرى مجرى قولك: لا تنس أننا أحق بكذا. وأندكر أزيد أفضل أم عمرو.

* * *

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾

ومن ذلك قراءة يزيد البربرى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٣)».

قال أبو الفتح: ينبغى أن يعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون
فضلة وبعد الفاعل، كضرب زيد عمراً، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل،
فقالوا: ضرب عمراً زيد. فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه، فقالوا:
عمراً ضرب زيد. فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه ربُّ الجملة، وتجاوزوا به حد
كونه فضلة، فقالوا: عمرو ضربه زيد، فجاءوا به مجئاً ينافى كونه فضلة، ثم زادوه على
هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛
رغبة به عن صورة الفضلة وتحامياً لنصبه الدال على كونه غيره صاحب الجملة، ثم إنهم

= ٤٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٢/٧، البحر المحيط ٢٥٥/٤، إعراب القرآن
العكبرى ١٥٤/١، أمالي ابن الشجرى ٢٣٥/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٨٥/٢، مغنى اللبيب
١٥٤/١، شرح الكافية ٢٤٩/١، شرح الأشمونى ١٦٨/١، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٠، حاشية
الخصرى ٨٠/١، معجم المصاحف ٣١٢/١.

(١) هو لعدى بن زيد، وقد رواه صاحب الأغاني (١٣٩/٢):

لم أر مثل الفتيان فى غيب الـ أيام ينسون ما عواقبها

(٢) يقول: الأيام تغيب الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغيب فى البيع.

(٣) قراءة الحسن البصرى، واليماني. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١٤٥/١، الكشف للزخشري

٦٢/١، إعراب القرآن للعكبرى، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٣٢).

لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مُظْهِراً أو مضمراً فقالوا: ضُرب عمرو فاطَّرح ذكر الفاعل البتة. نعم، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة، وهو قولهم: أولعت بالشئ، ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا: تُلجَّ فؤاد الرجل ولم يقولوا: تَلَجَّه كذا، وامتنع لونه ولم يقولوا: امتنعه كذا. ولهذا نظائر، فرفض الفاعل هنا البتة واعتماد المفعول به البتة دليل على ما قلناه فاعرفه.

وأظنتني سمعت: أولعني به كذا، فإن كان كذلك فما أقله أيضاً!

وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة. وإنما كانت كذلك لأنها تجلو الجملة، وتجعلها تابعة المعنى لها. ألا ترى أنك إذا قلت: رغبت في زيد أفيد منه إشارك له، وعنايتك به، وإذا قلت: رغبت عن زيد، أفيد منه إطراحك له وإعراضك عنه، ورغبت في الموضوعين بلفظ واحد، والمعنى ما تراه من استحالة معنى رغبت إلى معنى زهدت، وهذا الذي دعاهم إلى تقديم الفضلات في نحو قول الله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾^(١). وإنما موضع اللام التأخير؛ ولذلك قال سيبويه: إن الجفافة ممن لا يعلم كيف هي في المصحف يقرؤها: «وَلَمْ يَكُنْ كُفْرًا لَهُ أَحَدٌ»^(٢).

فإن قلت: فقد قالوا: زيدا ضربته فنصبوه، وإن كانوا قد أعادوا عليه ضميراً يشغل الفعل بعده عنه حتى أضمرُوا له فعلاً ينصبه، ومع هذا فالرفع فيه أقوى وأعرب، وهذا ضد ما ذكرته من جعلهم إياه ربَّ الجملة ومبتدأها في قولهم: زيد ضربته.

قيل: هذا وإن كان على ما ذكرته فإنه فيه غرضاً من موضع آخر، وذلك أنه إذا نصب على ما ذكرت فإنه لا يعدم دليل العناية به، وهو تقديمه في اللفظ منصوباً، وهذه صورة انتصاب الفضلة مقدَّمةً لتدل على قوة العناية به، لاسيما والفعل الناصب له لا يظهر أبداً مع تفسيره، فصار كأن هذا الفعل الظاهر هو الذي نصبه، وكذلك يقول الكوفيون أيضاً.

فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها، وبنوا الفعل

(١) سورة الأعراف الآية (٤).

(٢) نص سيبويه في الكتاب (٥٦/١): وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربي جيد كثير، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾ وأهل الجفاء من العرب يقولون: ولم يكن هو له أحد، كأنهم أخروها حيث كانت غير مستقرة، وقال الشاعر:

لنقرنن قريبا جليذا مادام فيهن فيصل حيا

فقد وجا الليل فيهما هما

لمفعوله فقالوا: ضُرب زيد - حَسَنَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»؛ وَلَمَّا كَانَ الغرض فيه أَنَّهُ قد عَرَفَهَا وَعَلِمَهَا، وَأَنَسَ أَيْضًا عِلْمَ الْمُخَاطَبِينَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ إِيَّاهَا بِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١). وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾^(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٣)، هَذَا مَعَ قَوْلِهِ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَلَقٍ﴾^(٤)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٥)، وَقَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٦).

فَقَدْ عَلَّمَ أَنَّ الغرض بذلك فِي جَمِيعِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ وَمُضْعُوفٌ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ضُرب زيد إِنَّمَا الغرض منه أَنَّ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَنْضَرِبٌ وَلَيْسَ الغرض أَنَّ يُعْلَمَ مَنْ الَّذِي ضَرَبَهُ. فَإِنْ أُرِيدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَدَلْ دَلِيلٌ عَلَيْهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَذْكَرَ الْفَاعِلُ فَيُقَالُ: ضَرَبَ فَلَانٌ زَيْدًا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كَلَّفَ عِلْمَ الْغَيْبِ.

* * *

إِذَا قَالَ يَتَكَلَّمُ أَنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنْبِيَهُمْ»^(٧) بِوَزْنِ أَعْطَهُمْ، وَرَوَى عَنْهُ: «أَنْبِيَهُمْ»^(٨) بِلَا هَمْزٍ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَامِرٍ «أَنْبِيَهُمْ»^(٩) بِهَمْزٍ وَكَسْرٍ هَاءٍ. قَالَ ابْنُ مَجَاهِدٍ: وَهَذَا لَا يَجُوزُ.

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: أَمَّا قِرَاءَةُ الْحَسَنِ: «أَنْبِيَهُمْ»، كَأَعْطَهُمْ فَعَلَى إِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءٍ عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ: أَنْبَيْتُ كَأَعْطَيْتُ، وَهَذَا ضَعِيفٌ فِي اللَّغَةِ؛ لِأَنَّهُ بَدَلَ لَا تَخْفِيفَ، وَالبَدَلُ عِنْدَنَا لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ.

-
- (١) سورة البقرة الآية (٣١).
 - (٢) سورة المعارج الآية (١٩).
 - (٣) سورة النساء الآية (٢٨).
 - (٤) سورة العلق الآية (٢).
 - (٥) سورة الرحمن الآية (٣).
 - (٦) سورة الرحمن الآية (١٥).
 - (٧) قراءة ابن كثير، والأعرج، والقواس. انظر: (الكشاف للزخشري ٦٢/١، البحر المحيط لأبي حيان ١٤٩/١، إعراب القرآن للعكبري ١٨/١).

- (٨) قراءة حمزة، والحسن. انظر: (غيث النفع للصفاقسي ١٠٦، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٣٣).
- (٩) قراءة ابن عباس. انظر: (مجمع البيان للطبرسي ٧٨/١، السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٥٣، البحر المحيط لأبي حيان ١٤٩/١).

وحدثنا أبو علي: قال: لقي أبو زيد سيبويه فقال: سمعت العرب تقول: قَرِيت وتوضيت فقال له سيبويه: فكيف تقول في المضارع؟ قال: أقرأ. هذا آخر الحكاية عن أبي علي.

وزاد أبو العباس محمد بن يزيد فيها فقال له سيبويه: فقد تركت إذا مذهبك. ونحوه قراءة: «أَنْ تَبَوَّيَا»^(١).

ويجوز على هذه القراءة «أَنْبَهُم» على أصل حركة الهاء وهو الضم، كقراءة من قرأ: «فَحَسَفْنَا بِهِمْ وَبِدَارِهِمُ الْأَرْضُ»^(٢).

وأما قراءته على الرواية الأخرى: «أَنْبِيَهُم» فهو على قياس التخفيف الصريح، ولك في هذه الهاء على هذه القراءة الضم والكسر.

أما الضم فمن وجهين:

أحدهما: وهو الأظهر إخراجها على الأصل فيه.

والآخر: وفيه الصنعة، وهو أن هذه الياء ليست بلازمة، وإنما اجتلبها تخفيف الهمزة، وذلك أن الهمزة إذا سَكَتْ مكسورا ما قبلها فتخفيفها القياسي أن تخلصها في اللفظ ياء، وذلك قولك في ذئب: ذيب، وفي بئر: بير، فقوله: «أَنْبِيَهُم» يياء ساكنة ينبغي أن يكون على التخفيف القياسي، لا على أنه أبدل الهمزة ياءً إبدالا مستكرها على حد قولهم في البذل: قريت كأعطيت، وإنما كان ذلك كذلك من قَبْلَ أنه لو أبدل لكان قد أخرج الهمزة على أصلها إلى ذوات الياء، ولو كان فعل ذلك لوجب حذفه كما تحذف لام أعطيت وأغزيت للوقف والجزم، كما حذفها في القراءة الأخرى لما أبدل فقال: «أَنْبَهُم»، ولو اعتقد أنه قد أبدل البتة لما جاز إثبات الياء في موضع الوقف، كما لا يجوز أعطيتهم ولا أغزيتهم إلا أن يحمل ذلك على الضرورة، وإثبات الياء في موضع الجزم والوقف، كقوله^(٣):

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

(١) سورة يونس الآية (٧٨)، وهي قراءة حفص في رواية هبيرة. انظر: (البحر المحيط ١٨٦/٥).

(٢) سورة القصص الآية (٨١)، لم أعثر عليها فيما بين يدي من مصادر.

(٣) هو لقيس بن زهير وقد رواه صاحب الأغاني (٢٠١/١٧):

ألم يبلغك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

وبعده:

وحبسها على القرش نشرى بأدراع وأسيف حديد

فإن فعل ذلك ففيه على هذا ضرورتان:

إحداهما: الإبدال، ولا ضرورة إليه.

والآخر: إثبات حرف العلة في موضع الوقف، وذلك ضرورة أفحش من الأولى، لكثرة الإبدال على قبجه، وقلة إثبات حرف اللين في موضع الوقف. لكن إذا اعتقد أنه خفف لم يكن في هذه القراءة ضرورة البتة، وفي هذا كاف.

وإذا كان «أنبيهم» إنما هو على التخفيف القياسي، فكأن الهمزة حاضرة لأنها هي الأصل؛ إذ كان التخفيف له أحكام التحقيق. ألا ترى إلى صحة الواو والياء في تخفيف ضوء وفيء، وذلك قولك: هذا ضَوْ وفِيّ ونَوْ وشَيّ، بضم الواو والياء مع تحركهما وانفتاح ما قبلهما، وترك قبلهما ألفين لذلك يدل على أن الواو والياء لما تحركتا بحركة الهمزة المحذوفة للتخفيف كانتا لذلك في حكم الساكنين، فكما تصحان هنا ساكتين في ضوء ونوء وفيء وشيء كذلك صحتا متحركتين في ضَوْ ونَوْ وشَيّ، وعلى ذلك صحت الواو والياء أيضا في تخفيف نحو جيثل وحوَّاب^(١) إذا خَفَّفت فقلت: جيل وحوَّب، فكما تكون الياء مضمومة مع التحقيق في قوله: «أنبيهم» فكذلك تكون مضمومة مع التخفيف في قولك: «أنبيهم» لِمَا يَبْنَاهُ من أن حكم الهمزة المخففة حكم المحققة.

وسألت أبا على رحمه الله فقلت: من أجرى غير اللازم مجرى اللازم؟ فقال: في تخفيف الأحمر: لَحْمَر، أيجوز له على هذا أن يقلب الواو والياء في حَوَّب وجَيْل ألفاء، فيقول: حاب وجال؟ فقال: لا، وأومأ إلى أن حكم القلب أقوى من حكم الاعتداد بالحركة في لَحْمَر؛ أي: فلا يبلغ في الجواز ذلك لشناعته، وهو كما ذكر.

وقد يجوز عندى في قراءة الحسن رحمه الله هذه أن يكون أراد «أنبيهم»، كقراءته في الأخرى إلا أنه أشبع الكسرة فأنشأ عنها ياء، فقال: «أنبيهم»، كما قد يجوز ذلك في قوله: «ألم يأتيك» فإنه أشبع الكسرة فمطها. فبلغت ياء، وعليه الرواية الأخرى التي ذكرها أبو الحسن وهي قوله: ألم يأتك، وعليه أيضا ما وجّه بعضهم^(٢) قوله^(٣):

(١) انظر: (الخصائص ٩٥/٣).

(٢) أبو على في المسائل الحلييات ق ١٩/أ، ١٨/ب، ونسب أبو على هذا القول في المسائل العكبريات إلى بعض البغداديين ص ٥١، ٥٢، وانظر: (سر صناعة الإعراب ٧٦/١).

(٣) هو من قول عبد يغوث وصدره: «وتضحك منى شيخة عشمية».

كَأَن لَّمْ تَرَ قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا^(١)

قال: أراد لم ترَ، ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفا^(٢).

فإذا جاز ذلك ساغ الضم في الهاء أيضا على أصل ضميتها.

فإن قلت: فهل يجوز أن تقول: إنه لم يعتد بالياء لما كانت زائدة مجتلبة للإشباع، فجرت لذلك مجرى ما ليس موجوداً، كما أن من مد «أوائيل» إتباعاً كما ترى، على حد قوله^(٣):

نفى الدنانير تنقأ الصياريف^(٤)

قال على هذا: أوائيل، أقر الهمزة بحالها بدلا من واو أو اول لبعدها من الطرف بالياء الحاجزة؛ لأن هذه الياء لَحَقَّ وَتَيَّفَ مجتلبة للإشباع، وليست لها عصمة ولا مُسَكَّة، فجرت مجرى المنفردة البتة. كما يهمز فيقول: أوائل فكذلك يهمز فيقول: أوائيل، ولا يحفل بالياء حاجزا لما ذكرنا، ولا يجرى عندي مجرى ياء طواويس ونواويس إذ كانت الياء هناك ثابتة القدم؛ لكونها بدلا من واو ناووس وطاووس الثانية؟.

(١) انظر: (شرح اختيارات المفضل ص ٧٧١ [المفضلية ٣٠])، وفي ذيل الأمالي ص ١٣٤ - ١٣٥ «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة: كأن لم ترن قبلي. وهذا خطأ عندنا. والصواب: ترى بحذف النون علامة للحزم» وفي الخزانة ٢٠١/٢ [الشاهد ١١٥] تحقيق هارون: قال القالي في ذيل الأمالي: قال الأخفش: رواية أهل الكوفة: كأن لم ترأ، بالألف، وهذا عندنا خطأ، والصواب ترى، بحذف النون علامة للحزم. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ٧٦/١).

(٢) قال ابن جنى في سر صناعة الإعراب قال: (أى أبو على الفارسي): جاء به على أن تقديره محققا «كأن لم ترا»، ثم إن الرأ لما حاورت - وهي ساكنة - الهمزة متحركة، صارت الحركة كأنها في التقدير قبل الهمزة، واللفظ بها: كأن لم ترأ، ثم أبدل الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها: فصارت «ترا» فالألف على هذا التقدير بدل من الهمزة عين الفعل، واللام محذوفة للحزم، على مذهب التحقيق وقول من قال: رأى يرأى. انظر: (سر صناعة الإعراب ٧٦/١).

(٣) أى الفرزدق، وهو بيت مفرد فى ديوانه ٥٧٠، وهو من شواهد الكتاب ٢٨/١، والخزانة ٢٥٥/١، الخصائص ٣١٧/٢.

وصدره: «تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة».

(٤) يصف سرعة الناقة فى سير الهواجر، والهاجرة: وقت اشتداد الحر فى الظهر فيراها لشدة وقعها فى الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كاللدنانير إذا انتقلها الصيرفى لينفى رديها عن جيلها.

فالجواب: أنه إن ذهبَ إلى هذا على ما رمته كسرَ الهاءِ أيضاً؛ وذلك أن أقصى ما في هذا: أن تكونَ الياءُ في «أنبيهم» مدةً إشباعاً لا حكمَ لها فكأنها ليست هناك وإذا لم تكن هناك كسرة الياء - وهي تدعو إلى كسر الهاءِ - فعلى أى الوجهين حملته فكسرُ الهاءِ هو الكلام.

وأما حديث كسرها من القسمة الأولى - وأنت تنوى بأنبيهم التخفيف القياسي - فهو على معاملة اللفظ؛ وذلك أن الملفوظ به الآن وإن كان تخفيفاً إنما هو الياءُ البتة فعومل لفظها معاملة نحوهِ ونظيره، فكسرتَ الهاءَ مع هذه الياءِ كما تكسر في نحو عليهم وإليهم، كما أن قول الله عز وجل: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ﴾^(١) أصله لكن أنا، فخففت الهمزة وألقيت حركتها على النون فانفتحت، فصارت في التقدير: «لكننا»، فلما التقى الحرفان المثلان متحركين كُره ذلك، وإن كانت حركة النون الأولى غير لازمة من حيث كانت من أعراض التخفيف، وأجريت مجرى اللازمة، فأُسكنت الأولى وأدغمت في الثانية، حملاً على حاضر الحال وإجراء غير اللازم مجرى اللازم^(٢).

وقد كتبنا في الخصائص باباً مفرداً في إجراء العرب غير اللازم مجرى اللازم، وإجراء اللازم مجرى غير اللازم، فاكشفنا به عن إعادته لتلا يطول هذا الكتاب^(٣).

نعم، وإذا كانت العرب قد أجرت الحرف الصحيح في نحو هذا مجرى ما لا يعتد به حتى لم يحفلوا بلفظ نحو قولهم: منهم واضربهم فأن يجروا الياء الساكنة مجرى ذلك لحفاؤها؛ ولأن لفظها نفسها دأب إلى الكسر - أجدر.

وأما الرواية عن ابن عامر: «أنبيهم»، بالهمز وكسر الهاءِ فطريقه أن هذه الهمزة ساكنة، والساكن ليس بحاجز حصين عندهم، فكأنه لا همزة هناك أصلاً، وكأن كسرة الباء على هذا مجاورة للهاء؛ فلذلك كسرت، فكأنه على هذا قال: «أنبيهم».

ويدل على ما ذكرناه من ضعف الساكن أن يكون حاجزاً حصيناً قولهم: قنينة وهي من قنوت، وصبية وهي من صبوت، وعلية وهي من علوت، وعذى وهو من قولهم: أرضون عذوات، وبللى سفر لقولهم في معناه: بلو، وهو من بلوت. ومنه ناقة عليان وهي من علوت، وذبة مهيار وهو من تهور، وفلان قذية في هذا الأمر وهو من

(١) سورة الكهف الآية (٣٨).

(٢) انظر: (الخصائص ٩٤/٣).

(٣) انظر: (الخصائص ٨٩/٣، ٩٥).

الْقِدْوَةُ. وَأَصْلُهُ كُلُّ قِنْتُ، وَصِبْوَةٌ، وَعُلُوَّةٌ، وَعِذْوٌ، وَيَلْوُ سَفْرًا، وَنَاقَةٌ عِلْوَانٌ، وَدَبَّةٌ مِهْوَارٌ؛ فَقَلِبْتَ الْوَاوَ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ لِلْكَسْرِ قَبْلُهَا، وَلَمْ يَعْتَدِدِ السَّاكِنَ بَيْنَهُمَا حَاجِزًا لِّضَعْفِهِ، فَكَأَنَّ الْكَسْرَةَ تَبَاشَرُ الْوَاوَ فَتَقْلِبُهَا لِذَلِكَ يَاءً، كَمَا تَقْلِبُهَا لَوْ لَمْ تَجِدْ بَيْنَهُمَا حَاجِزًا. فَكَذَلِكَ الْهَمْزَةُ فِي «أَنْبِئُهُمْ» لَا تَحْجُزُ عَلَى هَذَا النِّحْوِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.

وروينا عن أبي زيد فيما أخذناه عن أبي عليٍّ، وعن غير أبي زيد: منهم ومنه ومنكم وبكم، أجرى كاف المضمر مجرى هائه، وسرى هذا فيما بعد إن شاء الله.

فقد علمت بذلك أن قول ابن مجاهد: هذا لا يجوز لا وجه له، لما شرحناه من حاله. ورحم الله أبا بكر، فإنه لم يألُ فيما علمه نصحا، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره الله تعالى إياه. وسبحان قاسم الأرزاق بين عباده، وإياه نسأل عصمة وتوفيقا وسدادا بفضلِهِ.

* * *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿٣٤﴾

ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد «لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا»^(١).

قال أبو الفتح: هذا ضعيف عندنا جدا؛ وذلك أن «الملائكة» في موضع جر، فالتاء إذا مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من «اسجدوا»، لسقوط الهمزة أصلا إذا كانت وصلا. وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرف ساكن صحيح، نحو قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجِي﴾^(٢)، وأدخل أدخل، فُضِمَ لالتقاء الساكنين لتخرج من ضمة إلى ضمة، كما كنت تخرج منها إليها في قولك: اخرج. فأما ما قبل همزته هذه متحرك - ولاسيما حركة إعراب - فلا وجه لأن تحذف حركته ويحرك بالضم. ألا تبارك لا تقول: قل للرجل ادخل، ولا: قل للمرأة ادخلي؛ لأن حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الإيتباع إلا على لغية ضعيفة، وهي قراءة بعض البادية: «الحمْدُ لِلَّهِ» بكسر الدال. ونحو منه ما حكاه لي أبو علي: أن أبا عبيدة حكاه من قول بعضهم: دعه في جرِّه فحذف

(١) قراءة الشنوبذى، وسليمان بن مهران، وابن جهمز، وعيسى بن وردان. انظر: (إتحاف فضلاء

البشر ١٣٤، إعراب القرآن للعكبري ١٨/١، إعراب القرآن للنحاس ١٦١/١، البحر المحيطة

لأبي حيان ١٥٢/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩١/١، التبيان في تفسير القرآن للطوسي

١٤٧/١، مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٨٠/١، النشر في القراءات العشر لابن الجزري

٢١٠/٢.

(٢) سورة يوسف الآية (٣١).

كسرة راء «جر»، وألقى عليها ضمة همزة أمه، وهذا عندنا على شذوذه أعذر من قوله: «للملائكة اسجدوا»، وذلك أنه خفف همزة تثبت في الوصل وهو قولك: في هن أمه، فإذا كانت تثبت في الوصل جاز تخفيفها فيه، بل لا يكون التخفيف بإلقاء الهمزة ونقل الحركة إلا في الوصل، وليس فيه إلا شيء واحد، وهو حذفه حركة الإعراب لحركة غير ملازمة، وإنما هي للهمزة.

وأما قوله: «للملائكة اسجدوا» فإن همزة اسجدوا يحذفها في الوصل البتة، وإذا كانت محذوفة البتة لم يكن إلى تخفيفها سبيل؛ لأن الوصل يستهلكها أصلاً. فحركة ماذا - ياليت شعري! - تنقل وقد حُذف المتحرك بحركته أصلاً فلم يبق إلا الإتيان، وحركة الإتيان لا تبلغ مبلغ حركة تخفيف الهمز، من حيث كانت حركة الهمزة موجودة فيها في الابتداء والوصل جميعاً، فعلمت بذلك قوتها، وحركة الإتيان تجري مجرى الصدى الذي لا اعتداد به، ولا هو عندهم مما يعقد على مثله، فإذا ضعفت الحركة القوية فما ظنك بالحركة الضعيفة؟.

ونحو من هذه الحكاية عن أبي عبيدة: ما رواه أحمد بن يحيى: قال: كنا عند سعيد ابن سلم أنا وابن الأعرابي فخرجنا لصلاة العصر، وتأخرت لتجديد الطهر بعدهما، فلما خرجت قال لي ابن الأعرابي: أين أنت؟ ألا تسمع لهذا؟ قلت: ما هو؟ وإذا أبو سَرَّار الغنوي يتحدث، قال: كنت أحضر العراق فإذا أردت أهلي وقد اشترت منها وتبنتُ أجتاز بامرأة عجوز لها بنيات، فإذا نزلتُ عليها بهشن إلى وأطفن بي، فأفرز هن مما اشترت شيئاً أَدفعه إليهن، فقبرت زماناً، ثم جئت العجوز فوجدتها غائبة عن بيتها، وإذا أولئك الجوارى قد صرن نساءً، فبهشن إلى على عاداتهن، وجاءت العجوز فوجدتني خالياً معهن، فقالت: ما هذا؟ أفي السَّوْتَنَّة؟، أفي السَّوْتَنَّة؟، فقلت: وما في هذا؟ أرادت: أفي السَّوَّة أنته، فحذفت الهمزة من السَّوَّة تخفيفاً، وألقت حركتها على الواو فانفتحت الواو، وألقت حركة الهمزة في أنته على كسرة التاء من السَّوَّة فانفتحت، وحذفت همزة أنته فصارت: أفي السَّوْتَنَّة.

هكذا قال أحمد بن يحيى على كسرة التاء، وله وجه إلا أنه مع هذا ضعيف؛ وذلك أن هذه الهمزة إذا خففت فحذفت، وألقت حركتها على ما قبلها - لم يكن ذلك الذي قبلها إلا ساكناً نحو قوله تعالى: في قراءة ورش عن نافع - «قد افلح المؤمنون»^(١) «والأرض». وحكى أبو زيد في خُباة: أنه سمع بعضهم يقرأ «ويُمنيكُ السَّماءُ أنْ تَقَعَ

(١) سورة المؤمنون الآية (١). وهي قراءة ابن ذكوان، وحفص، وإدريس. انظر: (إتحاف فضلاء

عَلَّزْ»^(١) يريد على الأرض، فحُذِفَتْ همزة أرض تخفيفاً، وأُلْقِيَ حركتها على اللام وهي ساكنة كما ترى، فصارت عَلَّلَزْ، فكره اجتماع اللامين متحركين، فأُسْكِن اللام الأولى وأدغمها في الثانية فصارت «عَلَّزْ»، كما أسكن أبو عمرو: «لَكِنْ نَا» حتى صار لذلك «لَكِنَّا». فهذا التخفيف مع النقل إنما يكون إذا كان الأول الملقى عليه ساكناً، فأما إذا كان متحركاً فقد حَمَتُهُ حركته أَنْ يَقْبَلَ حركة أخرى غيرها.

والتَّاء من السُّوءَةِ محرّكة، فكيف يمكن إلقاء الحركة عليها مع وجود حركتها فيها؟ وعليه قراءة الكسائي فيما حدثنا به أبو على سنة إحدى وأربعين: «بِمَا أُنْزِلُكَ»^(٢) قياساً - فيما قال أبو على - عَلَى لَكِنَّا.

قال أبو على، ما نحن عليه ونَعَى هذه القراءة، وقال لحركة لام أنزل: فإذا قبّح ذلك مع أن حركة اللام بناء فما الظن بما حركته إعراب، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فالجناية إذاً عليها فوقها عليها.

وقول أحمد بن يحيى إنه ألقى فتحة أَتَنَّهُ على كسرة الهاء - طريقه: أنه لما نقل فتحة همزة أَتَنَنْ إلى ما قبلها صادفت كسرة السُّوءَةِ على شناعة النقل مع ذلك، فهجمت الفتحة على الكسرة فابتزّتها موضعها، وكلا القولين خبيث وضعيف. وعلى أننا قد أفردنا في كتاب الخصائص باباً لهجوم الحركات على الحركات، مختلفات كن أو متفقات^(٣)، لكنه ليس على هذا الذي كرهناه واستضعفناه.

فهذا كله يشهد بضعف قوله: «قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا». وفيه أكثر من هذا، ولولا تحامى الإملال لجئنا به، وفيما أوردناه كاف مما حذفناه.

* * *

وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٥﴾

ومن ذلك قال عباس: سألت أبا عمرو عن «الشَّجَرَةِ»^(٤) فكرهها، وقال: يقرأ بها براير مكة وسودانها.

(١) سورة الحج الآية (٦٥).

(٢) البقرة الآية (٤). انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٣٢، إعراب القرآن للعكبري ١/٨ البحر المحيط ١/٤١).

(٣) انظر: (الخصائص ٣/١٣٨ باب في هجوم الحركات على الحركات).

(٤) قراءة هارون الأعور. انظر: (البحر المحيط ١/١٥٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٠٤، الكشف للزمخشري ١/٦٣).

وقال هارون الأعور عن بعض العرب: تقول الشجرة. وقال ابن أبي إسحاق: لغة بنى سليم الشجرة.

قال أبو الفتح: حكى أبو الفضل الرياشي: قال: كنا عند أبي زيد وعندنا أعرابي فقلت له: إنه يقول الشيرة^(١)، فسأله فقالها، فقلت له: سله عن تصغيرها فسأله فقال: شيرة. وأنشد الأصمعي لبعض الرجاز في أرجوزة طويلة^(٢):

تحسبه بين الإكام شيرة

وإذا كانت الياء فاشية في هذا الحرف كما ترى فيجب أن تجعل أصلا يساوق الجيم، ولا تجعل بدلا من الجيم كما تجعل الجيم بدلا من الياء في قولهم: رجل فقيج أى فقيمي، وعربانج أى عرباني، وقوله^(٣):

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

يريد أمسيت وأمسي^(٤). قال أبو علي: هذا يدل على أن ما حذف لالتقاء الساكنين في حكم الحاضر المفلوظ به. قال: ألا ترى أنه أبطل من لام أمسيت بعد أن قدرها مفلوظا بها، ولو كان الحذف ثابتا هنا لما جاز أن يبدل من اللام شيء؛ لأن البطل إنما هو من مفلوظ به كما أن البطل مفلوظ به.

قال: وليست كذلك لام عشيّة إذا حقرتها فقلت: عشيّة؛ لأن الياء الثانية من عشيّة لم تحذف لالتقاء الساكنين لأنه لا ساكنين هناك، وإنما حذفت حذفاً للتخفيف، فلذلك سقط قول أبي العباس في تحقير العرب عشيّة على عشيّة؛ لأن الياء لم تثبت هنا فتبدل منها. وقال أبو الحسن: إن قوما يقولون في تحقير نحو فيلة من الياء: إن المحذوف منها الياء الثانية، فعلى هذا قال أبو علي ما قال.

(١) انظر: (البحر المحيط ١/١٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٠٤، الكشاف للزحاشي ١/٦٣، إعراب القرآن للعكبري ١/١٨).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١/١٥٨)، اللسان «شجر».

(٣) البيت في: (التكملة ص ٥٦٦، الصحاح ص ٢٩٧، ضرائر الشعر ص ٢٣٢، والمتع ص ٣٥٥، سر صناعة الإعراب ١/١٧٧، شرح المفصل ١٠/٥٠، شرح الملوكي ص ٣٢٩، ٣٣١، اللسان «مس» ٢٠/١٤٩، شرح شواهد الشافية ص ٤٨٦) وفيه: وقال أحد شراح أبيات الإيضاح للفارس قيل: إن هذا الشطر للعجاج: هو لقيس كما في حاشية التكملة، وليس في ديوانه. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١/١٧٧).

(٤) انظر: (سر صناعة الإعراب ١/١٧٧).

ومما أبدلت فيه الجيم من الياء قوله، ورويناه من غير وجه:

خالى عُويْف وأَبُو عَلِجٍّ المطعمان اللحمَ بالعَشَجِ
وبالغداة فُلِقَ الْبَرْنَجُ يُقْلَعُ بِالْوَدِّ وبالصَّصِجِ^(١)

وروينا أيضا قوله:

يا ربِّ إن كنتَ قبلتَ حشَجَجِجْ فلا يزال شاحج يأتيك بِـجِج^(٢)
وقال أبو النجم:

كَأَنَّ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشُّوْلَ من عبسِ الصَّيْفِ قُرُونِ الْإِجْلِ
يريد: الإيل.

فقد يجوز أن تكون الجيم في شجرة بدلا من الياء في شيرة لفشو شيرة، وقلة شجرة.

* * *

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴿٢٨﴾

ومن ذلك قراءة النبي ﷺ وأبى الطفيل، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعاصم الجحدري، وعيسى بن عمر الثقفي: «هُدًى»^(٣).

(١) وفي المصنف (١/١٧٨): «والذي عندي فيه أنه لما اضطرب قلب الياء إلى جيم مشددة عدل به إلى لفظ النسب وإن لم يكن منسوباً في المعنى كما تقول: أحمر وأحمرى .. فلم تحدث ياء الإضافة هنا معنى زائدا .. فإذا كان الأمر كذلك جاز أن يراد بالصحيح لفظ النسب كما تقدم. فلما اعترمت على ذلك حذفت تاء التانيث، لأنها لا تجتمع مع يائي الإضافة فلما حذفت الهاء بقيت الكلمة في التقدير: صيصى بمنزلة قاضى، فلما ألحقته ياءى الإضافة حذفت الياء ليأتى الإضافة، كما تقول في الإضافة إلى قاض: فصارت في التقدير صيصى، ثم إنه أبدلت من الياء المشددة الجيم كما فعلت في القوافي التي قبلها فصارت صيصح كما ترى.

(٢) وفي شرح شواهد الشافعية: «ولم يخطر ببال أبى على ولا على بال ابن حنبل رواية هذه الآيات عن أبى زيد في نوادره، ولهذا نسبها إلى القراء وقالوا: أنشدوها القراء. وقالوا: أنشدوها القراء. ولو خطرت ببالهما لم يعدلا عنه القراء البتة. لأن لهما غراما بالنقل عن نوادره. روى: «لاهم مكان» (يارب). الحجة، بالكسرة: المرة من الحجج. والشاحج: البغل والحمار، من شحج بالفتح يشحج بالفتح والكسر، أى صوت. انظر: (شرح شواهد الشافعية: ٢١٥/٤ وما بعدها).

(٣) أنظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٢٨، البحر المحيط ١/١٦٩، مجمع البيان للطبرسي ٩٠/١).

قال أبو الفتح: هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم؛ أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياءً. قال الهذلي^(١):

سبقوا هَوًى وأعنقوا لهواهم فتخروموا ولكل جنب مَصْرَعٌ^(٢)
ورويانا عن قطرب قول الشاعر^(٣):

يطوف بى عِكَب فى مَعَدٍّ وَيَطْعَن بالصُّمْلَةِ فى قَقِيَّا
فإن لَمْ تَنَارًا لى من عِكَبٌ فلا أرويتما أبدا صَدِيَّا

قال لى أبو على: وجه قلب هذه الألف لوقوع ياء ضمير المتكلم بعدها - أنه موضع ينكسر فيه الصحيح، نحو: هذا غلامى، ورأيت صاحبي؛ فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياء، فقالوا: هذه عَصَى، وهذا فتى، أى: عصاى وفتاى، وشبهوا ذلك بقولك: مررت بالزَّيْدَيْنِ، لما لم يتمكنوا من كسر الألف للجرح قلبوها ياء، ولا يجوز على هذا أن تقلب ألف التثنية لهذه الياء، فتقول هذان غلامى؛ لما فيه من زوال علم الرفع، ولو كانت ألف عصا ونحوها علما للرفع لم يجر فيها عَصَى.

ومنهم من يبدل هذه الألفات فى الوقف ياءات، فيقول: هذه عَصَى، ورأيت حُبلى، وهذه رَجَى، أى الناحية؛ يريد رجًا.

ومنهم من يبدلها فى الوقف أيضا واوا فيقول: هذه عَصَوَ وَأَفْعَوَ وَحُبَلَوَ. ومنهم من يبدلها فى الوصل واوا أيضا، فيقول: هذه حُبَلَوَ يا فتى.

ومن البدل فى الوقف ياء ما أنشده بعض أصحابنا، وهو محمد بن حبيب:

(١) هو من قصيدة لأبى ذؤيب، قالها وقد هلك له خمسة بنين فى عام واحد، أصابهم الطاعون، وفى رواية: وكان له سبعة بنين شربوا من لبن شربت منه حية ثم ماتت فيه، فهلكوا فى يوم واحد، ومطلع القصيدة:

أمن المنون وريبها تستوجع والهر ليس بمعتب من يحزع
انظر: (ديوان الهذليين ١/١ وما بعدها).

(٢) هَوًى أى: هواى، وهى رواية واردة فى الأصل - أيضا - وهى لغة هذيل فى كل اسم مقصور مضاف إلى ياء المتكلم، فيقولون: فتى وعصى، أى فتاى وعصاى، وأعنقوا: أسرعوا، ويروى: «وأعنقوا لسبيلهم ففقدتهم». «فتخروموا» أى أخذوا واحداً واحداً. انظر: (هامش الديوان ٢/١).

(٣) نسب فى اللسان «عكب» للمنعل الشكرى، وكان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، ووقف النعمان على ذلك فدفقه إلى عكب، وهذا قيده وعذبه. انظر: (الحماسة للتبزيى ٤٨/٢، الإصلاح ٤٤٤، الخصائص ١/١٧٨. وهامشه).

إِنْ لَطَىٰ نِسْوَةٌ تَحْتَ الْفَضَىٰ يَمْنَعُهُنَّ اللَّهُ مِمَّنْ قَدْ طَغَىٰ
بِالْمَشْرِقِيَّاتِ وَطَعْنُ بِالْقَنَىٰ يَا حَبِذَا جَفَانُكَ ابْنُ قَحْطَبَىٰ
وَحَبِذَا قَدْرُكَ الْمَنْصَبَىٰ كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهَا إِذَا غَلَىٰ
صَوْتُ جَمَالٍ هَدَرَ يَ فَقَبْقَبَىٰ^(١)

أراد: ابن قحطبة، فإما أن يكون حذف الهاء للترخيم في غير النداء فبقيت الباء مفتوحة فأشبع الفتحة للقافية فصارت قحطبا، ثم أبدل الألف ياءً على ما مضى؛ وإما أن يكون أبدل الهاء ألفا، فصارت قحطبة إلى قحطبا ثم أبدل الألف ياءً على ما مضى. وعلى ذلك يجوز أيضا أن يكون قوله^(٢).

كفعل الهرّ يحترش العظايا^(٣)

أراد: العظاية، ثم أبدل الهاء ألفا، فصار العظايا^(٤).

وإن شئت قلت: شبه ألف النصب بهاء التأنيث فقال: العظايا، كما تقول العظاية، وهذا قول أبي عثمان.

وفيه قول لى ثالث، وهو أن يكون العظايا جمع عَظَايَةٍ على التكسير، كما تقول فى حمامة حمام؛ فعظايا على هذا كمطايا وحوايا جمع حَوِيَّةٍ.

وأما قوله: الْمَنْصَبَىٰ فأراد المنصبة، فأبدل الهاء ألفا، ثم أبدل الألف ياءً على ما مضى،

(١) المنصف ١٦٠/١ قال: فى كله بالياء، ويقولون فى الوصل: روى يا فتى، وغضى، وفتى.

(٢) هو للمستوغر بن ربيعة كما فى طبقات فحول الشعراء ص ٣٥، ٣٤، وأمالى المرتضى ٢٣٥/١، ونسب فى اللسان «حما» ٢١٨/١٨ إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وهو بغير نسبة فى المنصف ١٥٥/٢، سر صناعة الإعراب ١٦٥/١، واللسان «ثمن» ٢٣٠/١٦، وضرائر الشعر ص ٢٣٠، والخصائص ٢٩٢/١، ٣٧٦/٢ ويحترش: يصيد. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١٦٥/١).

(٣) وصدرة: «ولاعب بالعشى بنى بنيه».

(٤) قال ابن جنى فى سر صناعة الإعراب: وأخذته على أبو على وقت قراءة تى تصريف أبى عثمان عليه، فقال: ولا يُشْفَى: إنه شبه ألف النصب فى العظايا والشفايا بهاء التأنيث فى نحو عظاية وصلاية. (انظر: المنصف ١٥٥/٢) يريد أبو عثمان أنه صحح الياء وإن كانت طرفاء؛ لأنه شبه الألف التى تحدث عن فتحة النصب بهاء التأنيث فى نحو عَظَايَةٍ وَعَبَايَةٍ، فكما أن الهاء فىهما صححت الياء قبلها، فكذلك صححت ألف النصب فى الشفايا والعظايا الياء التى قبلها، وهذا ونحوه مما قال سيويه فيه، انظر: (الكتاب ١٣/١) وليس شىء مما يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وَحَهَا. انظر: (سر صناعة الإعراب ١٦٥/١).

ولا يجوز أن يكون أراد هنا الترخيم؛ لأن فيه لام التعريف، وما فيه هذه اللام فلا يجوز نداؤه أصلاً، فهو من الترخيم أبعد. وهذا يُفسد قول من قال في قول العجاج^(١):

أَوَالفَا مَكَّةَ مِنْ وَرْقِ الْحَمَى^(٢)

إنه أراد الحمام ثم رخم؛ لأن ما فيه لام التعريف لا ينادى أصلاً فكيف يرخم؟ وأما قوله: هَدَرَىٰ فَإِنَّهُ أَرَادَ هَدَرَ ثُمَّ أَشْبَعَ الْفَتْحَةَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ^(٣):

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ^(٤)

فصار هَدَرًا ثُمَّ أَجْرَى الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ فَقَالَ: هَدَرَىٰ.

(١) انظر: (ديوان العجاج ٥٩، اللسان «حمم»، الخصائص ٣٧/٣، الكتاب ٢٦/١)، وقد ورد فيه قواطنا مكة من ورق الحمى.

(٢) وفيه أوجه: أن يكون حذف الألف والميم وجر باقى الكلمة بالإضافة وألحقها الياء لوصل القافية أو أن يكون حذف الألف فقط فصار الحمم ثم أبدل من الميم الثانية ياء استئقلا للتضعيف، كما قالوا تظنيت فى تظلنت، ثم كسر ما قبل الياء، لثلا تقلب ألفا فصار الحمى، أو أن يكون حذف الميم للترخيم فى غير نداء وأبدل من الألف يا عن الشتمرى (اللسان).

(٣) هو لعنزة من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

هل غادر الشعراء من متسردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
عجزه: «زيافة مثل الفتيق المكدم».

انظر: (شرح القصائد السبع الطوال للأنبارى ٣٣٢).

(٤) قال أكثر أهل اللغة: ينباع معناه ينبع على مثال يفعل، من نبع الماء ينبع فزاد الألف على الإنباع لفتحة الباء، لأنهم ربما وصلوا الفتحة بالألف، والضممة بالواو، والكسرة بالياء. قال الراجز:

لا عهد لى بنىضال أصبححت كالشن البال

أراد: بنضال، من المنضالة والذفرى والذفران: الحيدان المشرفان وراء الأذنين، وهما عن يمين الفقرة وشمالها وأول شيء يعرق من البعير الذفران، وأول ما يبدو فيه السمن لبانه وكثره، وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسلاميته وعظام أخفافه...

و«الغضوب» والغضبي واحد، وهى المتزغمة و«الجسرة» الطويلة ويقال: رجل جَسْرٌ، أى طويل قال الشاعر: «ديار حود جسرة المخدم».

وقال أبو جعفر: فى ينباع: هو ينفل من باع ييوع إذا مره مر لبنا فيه تلو، كقول الآخر: «ثمت ينباع البياح الشجاع».

وأنكر أن يكون الأصل فيه يَنْبَع، وقال: ينبع يخرج، كما يخرج الماء من الأرض، ولم يُرد هذا، إنما أراد السيلان وتلويه على رقبتهما كتلوى الحية. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال ٣٣٢).

وكذلك قوله: قَبَّيْٓءُ أَرَادَ قَبَقِبَ، ثم أَشْبَعَ فصار قَبَقِبَا، وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس فى قوله محتجا عليه بقول الشاعر:

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنَى مِسُورًا فَلَبَّيْٓىٕ فَلَبَّيْٓىٕ يَدَىٓ مِسُورِ

قال سيبويه: لو كان ليك اسمًا واحدًا كما يقول يونس، وإنما قُلِبَ فى ليك لاتصاله بالضمير كما يُقَلَبُ فى إِلَيْكَ وَعَلَيْكَ - لما قال فَلَبَّيْٓىٕ يَدَىٓ مِسُورِ، وَلَقَالَ فَلَبَّيْٓىٕ يَدَىٓ مِسُورِ على حد قولك: على يَدَىٓ فُلَانٍ، وَإِلَى يَدَىٓ جَعْفَرٍ، فثبت الياء مع المظهر يدلُّك على أَنَّهُ لم يَقلَبْ فى ليك على حد ما قلب فى إِلَيْكَ وَعَلَيْكَ، وفى ذلك رد لقول يونس: إِنْ لِيكَ مفرد كإِلَيْكَ وَعَلَيْكَ.

قال أبو على: يمكن يونس أن يقول: إنه أجرى الوصل مجرى الوقف، فكما تقول فى الوقف: عَصَى وَفَتَى كذلك قال: فَلَبَّيْٓىٕ، ثم وصل على ذلك، هذا ما قاله أبو على.

وعليه أن يقال: كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه؟.

وجوابه: أن ذلك قد جاء؛ ألا ترى إلى ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

ضَخَّمْ نَجَارَى طَيِّبٌ عُنْصُرَى ^(١)

أراد عنصرى فتقلَّ الراء لنية الوقف، ثم أطلق بالإضافة من بعد.

نعم، وإذا جاز هذا التوهم مع أن المضاف إليه مضمَر، والمضمَر المجرور لا يجوز تصور انفصاله فأن يجوز ذلك مع المظهر الذى هو «يَدَى» أولى وأجدر، من حيث كان المظهر أقوى من المضمَر.

ومثله قوله:

يا ليتها قد خرجت من فَمِّه ^(٢)

أراد من فمه، ثم نوى الوقف على الميم فتقلَّها على حد قوله فى الوقف: هذا حالْدٌ، وهو يعمل، ثم أضاف على ذلك فهذا كقولهم: عنصرى.

(١) انظر: (الخصائص ٣/٢١٤).

(٢) انظر: (الخصائص ٣/٢١٤)، اللسان «فوه» عجزه: «حتى يعود الملك فى أسطمه». أسطم الشيء: معظمه.

ويروى من قُمة: بضم الفاء أيضا، وفيه أكثر من هذا.

* * *

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴿٤٥﴾

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى وابن أبى إسحاق، وعيسى الثقفى والأعمش «إسرائيل» (١) بلا همز.

قال أبو الفتح: إن لم يكن ذلك همزا خففا فَخَفِيَ بتخفيفه فَعَبَّرَ عنه بترك الهمز، فذلك من تخليط العرب فى الاسم الأعجمى.

قال أبو على: العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه، أنشدنا (٢):

هل تعرف الدارَ لأُم الخزرج منها فظَلَّتَ اليومَ كالمُزْرَجِ (٣)

قال: وقياسه كالمزرجن؛ لأنه من الزرجون وهو الخمر، والنون فى زرجون ينبغى أن يكون أصلا بمنزلة السين من قرئوس.

وأنشدنا لرؤبة (٤):

فى خِذْرِ مِيَّاسِ الدُّمَى الْمُعْرَجِنِ

فهذا من العرجون، وكذا كان قياسه أن يقول: المزرجن. وإذا جاز للعرب أن تخلط فى العربى وهو من لغتها، فكيف يكون - ليت شعرى - فيما ليس من لغتها؟.

ومما خلطت فيه من لغتها قول لبيد (٥)

دَرَسَ المنا بمِمالع فأهان (٦)

(١) قراءة حمزة، والأزرق، وأبى جعفر، والمطوعى عيسى بن عمر. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١٧١/١، الجامع لأحكام القرآن ٣٣١/١، إتحاف فضلاء البشر ١٣٥).

(٢) انظر: (الخصائص ٣٦٠/١).

(٣) قال: أى: الذى شرب الزرجون، وهو الخمر، فاشتق المزرج من الزرجون، وكان قياسه، كالمزرجن.

(٤) انظر: (الخصائص ٣٦٠/١، ديوانه ٥٦).

(٥) عجزه: «وتقادت بالحبس فالسوبان». انظر: (ديوانه ٢٠٦). ويروى: «بالحس بين البيد فالسوبان» ويروى: فتقادت.

(٦) المنا: منزل، وقيل: المنى: الحذاء، يقال دارى بمنى دار فلان، فكأنه قال: درس المحاذى لمنالغ-

يريد المنازل. وقال علقمة^(١):

مُفَدَّمٌ بِسَبَا الْكُتَّانِ مَلْثُومٌ

أراد بسبائب. وهو كثير، ونكّره الاستكثار من الشواهد والنظائر؛ تحاميا لطول الكتاب.

* * *

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴿٤٠﴾

ومن ذلك قراءة الزهري: «وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم» مشددة.

قال أبو الفتح: ينبغي - والله أعلم - أن يكون قرأ بذلك لأن فعلت أبلغ من أفعلت؛ فيكون على أوفوا بعهدي أبلغ في توفيتكم؛ كأنه ضمان منه سبحانه أن يعطي الكثير عن القليل، فيكون ذلك كقوله سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢)، وهو كثير.

* * *

يَذَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٤١﴾

ومن ذلك قراءة ابن محيصن: «يذَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ»^(٣).

قال أبو الفتح: وجه ذلك أن فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثر؛ وذلك لدلالة الفعل على مصدره، والمصدر اسم الجنس، وحسبك بالجنس سعة وعموما؛ ألا ترى إلى قول عبد الرحمن بن حسان^(٤):

=ومتالع: جبل بمنى. وأبان والحبس: جبلان بالبادية والسويان: واد لبنى تميم وقال بعض الشراح: المنا: المنازل، وحذف الشاعر منها الزاى واللام. تقادمت: قدمت. انظر: (هامش الديوان ٢٠٦).

(١) انظر: الخصائص ٨١/١، ٤٣٩/٢، المفضليات ٤٠٢. صدره: «كأن إيريقهم ظبي على شرف».

(٢) سورة الأنعام الآية (١٦٠).

(٣) قراءة الزهري. انظر: (الكشاف للزخشري ٦٨/١، مجمع البيان للطبرسي ١٠٤/١ وإعراب القرآن للنحاس ١٧٣/١، إعراب القرآن للعكبري ٢١/١، البحر المحيط لأبى حيان ١٩٣/١، إتحاف فضلاء البشر ١٣٥).

(٤) انظر: (الكتاب ٥٥٥/٣، المقتضب ١٦٦/١، الخصائص ١٥٤/٣، المنصف ٧٦/١، شرح المفصل ١١١/٩، ١١٤، شرح شواهد الشافية ٢٤١/٤).

وكنْتَ أَذَلَّ من وَتَد بَقَاعٍ يَشْجُجُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِسِي
ولم يقل مُوجِسِي، فكأنه قال: يَشْجُجُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ شَاج؛ لأنَّ واجِيء فاعل كشاج.
وأنشد أبو الحسن:

أَنْتَ الْفِدَاءُ لِقَبْلَةِ هَدْمَتِهَا وَنَقَرْتَهَا بِيَدَيْكَ كُلَّ مَنْقَرٍ
كأنه قال: ونقرتها: لأن قوله: كل منقر عليه جاء. وبعده قوله:
فطار كُلَّ مُطَيَّرٍ

فهذا على أنه كأنه قال: فَطَيَّرَ كُلَّ مُطَيَّرٍ، ولما في الفعل من معنى المصدر
الدال على الجنس ما لم يجز تنثيته ولا جمعه؛ لاستحالة كل واحد من التنثية والجمع في
الجنس.

فأما التنثية والجمع في نحو قولك: قمت قيامين، وانطلقت انطلاقين، وعند القوم
أفهام، وعليهم أشغال. فلم يُثَن شَيْء من ذلك، ولا يُجْمَع ولم يُرَدَّ وهو مُرَادُّ به
الجنس؛ لكن المراد به النوع. وقد شرحنا ذلك في غير موضع من كتبنا، وما خرج من
التعليق عنا.

* * *

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴿٥٠﴾

ومن ذلك قراءة الزهري أيضا: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ»^(١)، مشددة.

قال أبو الفتح: معنى فرّقنا أى جعلناه فِرْقًا، ومعنى فرّقنا: شققنا بكم البحر، وفرّقنا
أشد تبعيضا من فرّقنا، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٢). يحتمل أن
يكون فريقين، ويحتمل أن يكون أفراقا؛ ألا ترى أنك تقول: قسمت الثوب قسمين،
فكان كل قسم واحد منهما عشرين ذراعا، كما تقول ذلك وهو جماعة أقسام.

ومن ذلك فَرَقْتُ شَعْرَهُ أَى: جعلته فِرْقَيْنِ، وفَرَقْتُ شَعْرَهُ أَى: جعلته فِرْقًا. وجاز هنا
لفظ الجمع؛ لأن كل رجل منهم قد خرق من البحر وفَرَّقَ خَرَقًا وفِرْقًا.

(١) قراءة الأخفش. انظر: (الكشاف للزخشري ٦٨/١، مجمع البيان للطبرسي ١٠٦/١، الجامع

لأحكام القرآن ٣٨٧/١، تفسير الفخر الرازي ٣٤٨/١، البحر المحيط لأبي حيان ١٩٧/١).

(٢) سورة الشعراء الآية (٦٣).

وقد يكون أيضا في فَرَقْنَا مخففة معنى فَرَقْنَا مشددة على ما مضى آنفا في: «يَذْجُحُونَ أبناءكم».

* * *

فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٥٤﴾

ومن ذلك قال ابن مجاهد: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثنا خالد بن مِرْدَاس قال: حدثنا الحكم بن عمر الرعيّني قال: أرسلني خالد بن عبد الله القسري إلى قتادة أسأله عن حروف من القرآن، منها قوله: «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»، فقال قتادة: «فاقتلوا أنفسكم»^(١) من الاستقالة.

قال أبو الفتح: اقتال هذه افتعل، ويصلح أن يكون عينها واوا كاقْتاد، وأن يكون ياء كاقْتاس. وقول قتادة: إنها من الاستقالة - يقتضى أن يكون عينها ياء؛ لما حكاه أصحابنا عموما: من قِلْتُ الرجل في البيع بمعنى أقلتّه، وليس في قِلْتُ دليل على أنه من الياء، لقولهم: خِفْتُ ونِمْتُ وهما من الخوف والنوم، لكنه في قولهم في مضارعه: أقيله. وليس يحسن أن يحملّه على مذهب الخليل في طَحَت أطيح وتهت أتيه: أنهما فَعِلْتُ أَفْعِلُ من الواو؛ لقلة ذلك. وعلى أن أبا زيد قد حكى: ماهت الركيّة تميّه، ودامت السماء تديم؛ لقلة ماهت تميّه؛ ولأن أبا زيد قد حكى في دامت تديم المصدر وهو دَيْمًا - فقد يكون هذا على أن أصل عينه ياء.

وحدثني أبو عليّ بحلب سنة ست وأربعين قال: قال بعضهم: إِنَّ قِلْتُ الرجل في البيع ونحوه إنما هو من: قُلْتُ له افسخ هذا العقد، وقال لي: قد فعلتُ، فهي عند من ذهب إلى ذلك من الواو.

قال أبو علي: ويفسد هذا ما حكوه في مضارعه من قولهم: أقيله؛ فهذا دليل الياء. قال: ولا ينبغي أن يحمل على أنه فَعِلَ يَفْعِلُ من الواو - يريد مذهب الخليل - لقلة ذلك^(٢).

قال: لكنه من قولهم: تَقِيلُ فلان أباه: إذا رَجَعَتْ إليه أشباه منه. فمعنى أقلتّه على هذا: أني رجعت له عما كنت عقدته معه، ورجع هو أيضًا؛ فقد ثبت بذلك أن عين

(١) انظر: (البحر المحيط ٢٠٨/١).

(٢) انظر: (المنصف ٢٦١/١).

استقال من الياء. ولا يعرف في اللغة افتعلت من هذا اللفظ في هذا المعنى ولا غيره، وإنما هو استفعلت استقلت.

وقد يجوز أن يكون: قتادة عرف هذا الحرف على هذا المثال، وعلى أنه لو كان بمعنى استقلت لوجب أن يُستعمل باللام، فيقال: استقلت لنفسى أو على نفسى، كما يقال: استعظفت فلانا لنفسى وعلى نفسى، وليس معناه أن يسأل نفسه أن تُقِيلَه. وإنما يريد: أنه يسأل ربه عز وجل أن يعفو عن نفسه. وكان له حرى - لو كان على ذاك - أن يقال: فاقتالوا لأنفسكم؛ أى: استقبلوا لها، واستصفحوا عنها.

فأما اقتال متعديا فإنما هو فى معنى ما يجتره الإنسان لنفسه من خير أو شر ويقترحه، وهو من القول. قال:

بما اقتال من حُكْمٍ عَلَى طيِّبٍ^(١)

أى: بما أَرادَه واقتَرَحَه واستامَه، وليس معنى هذا معنى الآية، بل هو بضده؛ لأنه بمعنى استلينوا واستعطفوا. هذا ما يُحْضِرُهُ طريقُ اللغة، ومذهب التصريف والصنعة. إلا أن قتادة ينبغى أن يُحَسِّنَ الظنُّ به؛ فيقال: إنه لم يورد ذلك إلا بحجة عنده فيه من رواية أو دراية.

* * *

لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ ﴿٥٥﴾

ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمى: «جَهْرَةً» «وَزَهْرَةً»^(٢)، كل شىء فى القرآن محرّكا.

قال أبو الفتح: مذهب أصحابنا فى كل شىء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه، كالزَّهْرَةُ والزَّهْرَةُ، والنَّهْر والنَّهْر، والشَّعْر والشَّعْر، فهذه لغات عندهم كالنشز والنشز، والحلب والحلب، والطرد والطرد.

(١) ذكره ابن حنّى فى المنصف ٩٢/٣ قال: مقاتل: مفتعل من القول، يقال: امتثال الرجل على صاحبه: إذا احتكم عليه، قال:

ومنا اقتال من حكم على طيب ومنزلة فى دار صدق وغبطة

(٢) سورة طه الآية (١٣١).

ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعه؛ كالبَحْر والبحر والصَّخْر والصخر.

وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق فيه إلا فى أيديهم. وذلك أننى سمعت عامة عُقَيْل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره، حتى لسمعت الشجرى يقول: أنا محموم بفتح الحاء، وليس أحد يدعى أن فى الكلام مَفْعول بفتح الفاء.

وسمعت مرة أخرى يقول: وقد قال له الطبيب: مَصَّ التفاح وارم بثقله - والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تَعْدُو بفتح الغين، ولا أحد يدعى أن فى الكلام يَفْعَل، بفتح الفاء.

وسمعت جماعة منهم - وقد قيل لهم: قد أقيمت لكم أنزالكم من الخبز - قالوا: فاللحم، يريدون اللحم، بفتح الحاء.

وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه: ساروا نحوه بفتح الحاء، ولو كانت الحاء مبنية على الفتح أصلا لما صحت اللام لتحركها وانفتاح ما قبلها؛ ألا تراك لا تقول: هذه عصو ولا فتو؟ ولعمري إنه هو الأصل لكن أصل مرفوض؛ لليلة التى ذكرنا، فعلى هذا يكون جَهْرَة وزهرة - إن شئت - مبنيا فى الأصل على فعلة، وإن شئت كان إتباعا على ما شرحنا الآن.

* * *

أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ

ومن ذلك قراءة الأعمش: «اثنتا عشرة»^(١)، بفتح الشين.

قال أبو الفتح: القراءة فى ذلك «عشرة» و «عشرة»، فأما «عشرة» فشاذ، وهى قراءة الأعمش. وعلى الجملة فينبغى أن يعلم أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات والتخليطات، ونُقِضَتْ فى كثير منها العادات، وذلك أن لغة أهل الحجاز فى غير العدد نظير عشرة: عشرة، وأهل الحجاز يكسرون الثانى، وبنو تميم يسكنونه. فيقول الحجازيون: نَبَقَة وفَخِذ، وبنو تميم تقول: نَبَقَة وفَخِذ، فلما ركب الاسمان استحال

(١) قراءة ابن الفضل الأنصارى. انظر: (الكشاف للزخشري ٣٦٣/١، تفسير الفخر الرازى ٣٦٣/١، إعراب القرآن للعكبرى ٢٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢٢٩/١، شرح المفصل لابن يعيش ٢٧/٦، شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى ٢٧٤/٢، اللسان مادة «عشر»).

الوضع فقال بنو تميم: إحدى عشرة وثنتا عشرة إلى تسع عشرة، بكسر الشين وقال أهل الحجاز: عشرة بسكونها. ومنه قولهم في الواحد: واحد وأحد، فلما صاروا إلى العدد قالوا: إحدى عشرة، فبنوه على فعلى، ومنه قولهم: عشر وعشرة، فلما صاغوا منه اسما للعدد بمنزلة ثلاثون وأربعون قالوا: عشرون، فكسروا أوله. ومنه قولهم: ثلاثون وأربعون إلى التسعون، فجمعوا فيه بين لفظين ضدّين، أحدهما يختص بالتذكير والآخر بالتأنيث، أما المختص بالتذكير فهو الواو والنون، وأما المختص بالتأنيث فهو قولهم: ثلاث وأربع وتسع في صدر ثلاثون وأربعون وتسعون. وكل واحد من ثلاث وأربع وخمس وست إلى تسع هكذا بغير هاء تختص بالتأنيث. ولما جمعوا في هذه الأعداد - من عشرين إلى تسعين - بين لفظي التذكير والتأنيث صلحت لهما جميعا، فقليل: ثلاثون رجلا، وثلاثون امرأة، وخمسون جارية وخمسون غلاما، وكذلك إلى التسعين.

ومنه: أيضا اختصارهم من ثلاثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد، ولم يقولوا: ثلاث مئتين، ولا أربع مئتين إلا مستكرها وشاذا. فكما ساغ هذا وغيره في أسماء العدد قالوا أيضا: «اثنتا عشرة» في قراءة الأعمش هذه، وينبغي أن يكون قد روى ذلك رواية، ولم يره رأيا لنفسه.

وعلى ذلك ما يروى: من أن أبا عمرو حضر عند الأعمش فروى الأعمش: أن النبي ﷺ كان يتخولنا بالموعظة. فقال أبو عمرو: إنما هو يتخولنا بالنون، فأقام الأعمش على اللام، فقال له أبو عمرو: إن شئت أعلمتك أن الله لم يعلمك من هذا الشأن حرفا فعلت، فسأل عنه الأعمش، فلما عرف أبا عمرو كبر عنده وأصغى إليه، وعلى أن هذا الذي أنكره أبو عمرو صحيح عندنا؛ وذلك أن معنى يتخولنا: يتعهدنا، فهو من قوله^(١):

يساقطُ عنه رُوقه ضارِياتِها يسقاط حديد القَيْنِ أخول أخولا
أى شيئا بعد شيء، ومنه قولهم: فلان يَحُولُ على أهله: أى يتفقدهم، ويتعهد أحوالهم. ومنه قولهم: خال مال، وخائل مال: إذا كان حسن الرعية والتفقد للمال. والتركيب مما تُغير فيه أوضاع الكلم عن حالها في موضع الأفراد، من ذلك حكاية أبى عمرو الشيباني من قول بعضهم في حضرموت: حضرموت بضم الميم، ليصير على وزن المفردات نحو عُضْر فُوط وَيَسْتَعُور.

(١) نسه في اللسان مادة «سقط» إلى ضايغ بن الحارث البرجمي، وذكره في الخصائص ١٣٢/٣،

ومن تحريف ألفاظ العدد ما أنشدته أبو زيد في نواتره^(١):

علام قتل مسلم تعمدا مذ سنة وخمسون عددا
بكسر الميم من خمسون، وعذره وعلته عندى أنه احتاج إلى حركة الميم لإقامة
الوزن، فلم ير أن يفتحها فيقول: خمسون؛ لأنه كان يكون بين أمرين: إما أن يُظنَّ أنه
كان الأصل فتحها ثم أُسكنت، وهذا غير مألوف؛ لأن المفتوح لا يسكن خففة الفتحه.
وإما أن يقال: إن الأصل السكون فاضطر ففتحها، وهذا ضرورة إنما جاء فى الشعر،
نحو قوله: ^(٢)

مُشْتَبِه الأعلامَ لَمَاعِ الخَفَقِ^(٣)

أى الخَفَق. ومنه قول زهير^(٤):

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم ماءً بشرقى سلمى فيدُ أو رَكَكُ^(٥)
قال أبو عثمان: قال الأصمعي: سألت أعرابيا - ونحن فى الموضع الذى ذكره زهير -
يعنى هذا البيت ؛ فقلت له: هل تعرف رككا؟ فقال: قد كان هاهنا ماءً يسمى رَكَكاً^(٦).

(١) انظر: (النوادر ١٦٥، الخصائص ٧٩/٢ اللسان «خمسة»).

(٢) هو من قول رؤبة، وصدره: «وقائم الأعماق خاوى المخرق». انظر: (المنصف ٣٠٨/٢).

(٣) قال ابن حنى: فحرك الخَفَق، وهو يريد: الخَفَق - للضرورة. انظر: (المنصف ٣٠٨/٢).

(٤) من قصيدة قال الأصمعي عنها: ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه وكان الحارث بن
ورقاء الصيداوى من بنى أسد أغار على بنى عبد الله بن غطفان فغيم واستاق إبل زهير وراعيه
يسارا، فقالها ومطلعها:

بأن الخليط ولم يادوا لمن تركوا وزودوك اشتياق أية سلبكوا

انظر: (شرح ديوانه لثعلب ١٦٤).

(٥) رواية الديوان، والمنصف ٣٠٩/١.

ثم استمروا وقالوا إن موعدكم.

وقال ثعلب: ويروى «إن مشربكم»، وقال الأصمعي: قلت لأعرابي أين ركك؟ فقال: لا أعرفه،
ولكن هاهنا ماء يقال له «رك» فاحتاج فأظهر الإدغام. استمروا استقاموا واستقام أمرهم فمروا.
انظر: (شرح الديوان ١٦٧).

(٦) قال ابن حنى: يجوز أن تكون مسألة الأصمعي عن ذلك ليعلم أى موضع رك. ويجوز أن يكون
أيضا أراد أن يعلم هل «ركك» لغة فى «رك» إن كان قد سمع رَكَكاً قبل ذلك؛ أو أن يعلم هل
هذه ضرورة من زهير أو لا أو أى ذلك أراد، فقد استبان أنه إنما حركه ضرورة. انظر: (المنصف
٣٠٩/٢، ٣١٠).

قال الأصمعي: فعلمت أن زهيرا احتاج إليه فحرّكه، فعدل عن الفتح؛ لئلا يُعرَفَ
بأثر الضرورة فعدله إلى موضع آخر فكسر الميم، فكأنه راجع بذلك أصلا حتى كأنه
كان خمسون ثم أُسْكِنَ تخفيفا، فلما اضطر إلى الحركة كسر، فكان بذلك كمراجع
أصلا لا مستكرها على أن يُرى مضطرا.

وأنسه أيضا بذلك: ما جاء عنهم من قولهم: إحدى عشرة وعشرة، فصار خميس
من خمسون بمنزلة عشرة، وصار خمسون بمنزلة عشر.

* * *

مِمَّا تَنَبَّأَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَّابِهَا (٦٦)

ومن ذلك قراءة يحيى بن وثاب والأشهب: «وقتاتها» (١).

قال أبو الفتح: الضم في القَتَاءِ حَسَنُ الطريقة، وذلك أنه من النوبات، وقد كثر
عنهم في هذه النوبات الفُعَالُ كَالزُّبَادِ وَالْقُلَامِ وَالْعُلَامِ وَالْثُقَاءِ. ومن هاهنا كان أبو
الحسن يقول في رمان: إنه فُعَالٌ؛ لأنه من النبات وقد كثر فيه الفعّال على ما مضى.
وأما قياس مذهب سيبويه: فأن يكون فُعْلَان، بزيادة النون؛ لغلبة زيادة النون في هذه
المواضع بعد الألف.

وله أيضا وجه من القياس: أنه من معنى رَمَمْتُ الشَّيْءَ: إذا جمعت أجزأه، وهذه
حال الرمان، وقد جاء بهذا الموضع نفسه بعض المولدين فقال:

مَا يُحْسِنُ الرُّمَانُ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فَيُقَشِّرُهُ إِلَّا كَمَا نَحْنُ
ويدل على أنه من معنى الاجتماع والتضام: تسميتهم لرمان البر: الْعَطَّ، وذلك لقوة
اجتماعه، واتصال أجزائه، فهو من معنى المماطة المعازة، وهو إلى الشدة. ويدل على
صحة مذهب سيبويه في أن الألف والنون إذا جاءتا بعد المضاعف كانتا بحالهما وهما
بَعْدَ غير المضاعف - ما ورد في الخبر عن النبي ﷺ: أَنْ قُومًا وَرَدُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ
أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: بَنُو عَيَّانٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَلْ أَنْتُمْ بَنُو رَشْدَانَ». أفلا تراه كيف اشتق
الاسم من الغيِّ والغَوَايَةِ حتى حكم بزيادة النون؛ لأنه قابله بضده وهو قوله: «رشدان»،

(١) وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٨١، إعراب القرآن للعكبري
٢٣/١، الكشف للزمخشري ١/٧٢، البحر المحيط لأبي حيان ١/٢٣٣، الجامع لأحكام القرآن
للقرطبي ١/٤٢٤).

وترك أن يشتقه من الغَيْن، وهو إلباس الغيم؟ ألا ترى إلى قوله^(١):

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتِي عُقَابٍ أَصَابَ حَمَامَةً فِي يَوْمِ غَيْنٍ^(٢)

فصار «غَيَان» عنده مع التضعيف الذي فيه بمنزلة ما لا تضعيف فيه من نحو مرجان وسعدان، فكما يحكم بزيادة النون في مثل هذا من غير التضعيف، كذلك حكم بزيادتها مع التضعيف.

* * *

وَتُؤْمِنُهَا وَعَدَسِيهَا (٦٦)

ومن ذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس: «وتؤمنها»^(٣)، بالثاء.

قال أبو الفتح: يقال: التَّؤْمُ والتَّؤْمُ بمعنى واحد؛ كقولهم: جدث وجدف، وقام زيد ثم عمرو، ويقال أيضا فَمَّ عمرو. فالفاء بدل فيهما جميعا، ألا ترى إلى سعة تصرف الثاء في جدث؛ لقولهم أجداث ولم يقولوا أجداف، وإلى كثرة تُمَّ وقلة فَمَّ؟ ويقال: الفوم؛ الحنطة قال^(٤):

قد كنت أحسبني كأغني واحد وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ

أى حنطة.

* * *

(١) قال ابن جني في المنصف: (٤٨/٣). قرأت على أبي علي بن أبي بكر عن ابن رستم، عن ابن السكيت:

فداء خالتي وفلدى صديقي	وأهلى كلهم لبنى قعين
فأنت جوتنسى بعنان طرف	جوم الشلذى بذل وصول
كأنى بين خافيتى عقاب	تريد حماسة فى يوم غين

(٢) قال ابن جني في المنصف (٤٨/٣): يقال: الغيم، والغين واحد، ومنهم من يفصل بينهم فيقول: الغين: إلباس الغيم السماء، كأنه عنده من غَيْنٍ على قلبه أى غُطِيَ عليه. قال رؤبة: «أمطر فى أكتاف غيم مُغَيْنٍ».

(٣) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤١/١، الكشف للزمخشري ٧٢/١، جامع البيان للطبري ١٢٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢٥/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢٣٣/١، تفسير الفخر الرازي ٣٦٦/١، اللسان مادة «فوم»).

(٤) ينسب لأبى محجن الثقفى.

أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴿١١﴾

ومن ذلك قراءة زهير الفرقي^(١): «الذى هو أدنى»، بالهمز.

قال أبو الفتح: أخبرنا أبو علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد ابن يزيد عن الرياشي عن أبي زيد قال: تقول: دَنُو الرجلُ يَدْنُو دَنَاةً، وقد دَنَأَ يَدْنَأُ إذا: كان دينياً لا خير فيه، غير أن القراءة بتك الهمز: «أدنى». وينبغي أن يكون من دنا يدنو، أى: قريب.

ومنه قولهم فى المعنى: هذا شئ مقارب، للشئ ليس بفاخر ولا موصوف فى معناه. ومن هذه المادة قولهم: هذا شئ دون؛ أى: ليس بذاك، وقولهم: هذا دونك، فينتصب هذا على الظرف، أى هو فى المحل الأقرب. وينبغي أن يكون «دون» من قولك: هذا رجل دون - وصفا على فعل كَحَلُّو ومُر، ورجل جُد، أى: ذى جَدٍّ.

وقد يجوز أن يكون فى الأصل ظرفاً ثم وصف به، ويُؤنسُ هذا المذهب الثانى أننا لا نعرف فعلاً تصرف من هذا اللفظ كدان يدون ولا نحوه، ولو كان فى الأصل وصفا لكان حرى أن يستعملوا منه فعلاً، كقولهم: قد حلا يحلو، ومر يمر وأمر يمر، وقد جَدِدْتَ يا رجل. قال الكميت:

وجدت الناس غير ابني نزار ولم أذممهم شَرَطًا ودُونًا
* * *

فَإِنْ لَكُمْ مَسْأَلَةٌ فَسْأَلْهُمْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ ﴿١٢﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم^(٢): «ماسألتم»^(٣)، بكسر السين.

قال أبو الفتح: فيه نظر، وذلك أن هذه الكسرة إنما تكون فى أول ما عينه معتلة كبعث وخفت، أو فى أول فعل إذا كانت عينه معتلة أيضاً كقيل وبيع وحلَّ وبَلَّ؛ أى: حلَّ وبَلَّ، وصِغَق الرجل نحوه. إلا أنه لا تكسر الفاء فى هذا الباب إلا والعين ساكنة أو مكسورة كنعَم وبِئس وصِغَق، فأما أن تكسر الفاء والعين مفتوحة فى الفعل فلا.

(١) هو زهير بن ميمون الفرقي النحوى له اختيار فى القراءة يروى عنه، وكان فى زمن عاصم. روى عنه الحروف نعيم بن ميسرة النحوى. انظر: (طبقات القراء ٢٩٥/١).

(٢) يقصد إبراهيم النخعى، ويحيى بن وثاب.

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٠/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢٣٥/١).

فإذا كان كذلك فقراءتهما «سألتم» مكسورة السين مهموزة غريب. والصنعة في ذلك: أن في سأل لغتين: سِلْتَ تَسَال كخفَتَ تَخَاف، وسَأَلْتَ تَسْأَلُ كسبَحَتَ تَسْبَح. فإذا أسندت الفعل إلى نفسك قلت على لغة الواو: سِلْتُ كخِفْتُ، وهى من الواو؛ لما حكاه أصحابنا من قولهم: هما يتساووان.

ومن همز قال: سألت. فأما قراءته: «سألتم» فعلى أنه كسر الفاء على قول من قال: «سِلْتُمْ» كخِفْتُمْ، ثم تنبه بعد ذلك للهمزة، فهمز العين بعدما سبق الكسر فى الفاء فقال «سألتم»، فصار ذلك من تركيب اللغة.

ومثله ما روينا عن أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى من قول بلال بن جرير^(١):

إذا جئْتُم أو سألْتَهُمْ وجدتَ بِهِمْ عِلَّةَ حَاضِرِهِ
وذلك أنه أراد فاعلتهم ساءلتهم.

ومن العادة أيضا أن تقلب الهمزة فى هذا الثانى، فيقال: ساءلت زيدا، ثم إنه أراد الجمع بين العوض والمعوض منه فلم يمكنه أن يجمع بينهما فى موضع واحد كالعرف فى ذلك؛ لأنه لا يكون حرفان واقعين فى موضع واحد عينين كانا أو غيرهما، فأجاءه الوزن إلى تقديم الهمزة التى هى العين قبل ألف فاعلت، ثم جاء بالياء التى هى بدل منها بعدها فصار: ساءلتهم.

فإن قيل فما مثال: ساءلتهم؟.

قلت: هو فعاقلتهم؛ وذلك لأن الياء بدل من الهمزة التى هى عينٌ والبدل من الشىء يوزن بميزانه، ألا ترى أن من اعتقد فى ياء أُنْتُق أنها عينٌ أبدلت قال هى أَعْقُل؛ لأن الياء بدل من الواو التى هى عين نُوق، فالياء إذا عينٌ فى موضع العين، كما كانت الواو لو ظهرت فى موضع العين. كما أن ياء ربح وعيد فى المثال عين فعل، كما كانت الواو التى الياء بدل منها عين فعل فى رُوح وعود، وهذا واضح.

وكذلك قوله أيضا: «سألتم» بكسر الفاء على حد كسرها فى سِلْتُمْ، ثم استذكر الهمزة فى اللغة الأخرى فقال: سألتم. ويجوز أيضا أن يكون أراد سألتم فأبدل العين ياء كما أبدلها الآخر فى قوله^(٢):

(١) انظر: (الخصائص ١٤٨/٣).

(٢) أى حسان بن ثابت رضى الله عنه.

سَأَلْتُ هَذِيلَ رَسُولُ اللَّهِ فَاحْشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا قَالَتْ وَلَمْ تُصِيبِ^(١)
فصار تقديره على هذا إلى سِلْتَمٍ من هذا الوجه، أى من طريق الهدل، لا على لغة
من قال: هما يتساووان، فلما كسر السين استذكر الهمزة فراجعه هنا، كما راجعه فى
القول الأول.

وقد أفردنا فى كتاب الخصائص بابا فى أن صاحب اللغة قد يعتبر لغة غيره ويراعيها
فأغنى عن إعادته هنا.

* * *

وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿٦٣﴾

ومن ذلك قراءة أبى السَّمَّال، رواها أبو زيد فيما رواه ابن مجاهد: «والذين هَادُوا»
بفتح الدال.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون فاعلوا من الهداية؛ أى راموا أن يكونوا أهدي من
غيرهم، كقولك راموا من رميت، وقاضوا من قضيت وساعوا من سعت. فيقول فى
مصدر هادوا: مهادة، كقاضوا مقاضاة، وساعوا مساعة. وقد هودى الرجل يُهادى
مهادة، إذا كان حوله من يمسكه ويهديه الطريق. ومنه قولهم فى الحديث: مر بنا يُهادى
بين اثنين، ومنه قوله:

من أن يرى تهديه فت يان المقامة بالعشيه
* * *

﴿وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ﴾ [البقرة: ٧٤]
ومن ذلك قراءة قتادة: «وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ»^(٢)، وكذلك قراءته: «وَإِنْ مِنْهَا»^(٣)،
خففة.

(١) ورد فى الديوان ٦١: «ضلت هذيل بما جاءت ولم تُصِيبِ».
يعبر هذيلاً بأنها طلبت إلى النبي ﷺ، حين أرادت الإسلام، أن يحل لها الزنا، فلم تصب مرادها.
(٢) انظر: (الكشاف للزخشري ٧٧/١، الجامع لأحكام القرآن ٤٦٥/١، البحر المحيط لأبى حيان
٢٦٤/١، تفسير الفخر الرازى ٣٨٤/١).
(٣) انظر: (الكشاف للزخشري ٧٧/١، الجامع لأحكام القرآن ٤٦٥/١، البحر المحيط لأبى حيان
٢٦٤/١، تفسير الفخر الرازى ٣٨٤/١).

قال ابن مجاهد : أحسبه أراد بقوله مخففة - الميم ؛ لأننى لا أعرف لتخفيف النون معنى .

قال أبو الفتح : هذا الذى أنكره ابن مجاهد صحيح ؛ وذلك أن التخفيف فى إن المكسورة شائع عنهم ؛ ألا ترى إلى قول الله تعالى : ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾^(١) ، ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾^(٢) ، أى : إنهم على هذه الحال . وهذه اللام لازمة مع تخفيف النون فرقا بين إن مخففة من الثقيلة ، وبين إن التى للنفى بمنزلة «ما» فى قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾^(٣) وقوله :

فَمَا إِنْ طَبْنَا جُنُبًا وَلَكِن مَّنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَا^(٤)
وهذا واضح .

* * *

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿٧٤﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش : «لَمَّا يَهْبِطُ» ، بضم الباء .

قال أبو الفتح : قد بينا فى كتابنا «المنصف»^(٥) وهو تفسير تصريف أبى عثمان أن باب فعل المتعدى أن يجىء على فعل مكسور العين ، كضرب يضرب وحبس يحبس . وباب فعل غير المتعدى : أن يكون على فعل مضموم العين ، كقعد يقعد وخرج يخرج ، وأنهما قد يتداخلان فيجىء هذا فى هذا ، وهذا فى هذا ، كقتل يقتل ، وجلس يجلس ، إلا أن الباب ويجرى القياس على ما قدمناه ، هبط يهبط على هذا بضم العين أقوى قياسا من يهبط ، فهو كسقط يسقط ؛ لأن هبط غير متعد فى غالب الأمر كسقط .

وقد ذهب فى هذا الموضع إلى أن هبط هنا متعد ؛ قالوا ومعناه : لما يهبط غيره من طاعة الله عز وجل ، أى إذا رآه الإنسان خشع لطاعة خالقه ، إلا أنه حذف هنا المفعول تخفيفا ، ولدلالة المكان عليه ، ونسب الفعل إلى الحجر ؛ لأن طاعة رائيته لخالقه إنما كانت مسببة عن النظر إليه ، أى منها ما يهبط الناظر إليه ؛ أى يخضعه ويخشعه ،

(١) سورة الفرقان الآية (٤٢) .

(٢) سورة القلم الآية (٥١) .

(٣) سورة الملك الآية (٢٠) .

(٤) وقع فى الخصائص (٣/١١٠) : «وما إن طينا جُنُبًا ولكن» .

(٥) انظر : (المنصف ١/١٨٦) .

وقد جاء هبطته متعديا كما ترى، قال^(١):

ما راعني إلا جناح هابط على البيوت قوطه العلابط
وأعمله في القوط، فعلى هذا تقول: هبط الشيء وهبطته، وهلك الشيء وهلكه.
قالوا في قول العجاج^(٢):

ومهمه هالك من تعرجا

قولين: أحدهما أنه كأنه قال: هالك المتعرجين، والآخر هالك من تعرجا، أي مهلك من تعرج فتقول على هذا: أصبحت ذا مال مهلوك، وهلكه الله يهلكه هلكا. وإذا كانت كذلك، وكانت هبط هنا قد تكون متعدية، فقراءة الجماعة: ﴿لَمَّا يَهْطُ﴾^(٣) بكسر الباء أقوى قياسا من يهبط؛ لأن معناه لما يهبط مبصره ويحطه من خشية الله.

ومن ذهب فيه إلى أن يهبط هنا غير متعد فكأنه قال: وإن منها لما لو هبط شيء غير ناطق من خشية الله لهبط هو، لا أن غير الناطق تصح منه الخشية، ألا ترى أن قوله:

لها حافرٌ مثلُ قعبِ الوليد
أى: لو اتخذت فيه مغارا لغوره وتقبه لوسعها وصلاح لها، لا أنها هي تتخذ البتة.
ومثله مسألة الكتاب: أخذتنا بالجود وفوقه، أى: لو كان فوق الجود شيء من المطر لكانت قد أخذتنا به.

وكلام العرب لمن عرفه، ومن الذى يعرفه؟ ألطف من السحر، وأنقى ساحة من مشوف الفكر، وأشد تساقطا بعضا على بعض، وأمس تساندا نفلا إلى فرض.

* * *

يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ

ومن ذلك قراءة الأعمش: «يسمعون كليم الله»^(٤).

(١) انظر: (النوادر ١٧٣، الخصائص ٣١٣/٢، اللسان «قوط»).

(٢) هو من أرحزته التى أولها: «ما هاج أحرانا وشجرا قد شجا». انظر: (الخصائص ٢١٢/٢، ديوانه ٩).

(٣) سورة البقرة الآية (٧٤).

(٤) انظر: (الكشاف للزخشري ٧٧/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢، البحر المحيط لأبى

الكلام كل ما استقل برأسه؛ أعنى: الجمل المركبة، نحو قام محمد، وأبوك منطلق. وقد فصلنا في أول باب من الخصائص بين الكلام والقول^(١)، وأن كل كلام قول، وليس كل قول كلاما.

فأما الكلم فلا يكون أقل من ثلاث، وذلك أنه جمع كلمة، كَثْفَةٌ وَثِقْن، وَنَبَقَةٌ وَنَبَقٌ، وَسَلِمَةٌ وَسَلِيمٌ، ولذلك ما اختاره صاحب الكتاب على الكلام، فقال: هذا باب علم ما الكلم من العربية، ولم يقل: ما الكلام؛ وذلك لأن الكلام كما قد يكون فوق الاثنين فكذلك أيضا قد يكون اثنين. وسيبويه إنما أراد هنا ثلاثة أشياء:

الاسم والفعل والحرف، فترك اللفظ الذى قد يكون أقل من الجماعة إلى اللفظ الذى لا يكون إلا جماعة.

* * *

إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ ﴿٧٨﴾

ومن ذلك قراءة أبى جعفر وشيبة^(٢) والحسن بخلاف، والحكم بن الأعرج^(٣): «إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ»، و«لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ»^(٤)، الياء فيه كله خفيفة ساكنة.

قال أبو الفتح: أصل هذا كله التثقيل - أَمَانِي جمع أَمْنِيَّة - والتخفيف فى هذا النحو كثير وفاش عندهم. قال أبو الحسن فى قولهم أُنَاف: لم يسمع من العرب بالتثقيل البتة.

حيان ٢٧٢/١.

(١) انظر: (الخصائص ٦/١ وما بعدها).

(٢) شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدني (١٣٠هـ = ٧٤٧م): قاضى المدينة، وإمام أهلها فى القراءات. وكان من ثقات رجال الحديث.

انظر: (تهذيب التهذيب ٣٧٧/٤، خلاصة تهذيب الكمال ١٤٢، الأعلام ١٨١/٣).

(٣) وقراءة نافع، وأبى عمرو، وابن جهمز، والأعرج (فى المحتسب ابن الأعرج). انظر: (جامع البيان

للطبري ٢٦٤/٢، معانى القرآن للفراء ٤٩/١، إعراب القرآن للنحاس ١٩٠/١، البحر المحيطة

لأبى حيان ٢٧٦/١، التبيان للطوسى ٣١٧/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢، مجمع

البيان للطبرسى ١٤٣/١، إتحاف فضلاء البشر ١٣٩، النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى

٢١٧/٢، شرح المفصل لابن يعيش ١٠٣/١٠، شرح القصائد العشر الطوال ٢٤٢).

(٤) سورة النساء الآية (١٢٣).

وقال الكسائي: قد سمع فيها التثقيـل، وأنشد^(١):

أُثافِي سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلٍ^(٢)

والخذوف من نحو هذا هو الياء الأولى التي هي نظيرة ياء المد مع غير الإدغام، نحو ياء قراطيس، وجراميق وأراجيح، وأعاجيب، جمع أرجوحة وأعجوبة، ألا تراها قد حذفت في قوله^(٣):

والبكراتِ الفُسجِ العظامسا^(٤)

وقوله^(٥):

(١) زهير من معلقته المشهورة التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
عجزه: «ونؤيا كجذم الخوض لم يتلّم».

(٢) يقال أثنافي وأثاف بالتثقيـل والتخفيف، واحداثها أثفية مشددة، وقال هشام: إذا كانت الواحدة مشددة ففي الجمع التثقيـل والتخفيف، كقولك أمانة وأمانى وأمان وأوقية وأواقى وأواق، وأثفية وأثافي وأثاف، وأوارى وأوار في جمع آرى قال النابغة:

إلا أوارى لأبى ما أبينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

ويروى إلا أوارى خفيف... وكذلك الأضاحى والأضاحى بالتشديد والتخفيف في جمع الأضحية. والأثافي: الأحجار التي ينصب عليها القدر. وقال يعقوب: واحداثها أثفية وإثفية. قال هشام: يقال سرية وسرية، وأضحية وإضحية، وذرية وذرية، وأوقية ولا يجوز كسر أولها؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لوجب أن تصير الواو ياء لانكسار ما قبلها، فيزول الحرف عن مجراه.

والسفعة: سواد إلى حمرة، ومُعْرَس المرحل: موضعه على الأثافي، قال الأصمعي. والمرجل: كل قدر يطبخ فيها من حجارة أو حديد أو خزف أو نحاس، وأصل التعريس نزول القوم ليسرّبحوا، وأكثره من آخر الليل، وقد يكون من أوله، هذا قول يعقوب، وقال أبو جعفر: النزول من أول الليل التهويم، وفي آخره التعريس، وفي القائلة التغيرير. انظر: (شرح المعلقات السبع الطوال ٢٤١/٢٤٤٣).

(٣) نسب البيت في الكتاب (١١٩/٢) إلى غيلان، وهو غيلان بن حريث، وأما ذو الرمة فاسمه غيلان بن عتبة، والبيت ليس في ديوانه، وهو بغير نسب في سر صناعة الإعراب ٧٧٠/٢، والخصائص ٦٤/٢، والمخصص ٤٧/٤، ٦١/٧ وقبله: «قد قربت ساداتها الروائسا». انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ٧٧٠/٢).

(٤) الفسج: جمع فاسج وفاسجة، وهي التي ضربها الفحل قبل أن تستحق الضراب. العظامس: جمع عيطموس، وهي الناقة الفتية الحسنة الخلق. انظر: هامش سر صناعة الإعراب ٧٧١/٢.

(٥) هو لغيلان بن حُرَيْث. كما في الكتاب ٤٣٩/٤، وهو بغير نسب في: سر صناعة الإعراب ٥٨/١، ٥٨/٢، واللسان «هم» ٤٧/١٥.

وغير سُفْعٍ مَثَلٍ بِحَامِمٍ^(١)

يريد: يحاميم وعطاميس.

وروينا لُعَيْيدَ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ قَوْلَهُ:

وَبُدِّلْتُ بَعْدَ الزَّعْفَرَانِ وَطَيِّبِهِ صَدَا النَّرْعِ مِنْ مُسْتَحْكِمَاتِ الْمَسَامِيرِ
وعلى أَنَّ حَذْفَ الْيَاءِ مَعَ الْإِدْغَامِ أَسْهَلُ شَيْئًا مِنْ حَذْفِهِ وَلَا إِدْغَامَ مَعَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ
هَذِهِ الْيَاءَ لَمَّا أَدْغَمْتَ خَفِيَتْ وَكَادَتْ تَسْتَهْلِكُ، فَإِذَا أَنْتَ حَذَفْتَهَا فَكَأَنَّكَ إِنَّمَا حَذَفْتَ
شَيْئًا هُوَ فِي حَالٍ وَجُودِهِ فِي حَكْمِ الْمَحْذُوفِ. نَعَمْ، وَقَدْ يَحْذَفُ هَذَا الْحَرْفُ وَيُؤْتَى
بِالْعَوَضِ مِنْهُ حَرْفًا فِي حَالٍ وَجُودِهِ فِي حَكْمٍ مَا لَيْسَ مَوْجُودًا، وَهُوَ تَاءُ التَّأْنِيثِ فِي نَحْوِ
قَوْلِهِمْ: فِرَازَنَةُ وَزَنَادِقَةُ وَجَحَاجِحَةٌ. فَالتَّاءُ عَوَضٌ مِنْ يَاءِ فِرَازِينَ وَجَحَاجِيحٍ وَزَنَادِيقٍ،
وَكَذَلِكَ قَالُوا مَعَ الْإِدْغَامِ. وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَثَانِي وَأَنَاسِي: أَثَانِيَّةٌ، وَأَنَاسِيَّةٌ. رَوَاهَا أَبُو
زَيْدٍ. وَإِذَا كَانُوا قَدْ رَضُوا بِالْكَسْرِ قَبْلَهَا دَلِيلًا عَلَيْهَا، وَعَوَضًا مِنْهَا فَهَمَّ بِأَنْ يَقْنَعُوا
بِالتَّاءِ عَوَضًا مِنْهَا أَجْدَرُ.

* * *

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿٨٧﴾

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبي عمرو «وأيَّدناه»^(٢). قال ابن مجاهد - على ما
علمناه - ممدودة الألف خفيفة الياء. وقد روى عن مجاهد في قوله: «إِذَا أَيَّدْتُكَ»^(٣)
آيَدْتُكَ. قال ابن مجاهد: على فاعلتك.

قال أبو الفتح: هذا الذي توهمه ابن مجاهد، أَنَّ آيَدْتُكَ فاعلتك - لا وجه له، وإنما
آيَدْتُكَ أَفْعَلْتُكَ، مِنَ الْإَيِّدِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ.

(١) السفع أثافي القدر، جمع سفعاء، وهى السوداء، المثل: جمع مائلة، وهى المنتصبه. البحامم: جمع
بحموم، وهو الأسود، والأصل: يحاميم، وحذف الياء ضرورة، ورويت فى بعض نسخ سر صناعة
الإعراب «وغير». بكسر الراء. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ٥٨/١. يريد: يحاميم جمع
يَحْمُومٌ، وهو الأسود. سر صناعة الإعراب ٧٧١/٢).

(٢) وقراءة ابن محيصن، والأعرج، وحميد انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٩/١، إعراب القرآن
للنحاس ١٩٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤/٢، البحر المحيط لأبى حيان ٢٩٩/١،
إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤١).

(٣) سورة المائدة: الآية (١١٠).

وقال أبو علي: إنما كثر فيه أيديك فَعَلْتَك، لما يعرض في آيدتك من تصحيح العين مخافة توالى إعلالين في آيدتك. وأنشدنا قوله:

يُنْبِي تجاليدى وأقتادهما نساو كرأس الفدَن المُوَيْد^(١)

فهذا من آيدته، أى: قوته؛ لأنه مُفْعَل كَمُكْرَم ومُقْتَل ومؤدَم - ولو كان آيدتك - كما ظن ابن مجاهد فاعلتك - لكان اسم المفعول منه مُؤَايد كمقاتل ومضارب، ولكن قراءة من قرأ: «آتينا بها» فاعلنا، ولو كان أفعلنا لما احتاج إلى حرف الجر؛ لأنه إنما يقال: آتيت زيدا بكذا وآتيته، كقولك: أعطيته كذا، فكذلك لو كان آتيناً أفعلنا لكان آتينها كقولك: أعطيتها، وأنت لا تقول: آتيته بكذا، كما لا تقول أعطيته بكذا. فقوله في تلك القراءة «آتينها» كقولك حاضرنا بها، وشاهدنا بها، وهذا واضح.

ومعنى قول أبي علي: لو جاء آيدتك على ما يجب في مثله من إعلال عين أفعلت إذا كانت حرف علة كأقمت زيدا وأشرته وأبعته أى: عرَضته للبيع - لتتابع فيه إعلالان؛ لأن أصل آيدت: أأيدت، كما أن أصل آمن: أأمن، فانقلبت الهمزة الثانية ألفاً لاجتماع الهمزتين في كلمة واحدة، والأولى منهما مفتوحة والثانية ساكنة، فهي كآمن وآلف، وفي الأسماء نحو آدم وآدر. فكان يجب أيضا أن تلقى حركة العين على الفاء وتحذف العين، فكان يجب على هذا أن تقلب الفاء هنا واو؛ لأنها قد تحركت وانفتح ما قبلها ولا بد من بدلها لوقوع الهمزة الأولى قبلها، كما قلبت فى تكسير آدم أو ادم، فكان يلزم على هذا أن تقول: أودته كأقمت وأدرته، فتحذف العين كما ترى، وتقلب الفاء التى هى فى الأصل همزة واوا فتعتل الفاء والعين جميعا، وإذا أدى القياس إلى هذا رُفُض. وكثر فيه فَعَلْتُ أَيَّدْتُ لِيَوْمَنْ ذَانِكَ الاعتلالان، فلما استعمل شىء منه جاء قليلا شاذًا، أعنى: آيدت. وإذا كانوا قد أخرجوا عين أفعلت وهى حرف علة على الصحة نحو قوله:

صددت فأطولت الصدود^(٢)

وقولهم: أغليت المرأة، وأغيمت السماء، وأخوص الرمث وأعوز القوم، وأليث الشجر، وأسوأ الرجل. ولو خرج على منهج إعلال مثله لم يُخَفْ فيه توالى إعلالين كان خروج آيدت على الصحة لما كان يعقب إعلال عينه من اجتماع إعلالها مع إعلال الفاء

(١) ذكره فى المنصف ٢٦٩/١ أيضا دون نسب.

(٢) قال فى المنصف: فقوله: أطولت يدل على أن أصل أخاف: أخوف، وقد قالوا: أطال. وقالوا: أحوجت زيدا إلى كذا وكذا، وأغسلت المرأة وغير ذلك. انظر: (المنصف ١٩١/١).

قبلها - أولى وأجدر. فقد ثبت أن قراءة مجاهد «إذ آيدتك» إنما هو أفعلتك لا فاعلتك، كما ظن ابن مجاهد.

* * *

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴿١٧﴾

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴿١٨﴾

ومن ذلك قراءة يحيى بن يعمر: «جَبْرِئِل»^(١)، مشددة اللام، بوزن جبرِعل. وعنه أيضا، وعن فياض بن غزوان: «جَبْرَائِيل»^(٢) بوزن جبراعيل، بهمزة بعد الألف، وبهذا الوزن من غير همز بياعين عن الأعمش، «وميكائيل»^(٣) من غير همز أيضا ممدود، وقرأ: «مِيكَالَ»^(٤) بوزن ميكعل، ابن هرمرز الأعرج وابن محيصن.

قال أبو الفتح: أما على الجملة فقد ذكرنا في كتابنا هذا، وفي غيره من كتبنا: أن العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه، وأنشدنا في ذلك ما أنشدناه أبو علي من قول الراجز:

هل تعرف الدار لأُم الخزرج منها فظّلت اليومَ كالمزرج
يريد الذي شرب الزَّرْجُون وهي الخمر، وأنه كان قياسه المزرجن؛ من حيث كانت النون في الزَّرْجُون أصلية. نعم، وذكرنا أنهم قد يحرفون ما هو من كلامهم، فكيف ما هو من كلام غيرهم؟ إلا أن جبرئيل قد قيل فيه: إن معناه عبدا لله، وذلك أن الجبر بمنزلة الرجل، والرجل عبدا لله، ولم يسمع الجبر بمعنى الرجل إلا في شعر ابن أحرمر، وهو قوله:
اشرب براووق حُبِيت به وانغم صباحا أيها الجَبْر^(٥)

(١) وقراءة عاصم، وأبان، وابن محيصن. انظر: (جامع البيان للطبري ٣٨٩/٢، مجمع البيان للطبرسي ١٦٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٣١٨/١، الحجة المنسوبة لابن خالويه ٨٥، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤٤).

(٢) وقراءة ابن عباس، وعكرمة. انظر: (الكشاف للزمخشري ٤٨/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٣١٨/١، تفسير الفخر الرازي ٤٢٣/١).

(٣) وقراءة نافع أيضا. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٨/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٣١٨/١).

(٤) وقراءة نافع. انظر: (الكشاف للزمخشري ٨٤/١، البحر المحيط لأبي حيان ٣١٨/١، التيسير للداني ٧٥، الحجة المنسوبة لابن خالويه ٨٦).

(٥) وقع في الخصائص ٢٣/٢: «اسلم براووق حبيت به». وهو في التكملة للصاغاني «اشرب»، وانظر كذلك: اللسان «جبر».

قالوا: وإلّا بالنبطية: اسم الله تعالى: ومن ألفاظهم فى ذلك أن يقولوا: كوريال، الكاف بين القاف والكاف. فغالب هذا أن تكون هذه اللغات كلها فى هذا الاسم إنما يراد بها جبريال الذى هو كوريال، ثم لحقها من التحريف على طول الاستعمال ما أصارها إلى هذا التفاوت، وإن كانت على كل أحوالها متجاوزة يتشبث بعضها ببعض.

واستدل أبو الحسن على زيادة الهمزة فى «جبرئيل» بقراءة من قرأ «جبريل» ونحوه. وهذا كالتعسف من أبى الحسن لما قدمناه من التخليط فى الأعجمى. ويلزم فيه زيادة النون فى زرجون؛ لقوله: كالمزرج. والقول ما قدمناه.

وأما «جبرائيل وميكائيل»، بيّنا بعد الألف والمد فى قوى فى نفسى أنها همزة مخففة وهى مكسورة، فخفيت وقربت من الياء فغير القراءة عنها بالياء، كما ترى فى قوله عز وجل: ﴿الْأَنبِيَاءُ﴾^(١) عند تخفيف الهمز «آلأى» بالياء، وسبب ذلك ما ذكرناه من خفاء الهمزة المكسورة وقربها بذلك من لفظ الياء، كما قالوا فى «شهر رمضان»^(٢) فى إدغام أبى عمرو: إن الراء من شهر مدغمة فى راء رمضان. وهيهات ذلك مذهباً، وعزّ مطلباً، حتى كأننا لم نعلم أن الهاء فى شهر ساكنة، وإذا أدغمت الراء فى راء رمضان التقى ساكنان ليس الأول منهما حرف مد كشابة ودابة، ولا يكون ذلك إلا أن تنقل حركة الراء الأولى إلى الهاء قبلها، ولو فعل ذلك لوجب أن يقال: شَهْرُ رمضان، بضم الهاء، وليس أحد من القراء يدعى هذا فيه: من أدغم ومن لم يدغم.

وأيضاً فإنه إذا كان هذا النقل فإنما يكون فى المتصل، نحو يستعبد ويرد ويفرّ، فأما فى المنفصل فإن ذلك لن يجيء فى شىء منه إلا فى حرف واحد شاذ اجتمع فيه شيان، كل واحد منهما يحتمل التغيير له:

أحدهما: كونه علماً، والأعلام فيما يكثر فيه ما لا يكون فى غيره، نحو معد يكرب وموهب وتهلّل وحيّو.

والآخر: كثرة استعماله، وهم لما كثر استعماله أشدّ تغييراً. وذلك الحرف قولهم فى عبد شمس: هذه عبشمس بفتح السين، وأنت لا تقول فى نحو: هذا قوم موسى: هذا قوموسى؛ لما ذكرناه من أن المنفصل فى هذا النحو لم تنقله العرب كما نقلت المتصل. فعلى هذا ينبغى أن نوجه قولهم فى «جبرائيل وميكائيل» بيّنا والمد؛ وذلك لأن المد إنما

(١) سورة النجم الآية (٥٥)، سورة الرحمن (فى عدة مواضع).

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٥).

كان فيه لبقاء نية الهمزة المخففة ولفظه فيه. هذا هو القول، كقولهم بالمد وإن كانت الألف والياء بعدها أتم صوتاً وأبعد ندى منها وبعدها غيرها من الحروف الصراح، نحو غرايل وسرايل وسراحين وميادين. وقد يجوز من بعد هذا أن تكون ياء صريحة من حيث كان الأعجمي يتلعب فيه بالحروف تلعباً، فاعرف ذلك.

* * *

أَوْكَلَّمَا عَهْدُوا ﴿١٠٠﴾

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن روح عن أبي السَّمَال: أنه قرأ «أو كلما عهدوا»^(١) ساكنة الواو.

قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون سكون الواو في «أو» هذه على أنها في الأصل حرف عطف كقراءة الكافة: ﴿أَوْ كُلَّمَا﴾؛ من قبل أن واو العطف لم تسكن في موضع علمناه، وإنما يسكن بعدها مما يخلط معها فيكونان كالحرف الواحد، نحو قول الله: تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ بسكون الهاء، فأما واو العطف فلا تسكن من موضعين:

أحدهما: أنها في أول الكلمة والساكن لا يتدأ به.

والآخر: أنها هنا وإن اعتمدت على همزة الاستفهام قبلها فإنها مفتوحة، والمفتوح لا يسكن استخفافاً، وإنما ذلك في المضموم والمكسور نحو: كرم زيد وعلم الله وقد مضى ذكر ذلك. فإذا كان كذلك كانت «أو» هذه حرفاً واحداً، إلا أن معناها معنى بل للترك والتحول، بمنزلة أم المنقطعة، نحو قول العرب: إنها لأبلى أم شاء؛ فكأنه قال: بل أهى شاء؟ فكذلك معنى «أو» هاهنا، حتى كأنه قال: «وما يكفر بها إلا الفاسقون بل كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم».

يؤكد ذلك قوله تعالى من بعده: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فكأنه قال: بل كلما عاهدوا عهداً، بل أكثرهم لا يؤمنون.

(١) وقراءة العدوى. انظر: (الكشاف للزخشري ٨٥/١، إعراب القرآن للسكري ٣٢/١، البحر المحیط لأبى حيان ٣٢٣/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩/٢، تفسير الفخر الرازي ٤٢٦/١، مغنى اللبيب لابن هشام ٦٢/١، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للأشموني ١٠٦/٣، حاشية الخضري ٦٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٤).

و«أو» هذه التى بمعنى أم المنقطعة - وكلتاها بمعنى بل - موجودة فى الكلام كثيرا، يقول الرجل لمن يتهدده: والله لأفعلن بك كذا، فيقول له صاحبه: أو يُحسِنُ الله رأيك، أو يغير الله ما فى نفسك. معناه: بل يحسن الله رأيك، بل يغير الله ما فى نفسك. وإلى نحو هذا ذهب الفراء فى قول ذى الرمة.

بدت مثل قرن الشمس فى روتق الضحى وصورتها أو أنت فى العين أملح^(١) قال: معناه بل أنت فى العين أملح، وكذلك قال فى قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٢). قال: معناه بل يزيدون. وإن كان مذهبنا نحن فى هذا غير هذا، فإن هذا طريق مذهب فيه على هذا الوجه.

وقراءته هنا: «عَهَدُوا عَهْدًا» كأنه أشبه بجريان المصدر على فعله؛ لأن عهدت عهدا أشبه فى العادة من عاهدت عهدًا. ومن ذلك الحديث المأثور: «مَنْ وَعَدَ وَعَدًا فَكَأَنَّمَا عَهْدَ عَهْدًا». وقراءة الكافة: ﴿عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ على معنى أعطوا عهدا، فعهدا على مذهب الجماعة كأنه مفعول به. وعلى قراءة أبى السَّمال هو منصوب نصب المصدر. وقد يجوز أن ينتصب على قراءة الكافة على المصدر، إلا أنه مصدر محذوف الزيادة؛ أى عاهدوا معاهدة أو عهادا، كقاتلت مقاتلة وقتالا، إلا أنه جاء على حذف الزيادة كقوله:

عمرَكِ الله ساعةً حَدَّثَيْنَا ودَعَيْنَا من قول من يؤذينا^(٣) إنما هو: عمرتُكِ الله تعميرا - دعاء لها - فحذفت زيادة التاء والياء. وعليه: جاء زيد وحده؛ أى: أوجد بهذه الحال إيجادا. ومررت به وحده، أى: أوجدته بمرورى إيجادا. وقد يمكن أن يكون وحده مصدر هو يجد وحدا فهو واحد، والمصدر على حذف زيادته كثير جدا، إلا أنه ليس منه قولهم: سلّمت عليه سلاما وإن كان فى معنى تسليمًا؛ من قبل أنه لو أريد مجيئه على حذف الزيادة لما أُقرَّ عليه شيء من الزيادة، وفيه ألف سلام زائدة. ومثله: كلمته كلاما والسلام والكلام ليسا على حذف الزيادة، لكنهما اسمان على فعال بمعنى المصدر، فاعرف ذلك.

* * *

(١) انظر: (الخصائص ٢/٤٥٩، ٤٦٠، الخزانة ٤/٤٢٤)، وقال: البيت نسبته ابن جنى إلى ذى الرمة،

ولم أحده فى ديوانه. وانظر: (معانى القرآن للفراء ١/٧٢، الإنصاف ١٩٨).

(٢) سورة الصافات الآية (١٤٧)

(٣) انظر: لسان العرب «عمر».

وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴿١٣٦﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن أبيزى: «وما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ»^(١)، بكسر اللام. قيل: أراد «بالمَلَكَيْنِ» داود وسليمان عليهما السلام.

قال أبو الفتح: إن قيل: كيف أطلق الله سبحانه على داود وسليمان اسم الملك، وإنما هما عبدان له تعالى كسائر عبيده من الأنبياء وغيرهم؟.

قيل: جاز ذلك؛ لأنه أطلق عليهما اللفظ الذى يُعتاد حيثُذ فيهما، ويطلقه الناس عليهما، فخطب الإنسان على ذلك باللفظ الذى يعتاده أهل الوقت إذ ذاك، ونظيره قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٢) وإنما هو فى النار الدليل المهان، لكنه خطب بما كان يخاطب به فى الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبيكيت له، والإذكار بسوء أفعاله، وقد مضى نحو هذا.

* * *

بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴿١٣٧﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وقتادة: «بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ»^(٣)، بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز.

وقراءة الزهرى «الْمَرْءُ»^(٤) بفتح الميم وتشديد الراء.

وقراءة ابن أبى إسحاق: «الْمَرْءُ»^(٥) بضم الميم وسكون الراء والهمز.

وقراءة الأشهب: «الْمِرْءُ»^(٦) بكسر الميم والهمز.

(١) وقراءة وأبى الأسود الدؤلى، والحسن البصرى. انظر: (الكشاف للزخشرى ٨٥/١، مجمع البيان للطبرسى ١٧٠/١، معانى القرآن للقرء ٦٤/١، إعراب القرآن للسكرى ٣٢/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٢٩/١، التبيان للطوسى ٣٧٠/١، جامع البيان للطبرى ٤٣٥/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٥٢/٢).

(٢) سورة الدخان الآية (٤٩).

(٣) وقراءة الزهرى. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للسكرى ٣٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١، الكشاف للزخشرى ٨٦/١).

(٥) انظر: (الكشاف للزخشرى ٨٦/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١).

(٦) وقراءة الحسن. انظر: (الكشاف للزخشرى ٨٦/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١).

قال أبو الفتح: أما قراءة الحسن وقتادة: «يِنَّ المِرَّ»، بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق؛ وذلك أنه على التخفيف القياسى، كقولك فى الخَبء: هذا الخَبءُ، ورأيت الخَبءَ ومررت بالخَبءِ، تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الباء قبلها. وتقول فى الجزء: هذا الجزءُ، ورأيتَ الجزءَ، ومررت بالجزءِ. وعليه القراءة: «الَّذى يُخْرِجُ الخَبءَ فى السمواتِ والأرضِ»^(١).

وأما قراءة الزهرى «المَرء» بتشديد الراء فقياسه: أن يكون أراد تخفيف المَرء على قراءة الحسن وقتادة، إلا أنه نوى الوقف بعد التخفيف، فصار «المَرء» ثم ثقل للوقف على قول من قال: هذا خالدٌ، وهو يجعلُ، ومررت بفرجٍ، ثم أجرى الوصل بجرى الوقف فأقر التثقيل بحاله كما جاء عنهم قوله:

ببازل وجناء أو عَيْهَلٌ كأن مهواها على الكلكل^(٢)
يريد: العيهلُ، والكلكلُ، وكبت الكتاب^(٣):

ضحما يُجِبُّ الخُلُقُ الأَضْحَمَ^(٤)

فيمن فتح الهمزة، يريد الأضحم فتقل ثم أطلق.

وفى هذا شذوذان: أحدهما التثقيل فى الوقت، والآخر إجراء الوصل بجرى الوقف؛ لأنه من باب ضرورة الشعر.

وأما قراءة ابن أبى إسحاق: المَرء بضم الميم والهمز فلغة فيه، وكذلك من قرأ: المَرء، بكسر الميم. ومنهم من يضم الميم فى الرفع ويفتحها فى النصب، ويكسرها فى الجر فيقول: هذا المَرءُ، ورأيت المَرءَ، ومررت بالمَرءِ. وسبب صنعة هذه اللغة: أنه قد أُلِفَ الإتياع فى هذا الاسم فى نحو قولك: هذا امرؤُ، ورأيت امرأً ومررت بامرئٍ، فيتبع

(١) سورة النمل الآية (٢٥)، وهى قراءة أبى بن كعب، وعيسى.

(٢) نسبته البغدادى فى شرح شواهد الشافية ٢٤٦/٤ لمنظور بن مرثد الأسدى. قال فى المنصف بعده: «وهذا أكثر من أن أضبطه لك لسعته وكثرته، والذى أذكر منه ومن أشباهه فوق ما يحتاج إليه استظهارا وتأنيسا بالأمثال والنظائر، فإن سيويه كثيرًا ما كان يعتمد فى كتابه على إيراد النظائر ليونس بها». انظر: (المنصف ١١/١، سر صناعة الإعراب ١/١٦٢، ٤١٧، ٥١٥/٢، الخصائص ٣٦٠/٢، شرح شواهد الشافية ٢٤٦/٤).

(٣) نسب البيت إلى رؤبة فى الكتاب ١١/١، ٢٨٣/٢، وهو فى ملحقات ديوانه ص ١٨٣، ولم ينسب فى المنصف ١٠/١، سر صناعة الإعراب ١/١٦٢، ٤١٦، ٥١٥/٢.

(٤) وقبلة: «نُمت جئت حية أسماء». وروى فى الموضع الثانى فى الكتاب «بَدء» والبدء: السيد.

حركة الرء حركة الهمزة، فلما أن تحركت الميم وسكنت الرء لم يمكن الإتياع فى الساكن فنقل الإتياع من الرء إلى الميم؛ لأنها متحركة، فجرى على الميم مجاورتها الرء ما كان يجرى على الرء، كما يقول ناس فى الوقف: هذا بكر، ومررت بيكر؛ لما جفا عليهم اجتماع الساكنين فى الوقف وشحوا على حركة الإعراب أن يستهلكها الوقوف عليها نقلوها إلى الكاف. وكما قال من قال فى صوم: صيم، وفى قوم: قيم، لما جاورت العين اللام أجراها فى الاعتلال بجرى عات وعتى، وجاث وجثى، وقد ذكرنا فى تفسير ديوان المتنبي ما فى هذا الحرف أعنى: المرء والمرأة من اللغات.

* * *

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴿١٠٢﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش: «وَمَا هُمْ بِضَارِّى بِهِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

قال أبو الفتح: هذا من أبعد الشاذ، أعنى حذف النون هاهنا. وأمثل ما يقال فيه: أن يكون أراد: وما هم بضارّى أحد، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بحرف الجر. وفيه شىء آخر وهو أن هناك أيضا «من» فى من أحد، غير أنه أجرى الجار مجرى جزء من المحرور، فكأنه قال: وما هم بضارى به أحد. وفيه ما ذكرنا^(٢).

* * *

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿١٠٣﴾

ومن ذلك قراءة قتادة وابن بريدة وأبى السّمّال: «لمثوبة»^(٣).

قال أبو الفتح: قد ذكرنا شذوذ صحتها عن القياس فيما مضى.

* * *

(١) انظر: (الكشاف ٨٦/١، البحر المحيط، ٣٣٢/١، حاشية الأسير على مغنى اللبيب ١٥٤/١).
 (٢) قال الزخشرى: بطرح النون والإضافة إلى أحد، والفصل بينهما بالظروف، وقال أبو حيان: وخرج ذلك على وجهين: أحدهما: أنها حذفت تخفيفا، والثانى: أن حذفها لأجل الإضافة إلى أحد، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمحرور الذى هو «به» وكذلك بحرف الجر «من».
 (٣) انظر: (الخصائص لابن حنى ٣٢٩/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٥/١، التبيان للطوسى ٣٨٦/١، الكشاف للزخشرى ٨٦/١ شرح المفصل لابن يعيش ٧٦/١٠، لسان العرب مادة «ثوب»).

مَا نَنْسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ۖ

ومن ذلك قراءة أبي رجاء^(١): «ما نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا» مشددة السين. وقرأ سعد بن أبي وقاص والحسن ويحيى بن يعمر: «أو نُنْسِهَا»^(٢) بقاء مفتوحة.

وقراءة سعيد بن المسيب والضحاك «نُنْسِهَا»^(٣) مضمومة التاء مفتوحة السين.

وفى حرف ابن مسعود: «ما نُنْسِكُ»^(٤) من آية أَوْ نُنْسَخُهَا^(٥).

قال أبو الفتح: أما «نُنْسِهَا» فنفعَلُها من النسيان، فيكون فَعَّلْتُ فى هذا كأفعلت فى قراءة أكثر القراء: «نُنْسِهَا». وهو فى الموضعين على حذف المفعول الأول؛ أى: أَوْ نُنْسِ أَحداً إياها، كقولك: ما نهبُ من قرية أَوْ نُقْطِعُها أى: أَوْ نُقْطِعْ أَحداً إياها.

ومن قرأ «نُنْسِهَا» أراد أَوْ نُنْسِها أنت يا محمد.

ومن قرأ نُنْسِها مرّاً أيضاً على نُنْسِها أنت، إلا أن الفاعل فى المعنى هنا يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون المنسى لها هو الله تعالى.

والآخر أن يكون المنسى لها ما يعتاد بنى آدم من أعراض الدنيا غمّاً أو همّاً، أو عداوة من إنسان، أو وسوسة من شيطان.

فأما قوله عز اسمه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٦): فقد يمكن أن يكون ما يحدثه من النسيان أعراض الدنيا مما شاء الله زيادة فى التكليف، وتعريضاً بمقاساته ومقاومته للثواب.

ويدل على جواز كون المنسى هو الله تعالى - وإن كانت التلاوة أَوْ نُنْسِها - قوله

(١) وقراءة الضحاك أيضاً. انظر: (الكشاف للزحشرى ٨٧/١، التبيان للطوسى ٣٩٩/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٤٣/١، تفسير الفخر الرازى ٤٤٢/١).

(٢) انظر: (جامع البيان للطبرى ٤٧٤/٢، معانى القرآن للأخفش ١٤٣/١، تفسير الفخر الرازى ٤٤٢/١).

(٣) انظر: (الكشف للقيس ٢٥٣/١، ٢٥٩، الكشاف للزحشرى ٨٧/١، تفسير الفخر الرازى ٤٤٢/١).

(٤) وقراءة الأعمش. انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٩/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٤٣/١، تفسير الفخر الرازى ٤٤٢/١).

(٥) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٩/١، جامع البيان للطبرى ٤٧٤/٢، الكشف ٢٥٩/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٤٣/١، الكشاف للزحشرى ٨٧/١، تفسير الفخر الرازى ٤٤٢/١).

(٦) سورة الأعلى الآية (٦).

تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١)، وقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢) مع قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾^(٣)، وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤). ويؤكد هذا قراءة ابن مسعود: «مَا نُنْسِكُ مِنْ آيَةٍ». وفيه بيان، وقد يقول الإنسان: ضُرب زيد وإن كان القائل لذلك هو الضارب، وهذا يدل على أن الغرض هنا: أن يُعلم أنه مضروب، وليس: الغرض أن يُعلم مَنْ ضربه؛ ولذلك بُنى هذا الفعل للمفعول، وألغى معه حديث الفاعل، فقام في ذلك مقامه ورُفع رفعه، فهذه طريق ما لم يسم فاعله.

* * *

فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّتْهُ^(٥)

ومن ذلك قراءة ابن عباس فيما رواه سليمان بن أرقم عن أبي يزيد المدني عن ابن عباس «فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّتْهُ»^(٥)، على الدعاء من إبراهيم عليه السلام.

قال أبو الفتح: أما على قراءة الجماعة ﴿فَأَمَّتْهُ ثُمَّ اضْطَرَّتْهُ﴾ فإن الفاعل في «قال» هو اسم الله تعالى أى: لما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّتْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾.

وأما على قراءة ابن عباس: «فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّتْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ» فيحتمل أمرين:

أحدهما - وهو الظاهر - أن يكون الفاعل في «قال» ضمير إبراهيم عليه السلام أى: قال إبراهيم أيضًا: ومن كفر فَأَمَّتْهُ ثُمَّ اضْطَرَّتْهُ يا رب.

(١) سورة النساء الآية (٢٨).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٣٧).

(٣) سورة العلق الآيتان (١، ٢).

(٤) سورة الرحمن الآية (٣).

(٥) وقراءة مجاهد، وقتادة، والحارث بن أبي ربيعة. انظر: (الكشاف ٩٣/١)، الجامع لأحكام القرآن ١١٩/٢، التبيان ٤٥٠/١، ٤٥٢، البحر المحيط ٣٨٤/١، إعراب القرآن للعكبري ٣٧/١، إعراب القرآن للنحاس ٢١٢/١، مجمع البيان ٢٠٥/١.

وحسن على هذا إعادة «قال» لأمرين:

أحدهما طول الكلام، فلما تباعد آخره من أوله أعيدت «قال» ليُعدها كما قد يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره.

والآخر: أنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين، فكأن ذلك أخذ في كلام آخر، فاستؤنف معه لفظ القول، فجرى ذلك مجرى استئناف التصريح في القصيدة إذا خرج من معنى إلى معنى. ولهذا ما يقول الشاعر في نحو ذلك^(١):

فدع ذا ولكن هل ترى ضوءَ بارق^(٢)

ويقول^(٣):

دع ذا وبهج حسبا مبهجاً

فإذا جاز أن يصرَّع وهو في أثناء المعنى الواحد نحو قوله:

ألا نادِ في آثارهن الغوانيا سقين سيمًا ما لهن وماليا!
كان التصريح مع الانتقال من حال إلى حال أخرى بالجواز. فهذا أحد الوجهين.

وأما الآخر فهو أن يكون الفاعل في «قال» ضمير اسم الله تعالى؛ أي: فأمتعه يا خالق، أو فأمتعه يا قادر أو يا مالك أو يا إله، يخاطب بذلك نفسه عز وجل، فجرى هذا على ما تعتاده العرب من أمر الإنسان لنفسه، كقراءة من قرأ: قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٤) أي: أعلم يا إنسان وكقول الأعشى^(٥):

(١) لحفاف بن ندبة.

(٢) عجزه: «يضيء حببسا في ذرى متألّق». انظر: (الأصمعيات ١٤).

(٣) للعجاج انظر: (ديوانه ١٠).

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٩)، وهي قراءة ابن عباس، وحزمة، والكسائي، وأبى رجاء، وأبى عبد الرحمن. انظر: (البحر المحيط ٢/٢٩٦، التبيان ٢/٣٢٠، إعراب القرآن للعكبري ١/٦٤، التيسير ٨٢، الطبري ٥/٤٨١، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٦، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠٠، السبعة ١٨٩، الحجة لأبى زرعة ١٤٤، غيث النفع ١٦٩، الكشف ١/٣١٢، الكشف ١/١٥٨، مجمع البيان ٢/٣٦٨، معاني القرآن للفراء ١/١٧٣، النشر ٢/٢٣١، تفسير الفخر الرازي ٢/٣٣١، الخصائص ٢/٣٧٤، العنوان ٥٩ غ).

(٥) هو مطلع قصيدة له، وصدر البيت: «ودع هريرة إن الركب مرتحل». انظر: (ديوانه ١٤٤ ط دار صادر، والخصائص ٢/٤٧٥). وهريرة: قنية كانت لبشر بن عمرو بن مرثد وتكنى بأبى الخليل.

وهل تُطبق وداعا أيها الرجل

وهذا يتصل بباب من العربية غريب لطيف وهو باب التجريد، كأنه يجرد نفسه منه ثم يخاطبها، وقد ذكرنا هذا الباب في كتابنا الخصائص^(١).

وهذا وإن كان مما لا ينبغي أن يُجرى في الحقيقة مثله على الله سبحانه؛ لأنه لا تجزؤ هناك فإنه يُجرى على عادة القوم ومذهب خطابهم، وقد نطقوا بهذا نفسه معه «تقدست أسماؤه» أنشدنا أبو علي:

أَفَاءَتِ بنو مروان ظلما دماءنا وفي الله إن لم يعدلوا حَكَمٌ عدل^(٢)
فجرى اللفظ على أنه جُرد منه شيء يسمى حَكَمًا عدلا، وهو مع التحصيل على حذف المضاف، أي: وفي عدل الله حَكَمٌ عدل. فَتَفَهَّمْ هذه المواضع، فَإِنَّ قَدَرَ الإعراب يضيع إلى معناها، وإن كان هو أول الطريق ونهجه إليها.

ويجوز في العربية «تَمَّ اضْطَرُّهُ» بكسر الراءِ لالتقاء الساكنين ثم تَبَيَّنُ الهاءُ بياء بعدها.

ويجوز أيضا: «تَمَّ اضْطَرُّهُ»، تكسير الهاء ولا تَبَيَّنُ الهاءُ.

ويجوز «اضْطَرُّهُ»، بكسر الراءِ وفتحها والهاء الساكنة.

ويجوز «تَمَّ اضْطَرُّهُ»، بضم الراءِ كما روينا عن قطرب أن بعضهم يقول: تَمَّ يا رجل. ويجوز الضم بلا واو.

ويجوز مع ضم الراءِ وفتحها تسكين الهاء. وقد ذكرت ذلك كله في أماكنه.

* * *

تَمَّ اضْطَرُّهُ

ومن ذلك قراءة ابن محيصن: ثم «أَطَرُّهُ»^(٣) يدغم الضاد في الطاء.

قال أبو الفتح: هذه لغة مرذولة، أعنى: إدغام الضاد في الطاء؛ وذلك لما فيها من

(١) انظر: (الخصائص ٢/٤٧٥، ٤٧٨).

(٢) سبق الاستشهاد به.

(٣) وقراءة المطوعي. انظر: (الكشاف للزمخشري ١/٩٣، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٢، جمع

البيان للطبرسي ١/٢٠٥، البحر المحيط ١/٣٨٤، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤٨).

الامتداد والفُشو، فإنها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها:

وهي الشين والضاد والراء والفاء والميم، ويجمعها في اللفظ قولهم: ضُمَّ شَفْرٌ، وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها في قولهم: مشفر.

قال: لأنه قد حُكي إدغام الضاد في الطاء في قولهم في «اضطجع»: أطجع. وأنشدوا قوله^(١):

يا رَبَّ أَبَازٍ مِنَ العُفْرِ صَدَغَ تَقَبَّضَ الظِّلُّ إِلَيْهِ واجتمع^(٢)
لما رأى أَن لا دَعَةً ولا شَيْبَعٍ مالَ إلى أَرْطَاةٍ حَقَفَ فاطِجَع^(٣)
ويروى: «فاضطجع» وهو الأكثر والأقيس.

ويروى أيضا: «فَالطَّجَعُ» يبدل أيضا اللام من الضاد.

فإن قيل: فقد أحطنا علما بأن أصل هذا الحرف اضطجع افتعل من الضجعة، فلما جاءت الضاد قبل تاء افتعل أبدلت لها التاء طاء. فهلا لما زالت الضاد فصارت بإبدالها إلى اللام رُدت التاء فقليل: التجع، كما تقول: التجم والتجأ؟.

قيل هذا إبدالٌ عَرَضَ للضاد في بعض اللغات. فلما كان أمرا عارضا، وظلّا في أكثر اللغات خالصا - أَقْرُوا الطاءَ بجَهاها إِيدانا بقلة الحَفَلِ بما عَرَضَ من البدل، ودلالة على الأصل المنحو المعتمد، وله غير نظير.

ألا ترى إلى قوله:

(١) ورد البيت الثاني في شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين ٣٢٤/٢، ٢٢٦/٣ وهذا البيت من الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي، وقد استشهد به كثير من النحاة منهم الرخخشي وابن جنى في الخصائص ١/٦٤، ٢٦٤، ١٦٥/٣، وابن هشام والمرادى.

(٢) الأَبَازُ: العداء، وفعله أَبَزَ من باب ضرب، تقول أَبَزَ الظبي يَأْبَزُ، إذا عدا. والعفر: جمع أعفر، وهو الأبيض الذي ليس بشديد البياض. والصدع: الخفيف اللحم. وتقبض: انزوى وانضم.

(٣) والدعة: خفض العيش، والتاء فيه بدل من الفاء الذاهبة في أوله. والأرطاة: واحدة الأرطى، وهو شجر من شجر الرمل. والحقف - بكسر الحاء وسكون القاف - التل المعوج. والضجع: أصله اضطجع، فأبدل الضاد لاما، ويروى «فاطجع» بإبدال الضاد طاء، ويروى «فاضجع» بإبدال الطاء ضادا، ويروى «فاضطجع» على الأصل والاستشهاد بالبيت في قوله «ألا دعة» حيث أبدل التاء هاء في الوصل إجراء له مجرى الوقف. انظر: (شرح شواهد الشافية للبغدادى على هامش شرح الشافية ٣٢٥/٢).

وَكَحَلِ الْعَيْنِينَ بِالْعَوَاوِرِ^(١)

وكيف صحح الواو الثانية وإن كان قبلها الواو الأولى بينهما ألف وقد جاوزت الثانية الطرف، ولم يقلبها كما قبلها في أوائل، وأصلها أوأول لما ذكرنا، إذ كان الأصل هاهنا العواوير وإنما حذف الياء تخفيفاً وهي مرادة، فجعل تصحيح الواو في العواوير دليلاً على إرادة الياء في عواوير، وكما جعل حذف النون من قوله:

ارهن بينك عنهم أرهن بنى^(٢)

أراد بنى، فحذف الياء الثانية لتخفيف القافية، وترك أن يرد النون من «بنين» لأنه لم يَبِّن الأمر على حذف الياء الثانية البتة، وإنما حذفها للوقف على الحرف المشدد في الروي المقيد. وكما أنشدنا أبو عليّ للفرزدق من قوله:

تنظرتُ نصراً والسَّماكينَ أيُّهُما على من الغيثِ استهَلَّتْ مواطرة^(٣)

(١) قال أبو عثمان المازني، عنه: وأما قول الشاعر: «وكحل العينين بالعواوير» فإنما ترك الهمز؛ لأنه أراد «العواوير»، ولكنه احتاج فحذف الياء، وترك الواو على حالها. قال أبو الفتح ابن جني في المنصف ٤٩/٢، ٥٠: اعلم أنه قد كان القياس أن يهمز العَوَاوِر في كل قول؛ لأن الألف قد اكتنفها واوان، ولكنه لما أراد «العواوير»، واضطر إلى قصر الممدود، ترك الواو بحالها لتكون صحتها دلالة على إرادة ذلك المعنى وأمانة للمد، وصارت نية الياء تمنع القلب؛ لأنها في تقدير الملفوظ به، كما كانت نية الهمزة كأنها في تقدير الملفوظ به في «رؤيا، ونوى» تمنع القلب.

وكما تقول في تخفيف حَيْثَلٍ ومَوْءَلَةٍ: حَيْلٌ ومَوْءَلَةٌ فلا تُقَلَّبُ الياء، والواو وإن تحركتا، وانفتح ما قبلهما؛ لأن الهمزة في تقدير الملفوظ به فكما تصحَّان في «حَيْلٍ ومَوْءَلَةٍ»، كذلك تصحَّان في «حَيْلٍ ومَوْءَلَةٍ».

ولو اضطر شاعر إلى مد مثل أوائل لقال: أوائل فترك الهمزة بحالها، وإن كانت الياء، الزيدة قد حجزت بين العين، واللام؛ لأنه إنما أراد «أوائل» ومد مضطراً فترك الهمزة بحالها؛ لأن الأصل القصر، كما ترك الواو صحيحة في عواوير؛ لأنه أراد «عواوير» هذا هنا كذاك ثمة.

و«العواوير» جمع «عَوَّارٍ»: وهو الرمذ. المنصف ٤٢/١، ٥٠. وانظر الشاهد كذلك في: (الكتاب ٣٧٠/٤، الخصائص ١٩٧/١، ٣٢٨، ١٦٥/٣، الإنصاف ٧٨٥، شرح المفصل ٧٠/٥، ٩١/١، ٩٢، شرح التصريح ٣٧٤، شرح الأشعوني ٢٩/٤، اللسان «عور»، شرح شواهد الشافية ٣٧٤/٤).

(٢) انظر: لسان العرب مادة «رهن».

(٣) سبق الاستشهاد به.

أراد: أيهما، فاضطر إلى تخفيف الحروف فحذف الياء الثانية، وكان ينبغي أن يرد الياء الأولى إلى الواو، لأن أصلها الواو، وأن يكون قياسا واشتقاقا جميعا أولى. ولم يقل: أو هما فإرد الواو الأصلية؛ لأنه لم يبن الكلمة على حذف الياء البتة، فإرد الواو، فيقول: أوهما؛ لأنه إنما اضطر إلى التخفيف هناك وهو ينوي الحذف المذوف كما ينوي الملفوظ به، ويأتى نظيره في سورة القصص. وقد ذكرنا أخوات لهذا أكثر من عشر في كتاب الخصائص^(١) فلذلك قال: فَالطَّحَّجِ، فترك الطاء بحالها كما قدمنا ذكره.

* * *

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا ﴿١٢٧﴾

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن ابن عباس في مصحف ابن مسعود: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا»^(٢)، وفيه: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ»^(٣)، وفيه: «وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ يَقُولُونَ أَخْرِجُوا»^(٤).

قال أبو الفتح: في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه، دون أن يكون القول مقدرًا معه. وذلك كقول الشاعر^(٥):

رَجُلَانِ مِنْ ضِبَّةٍ أَخْبَرَانَا إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عَرِيَانَا

فهو عندنا نحن - على قالا: إنا رأينا، وعلى قولهم لا إضمار قول هناك، لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالا لنا، صار كأنه: قالا لنا، فأما على إضمار قالا في الحقيقة فلا. وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما نقدره من القول، فصار قاطعا على أنه مراد فيما يجرى مجراه.

(١) باب في بقاء الحكم مع زوال العلة. انظر: (الخصائص ٣/١٥٩: ١٦٦).

(٢) وقراءة أبي. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٢/١٢٦، معاني القرآن للفراء ١/٧٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٣، البحر المحیط لأبي حيان ١/٣٨٨، جامع البيان للطبري ٣/٦٤، الأمالي الشجرية لابن الشجري ١/٥٦، وقد وقع فيها: «يقولان ربنا تقبل»).

(٣) سورة الزمر الآية (٣).

(٤) سورة الأنعام الآية (٩٣).

(٥) قال في الخصائص (٢/٣٤٠)، وأنشد البغداديون، فذكره بنحوه. وانظر: (شرح شواهد المغنى البغدادى ٢/٦٥٩).

وكذلك قوله^(١):

يدعون عنترَ والرماح كأنها^(٢)

فيمن ضم الراء من عنتر؛ أى: يقولون: يا عنتر. وكذلك من فتح الراء، وهو يريد يا عنترَ.

وكذلك ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٣) أى يقولون. وقد كثر حذف القول من الكلام جدا.

ومن ذلك قال ابن مجاهد: قال عباس: سألت أبا عمرو عن ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾^(٤) فقال: أهل الحجاز يقولون: «يُعَلِّمُهُمْ وَيُلْعَنُهُمْ»^(٥) مثقلة، ولغة تميم يُعَلِّمُهُمْ^(٦) وَيُلْعَنُهُمْ^(٧).

قال أبو الفتح: أما التثقيب فلا سؤال عنه ولا فيه؛ لأنه استيفاء واجب الإعراب، لكن من حذف فعنه السؤال، وعلمته توالى الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب. وعليه قراءة أبى عمرو. «فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ»^(٨)، فيمن رواه بسكون الهمزة. وحكى أبو زيد «بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ»^(٩)، بسكون

(١) هو من معلقة عنترَ الشهيرة التي مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعجزه: أشطانُ بئر في لبنان الأدهم. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٥٩).

(٢) معناه: كأن الرماح حين أشرعت إليه فى طولها حبال. و«اللبان»: مجرى اللب. والرماح رفع بما عاد من الهاء، والهاء والألف اسم كان، وخبرها أشطان، والواو فى الرماح أو الحال. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال ٣٥٩).

(٣) سورة الرعد الآية (٢٣).

(٤) سورة البقرة الآية (١٢٩).

(٥) سورة البقرة الآية (١٥٩).

(٦) وهى قراءة السوسى، وابن محيصن. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٣٦).

(٧) وقراءة ابن محيصن. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٥٠).

(٨) سورة البقرة الآية (٥٤) وهى قراءة حمزة واليزيدى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٢/١)،

وإعراب القرآن للنحاس ٧٦/١، البحر المحيط ٢٠٦/١، السبعة ١٥٤، غيث النفع ١١٤، النشر

٢١٢/٢، التبيان ٢٤٣/١، الجامع لأحكام القرآن ٤٠٢/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٧٧،

الخصائص ٣٤١/١.

(٩) سورة الزخرف الآية (٨٠).

اللام. وأنشدنا أبو على الجري^(١):

سيرُوا بنى العمّ فالأهوازُ منزلُكم ونهر تيرى فلا تعرفُكم العربُ^(٢)
يريد تعرفُكم. ومن أبيات الكتاب^(٣):

فاليوم أشربُ غيرُ مُستَحَقِّب^(٤) إثمًا من الله ولا واغِل^(٥)
أى: أشربُ.

وأما اعتراض أبي العباس هنا على الكتاب فإنما هو على العرب لا على صاحب الكتاب؛ لأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن فى الوزن أيضا غيره.

وقول أبي العباس: إنما الرواية فاليوم فاشرب فكأنه قال لسيبويه: كذبت على العرب، ولم تسمع ما حكيتهم عنهم. وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه.

وكذلك إنكاره عليه أيضا قول الشاعر^(٦):

(١) من قصيدة يهجو بنى العم، لما أعانوا عليه الفرزدق ومطلعهما:
ما للفرزدق من عز يلوذ به إلا بنى العم فى أيديهم الخشب
انظر: (ديوانه ٤٥، الخصائص ٧٦/١، ٣١٩/٢، ٣٤٢).

(٢) الأهواز: تسع كور بين البصرة وفارس. تيرى: نهر بالأهواز. انظر: (آثار البلاد ١٥٢، لطائف المعارف ١٧٥، فتوح البلدان ٤٦٤، الروض المطار ٦١، ٦٢، معجم البلدان «أهواز» «نهر تيرى»).

(٣) من قصيدة لامرئ القيس خبرها أنه لما أنجد قمرل بن الحميم الحميرى امرأ القيس وبعث معه الجيوش للأخذ بثار أبيه حجر، سار بهم امرؤ القيس حتى أناخ على بنى أسد، وظفر بهم، وقتلهم بأبيه، وأنكى فيهم، وألبسهم الدروع البيض محماة، وكحلهم بالنار، قال فى ذلك هذه القصيدة. قال ياقوت: إن مطلعها هو: يا دار سلمى دارسا نؤيها. وقال غيره: بل قال:
يا دار ماؤية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
انظر: (شرح ديوانه ١٩٣ ط دار إحياء العلوم).

(٤) غير مستحقب: غير حامل.

(٥) انظر: (البيت فى الكتاب ٢٠٤/٤، الخصائص ٧٥/١، ٣١٩/٢، ٣٤٢، ٩٨/٣، المقرب ٢٣١، شرح المفصل ٤٨/١، همع الهوامع ٥٤/١، شرح التصريح ٨٨/١).

(٦) انظر: (الكتاب ٢٠٣/٤، الخصائص ٧٤/١، ٩٥/٣، الأمالى لابن الشجرى ٣٨/٢، شرح المفصل ٤٨/١، همع الهوامع ٥٤/١، العمدة ٢١٦/٢).

صدره: «رحت وفى رحليك ما فيهما». انظر: (الكتاب ٢٠٣/٤).

وقد بدا هُنْكَ مِنَ الْمُتَزَرِ^(١)

فقال: إنما الرواية:

وقد بدا ذاك من المتزر

وما أطيب العرس لولا النفقة!

وكذلك الاعتراض عليه في إنشاده قوله^(٢):

لا بارك الله في الغواني هل يُصبحن إلا لهن مُطَلَبُ^(٣)

وقول الأصمعي: «في الغواني ما» يريد: في الغواني أما، ويخفف الهمزة. وقول غيره: «في الغوان أما». ولو كان إلى الناس تخير ما يحتمله الموضع والتسبب إليه لكان الرجل أقوم من الجماعة به وأوصل إلى المراد منه، وأنفى لشغب الزيغ والاضطراب عنه.

فأما قول لبيد^(٤):

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حماؤها^(٥)

(١) والهن: كناية عن كل ما يقبح ذكره أو ما لا يعرف اسمه، وهو هنا كناية عن الفرج، والبيت من أبيات قالها لامراته وقد ضحكت منه حين سكر فسقط وبدت عوزته، وأقبلت عليه تلومه فرفع رأسه إليها وقال:

تقول يا شيخ أما تستحي من شربك الخمر على الكبير
فقلت لو باكرت مشمولة صهباء كلون الفرس الأشقر
رحب وفي رجلك عُقاله وقد بدا هنك من المتزر

(٢) من قصيدة لعبيد الله بن قيس الرقيات من المنسرح، مطلعها:

عَادَ لَهْ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبُ فَعَيْنُهُ بِالْدمْعِ تَنْسَكِبُ

انظر: (ديوانه ص ١).

(٣) روى الخليل: في الغواني هل يُصبحن، جعل الغواني مثل «الضوارب»، أخرج ذوات الباء مخرج التمام فأعربه. انظر: (ديوانه ص ٣، الكامل ٧٣٥، الكتاب ٥٤/٢، كتاب الصناعتين ١٥٠، المفصل للزمخشري ١٨٤، مغني اللبيب ١/١٨٢، شرح شواهد المغني ٢١١، الصحاح ولسان العرب وتاج العروس مادة «غنى» وفيها جميعا: في الغواني هل. والمنصف ٦٧/٢ رواه كما في الديوان والمختضب، الخصائص ٢٦٣/١، ٣٤٩/٢).

(٤) من معلقته الشهيرة التي مطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبَّدَ غولها فرجامها

(٥) في المعلقة بشرح الأنباري:

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يتعلق بعض النفوس حمامها=

فحملوه على هذا، أى: أو يرتبط بعض النفوس حمامها، معناها: إلا أن يرتبط، فأسكن المفتوح لإقامة الوزن واتصال الحركات.

وقد يمكن عندى أن يكون يرتبط عطفًا على أرضها، أى: أنا تراك أمكنة إذا لم أرضها ولم يرتبط نفسى حمامها، أى: ما دمت حيا فأنا متقلقل فى الأرض من هذه إلى هذه، ألا ترى إلى قوله: (١)

قَوَالٍ مُحْكَمَةٍ جَوَابِ آفَاقٍ (٢)

وهو كثير فى الشعر، فكذلك قول بنى تميم: يُعَلِّمُهُمْ وَيُلْعَنُهُمْ عَلَى مَا ذَكَرْنَا.

* * *

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءة الزهرى: «إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ» (٣) بياءٍ مضمومة وفتح اللام.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون يُعَلِّمُ هنا بمعنى يُعْرِفُ، كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ (٤) أى: عرفتم، وتكون «مَنْ» بمعنى الذى، أى: ليعرف الذى يتبع الرسول. ولا تكون «مَنْ» هاهنا استفهاما، لئلا يكون الكلام جملة، والجملة لا تقوم مقام الفاعل؛ ولذلك لم يجوزوا أن يكون قوله: «هذا باب علم ما الكلم» أى:

= قال الأنبارى: ويروى «أو يرتبط» ويروى «أو يعتقى»، ومعنى يعتقى يحتبس، وكذلك يرتبط. يقال: اعتقته عن حاجته، أى حبسته. وقوله: «بعض النفوس حمامها» أراد نفسه؛ لأن نفسه بعض أنفس الناس. وقال أبو عبيدة: معناها كل النفوس؛ لأن الموت لا ينزل ببعض النفوس ولكنه ينزل بالنفوس كلها. وتراك يرتفع بوصال وحذام. انظر: شرح المعلقات السبع الطوال ٥٧٣.

(١) البيت من قصيدة لتأبط شرا من البسيط، مطلعها:

يا عَيْدُ مَالِكَ مِنْ شَوْقٍ وَإِبْرَاقٍ وَمَرَّ طَيْفٍ عَلَى الْأَمْوَالِ طِرَاقٍ

انظر: (ديوان الصعاليك ١٤٢ وما بعدها، المفضليات ٢٩).

(٢) صدره: «حَمَالُ أَلْوِيَةِ شَهَادِ أُنْدِيَةِ».

حمال ألوية: كناية عن مكانته المرموقة، وأنه فى الطليعة والمقدمة. شهادة أندية: أى يشارك فى المجالس العالية. قَوَالٍ مُحْكَمَةٍ: صاحب القول المحكم والرأى الفاضل. جواب آفاق: صاحب أسفار ومغامرات. انظر: هامش الديوان ١٤٦.

(٣) انظر: (البحر المحيط ٤٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن ١٥٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٢٠/١).

(٤) سورة البقرة الآية (٦٥).

أى شىء الكلم، وعِلِم فى معنى: أن يُعَلَم. وقد ذكرنا ذاك هناك.

* * *

وَاللَّهُ أَبَايْكَ ﴿١٣٣﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدري وأبى رجاء بخلاف: «وإله أبيك»^(١) بالتوحيد.

قال أبو الفتح: قول ابن مجاهد بالتوحيد لا وجه له، وذلك أن أكثر القراءة «وإله آبائك» جمعاً كما ترى، فإذا كان أبيك واحداً كان مخالفاً لقراءة الجماعة؛ فاحتاج حينئذ إلى أن يكون أبيك هنا واحداً فى معنى الجماعة، فإذا أمكن أن يكون جمعاً كان كقراءة الجماعة ولم يحتج فيه إلى التأول لوقوع الواحد موقع الجماعة. وطريق ذلك أن يكون «أبيك» جمع أب على الصحة، على قولك للجماعة: هؤلاء أبون أحرار، أى: آباء أحرار، وقد اتسع ذلك عنهم. ومن أبيات الكتاب^(٢):

فلما تبينَ أصواتنا بكيْن وفدَّيْنَنَّا بالأبينا
وقال أبو طالب^(٣):

ألم ترَ أنى بعدَهم هممته لفرقة حُرٍّ من أبين كرام
وقال الآخر^(٤):

فَهُوَ يُفَدَى بِالْأَبِينِ وَالْخَالِ

وقد أشبعنا هذا الموضع فى شرح ديوان المتنبى.

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٨٢/١، جامع البيان للطبرى ٩٩/٣، الكشف للزخشري ٩٦/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣٨/١، إعراب القرآن للنحاس ٢١٦/١، الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨ البحر المحيط لأبى حيان ٤٠٢/١، لسان العرب مادة «أبى» ٦/١٤).

(٢) لزياد بن واصل السلمى، وهو شاعر جاهلى. انظر: (الكتاب ٤٠٥/٣، المقتضب ١٧٤/٢، الخصائص ٣٤٧/١، الأمالى لابن الشجرى ٣٧/٢، شرح المفصل ٣٧/٣، الخزانة ٢٧٥/٢، اللسان «أبى»).

(٣) انظر: (خزانة الأدب ٢٧٥/٢).

(٤) انظر: لسان العرب مادة «أبى»، وصدرة: «أقبل يهوى من دوين الطربال».

ويؤكد أن المراد به الجماعة ما جاء بعده من قوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾^(١)، فأبدل الجماعة من أبيك، فهو جماعة لا محالة؛ لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل. فيصير قوله تعالى: «وإله أبيك» كقوله: وإله ذويك. هذا هو الوجه، وعليه فليكن العمل.

ومن ذلك ما حكاه ابن مجاهد عن ابن عباس: أنه قال: لا تقرأ «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به»^(٢) فإن الله ليس له مثل، ولكن اقرأ: «بما آمنتم به»^(٣).

قال: وروى عنه أيضا أنه كان يقرأ: «بإلذى آمنتم به».

قال: وقال عباس في مصحف أنس وأبي صالح وابن مسعود: «فإن آمنوا بما آمنتم به».

قال أبو الفتح: هذا الذى ذهب إليه ابن عباس حسن؛ لكن ليس لأن القراءة المشهورة مردودة. وصحة ذلك أنه إنما يراد فإن آمنوا بما آمنتم به كما أراده ابن عباس وغيره. غير أن العرب قد تأتي بمثل فى نحو هذا توكيدا وتسديدا. يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح: مثلى لا يفعل هذا، أى: أنا لا أفعله، ومثلك إذا سئل أعطى، أى: أنت كذاك. قال^(٤):

مثلى لا يُحسِنُ قولاً فَعَفَ^(٥)

أى أنا لا أحسنه. وفى حديث سيف بن ذى يزن «أيها الملك مثلك من سرّ وبرّ»^(٦) أى: أنت كذاك. وهو كثير فى الشعر القديم والمولد جميعا.

(١) سورة البقرة الآية (١٣٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٧).

(٣) انظر: (الكشاف للزخشري ٩٧/١، مغنى اللبيب ١٥٣/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣٩/١، البحر المحيط ٤٠٩/١).

(٤) انظر: (الخصائص ٣٢/٣، الجمهرة ١١١/١، تاج العروس «فع»).

(٥) جاء فى هامش الخصائص ٣٢/٣: قبله: «لا تأمرينى بينات أسفع». ويَعْدُه: «والشاة لا تمشى على المملع».

وففع: زجر الغنم ودعاؤها. ورسم فى التاج: فع فع، وبنات أسفع: الغنم، أضيفت إلى أسفع، وهو فحل لها. والشاة هنا فى معنى الجمع. ويمشى: تنمو وتكثر. المملع: الذئب، كأنه يخاطب زوجه وقد أمرته باقتناء الغنم ورعيها، فقال: لا أحسن ذلك.

وسبب تأكيد هذه المواضع «مثل»، أنه يراد أن يُجعل من جماعة هذه أوصافهم تثبيتاً للأمر وتمكيناً له. ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه، ولم ترس فيه قدمه، ولم يؤمن عليه انتقاله إلى ضده.

ومثل ذلك أيضاً قولهم في مدح الإنسان: أنت من القوم الكرام، ومنزِعُك إلى السادة، أى لك في هذا الفعل سابقة وأول، فأنت مقيم عليه ومحقوق به، ولست دخيلاً فيه عن غير أول ولا أصل، فيخشى عليك نبوك عنه.

ولما أريد مثل هذا في الثناء على الله تعالى، ولم يجوز أن يكون تابعا لسلف، ولا موجوداً له فيه نظير - عدلوا به إلى وجه ثالث غير الاثنين المذكورين، وهو أن جعل قديماً فيه، راسخاً عليه، فكان أثبت له من أن يكون عز وجهه مبتدئه أو مرتجله، وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١)، و﴿كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) ونحو ذلك من الآي، فاعرف ذلك أولاً ومبتكراً. فكذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾^(٣)، أى: كانوا ممن يؤمن بالحق هذا الجنس على سعيته وانتشار جهاته فقد اهتدوا.

ورحم الله ابن عباس! فإن هذا القول وإن كان اعتراضاً عليه فعنه أيضاً أُخِذَ وإليه رُدَّ. وغير ملوم من نصر الجماعة، وبالله الحول والاستطاعة.

* * *

لَرُءُوفٌ

ومن ذلك قراءة الزهري: «لرووف»، بلا همز، ويُثقل.

قال أبو الفتح: ينبغي أن تكون الهمزة فيه مخففة، فلما أخفاها التخفيف ظننت واوا للطف هذا الموضع أن تضبطه القراءة؛ وذلك أننا لا نعرف في غير هذه اللفظة إلا الهمز. يقال: رؤف به، ورأف به، ورئف، ولم نسمع فيه راف ولا رُفْتُ. والهمزة إذا خففت في نحو هذا لم تبدل، وإنما تُخَفَّى، كقولك في ستول، فعول من سألت: سَوُول، فاعرف ذلك.

* * *

(١) سورة النساء الآية (١٣٤).

(٢) سورة النساء الآية (٩٦).

(٣) سورة البقرة الآية (١٣٧).

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿١٥٥﴾

ومن ذلك قراءة زيد بن علي - رضى الله عنه - «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا»^(١)، بفتح الهمزة خفيفة اللام، تنبيه.

قال أبو الفتح: وجهه أن الوقوف في هذه القراءة على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ ثم استأنف مُنْبِهَا فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، كقولك مبتدئا: إلا زيد فأعرض عنه وأقبل على، وكأنه عليه السلام إنما رأى لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾^(٢)؛ فلو قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لم يقو معناه عنده؛ لأنه لا حجة للظالمين على المطيعين، والذي يقوى قراءة الجماعة قوله تعالى: ﴿لَا تُؤْتَمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ فهو معطوف على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ﴿وَلَا تُؤْتَمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾. وإذا كان عطفا عليه فأن يكون في عقد واحد معه أولى من أن يترأخى عنه، ويكون قوله على هذا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطعا أى: لكن الذين ظلموا منهم يعتقدون أن لهم حجة عليكم، فأما في الحقيقة وعند الله تعالى فلا.

فإن قلت: فقد فصل بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، ثم عطف بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتَمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾^(٣) وقد كرهت الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

قيل: لما كان الأمر للمسلمين بترك خشية الظالمين إنما هو مسبب عن ظلمهم اتصل به اتصال المسبب بسببه، فجرى مجرى الجزء من جملته، وليس كذلك استئناف التنبيه بألا ألا تراها إنما تقع أبدا في أول الكلام ومرجلة؟ فاعرف ذلك فرقا.

* * *

أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴿١٥٨﴾

ومن ذلك قراءة عليّ وابن عباس كرم الله وجوههما بخلاف وسعيد بن جبير، وأنس ابن مالك ومحمد بن سيرين وأبى بن كعب وابن مسعود وميمون بن مهران: «أَلَا يَطُوفُ بِهِمَا»^(٤).

(١) وقراءة ابن عامر، وابن عباس، وابن زيد. انظر: (الكشاف للزخشري ١/١٠٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٧٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٤١).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٠).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٠).

(٤) وقراءة شهر، وعطاء. انظر: (معاني القرآن للفراء ١/٩٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي =

قال أبو الفتح: أما قراءة الجماعة: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾^(١) تقرُّبا بذلك، أى فلا جناح عليه أن يطوف بهما تقرُّبا بذلك إلى الله تعالى؛ لأنهما من شعائر الحج والعمرة، ولو لم يكونا من شعائرهما لكان التطوف بهما بدعة؛ لأنه إيجاب أمر لم يتقدم إيجابه، وهذا بدعة، كما لو تطوف بالبصرة أو بالكوفة أو بغيرهما من الأماكن على وجه القرية والطاعة كما تطوف بالحرم، لكان بذلك مبتدعا.

وأما قراءة من قرأ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطُوفَ بِهِمَا﴾ فظاهره أنه مفسوح له فى ترك ذلك، كما قد يُفسح للإنسان فى بعض المنصوص عليه الأمور به؛ تخفيفا، كالقصر بالسفر، وترك الصوم، ونحو ذلك من الرخص المسموح فيها.

وقد يمكن أيضا أن تكون «لا» على هذه القراءة زائدة. فيصير تأويله وتأويل قراءة الكافة واحدا. حتى كأنه قال: فلا جناح عليه أن يطوف بهما، وزاد «لا»، كما زيدت فى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَظُنُّ أَحَدُكُمْ أَنَّ الْكُتُبَ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٢) أى: ليعلم.

وكقوله^(٣):

من غير لا عَصَف ولا اصطراف

أى: من غير عصف، وهو كثير.

* * *

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعُونَ»^(٤).

= ١٨٢/٢ الكشف للزخشري ١٠٤/١، البحر المحيط لأبى حيان ٤٥٦/١، تفسير الفخر الزارى ٤٥/٢.

(١) سورة البقرة الآية (١٥٨).

(٢) سورة الحديد الآية (٢٩).

(٣) أى العجاج. انظر: (ديوانه ٤٠) وفيه: «بغير لا عصف ولا اصطراف».

(٤) انظر: (معاني القرآن للفراء ٩٦/١، الكشف للزخشري ١٠٥/١، الجامع لأحكام القرآن

للقرطبي ١٩٠/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٢٦/١، إعراب القرآن للعكبرى ٤٢/١، البحر

المحيط لأبى حيان ٤٦٠/١، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٥١، التبيان للطوسى ٥٠/٢، جامع

البیان ٢٦٣/٣، غيث النفع للصفاسى ١٤٦، الكشف للزخشري ١٠٥/١.

قال أبو الفتح: هذا عندنا مرفوع بفعل مضمر يدل عليه قوله سبحانه: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أى: وتلعنهم الملائكة والناس أجمعون؛ لأنه إذا قال: عليهم لعنة الله، فكأنه قال: يلعنهم الله، كما أنه لما قال^(١):

تَذَكَّرْتُ أَرْضًا بِهَا أَهْلُهَا أَخْوَالُهَا فِيهَا وَأَعْمَامُهَا
فقد علم أنها إذا تذكرت الأرض التى فيها أخوالها وأعمامها فقد دخلوا فى جميع ما وقع الذكر عليه، فقال بعد: تذكرت أخوالها وأعمامها.
وكانه لما قال^(٢):

أَسْقَى الْإِلَهِ عُذُوتَ الْوَادَى وَجَوْفَهُ كُلُّ مُلِثٍ غَادَى^(٣)
كُلُّ أَجَشٍّ حَالِكٍ السَّوَادِ^(٤)

فقد سقى الأجش فرفعه بفعل مضمر، أى: سقاها كل أجش. وهو كثير جدا.

* * *

خُطُوبَاتُ

ومن ذلك قراءة على عليه السلام والأعرج ورؤيت عن عمرو بن عبّيد: «خُطُوبَاتُ»^(٥) بضمّتين وهمزة، وهى مرفوضة، وغلط.

(١) لعمرو بن قميّة. انظر: (ديوانه ٦٢، الكتاب ٢٨٥/١، شرح المفصل ١٢٦/١، الخزانة ٢٤٨/٢، الخصائص ٤٢٩/٢)، وقبله:

قد سألتنى بنت عمرو عن الـ أرض التى تنكر أعلامها
لما رأيت سائيد ما استعبدت لله در اليوم من لامها

(٢) انظر: (الكتاب ٢٨٩/١، العينى ٤٧٥/٢، ونسبه لرؤبة بن العجاج، وليس فى ديوانه، وأنشده فى الخصائص ٤٢٥/٢ بدون نسبة.

(٣) العذوات: شواطئ الوادى، جمع عدوة بتثنية العين. وجوفه، يروى أيضا «جوزه» أى وسطه والملث: السحاب يدوم أياما فلا يقلع؛ من الإلثاث. والغادى: الذى يكون فى الغداة.

(٤) الأجش الشديد صوت الرعد الجهير. والخالك: الشديد السواد.

(٥) وقراء: قتادة، والأعمش، وعمرو بن ميمون، وسلام. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٤٤/١، البحر المحيط لأبى حيان ٤٧٩/١، الكشف للزحشرى ١٠٧/١، مجمع البيان للطبرسى ٢٥١/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٢، لسان العرب مادة «خطأ»).

وقرأ أبو السَّمَال «خَطَوَات» ^(١) بفتح الخاء والطاء.

قال أبو الفتح: أما الهمز في هذا الموضع فمردود؛ لأنه من خطوات لا من أخطأت. والذي يُصرفُ هذا إليه أن يكون كما تهمزه العرب ولا حظُّ له في الهمز، نحو حَلَّات السويق، وَرَثَاتُ رُوحِي بِأَيَّاتٍ، والذئب يستنشئ ريح الغنم. والحمل على هذا فيه ضعيف، إلا أن الذي فيه من طريق العذر أنه لما كان من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطأ، فلما تصوّر ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها، وقيل: «خَطَوَات».

وأما خَطَوَات فجمع خَطْوَةٍ، وهى الفَعْلَةُ، والخُطْوَةُ ما بين القدمين. والخُطَوَات كقولك: طرائق الشيطان، والخُطَوَات كقولك: أفعال الشيطان.

* * *

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ﴿٧٧﴾

ومن ذلك قراءة أبي وابن مسعود: «لَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ» ^(٢). قال ابن مجاهد فإذا كان هكذا لم يجوز أن يُنصب البر.

قال أبو الفتح: الذى قاله ابن مجاهد هو الظاهر فى هذا، لكن قد يجوز أن يُنصب مع الباء، وهو أن تجعل الباء زائدة، كقولهم: كفى بالله، أى كفى الله، وكقوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ^(٣) أى كَفَيْنَا، فكذلك ليس البر بأن تولوا بنصب البر كما فى قراءة السبعة.

فإن قلت: فإن «كفى» بالله شاذ قليل، فكيف قست عليه «ليس»، ولم نعلم الباء زيدت فى اسم ليس، إنما زيدت فى خبرها، نحو قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ ^(٤)؟ قيل: لو

(١) وقراءة السجائوندى، وعبيد بن عمير. انظر: (الكشاف للزخشري ١/١٠٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٠٨، البحر المحيط لأبي حيان ١/٤٧٩، إعراب القرآن للعكبري ١/٤٤، مجمع البيان للطبرسي ١/٢٥١).

(٢) انظر: (مجمع البيان للطبرسي ١/٢٦١، تفسير الفخر الرازي ٢/٩٦، إعراب القرآن للنحاس

١/٢٣٠، البحر المحيط ٢/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٣٨، الكشاف للزخشري

١/١٠٩، الكشف للقيسي ١/٢٨١، إعراب القرآن للعكبري ١/٢٣٠، التبيان للطوسي ٢/٩٩،

شرح التصريح ١/٢٠٠).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٤٧).

(٤) سورة النساء الآية (١٢٣).

لم يكن شاذاً لما جوزنا قياساً عليه ما جوزناه، ولكننا نوجب فيه البتة واجباً، فاعرفه.

* * *

يُطِيقُونَهُ ١٨٤

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف، وعائشة رحمهما الله، وسعيد بن المسيب، وطاوس بخلاف، وسعيد بن جبير، ومجاهد بخلاف، وعكرمة، وأيوب السخيتاني، وعطاء: «يُطَوِّقُونَهُ» (١).

وقرأ «يُطَوِّقُونَهُ» (٢) على معنى: يتطوقونه مجاهد.

ورويت عن ابن عباس، وعن عكرمة.

وقرأ «يُطِيقُونَهُ» (٣) ابن عباس بخلاف، وكذلك مجاهد وعكرمة.

وقرأ «يُطِيقُونَهُ» (٤) ابن عباس بخلاف.

قال أبو الفتح: أما عين الطاقة فواو؛ لقولهم: لا طاقة لي به ولا طوق لي به. وعليه من قرأ يُطَوِّقُونَهُ، فهو يُفَعِّلُونَهُ منه. فهو كقوله: يَحْشَمُونَهُ ويكلفونه، ويُجْعَلُ لَهُم كالتطوق في أعناقهم.

وأما يُطَوِّقُونَهُ فَيَفْعَلُونَهُ منه، كقولك: يتكلفونه ويتجشمونه، وأصله: يتطوقونه فأبدلت، التاء طاء، وأدغمت في الطاء بعدها كقولهم: اَطِيرَ يَطِيرُ؛ أى: يتطير.

وتجيز الصنعة أن يكون يتفعلونه ويتفعلولونه جميعاً، إلا أن يتفعلولونه الوجه؛ لأنه الأكثر والأظهر.

(١) انظر: (جامع البيان للطبري ٤١٨/٣، ٤٣٠، إعراب القرآن للنحاس ٤٣٦/١، إعراب القرآن للعكبري ٤٦/١، البحر المحيط لأبي حيان ٣٥/٢، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ١١٩/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/٢، الكشاف للزخشري ١١٣/١، مجمع البيان للطبرسي ٢٧٢/٢، تفسير الفخر الرازي ١٢٠/٢، لسان العرب مادة «طوق» ٢٣١٨٠).

(٢) وقراءة عائشة، وطاوس، وعمرو بن دينار. انظر: (الكشاف للزخشري ١١٣/١، إعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/١، البحر المحيط لأبي حيان ٣٥/٢).

(٣) وقراءة ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٢٨٧/٢، اللسان مادة «طوق»).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣٥/٢).

وَأَمَّا يَتَطَيَّقُونَهُ فَظَاهِرُهُ لَفْظًا أَنْ يَكُونَ يَتَفَعِّلُونَهُ كَتَحَيَّزُ أَى تَفَعِّلُ.

أَنشَدْنَا أَبُو عَلِيٍّ لِلْهَذَلِيِّ (١):

فَلَمَّا جَلَاها بِالْإِيَّامِ تَحَيَّزَتْ ثُبَاتٌ عَلَيْهَا ذُلُّها وَاكْتِنَابُها (٢)

فَهَذَا تَفَعَّلَتْ مِنْ حَازٍ يَحُوزُ، وَمِثْلُهُ تَفَعَّلَ.

وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا يَتَطَيَّقُونَهُ يَتَفَعَّلُونَ، إِلَّا أَنَّ الْعَيْنَيْنِ أَبْدَلْتَا يَاءَيْنِ، كَمَا قَالُوا فِي تَهَوَّرِ الْجُرْفِ: تَهَيَّرَ، وَعَلَى أَنْ أَبَا الْحَسَنِ قَدْ حَكَى هَارَ يَهَيَّرَ.

وَقَدْ يُمْكِنُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ هَارَ يَهَيَّرُ مِنَ الْوَاوِ، فَعِلَ يَفَعِّلُ، كَرَأَى الْخَلِيلُ فِي طَاحٍ يَطِيحُ، وَتَاهَ يَتِيهِ.

وَلَيْسَ يَقْوَى أَنْ يَكُونَ يَتَطَوَّقُونَهُ يَتَفَعِّلُونَهُ وَلَا يَتَفَعِّلُونَهُ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ هُنَا كَاللَّفْظِ يَتَفَعَّلُ، لَقِلْتَهُمَا وَكَثَرْتَهُ.

وَيُؤَنِّسُ بَكُونَ يَتَطَيَّقُونَهُ يَتَفَعِّلُونَهُ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ: «يَتَطَوَّقُونَهُ»، وَكَذَلِكَ يُؤَنِّسُ بَكُونَ يَتَطَيَّقُونَهُ يُفَعِّلُونَهُ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ «يُطَوَّقُونَهُ»، وَالظَّاهِرُ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَنْ يَكُونَ يُفَعِّلُونَهُ.

* * *

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴿١٣٩﴾

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» (٣)، يَعْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ (٤).

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ لِأَبِي ذُؤَيْبٍ الْهَذَلِيُّ مَطْلَعُهَا:

أَبَا لَصْرَمٍ مِنْ أَسْمَاءٍ حَدَثَكَ الَّذِي حَرَى بَيْنَنَا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ رِكَابُهَا

انْظُرْ: (دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ٧٩/١ وَمَا بَعْدَهَا. وَانْظُرِ الْبَيْتَ فِي الْخِصَائِصِ ٣/٣٠٧).

(٢) وَقَعَ فِي الدِّيَوَانِ: «فَلَمَّا اجْتَلَاهَا بِالْإِيَّامِ تَحَيَّزَتْ». وَفِي رِوَايَةٍ: تَحَيَّرَتْ بِالرَّاءِ بِالْمُهْمَلَةِ مَكَانَ: تَحَيَّزَتْ. وَتَحَيَّرَتْ أَى بَقِيَتْ لَا تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ عَلَى رِوَايَةِ «تَحَيَّزَتْ» بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ أَنَّهُ لَمَّا أَخْرَجَ النَحْلُ مِنْ بَيْوتِهَا بِالْذَّخَانِ الَّذِي دَخَنَ بِهِ عَلَيْهَا لَمَّا تَلَسَّعَهُ، تَضَامَتِ جَمَاعَاتُ يَدُوٍّ عَلَيْهَا الذَّلْ. انْظُرْ: (هَامِشُ الدِّيَوَانِ ١/٧٩).

(٣) انْظُرْ: (الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِلْقُرْطُبِيِّ ٢/٤٢٨، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلْعَكْبَرِيِّ ١/٥١، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ

٢/١٠٠، ١٠١، تَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ٢/١٧٩).

(٤) سُورَةُ طه الْآيَةُ (١١٥).

قال أبو الفتح: في هذه القراءة دلالة على فساد قول من قال: إن لام التعريف إنما تدخل الأعلام للمدح والتعظيم، وذلك نحو: العباس، والمظفر، وما جرى مجراهما. ووجه الدلالة من ذلك: أن قوله «الناسي» إنما يعنى به آدم عليه السلام، فصارت صفة غالبية كالنابغة والصَّعِق، وكذلك الحارث والعباس والحسن والحسين، وهى وإن كانت أعلاماً فإنها تجرى مجرى الصفات، ولذلك قال الخليل: إنهم جعلوه الشيء بعينه، أى الذى حرث وعبس، فمحمولٌ هذا أن فى هذه الأسماء الأعلام التى أصلها الصفات معانى الأفعال، ولذلك لحقتها لام المعرفة كما تعرف الصفات، وإذا كان فيها معانى الأفعال، وكانت الأفعال كما تكون مدحاً فكذلك ما تكون ذماً، فهى تحقق فى العلم معنى الصفة، مدحاً كانت الصفة أو ذماً.

فالمدح ما ذكرناه من نحو الحارث والمظفر والحسين والحسن، والذم ما جاء من نحو قولهم: فلان بن الصَّعِق؛ لأن ذلك داءٌ ناله، فهى بلوى، وأن يكون ذماً أولى من أن يكون مدحاً، ألا ترى أن المدح ليس من مَقَاوِمِ ذكر الأمراض والبلاوى، وإنما يقال فيه: إنه كالأسد، وإنه كالسيف؟ ومنه عمرو بن الحِمِق فهذا ذم له لا مدح، وعلى أنهم قد قالوا فى الحِمِق: إنه الصغير اللحية. والمعنى الآخر أشبع فيه. ألا ترى إلى قوله (١):

فَأَمَّا كَيْسٌ فَتَنَجَا وَلَكِنْ عَسَى يَغْتَرِبَ بَى حِمِقٍ لَيْتِم (٢)

ومنهم قولهم: فلان بن الثعلب فدخلته اللام، وهو علم لما فيه من معنى الخبِّ والخبث، وذلك عيب فيه لا ثناء عليه. والباب فيه فاش واسع. فقد صح إذاً أن ما جاء من الأعلام وفيه لام التعريف فإنما ذلك لما فيه من معنى الفعل والوصفية، ثناءً عليه كان ذلك أو ذماً له. وإنما دعا الكتاب ونحوهم إلى أن قالوا: إن دخول اللام هنا إنما هو لمعنى المدح أن كان أكثره كذلك؛ لأنه إنما العرف فيه أن يسمى من الأسماء الحاملة لمعانى الأفعال ممّا كان فيه معنى المدح، لا أن هذا مقصور على المدح دون الذمّ عندنا لما ذكرناه.

* * *

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (٢٣)

ومن ذلك ما روى ابن مجاهد عن الزُّمَلِ بن جَرَوَل قال: سألت سالم بن عبد الله بن عمر عن النفر فقراً: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلْتَمَ عليه ومن تأخَّرَ فَلْتَمَ عليه» (٣).

(١) انظر: (الكتاب ١٥٩/٣، خزنة الأدب ٨٢/٤).

(٢) الكيس: العقل والدهاء، والوصف «كيس». والحمق: الأحمق.

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/٣، البحر المحيط لأبى حيان ١١١/٢).

قال أبو الفتح: أصله قراءة الجماعة ﴿فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾^(١)، إلا أنه حذف الهمزة البتة، فالتقت ألف «لا» و«ثاء» الائم ساكنين، فحذف الألف من اللفظ لالتقاء الساكنين؛ فصارت: «فَلْتَمَّ عَلَيْهِ».

وقد مرّ بنا من حذف الهمزة اعتباطا وتعجرفا من نحو هذا أشياء كثيرة، من ذلك قراءة ابن كثير: «إِنَّهَا لَحَدَى الْكُبَرِ»^(٢).

فهذا في الحذف كقوله: «فَلْتَمَّ عَلَيْهِ» إلا أن بينهما من حيث أذكر فرقا، وذلك أن قوله: «لَحَدَى الْكُبَرِ» إنما فيه حذف الهمزة لا غير. وقوله: «فَلْتَمَّ عَلَيْهِ» أصله فلا إِيْمَ، فلما حذف الهمزة تخفيفا - وإن لم يكن قياسا - التقت الألف مع ثاء إِيْمَ وهي ساكنة، فحذفت الألف من «لا» لالتقاء الساكنين، فصار «فَلْتَمَّ عَلَيْهِ». ومثل ذلك سواء مذهب الخليل في «لَنَ». ألا ترى أن أصلها عنده لا أن، فلما حذفت الهمزة التقت ألف «لا» مع نون «أن» فحذفت الألف من «لا»؛ لالتقاء الساكنين. وقد جاء نظيرا لهذا من حذف الهمزة شيء صالح الكثرة، منه قوله^(٣):

إِنْ لَمْ أَقَاتِلْ فَالْبُسُونِي بَرَقَا

أراد فالبسوني، ثم حذف الهمزة.

وأنشد أبو الحسن:

تَضَبُّ لِيثَاتُ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهَا وَتَسْمَعُ مِنْ تَحْتِ الْعِجَاجِ لَهْزَمَلَا^(٤)

أراد: لها أزملا فحذف الهمزة. نعم، ثم حذف ألف «ها» لفظا لسكونها وسكون الزاي من بعدها، وعليه القراءة: «أَرَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ»^(٥). يريد: أَرَيْتَكَ.

وأنشد أحمد بن يحيى:

أَرَيْتَكَ إِنْ شَطَّتْ بِكَ الْعَامَ نَيْسَةً وَغَالِكَ مُصْطَافُ الْحِمَى وَمَرَابُعُهُ

(١) سورة البقرة الآية (٢٠٣).

(٢) سورة المدثر الآية (٣٥)، وهي قراءة نصر بن عاصم، وابن مجيصة، ووهب بن جرير عن ابن كثير. انظر: (البحر المحيط ٣٧٨/٨).

(٣) في الخصائص: وأنشدنا أبو علي، فذكره الخصائص ١٥٣/٣. انظر: الخصائص (١٥٣/٣).

(٤) في الخصائص: «وتسمع من تحت العجاج لها ازملا».

(٥) سورة الإسراء الآية (٦٢)، بتسهيل الهمزة الثانية قراءة نافع وأبي جعفر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٣).

وجاءَ عنهم: سايسو، وجايجي، بحذف الهمزة فيهما. وقد أثبتنا من هذا حروفا جماعة في كتابنا الخصائص^(١). وعلى كل حال فحذف الهمزة هكذا اعتبارا ساذجا ضعيف في القياس، وإن فشا في بعضه الاستعمال.

* * *

وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴿٥٥﴾

ومن ذلك ما رواه هارون عن الحسن وابن أبي إسحاق وابن محيصن «وَيُهْلِكُ» يفتح الياء واللام ورفع الكاف - «الحَرْثُ وَالنَّسْلُ» رَفَعَ فيهما^(٢).
قال ابن مجاهد: وهو غلط.

قال أبو الفتح: لعمرى إن ذلك تَرَكَ لما عليه اللغة، ولكن قد جاء له نظير، أعنى قولنا: هَلِكَ يَهْلِكُ، فَعَلَ يَفْعَلُ، وهو ما حكاه صاحب الكتاب من قولنا: أبسى يَأْبِسُ^(٣). وحكى غيره قَنَطَ يَقْنَطُ، وسلا يَسْلَى، وجبا الماءُ يَجْبَاهُ^(٤)، وركن يركن، وقلا يَقْلَى، وغسا الليل يَغْسَى. وكان أبو بكر يذهب في هذا إلى أنها لغات تداخلت؛ وذلك أنه قد يقال: قَنَطَ وَقْنِطَ، وَرَكَنَ وَرَكِنَ، وسلا وسَلَى، فتداخلت مضارعاتها. وأيضا فإن في آخرها ألفا، وهي أَلَفٌ سلا وقلا وغسا وأبسى؛ فضارعت الهمزة نحو قرأ وهدأ.

وبعد، فإذا كان الحسن وابن أبي إسحاق إمامين في الثقة وفي اللغة فلا وجه لدفع ما قرأ به، لاسيما وله نظير في السماع.

وقد يجوز أن يكون يَهْلِكُ جاءَ على هَلِكَ بمنزلة عَطِبَ، غير أنه استغنى عن ماضيه بهْلِكُ، وقد ذكرنا نحو هذا في كتابنا المنصف^(٥).

(١) انظر: (الخصائص ١٥١/٣ باب في حذف الهمزة وإبدالها).

(٢) وقراءة أبي عمرو، وأبي بن كعب، وأبى حيو، وعبدالوارث. انظر: (معاني القرآن للفراء ١٢٤/١، الكشف للزحشرى ١٢٣/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٣، جامع البيان للطبري ٢٤٣/٤، إعراب القرآن للعكبري ٥٢/١، البحر المحيط لأبى حيان ١١٦/٢، تفسير الفخر الرازي ١٩٠/٢، لسان العرب مادة «هلك» ٥٠٣/١٠).

(٣) انظر: (الكتاب ١٠٥/٤، ١٠٦).

(٤) جَبَا الخراج والمالَ جَبَوًا وَجِبَاوَةً جَمَعَهُ، والماء: جمعه في الحَوْضِ. انظر: المعجم الوسيط «جبا».

(٥) انظر: (المنصف ١٨٦/١).

ومن ذلك قراءة أبي السَّمَال: «فَإِنْ زَلَّتُمْ»^(١)، بكسر اللام.

قال أبو الفتح: هما لغتان: زَلَّتْ وزَلَّتْ، بمنزلة ضَلَّتْ وضَلَّتْ، إلا أن الفتح فيهما أعلى اللغتين، واسم الفاعل منهما ضالٌّ، ولو جاء ضليل لكان قياساً على ما جاء عنهم من فَعِيلٍ في فَعَلَ من المضاعف، نحو خَفَّ فهو خفيف، وعَزَّ فهو عزيز، وقَلَّ فهو قليل، وجَدَّ فهو جديد. وذلك أنه قد جاء فَعِيلٌ في فعل من غير المضاعف، وذلك كَسَدَ البئعُ فهو كسيد، وفَسَدَ فهو فسيد. فلما جاء ذلك في غير المضاعف كان المضاعف أولى به؛ لثقل الإدغام في ضالٍّ وفارٍ. وقد ذكرنا ذلك مشروحاً في غير هذا الموضع من كلامنا.

* * *

فِي ظِلِّ مِّنَ الْغَمَامِ ﴿٢١﴾

ومن ذلك ما روى عن قتادة في قول الله سبحانه: «فِي ظِلٍّ مِّنَ الْغَمَامِ»^(٢).

قال ابن مجاهد: هو جمع ظلٍ.

قال أبو الفتح: الوجه أن يكون جمع ظُلة، كجُلَّة وجلال، وقُلَّة وقِلال؛ وذلك أن الظل ليس بالغيم، وإنما الظُّلة الغيم، فأما الظِّل فهو عدم الشمس في أول النهار، وهو عَرَض والغيم جسم.

* * *

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴿٢٢﴾

ومن ذلك ما رواه ابن طاوس عن أبيه أنه قرأ: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ أَصْلَحَ إِلَيْهِمْ خَيْرٌ»^(٣).

قال أبو الفتح: خير مرفوع؛ لأنه خير مبتدأ محذوف؛ أي أصلح إليهم فذلك خير.

(١) انظر: (الكشاف للزخشري ١/١٢٧)، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤، البحر المحيط لأبي حيان ٢/١٢٣، تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٥.

(٢) وقراءة عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، والضحاك، وعاصم، وأبى جعفر، ويزيد بن القعقاع. انظر: (جامع البيان للطبري ٤/٢٦١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٥، الكشاف للزخشري ١/١٢٧، البحر المحيط لأبي حيان ٢/١٢٥، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٥١، إعراب القرآن للعكبري ١/٥٣، تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٩.

(٣) انظر: (البحر المحيط لأبي حيان ٢/١٦١)، الكشاف للزخشري ١/١٣٣.

وإذا جاز حذف هذه الفاء مع مبتدئها في الشرط الصحيح نحو قوله^(١):
 بَنِي تُعَلِّ لا تَنْكَعُوا الْعَنْزَ شَرِبَهَا بنى ثعل من ينكع العنز ظالم^(٢)
 أى: فهو ظالم - كان حذف الفاء هنا، وإنما الكلام بمعنى الشرط لا بصريح لفظه،
 أجدر وأحرى بالجواز.
 وقال «إليهم» لما دخله معنى الإحسان إليهم. وقد ذكرنا نحو ذلك كثيرا مما هو
 محمول على المعنى.

* * *

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ

ومن ذلك قراءة مسلمة بن محارب^(٣): «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ»^(٤)، ساكنة التاء.
 قال أبو الفتح: قد سبق نحو هذا في قراءة أبي عمرو: «يَأْمُرُكُمْ»، وأنشدنا فيه الأبيات
 التي أحدها قول جرير:
 سِيرُوا بَنِي الْعَمِ فالأهواز منزلكم ونهر ييرى ولا تعرفكم العرب^(٥)
 أراد: لا تعرفكم، فأسكن الفاء استخفافا لثقل الضمة مع كثرة الحركات.

* * *

لَا تُضَارُّ وَالِدَةَ

ومن ذلك ما رواه هارون عن أسيد عن الأعرج: أنه قرأ: «لَا تُضَارُّ وَالِدَةَ»^(٦) جزم،
 كذا قال، جزم.

(١) نسبته في الكتاب لرجل من بني أسد، الكتاب ٦٥/٣، وانظر: (العيني ٤٤٨/٤، شرح الأشموني ٢١/٤، اللسان «نكع»).

(٢) بنى ثعل نداء، وهم بنو ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ. والتكع: المنع. والشرب بالكسر: الحظ من الماء.

(٣) في شرح الكافية ٢٣٠/٢ مسلم بن محارب.

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبري ٥٦/١، البحر المحيط ١٨٨/٢، شرح الكافية ٢٣٠/٢).

(٥) سبق الاستشهاد به.

(٦) وقراءة ابن مهران، وأبي جعفر الصفار. انظر: (الكشاف للزخشري ١٤١/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢١٥/٢، التبيان للطوسي ٢٥٥/٢، مجمع البيان للطبرسي، إعراب القرآن للعكبري ٥٧/١، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٢٧/٢، ٢٢٨، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٥٨).

قال أبو الفتح: إذا صح سكون الراءِ في «تَضَار» فينبغي أن يكون أراد: لا تضارر، كقراءة أبي عمرو، إلا أنه حذف إحدى الراءين تخفيفاً. وينبغي أن تكون المحذوفة الثانية؛ لأنها أضعف، وبتكريرها وقع الاستتقال. فأما قول الله تعالى: ﴿ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾^(١) فإن المحذوف هي الأولى، وذلك أنهم شبهوا المضعف بالمعتل العين، فكما قالوا: لست، قالوا: ظلت. ومثله مَسْتُ في مِسْتُ^(٢)، وأحسْتُ في أحسست. قال أبو زيد:

خلا أن الاعتاق من المطايا أحسنَ به فهُنَّ إليه شُوسُ^(٣)
فإن قلت: فهلا كانت الأولى هي المحذوفة من تضارر كما حذفت الأولى من ظللت^(٤) ومسست وأحسست؟.

قيل: هذه الأحرف إنما حُذِفْنَ لأنهن شُبِهْنَ بحروف اللين، وحروف اللين تصح بعد هذه الألف نحو عَاوَدَ وطَاوَلَ وباع وسائر، والثانية في موضع اللام المحذوفة، نحو لا ترام.

فإن قيل: فكان يجب على هذا «لا تضار» لأن الأولى مكسورة في الأصل فيجب أن تُقر على كسرهما.

قيل: لا، بل لما حذفت الثانية وقد كانت الأولى ساكنة؛ لأنها كانت مدغمة في الثانية أُقِرَّتْ على سكونها ليكون ذلك دليلاً على أنها قد كانت مدغمة قبل الحذف، ولذلك نظائر منها قوله:

وكحل العينين بالعواور^(٥)

صحح الواو الثانية وإن كانت تلى الطرف، وقبل الألف التي قبلها واو؛ لأنه جعل

(١) سورة طه الآية (٩٧).

(٢) انظر: (المنصف ٨٤/٣).

(٣) قال في المنصف ٨٤/٣: ويروى: حَسَنَ به، يقال: حَسَسْتُ بالشئ، وأحسسته وأحسستُ به وحسيته به في معنى واحد، وانظر: (الخصائص ٤٤٠/٢).

(٤) يقال: ظَلْتُ وظَلْتُ بمعنى: ظَلِلْتُ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧] وظَلَّتْ، وقال الشاعر:

فَظِلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَخِيْلُهُ وَمِطْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهُ أَرْقَانِ

انظر: (المنصف ٨٤/٣).

(٥) سبق الاستشهاد به.

الصَّحَّةُ فِي الْوَاوِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْعَوَاوِيرَ، وَلَوْ لَمْ يُرَدِّ لَذَلِكَ لَوْجِبَ أَنْ يَهْمَزَ فَيَقُولَ: الْعَوَائِرُ، كَمَا هَمَزُوا فِي أُوَائِلٍ وَأَصْلُهَا أُوَاوِلُ، وَكَمَا جَعَلُوا صَحَّةَ الْعَيْنِ فِي حَوْلٍ وَعَوِيرٍ دَلِيلًا عَلَى كَوْنِ الْمَثَلِ فِي مَعْنَى مَا لَا بَدَّ مِنْ صَحَّتِهِ، وَهُوَ أَحَوْلٌ وَأَعْوَرٌ، وَكَمَا جَعَلُوا تَرْكَ رَدِّ النُّونِ فِي قَوْلِهِ:

أَرْهَنَ بَنِيكَ عَنْهُمْ أَرْهَنَ بَنِي^(١)

دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بَنِيَّ، فَلَمَّا حُذِفَ الْيَاءُ الثَّانِيَةُ الَّتِي هِيَ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ لَمْ يَرْجِعِ النُّونُ مِنْ بَنِينَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ دَلِيلًا عَلَى إِرَادَةِ الْيَاءِ فِي بَنِيَّ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا حُذِفَ الْيَاءُ لِلْقَافِيَةِ، وَهِيَ فِي نَفْسِهِ مُرَادَةٌ. وَكَمَا قَالَ:

مَالٌ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقَفَ فَاضْطَجَعَ^(٢)

ثُمَّ أَبْدَلَ الضَّادَ لَامًا فَقَالَ: الطَّجَعُ، وَقَدْ كَانَ يَجِبُ إِذَا زَالَتِ الضَّادُ أَنْ تَرْجِعَ تَاءً فَتَفْعَلَ إِلَى اللَّفْظِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَهُ اضْطَجَعَ افْتَعَلَ مِنَ الضَّجْعَةِ، فَيُظْهِرُ التَّاءَ كَمَا يَقَالُ: التَّجَأَ إِلَيْهِ وَالتَّفَتَ وَالتَّقَمَ، لَكِنَّهُ تَرَكَ الطَّاءَ بِجَاهِهَا تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ يَرِيدُ الضَّادَ، وَأَنَّهُ لَمَّا أَبْدَلَهَا لَا مَا اعْتَدَاهَا مَعَ ذَلِكَ اعْتِدَادَ الثَّابِتِ.

وَلِذَلِكَ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ، فَكَذَلِكَ تَرَكَ الرَّاءَ مِنْ «تَضَارَّ» سَاكِنَةٌ كَمَا كَانَتْ تَكُونُ سَاكِنَةً لَوْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِدْغَامِ الْمُرَادُ فِيهَا. نَعَمْ، وَإِذَا كَانَ نَافِعٌ قَدْ قُرَأَ: «وَمَحْيَايُ وَمَمَاتِي»^(٣) سَاكِنُ الْيَاءِ مِنْ «مَحْيَايُ»، وَلَا تَقْدِيرَ إِدْغَامِ هُنَاكَ كَانَ سَكُونُ الرَّاءِ مِنْ لَا تَضَارَّ - وَهُوَ يَرِيدُ تَضَارَّ - أَجْدَرُ.

وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ضَعْفٌ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ رَحِمْتَ قَاصَا - اسْمُ رَجُلٍ - عَلَى قَوْلِكَ: يَا حَارٍ لَقُلْتَ: يَا قَاصٍ، فَرَدَدْتَ عَيْنَ الْفِعْلِ إِلَى الْكُسْرِ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ، وَأَصْلُهُ قَاصِصٌ، فَمِنْ هُنَا ضَعْفَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ وَإِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْإِعْتِزَالِ وَالْإِعْتِلَالِ مَا قَدَمْنَا ذِكْرَهُ.

(١) سبق الاستشهاد به.

(٢) سبق الاستشهاد به.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٦٢)، وهى قراءة نافع، وورش، وقالون، وأبى جعفر. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٥٤/١، إعراب القرآن للنحاس ٥٩٦/١، البحر المحیط ٢٦٢/٤، التبيان ٣٦١/٤، التيسير ١٠٨، الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/٧، السبعة ٢٧٤، غيث النفع ٢٢٠، الكشف ٤٥٩/١، جمع البيان ٣٩٠/٢، التفسير الفخر الرازى ١٧٤/٤، النشر ٢٦٧/٢، إتخاف فضلاء البشر ٢٢١، الخصائص ٩٤/١، شرح الكافية ٢٩٥/١، العنوان ٧٩، شرح التصريح ٨٨/١، ٦٠/٢، ٢٠٧).

وقد روى فيها تشديد الراء مع السكون^(١)، ويجب أن يكون هذا على نية الوقف عليها، روى ذلك عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع^(٢).

* * *

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

ومن ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ»^(٣) بفتح الياء.

قال ابن مجاهد: ولا يُقرأ بها.

قال أبو الفتح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز؛ وذلك أنه على حذف المفعول، أى: والذين يُتَوَفَّوْنَ أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ﴾^(٤) و﴿الَّذِينَ تَرَوَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٥).

وحذف المفعول كثير في القرآن وفصح الكلام، وذلك إذا كان هناك دليل عليه. قال الله تعالى: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦) أى: شيئا.

وأنشدنا أبو عليّ للحطيئة^(٧):

(١) قراءة أبي جعفر الصفار، وأبي جعفر بن القعقاع. انظر: (الكشاف ١/١٤١)، البحر المحيط ٢/٢١٥، الجامع لأحكام القرآن ٣/١٦٨.

(٢) يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، المدني، أبو جعفر (١٣٢ هـ = ٧٥٠ م): أحد القراء العشرة، من التابعين. كان إمام أهل المدينة في القراءة وعُرف بالقارئ. وكان من المفتين المجتهدين. توفى في المدينة. انظر: (وفيات الأعيان ٢/٢٧٨، غاية النهاية ٢/٣٨٢، تاريخ الإسلام ٥/١٨٨، الأعلام ٨/١٨٦).

(٣) وقراءة عاصم، والفضل. انظر: (إعراب القرآن للعكبري ١/٥٨، مجمع البيان للطبرسي ٢/٣٣٦، الكشاف للزمخشري ١/١٤٣، البحر المحيط لأبي حيان ٢/٢٢٠).

(٤) سورة المائدة الآية (١١٧).

(٥) سورة النحل الآية (٢٨).

(٦) سورة النمل الآية (٢٣).

(٧) من قصيدة يمدح عدى بن فزارة، وعيينة بن حفص، وحذيفة بن بدر، مطلعها:

عَرَفْتَ مَنْزِلًا مِنْ آلِ هَنْدٍ عَفَتْ بَعْدَ الْمَوْبِلِ وَالشَّوَى

انظر: (ديوانه برواية وشرح ابن السكيت ١٧٦، وديوانه ص ١٧٧، والخصائص ٢/٣٧٤).

مُنْعَمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا كَصَوْنِكَ مِنْ رِداءٍ شَرَعِيٍّ^(١)
 أى: تصون الكلام منها، وهو كثير جدا.

* * *

أَوْعَفُوا الَّذِي

ومن ذلك قراءة الحسن: «أو يعفو الذى»^(٢)، ساكنة الواو.

قال أبو الفتح: سكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل، وسكون الياء فيه أكثر. وأصل السكون فى هذا إنما هو للألف؛ لأنها لا تحرك أبداً، وذلك كقولك: أريد أن تحيا، وأحب أن تسعى، ثم شُبَّهت الياء بالألف لقربها، فجاء عنهم مجيئاً كالمتستمر، نحو قوله^(٣):

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالمَوَمَةِ أَيْدَى جَوَارٍ بَتْنَ نَاعِمَاتٍ
 وقال الآخر^(٤):

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بالقَاقِ القَرِقِ أَيْدَى جَوَارٍ يَتَعَاطِينَ الورق^(٥)

(١) أراد أنها فى خصب ونعمة. قوله: «تصون إليك»: معنى إليك: عندك، أى تحفظ عندك سرّها وحديثها، لا تبوح به، كما تصون رداءً شرعياً، والشرعية: (انظر قول الأعمش فى ديوانه: والشرعبيّ ذا الأذيال) بُرُود فيها خطوط طوال، ومنه قوله: «ذات خلقٍ مُشرَعَبٍ (من بيت لطيف فى اللسان: شرعب، وتغامه):

أسيلة مجرى الدمع مخصانة المشى بُرُودُ الثنايا ذات خلقٍ مشرعبٍ
 أى: طويل. انظر: (شرح ابن السكيت لديوانه ١٧٨).

وروى تصوّرٌ كَصَوْرِكَ، بالراء جميعاً، قال: أى تميل إليك منها عند العناق كإمالتك الرداء عند التحافك به، وقول الله تعالى: ﴿فَصُرْمُنْ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦١] وهو قول الكلابى، ولعله «تصون» بالنون. انظر: (شرح ابن السكيت لديوانه ١٧٨).

(٢) وقراءة أبى نهيك، والشعبى. انظر: (البحر المحيط ٢/٢٣٦، ٢٣٧، جمع البيان للطبرسى ٣٤١/٢، الكشف للزنجشبرى ١/١٤٦، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٠٨، شرح التصريح ١٥٠/٢).

(٣) ذكره دون نسبة فى سبط اللآلى ٧٥٥.

(٤) هو مما نسب إلى رؤية فى الديوان ١٧٩، وانظر: (خزانة الأدب ٣/٥٢٩، أمالى ابن الشجرى ١٠٥/١، الخصائص ٣٠٧/١، اللسان «قرق»).

(٥) وهو فى وصف إبل بسرعة السير. والقرق: المكان المستوى لا حجارة فيه. والورق: الدراهم.

وقال الأعشى^(١):

إذا كان هادى الفتى فى البلا
د صدرُ القناة أطاع الأميرا
فيمن رواه برفع الصدر.

وقال الآخر:

حُدُبًا حَدَايِيرٍ مِنَ الْوَحْشَنِ
تَرَكْنَ رَاعِيَهُنَّ مِثْلَ الشَّنِّ
وقال الآخر^(٢):

يا دار هند عَفَتْ إِلَّا أَثْنَاهَا^(٣)

وقال رؤبة^(٤):

سَوَىٰ مَسَاحِيهِنَّ تَقْطِيطَ الْحُقُقِ تَفْلِيلُ مَا قَارَعَنَ مِنْ سُمْرِ الطَّرْقِ^(٥)
وكان أبو العباس يذهب إلى أن إسكان هذه الياء فى موضع النصب من أحسن
الضرورات؛ وذلك لأن الألف ساكنة فى الأحوال كلها، فكذلك جعلت هذه، ثم
شَبَّهت الواو فى ذلك بالياء، فقال الأخطل:

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها
رَفَعَنَ وَأَنْزَلَنَ الْقَطِينَ الْمَوْلِدَا^(٦)

(١) انظر: (ديوانه ص ١٣٣ ط دار الجليل). من قصيدة فى مدح هوذا بن على الحنفى من المتقارب،
التي مطلعها:

غَشِيَتْ لِلَّيْلِ بَلِيلٌ خُدُورًا وَطَالِبَتْهَا وَنَذَرَتْ النُّبُورَا

(٢) نسبه فى الكتاب لبعض السعديين، الكتاب ٣/٣٠٦، وهو للحطيئة. انظر: (ديوانه ١١١،
الخصائص ١/٣٠٨، ٢/٢٩٣، ٢/٣٤٣، المنصف ٢/١٨٥، ٣/٨٢، أمالى ابن الشجرى
١/٢٩٦، شرح شواهد الشافية ٤١٠، شرح المفصل ١٠/١٠٠).

(٣) عفت: درست. والأثافي: جمع أثفية، وهى الحجارة تنصب عليها القدور. وهذا صدره.
وعجزه: «بين الطوى فصارات فواديها».

(٤) انظر: (ديوانه ١٠٦، الكتاب ٣/٣٠٦، المقتضب ٤/٢٢، المنصف ٢/١١٤، شرح ابن يعيش
١/١٠٣، أمالى ابن الشجرى ١/١٠٤، اللسان «سحا»، «قططا»، «حقق»).

(٥) أراد بالمساحى حوافر الأتْن لأنها تسحو الأرض، أى تقشرها وتؤثر فيها لشدة وطئها. والتقطيط:
قطع الشيء وتسويته. والحقق: جمع حقة، بالضم، وهى وعاء من الخشب أو العاج ونحوه، ينحت
ليوضع فيه الطيب. أى إن الصخر سوى حوافر هذه الأتْن، كأنما قططت تقطيط الحقق. فتقطيط
منصوب على المصدر المشبه به. والشاهد فيه: إسكان ياء «مساحى» لضرورة الشعر.

(٦) رواه فى الخصائص ٢/٣٤٤: «نزلن وأنزل القطين المولدا».

وقال الآخر^(١):

فما سوّدتنى عامر عن وراثته^(٢) أبى الله أن أسمى بأُمّ ولا أب^(٣)
فعلى ذلك ينبغى أن تحمل قراءة الحسن: «أو يعفُو الذى»، فقال ابن مجاهد: وهذا إنما
يكون فى الوقف، فأما فى الوصل فلا يكون، وقد ذكرنا ما فيه. وعلى كل حال فالفتح
أعرب: «أو يعفُو الذى».

* * *

وَلَا تَنَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴿٣٧﴾

ومن ذلك قراءة على عليه السلام وأبى رجاء وجُوَيْة بن عَائِذ: «وَلَا تَنَسُوا الْفَضْلَ
بَيْنَكُمْ»^(٤).

قال أبو الفتح: الفرق بين تَنَسَوْا وَتَنَاسَوْا أَنْ تَنَسَوْا نَهَى عن النسيان على الإطلاق:
أَنَسُوهُ، أو تَنَاسَوْهُ.

فأما تَنَاسَوْا فإنه نَهَى عن فعلهم الذى اختاروه، كقولك: قد تغافل وتصامم وتناسى:
إذا أظهره من فعله وتعاطاه وتظاهره به، وأما تَفَعَّلَ فإنه تَعَمَّلُ الأمر وتكلفه، كقوله:

ولن تستطيع الحلم حتى تحلما^(٥)

أى: حتى تَكَلَّفَه.

= وفى رواية الديوان ٩١، وخزانة الأدب ٥٢٩/٣: رفعن أى رفعن فى السير وعجلن، أو رفعن
السجف. وهذا فى الحديث عن نسوة يشيب بهن. والقطين: الخدم والأتباع، يقول: إذا أردت
الاستمتاع بحديثهن وهن سائرات فى هوداجهن نزلن، ونزل معهن الخدم.

(١) هو عامر بن الطفيل من قصيدة مطلعها (طويل):

إنى وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المندوب فى كل موكب
انظر: (ديوانه ١٣ ط دار صادر).

(٢) وقع فى الديوان: «فما سودتنى عامر عن قرابة».

(٣) أَسَمُو: أرتفع فى الشرف، يقال: سما بصر فلان وسما فكرُهُ يسمو سُمُوا والسامى، قال الخطيب:
«يَسْمُو بها أشعري طرفه سامى».

(٤) وهى قراءة مجاهد، وأبى حيوة، وابن أبى عيلة انظر: (جمع البيان ٣٤١/٢، الجامع لأحكام
القرآن ٢٠٨/٣، البحر المحيط ٢٣٨/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٥٩/١).

(٥) صدره: «تَحَلَّم عن الأذنين واستبق وَهْمُ». انظر: لسان العرب مادة «حلم».

ومثل الأول قوله:

إِذَا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ

فإن قيل: ومن ذا الذى يتظاهر بنسيان الفضل؟

قيل: معناه - والله أعلم - إنكم إذا استكثرتم من هجر الفضل وتشاقلتم عنه صرتم كأنكم متعاطون لتركه، متظاهرون بنسيانه. وهذا كقولك للرجل يكسر خطؤه: أنت تتحايد الصواب توقى عارف به، وأنت معتمِلٌ لما لا يحسن، وإن لم يقصد هو لذلك.

ويحسن هذه القراءة: أنك إنما تنهى الإنسان عن فعله هو، والتناسى من فعله، فأما النسيان فظاهره أنه من فعل غيره به، فكأنه أنسى فنسى. قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾^(١).

وزاد فى حسنه شيء آخر، وهو أن المأمور هنا جماعة، وتفاعَلَ لائق بالجماعة، كتقاطعوا وتواصلوا وتقاربوا وتباعدوا. فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢) فلاقَ به فعل «نسى»؛ لأن المأمور هنا واحد؛ ولأن العرف والعادة أن الإنسان لا يكاد يحض على ما هو حلال له، بل الغالب المعتاد أن يكف عما ليس له تناوله، وعليه وضع التكليف لما يستحق عن الطاعة فيه من الثواب. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾^(٤). والآى فى ذلك كثيرة. فقوله إذا: ﴿وَلَا تَنَسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أى: لك فيها حظ وحلال فتناوله، فلا بأس بتناول الحلال.

ولو قيل: -ولا تناس نصيبك لكان فائدته: لا تظهر سهوك عنه، وتتظاهر بنسيانك إياه، وذلك إذا ترك الحلال وهو فى صورة الساهى عنه لم تكن له فى النفوس منزلة الذى يتركه وهو عالم بحلّه له، وإباحته إياه، هذا هو العادة والعرف فيما يتعاطاه أهل الدنيا بينهم.

* * *

(١) سورة الكهف الآية (٦٣).

(٢) سورة القصص الآية (٧٧).

(٣) سورة طه الآية (١٣١).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٩٩).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن السُّلَمي: «ألم تر إلى الملائ»^(١) ساكنة الراء.

قال أبو الفتح: هذا لعمري هو أصل الحرف: رأى يَرَأَى كَرَعَى يرعى، إلا أن أكثر لغات العرب فيه تخفيف همزته: بحذفها وإلقاء حركتها على الراء قبلها على عيرة التخفيف في نحو ذلك، وصار حرف المضارعة كأنه بدل من الهمزة، وهو قولهم: أنت ترى وهو يرى ونحن نرى، وكذلك أفعل منه، كقول الله سبحانه: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٢) وأصله أَرَاكَ الله. وحكاها صاحب الكتاب عن أبي الخطاب. ثم إنه قد جامع هذا تحقيق هذه الهمزة وإخراجها على أصلها، وذلك كقول سراقه البارقى^(٣):

أرى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ كلانا عالم بالتُرَّهَاتِ
فخفف أرى، وحقق تَرَأِيَاهُ كقولك تَرَعِيَاهُ، ورواه أبو الحسن ترياها على زحاف الوافر، وأصله «تَرَأِيَاهُ» على أن مفاعلتن لحقها العصب بسكون لامها؛ فنقلت إلى مفاعي لن، ورواية أبي الحسن: «عما لم تَ» مفاعيل، فصار الجزء بعد العصب إلى النقص.

وقرأت على أبي عليّ في نوادر أبي زيد^(٤):

ألم تَرَ مَا لَاقَيْتُ وَالدهُرُ أَعْصُرُ ومن يَتَمَلَّ العيشَ يرءَ ويسمع
فأخرجه على أصله. وقرأت عليه عنه أيضا^(٥):

هل ترجعن ليال قد مضين لنا والعيش منقلب إذ ذاك أفنانا
إذ نحن في غيرة الدنيا وبهجتها والدار جامعة أزمان أزمانا
ثم استمر بها شيخان مبتحج بالبين عنك بما يراك شنانا
وقال آخر، وقرأته على أبي بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى فيما أظن^(٦):

ألا تلك جارتنا بالفضا تقول أترأينه لن يضيعا
وله نظائر مما خرج من هذا الأصل على أولية حاله.

(١) انظر: (شرح التصريح ٨٨/١).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٥).

(٣) انظر: (لسان العرب مادة «رأى»، وديوانه ٧٨).

(٤) انظر: (النوادر في اللغة ١٨٥، ١٨٦).

(٥) انظر: (النوادر في اللغة ١٨٤، والخصائص ٣٦٦/٢).

(٦) انظر: (لسان العرب مادة «رأى»).

أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

ومن ذلك قال أبو بكر بن مجاهد: ﴿التابوت﴾ بالتاء قراءة الناس جميعا، ولغة للأنصار «التابوه» بالهاء^(١).

قال أبو الفتح: أما ظاهر الأمر فإن يكون هذان الحرفان من أصليين: أحدهما «ت ب ت» والآخر «ت ب ه»، ثم من بعد هذا فالقول أن الهاء في «التابوه» بدل من التاء في «التابوت».

وجاز ذلك لما أذكره: وهو أن كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس، ومن حروف الزيادة في غير هذا الموضع. وأيضا فقد أبدلوا الهاء من التاء التي للتأنيث في الوقف، فقالوا: حمزة، وطلحه، وقائمة، وجالسة. وذلك منقاد مطرد في هذه التاء عند الوقف، ويؤكد هذا أن عامة عقيل فيما لا نزال نلتقاه من أفواهاها تقول في الفرات: الفراه، بالهاء في الوصل والوقف.

وزاد في الأئس بذلك أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصة وقطاة، فلما وقف وقد أشبه الآخر الآخر أبدل التاء هاء، ثم جرى على ذلك في الوصل، لأنه لم يكن البدل عن استحكام العلة علة فيراعى حال الوقف من حال الوصل ويفصل بينهما، فأشبه ذلك قولهم في صبيان وصيبة: صبيان وصيبة؛ وذلك أن الأصل صيوان وصيبة، ثم قلب الواو ياء؛ استخفافا للكسرة قبلها، ولم يعتد بالساکن بينهما حاجزا لضعفه، ثم لما ضموا وزال الكسر أقروا الياء بحالها؛ جنوحا إليها لحفتها، ولعلمهم أيضا أن البدل من الواو لم يكن عن استحكام علة فيعاودوا الأصل لزوالها، فلما تصوروا ضعف سبب القلب قنعوا أنفسهم بالعدول إلى جهة الياء، فقالوا: صبيان وصيبة، حتى كأن قائلها قال لهم: هلا لما زالت الكسرة راجعتم الواو فقالوا: أو كان القلب إنما كان عن وجوب أحدثته الكسرة حتى إذا فارقتها عاودنا الواو؟ إنما كان استحسانا، وكذلك فليكن مع الضمة أيضا استحسانا.

* * *

(١) وقراءة أبي كعب، وزيد بن ثابت. انظر: (البحر المحيط ٢/٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/١، إعراب القرآن للعكبري ١/٦١، تفسير الفخر الرازي ٢/٢٩٥).

وَلَا يَتَوَدُّهُ حِفْظُهُمَا

(٢٥٥)

ومن ذلك ما روى عن الزُّهري والأعرج وأبى جعفر بخلاف عنهم: «ولا يَوُدُّهُ حِفْظُهُمَا» بلا همز، ولم يقل: كيف قالوا؟.

قال ابن مجاهد: من لم يهمز قال: «يَوُدُّهُ» فخلف الهمزة بواو ساكنة، فجمع بينها وبين الواو، فيجتمع ساكنان، فإن شاء ضمها فقال: «يَوُدُّهُ». ومن ترك الهمز أصلاً قال: «يَوُدُّهُ»^(١).

قال أبو الفتح: خلط ابن مجاهد في هذا التفسير تخليطاً ظاهراً غير لائق بمن يُعتمد إماماً في روايته، وإن كان مضعوفاً في فقاهته؛ وذلك أن قوله تعالى: يتوده، لك فيه التحقيق والتخفيف، فمن حقق أخلصها همزة، قال: «يتوده» كيوده، ومن خفف جعل الهمزة بين بين؛ أي بين الهمزة والواو؛ لأنها مضمومة، فجرى مجرى قولك في تخفيف لؤم: لؤم، وفي مئونة: مؤونة، ولا يخلصها واو لأنها مضمومة، فقوله: بلا همز، أي يخففها، كذا أحسن الظن بهؤلاء المشيخة.

فأما ترك الهمز أصلاً فشاذ، وينبغي لمن هو دونهم أن يصاب عن أن يُظن ذلك به. فقول ابن مجاهد: إنه يخلف من الهمزة واو ساكنة فيجتمع ساكنان شديد الاضطراب، وذلك أنه قد سبق أن سبيل هذا أن يُخفف ولا يبدل، وإذا كان مخففاً، فالواو متحركة لا ساكنة؛ فلا ساكنين هناك أصلاً. نعم، ثم لما قال: إنه يجتمع ساكنان لم يذكر ماذا يُعمل فيهما؟ قال: وإن شاء ضمها فقال: «يَوُدُّهُ». وهذا هو الذي ينبغي أن يعمل عليه، ولكن ينبغي أن يعلم أنه لا يُضم الواو، بل الضمة على الهمزة، إلا أنها مخففة فقربت بذلك من الواو لضعفها مع ضمها.

وقوله فيما بعد: ومن ترك الهمز أصلاً قال: «يَوُدُّهُ» يؤكد ما كنا قدمناه من أن قوله: لا يهمز إنما يريد به التخفيف لا البدل والحذف، ولولا ذلك لم يقل: ومن ترك الهمز أصلاً، فقوله: «أصلاً» يدل على أنه لا يريد التخفيف الذي كان قدّمه.

وبعد، فمن ترك الهمزة أصلاً؛ أي: حذفها البتة كما يحذفها من قولهم: لا ب لك، أي: لا أب لك، ومن قولهم: ويَلْمُه، وأصلها: ويل لأمه، ومن قولهم: ناس وأصلها أناس، والله في أحد قولي سيويوه الذي أصله فيه إله، وغير ذلك، فإنه إذا هو حذفها بقيت بعدها الواو التي هي عين الفعل ساكنة فصارت: «يَوُدُّهُ». ومثاله على هذا اللفظ

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٠، إعراب القرآن للعكبري ١/٦٣).

يَعْلُهُ، وَأَصْلُ هَذَا كُلُّهُ يَأْوُدُهُ كَيْعُودُهُ، يَفْعُلُهُ كَيْقُوتُهُ وَنَعْبُدُهُ، ثُمَّ نَقَلْتُ الضَّمَّةَ مِنَ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْفِعْلِ إِلَى الْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ فَاءُ فَعْلِهِ، كَمَا نَقَلْتُ فِي يَعُودُ مِنَ الْوَاوِ إِلَى الْعَيْنِ فَصَارَتْ «يَتُودُهُ» كَيْعُودُهُ، وَوزنه الْآنَ يَفْعُلُهُ. هَكَذَا مُحْصُولُ لَفْظِهِ، فَإِذَا هُوَ حَذَفَ الْهَمْزَةَ الْبَتَّةَ - وَهِيَ فَاءُ الْفِعْلِ - بَقِيَ يَتُودُهُ فِي وَزْنِ يَعْلُهُ، وَالْفَاءُ عَلَى مَا مَضَى مُحْذُوفَةٌ. وَعَلَى أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ لَا يُقَدِّمُ أَحَدٌ عَلَيْهِ قِيَاسًا لِتَكَارُثِهِ وَضَيْقِ الْعِذْرِ فِي اقْتِبَاسِهِ، اللَّهُمَّ أَنْ يَسْمَعَ شَيْءٌ مِنْهُ فَيُودِي عَلَى مَا فِيهِ، وَيُشْرَحَ حَدِيثُهُ بِوَاجِبِ مِثْلِهِ، وَلَا يَحْمِلُ سِوَاهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ.

* * *

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَآئِهِمْ الطَّاغُوتُ ﴿٢٥٧﴾

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جُوَيْرِيَّةُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ قَرَأَهَا: «أَوَّلَآئِهِمْ الطَّاغُوتُ» (١).

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ هَذَا الْمَوْضِعُ، فَإِنْ فِيهِ صَنْعَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الطَّاغُوتَ وَزْنَهَا فِي الْأَصْلِ فَعْلُوتٌ. وَهِيَ مُصَدَّرٌ بِمَنْزِلَةِ الرَّغْبُوتِ وَالرَّهْبُوتِ وَالرَّحْمُوتِ. وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا: الرَّغْبُوتِيُّ وَالرَّهْبُوتِيُّ وَالرَّحْمُوتِيُّ. وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ وَقَوْعُ الطَّاغُوتِ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، فَجَرَى لَذَلِكَ بِجَرَى قَوْمٍ عَدَلٍّ وَرِضًا، وَرَجُلٍ عَدَلٍّ وَرِضًا، وَرَجُلَانِ عَدَلٍّ وَرِضًا. فَأَمَّا أَصْلُهَا فَهُوَ طَغُوتٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْيَاءِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِي طَغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾ (٢) هَذَا أَقْرَى اللَّغَةِ فِيهَا؛ لِأَنَّ التَّنْزِيلَ وَرَدَّ بِهِ.

وَرَوَيْنَا عَنْ قُطْرُبٍ وَغَيْرِهِ فِيهَا الْوَاوُ، طَغَا يَطْغُو طُغْوًا. وَقَدْ يَجُوزُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ: طَغُوتٌ، كَفَعْلُوتٌ مِنْ غَزَوْتُ: غَزَوْتُ. وَأَنَا أَنْسَ بِالْوَاوِ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ لَمَّا أَذْكَرُهُ لَكَ بَعْدَ.

ثُمَّ إِنْ اللَّامُ قَدِمَتْ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ، فَصَارَتْ بَعْدَ الْقَلْبِ طَيْغُوتٌ أَوْ طَوْغُوتٌ، فَلَمَّا تَحَرَّكَ الْيَاءُ أَوْ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قَلْبَتْ فِي اللَّفْظِ أَلْفًا؛ فَصَارَتْ طَاغُوتٌ كَمَا تَرَى. وَوزْنُهَا الْآنَ بَعْدَ الْقَلْبِ فَعْلُوتٌ. وَمِثَالُهَا مِنْ ضَرَبْتُ: ضَرَبْتُ، وَمِنْ قَتَلْتُ قَتَلْتُ. هَذَا إِلَى هُنَا بِلَا خِلَافٍ.

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٨٣، إعراب القرآن للعكبري ١/٦٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥).

وإذا جمع فصار طواغيت احتاج إلى نظر. فأما على أن يكون من طغوت فلا سؤال فيه، وذلك أن الألف على هذا كانت بدلاً من لام طغوت، فلما احتاج إلى تحريك الألف المنقلبة عنها ردها إلى أصلها وهو الواو، فقال: طواغيت، ووزنها الآن فلاعيت. ولو جاءت على واجب أصلها لكان طغاويت أو طغايت، كقولك فى ملكوت - لو كسرتها -: ملاكيت، ولو قبلت الواحد على حد قلب الطاغوت لقلت: مكلوت، وإن جمعت على هذا أعنى مقلوبا قلت: مكاليت. هذا على أن لام طاغوت واو - ماض منقاد على ما تراه.

لكن من ذهب إلى أن لام طاغوت ياء وجب عليه أن يجيب عن قلب الألف من طاغوت واوا فى قولهم: طواغيت، وكان قياسه على الطغيان أن يكون طياغيت.

والجواب: أن طاغوتاً وإن كان من «ط غ ي» فإنه بعد نقله وقلبه قد صار كأنه فاعول، فلما كسر قلبت ألفه واوا، كما تقلب فى نحو تكسير عاقول^(١) وعواقيل، وراقود^(٢) وروافيد. وهذا الشبه اللفظى كثير عنهم فاش متعالم بينهم؛ ألا تراهم قالوا: مررت بمالك فأمالوا لشبهها بألف مالك. وقالوا طلبتنا وعنتنا، فأمالوا كشبه آخره بألف سكرى وبشرى؟ فكذلك شبهوا ألف طاغوت بألف جاموس وعاقول.

وحكى يونس فى تحقير الناب نوب؛ وذلك أنه حمل الألف هنا إذا كانت عينا على أحكام ما يكثر؛ وهو قلب العين عن الواو فى غالب الأمر، وهو: بابٌ ودار وساق ونار، فقال: نوب وإن كان من الياء حملاً على الباب الأكثر، وهو قولك فى مال: مويل، وفى ساق: سويقة، وفى دار: دؤيرة.

ورويانا عن قطرب فى كتابه الكبير طغى يطغى ويطغو، وطغيت وطغيت وطغوت طغياناً وطغواناً وطغواً وطغواً وطغوى، فاعلم.

وألقي علينا أبو على بحلب سنة ست وأربعين الكلام فى طغيان، واعتزم فى اللام الياء، فقال له فتى كان هناك من أهل منبج: فقد قالوا الطغوى. فقال أبو على: خذ الآن إليك، هذا تصريفى، ينكر عليه احتجاجه بذلك، أى: ألا تعلم أن طغوى اسم،

(١) العاقول: ويسمى الحجاج: نبات تحت شجيرة شائك، تتحول فروعه إلى أشواك حادة من الفصيلة.

(٢) القرينة من الفراشية، أزهاره حمراء، تتفتح فى الربيع، وثماره قرينة وبذوره صلوة، يكثر فى أودية الصحراء والأراضى المهملة، وهو من أجود العلف للإبل. انظر: المعجم الوسيط «عقل».

وكذلك قرأ أيضا نعيم بن ميسرة، وقرأ أبو حيوة شريح بن يزيد: «بُهِتَ»^(١)، بفتح الباء وضم الهاء. والقراءة العامة: «بُهِتَ»^(٢).

قال أبو الفتح: زاد أبو الحسن الأخفش قراءة أخرى لا يحضرني الآن ذكر قارئها، لم يُسندها أبو الحسن: «بُهِتَ»^(٣)، بوزن عِلِمَ. فتلك أربع قراءات.

فأما «بُهِتَ» قراءة الجماعة فلا نظر فيها.

وأما «بُهِتَ» فيمنزلة خرق وفرق وبرق، وأما «بُهِتَ» فأقوى معنى من بهت؛ وذلك أن فعل تَأْتَى للمبالغة كقولهم: قَضُو الرجل إذا جاد قضاؤه، وفقه إذا قوى فى فقهه، وشعر إذا جاد شعره. وروينا عن أبى بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى: أن العرب تقول: ضربت اليد: إذا جاد ضربها. وكذلك بهت: إذا تناهى فى الخرق والبرق والحيرة والدّهشن.

وأما «بُهِتَ» فقد يمكن أن يكون من معنى ما قبله، إلا أنه جاء على فَعَلَ كذَهَلَ ونَكَلَ وعَجَزَ وكلَّ ولَغَبَ، فيكون على هذا غير متعد كهذه الأفعال.

وقد يمكن أن يكون متعديا ويكون مفعوله محذوفاً، أى: بُهِتَ الذى كفر إبراهيم عليه السلام.

فإن قيل: فكيف يجوز على هذا أن يجتمع معنى القراءتين؟ ألا ترى أن بُهِتَ قد عُرف منه أنه كان مبهوراً لا باهتاً، وأنت على هذا القول تجعله الباهت لا المبهور.

قيل: قد يمكن أن يكون معنى قوله: بهت أى رام أن يبهت إبراهيم عليه السلام إلا أنه لم يستو له ذلك، وكانت الغلبة فيه لإبراهيم عليه السلام.

وجاز أن يقول: بهت، وإنما كانت منه الإرادة، كما قال جلّ وعزّ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٤)، أى: إذا أردتم القيام إليها. كقوله: ﴿إِذَا قَرَأْتَ

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٩، الكشف للزحشرى ١/١٥٦، إعراب القرآن للعكرى ١/٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٨٨، لسان العرب مادة «بهت» ٢/١٣).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

(٣) انظر: (لسان العرب مادة «بهت» ٢/١٣، إعراب القرآن للعكرى ١/٦٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٨٨، البحر المحيط ٢/٢٩٠).

(٤) سورة المائدة الآية (٦).

سورة البقرة القرآن فاستعذ بالله ﴿١﴾ أى: إذا أردت قراءته، فاكثفى بالمسبب الذى هو القيام والقراءة من السبب الذى هو الإرادة.

وقد أفردنا لهذا الموضع باباً فى كتابنا الخصائص^(٢).

ويموز جوازاً حسناً أن يكون فاعل «بَهت» إبراهيم، أى: فَبَهتَ إبراهيمُ الكافر؛ يلتقى معنى هذه القراءة مع معنى الأخرى التى هى: «فَبَهتَ الذى كَفَر». وعليه قطع أبو الحسن.

فإن قيل: فما معنى هذا التطاول والإبعاد فى اللفظ ولم يقل: «بُهت» وإبراهيم عليه السلام هو الباهت.

قيل: إن الفعل إذا بنى للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل، بل ليعلم أن الفعل قد وقع به، فيكون المعنى هذا لا ذكرَ الفاعل. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٣)، وقوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٤)، وهذا مع قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾^(٥)، وقال سبحانه: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عِلْقٍ﴾^(٦). فالغرض فى نحو هذا المعروف الفاعل إذا بنى للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسب، وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه به، فاعرف ذلك.

* * *

فَصَّرْهُنَّ

ومن ذلك قراءة ابن عباس: «فَصَّرْهُنَّ»^(٧)، مكسورة الصاد مشددة الراء وهى

(١) سورة النحل الآية (٩٨).

(٢) انظر: (الخصائص ١٧٦/٣: ١٨٠ باب فى الاكتفاء بالسبب من المسبب، والمسبب من السبب).

(٣) سورة النساء الآية (٢٨).

(٤) سورة الأنبياء الآية (٣٧).

(٥) سورة ق الآية (١٦).

(٦) سورة العلق الآية (٢).

(٧) وقراءة عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، وعلقمة، وقتادة، وابن وثاب، والأعمش، ويزيد،

وخلف، ورويس، وحمة، وطلحة، وشيبة، وأبى جعفر. انظر: (معانى القرآن للفراء ١٧٤/١).

وإعراب القرآن للعكبرى ٦٥/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١١/٣، جامع البيان للظري

٤٩٧/٥، البحر المحيط لأبى حيان ٣٠٠/٢، التبيان للطوسى ٣٢٦/٢ السبعة فى القراءات =

مفتوحة، وقراءة عكرمة: «فَصَرَّهِنَّ إِلَيْكَ»^(١)، بفتح الصاد، وقال: قَطَّعُهُنَّ. وعن عكرمة أيضاً: «فَصَرَّهِنَّ»^(٢)، ضم الصاد وشدد الراء، ولم يقل مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة. قال: وهو يحتمل الثلاثة، كمُدَّ ومُدَّ ومُدَّ.

قال أبو الفتح: أما «فَصَرَّهِنَّ»، بكسر الصاد وتشديد الراء فغريب؛ وذلك أَنَّ يَفْعُلُ في المضاعف المتعدى شاذ قليل، وإنما بابه فيه يَفْعُلُ، كَصَبَّ الماءَ يَصُبُّه، وشد الحبل يشده وفر الدابة يَفْرُها، ثم إنه قد مرَّ بى مع هذا مِنْ يَفْعُلُ في المتعدى حروفٌ صالحة، وهى: نَمَ الحديثَ يَنْمُه ويَنْمُه، وَعَلَّه الماءَ يَعْله وَيَعْله، وَهَرَّ الحربَ يَهْرُها ويَهْرُها، وَغَذَّ العِرْقُ الدمَ يَغْذُه وَيَغْذُه. وقالوا: حَبَّه ويحبُّه بالكسر لا غير. وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن أَنَّ بعضهم قرأ: «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً»^(٣) بكسر الضاد فى أحرف سوى هذه، ولجىء المتعدى من هذا مضمومًا - وبابه وقياسه الكسر - نظرٌ ليس هذا موضعه. فيكون صِرَّهِنَّ من هذا الباب على صَرَّه يَصِرُّه.

وأما «صُرَّهِنَّ» بضم الصاد فعلى الباب؛ أعنى: ضم عين يَفْعُلُ فى مضاعف المتعدى. والوجه ضم الراء لضمه الهاء من بعدها، والفتح والكسر من بعد.

وأما «فَصَرَّهِنَّ» فهذا فَعَّلُهُنَّ من صَرَّى يُصَرِّى: إِذَا حَبَسَ وَقَطَعَ. قال^(٤):

رُبَّ غلامٍ قد صرَّى فى فقرته ماءَ الشباب عنفوانَ سَنَبْتِه^(٥)

= لابن مجاهد ١٩٠، غيث النفع للصفاقسى ١٦٩، التيسير للدانى ٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠١، الحجة لأبى زرة ١٤٥، الكشف للقيسى ٣١٣/١، الكشف ١٥٨/١، مجمع البيان للطبرسى ٣٧١/٢، تفسير الفخر الرازى ٣٢٣/٢، النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢٣١/٢، جهمرة اللغة لابن دريد مادة «رصو»، لسان العرب مادة «صور»، «صير»، «صرى»، تهذيب اللغة مادة «صرو» العنوان مخطوط ورقة ٥٤).

(١) وقراءة ابن عباس، والمهدى. انظر: (مجمع البيان للطبرسى ٣٧١/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٠٢/٣، البحر المحيط لأبى حيان ٣٠٠/٢).

(٢) وقراءة ابن عباس. انظر: (الكشاف للزخشرى ١٥٨/١، والبحر المحيط ٣٠٠/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٠١/٣، إعراب القرآن للعكبرى ٦٥/١).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٧٦).

(٤) نسب الرجز فى جهمرة اللغة (٢٩٠/١) إلى أبى محمد الفقعسى، ونسب فى اللسان «صرى» (١٩٠/١٩) إلى الأغلب العجلي، وهو بغير نسبة فى: (جهمرة اللغة ٣١/١، وسر صناعة الإعراب ١٥٨/١)، والثانى فى: اللسان «نسب» (٤٥٧/١).

(٥) صرى الرجل ماءه: حبسه فى ظهره زمانًا. بامتناعه عن النكاح، الفقرة: واحدة فقار الظهر، والمراد هنا كلها. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١٥٨/١).

أى حبسه وقطعه. ومنه الشاة المصرة أى المحبوسة اللبن المقطوعته فى ضرعها عن الخروج وماء صرئ وصرئى: إذا طال حبسه فى موضعه، ومنه الصراء للملاح، وذلك أنه يمسك السفينة ويحفظها ويصرها عما يدعو إلى هلاكها.

* * *

جُزْءًا

ومن ذلك قراءة أبى جعفر والزهرى: «جُزْءًا»^(١).

قال أبو الفتح: أصله الهمز جزءًا، ثم خففت همزته على قولك فى تخفيف الخبء: الخبء، ثم إنك إذا خففت نحو ذلك ووقفت عليه كان لك فيه السكون على العبرة، وإن شئت الإشمام الجزء، وإن شئت روم الحركة الجزء، وإن شئت التشديد على خالده وهو يجعل، فيقول على هذا: الجزء، ثم إنه وصل على وقفه، فقال: جُزْءًا.

ومثله مما أجرى فى البوصل مجراه فى الوقف من التشديد، ما أنشدناه أبو على وقرأته على أبى بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى:

ببازل وجنء أو عيَهْلٌ كأن مهواها على الكلكل^(٢)
يريد العيَهْلُ والكلكل.

وفىها ما قرأته على أبى بكر دون أبى على:

تعرضت لى بمجاز حل تعرض المهرة فى الطول^(٣)
وفىها:

وَمُقَلَّتَانِ جَوْنَتَا الْمَكْحَلِ

وقد كان ينبغى إذا كان إنما شدد عوضًا من الإطلاق أن إذا أطلق عاد إلى التخفيف، إلا أن العرب قد تجرى الوصل مجرى الوقف تارة، وتارة الوقف مجرى الوصل، فعلى هذا وجه القراءة المذكورة «جُزْءًا»، فاعرفه.

* * *

(١) انظر: (مجمع البيان للطبرسى ٣٧١/٢، البحر المحيط لأبى حيان ٣٠٠/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٦٥/١، الكشف للزمخشري ١٥٩/١).

(٢) سبق الاستشهاد به.

(٣) انظر: (شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤).

كَمْثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴿٦٦﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن المسيب والزهرى: «كَمْثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ»^(١)، بفتح الفاء.

قال أبو الفتح: أكثر ما جاء فعلاً فى الأوصاف والمصادر. فالأوصاف كقولهم: رجل شَقَدَانٌ للخصيف، وقالوا: أكذب من الأخيذ الصَّبْحَانِ بفتح الباء كما ترى، وقد روى الصَّبْحَانِ بتسكينها. ويومٌ صَحْدَانٌ وَلَهْبَانٌ لشدة الحر، وعَيْرٌ فَلَتانٌ ورجل صَمَيَانٌ: ماضٍ مُنْجَرِدٌ.

وأما المصادر فنحو الوهجان والتزوان والغليان والغنيان والقفزان والنقران. والمعنى - فى الوصف والمصدر جميعاً من هذا المثل - الحركة والخفة والإسراع، وهو فى الأسماء غير الصفات والمصادر قليل، غير أنهم قد قالوا: الورشان والكروان والشبهان لضرب من النبت وقيل: الشبهان، بضم الباء وقالوا: العنبان للئيس من الظباء النشيط، فإذا كان كذلك كان الصفوان أيضاً مما جاء من غير الأوصاف والمصادر على فعلاً.

* * *

وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَيْثَ ﴿٦٧﴾

ومن ذلك قراءة الزهرى ومسلم بن جندب «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَيْثَ»^(٢) بضم التاء وكسر الميم.

قال أبو الفتح: فيها لغات: أَمَمْتُ الشئ وبعثته وأَمَمْتُهُ وبعثته وتيممته، وكله قَصَدْتُهُ.

قال الأعشى^(٣):

تؤم سنانا وكم دونه من الأرض محدودها غارها
وقال الآخر:

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣١٣، الكشف للزخشرى ١/١٦٠، إعراب القرآن

للنحاس ١/٢٨٧، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٦، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣٠٩).

(٢) وقراءة ابن عباس. انظر: (الكشف للزخشرى ١/١٦٢، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٧، إعراب

القرآن للنحاس ١/٢٨٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٢٦).

(٣) غير موجود فى ديوانه. انظر: (ط دار الجليل بيروت، ط دار صادر بيروت).

يَمُتُ بِهَا أَبَا صَخْرَ بْنَ عَمْرٍو

وقال (١):

تيممت العين التي عند ضارج يفىء عليها الظل عرمضها طام (٢)
والأم: القصد، ومثله الأمت. ومنه الإمام لأنه المقصود المعتمد، والإمام أيضا: خيط
البناء؛ لأنه يمدد ويعتمد بالبناء عليه، والأمة: الطريقة لأنها معتمدة. قال الله سبحانه:
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (٣)، أى على طريقة مقصودة.

* * *

إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴿٣٧﴾

ومن ذلك قراءة الزهري: «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» (٤)، بفتح التاء، من غمض. وروى
أيضا: «تُغْمِضُوا فِيهِ» (٥)، مشددة الميم. وقرأ قتادة: «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» (٦)، بضم التاء
وفتح الميم.

قال أبو الفتح أما قراءة العامة، وهى: «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» (٧) فوجهها أن تأتوا
غامضا من الأمر لتطلبوا بذلك التأول على أخذه، فأغمض على هذا: أتى غامضا من
الأمر، كقولهم: أعمن الرجل: أتى عمّا، وأعرق: أتى العراق، وأنجد: أتى نجدا، وأغار:
أتى الغور. واختيار الأصمعي هنا غار، وليس هذا على قول الأصمعي أتى الغور، وإنما

(١) لامرئ القيس فى وصف الحمر الوحشية: (من الطويل).

وقبله:

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البيض من فرائصها دامي

انظر: (ديوانه ٢٢٨ ط دار إحياء العلوم).

(٢) وضارج: موضع فى بلاد بنى عبس. والعرمض: الطحلب. وطامى: مرتفع، ويروى: «يفىء عليها
الطلح».

(٣) سورة الزحرف الآية (٢٣).

(٤) وقراءة الزيدى انظر: (الكشاف للزخشري ١/١٦٢، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣١٨، إعراب
القرآن للعكرى ١/٦٧).

(٥) وقراءة الزهري انظر: (البحر المحيط ٢/٣١٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٢٧).

(٦) انظر: (الكشاف للزخشري ١/١٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٩، البحر المحيط ٢/٣١٩،
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٢٧).

(٧) سورة البقرة الآية (٢٦٧).

هو غار، أى: غَمَضَ وانشام هناك، كقولك: ساخ وسرَب. ولو أراد معنى صار إلى هناك لكان أغار، كما قال^(١):

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجد^(٢)
ورواية الأصمعى: غار، على ما مضى، وليس المعنى ما قدمنا واحداً.

وأما «تَغْمَضُوا فيه» فيكون منقولاً من غَمَضَ هو وأغمضه غيره، كقولك: خفى وأخفاه غيره، فهو كقراءة من قرأ «أن تَغْمَضُوا فيه». ولم يذكر ابن مجاهد هل الميم مع فتح التاء مكسورة أو مضمومة، والمحفوظ فى هذا غَمَضَ الشئ يَغْمُضُ، كغار يغور، ودخل يدخل، وكَمَنَ يكمن، وغرب يغرب.

والمعنى: أن غيرهم يُغْمِضُهُم فيه من موضعين:

أحدهما: أن الناس يجدونهم قد غَمَضُوا فيه، فيكون من أفعلت الشئ وجدته كذلك، كأحمدت الرجل وجدته محموداً، وأذمته وجدته مذموماً. ومنه قوله^(٣):

وقوم كرام قد نقلنا قِراهم^(٤) إليهم فأتلفنا المنايا وأتلفوا^(٥)
أى وجدناها مُتِلِفَةً.

وقوله^(٦):

فمضى وأخلف من قتيلة موعداً^(٧)

(١) للأعشى من قصيدة نظمها فى مدح النبى ﷺ، (من الطويل) مطلعها:

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا
انظر: (ديوانه ٦٧ وما بعدها).

(٢) أغار وأنجد: هبط وارتفع.

(٣) من قصيدة للفرزدق مطلعها:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
انظر: (ديوانه ٢٣/٢ وما بعدها).

(٤) فى المطبوع من الديوان ٢٩/٢: «وأطياف ليل قد نقلنا قِراهم».

(٥) أى: جعلنا قراهم المنايا، فقتلنا منهم وقتلوا منا.

(٦) من قصيدة للأعشى قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن، لما أغار الحارث بن ولة على بعض

مناطق فارس (من الكامل)، البيت مطلع القصيدة، صدره: «أثوى وقصر ليلة ليزودا». انظر:

(ديوانه ٨٢).

(٧) فى الديوان: «ومضى وأخلف من قتيلة موعداً». أثوى: أقام، أخلف: لم يصدق، قتيلة: اسم امرأة.

أى: صادفه مخلفاً.

وقول رؤبة^(١):

وأهيج الخلصاء من ذات البرق^(٢)

أى صادفها مهتاجة النبت.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِغْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾^(٣)، أى صادفناه غافلاً. ولو كان أغفلنا هنا منقولاً من غفل، أى منعناه وصددناه، لكان معطوفاً عليه بالفاء «فَاتَّبَعَ هَوَاهُ». وذلك أنه كان يكون مطاوفاً، وفعل المطاوعة إنما يكون معطوفاً بالفاء دون الواو، وذلك كقوله: أعطيته فأخذ، ودعوته فأجاب. ولا تقول هنا: أعطيته وأخذ، ولا دعوته وأجاب، كما لا تقول: كسرتة وانكسر، ولا جذبته وانجذب. إنما تقول: كسرتة فانكسر، وجذبته فانجذب وهذا شديد الوضوح والإنارة على ما تراه.

وكذلك لو كان معنى أغفلنا فى الآية منعنا وصددنا لكان معطوفاً عليه بالفاء، وأن يقال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه. وإذا لم يكن هكذا، وكان إنما هو «واتبع» فطريقه أنه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا فكأنه قال: وجدناه غافلاً، وإذا وجد غافلاً فقد غفل لا محالة، فكأنه قال إذا: ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطاً، أى لا تطع من فعل كذا، يعدد أفعاله التى توجب ترك طاعة الله سبحانه. ونسأل الله توفيقاً من عنده ودُئوفاً من مرضاته بمنه ومشيتته. فهذا أحد وجهى «تُعْمَضُوا فِيهِ»، أى: إلا أن توجدوا مُعْمِضِينَ متغاضين عنه.

والآخر: أن يكون «تُعْمَضُوا فِيهِ»، أى: إلا أن تدخلوا فيه وتُجذبوا إليه، وذلك

(١) انظر: (ديوانه ١٠٥).

(٢) الخلصاء: يفتح أوله، وتسكين ثانيه، والصاد مهملة، والمد، قال أبو منصور: بلد بالدهناء معروف، وقال غيره: الخلصاء أرض بالبادية فيها عين، وقال الأصمعى: الخلصاء ماء لعبادة بالحجاز، والصحيح ما ذهب إليه الأزهرى لأنه رأى تلك الموضع؛ وقد ذكرها ذو الرمة والدهناء منازل فقال:

ولم يبق بالخلصاء مما عنت به من الرطب إلا يسها وهشيمها
وقال أيضاً:

أشبهن من بقر الخلصاء أعينها ومن أحسن من طيرانها صورا
انظر: (معجم البلدان ٢ / ٣٨٢).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٨).

الشيء الذى يدعوهم إليه، ويحملهم عليه هو: رغبتهم فى أخذه ومحبتهم لتناوله. فكأنه - والله أعلم - إلا أن تسوّل لكم أنفسكم أخذه فتُحسّن ذلك لكم، وتعتزّض بشكه على يقينكم حتى تكاد الرغبة فيه تكرهكم عليه.

ويزيد فى وضوح هذا المعنى لك ما روى عن الزهرى أيضاً من قراءته: «إلا أن تغمّضوا فيه»، أى: إلا أن تغمّضوا بصائركم وأعين علمكم عنه؛ فيكون نحواً من قوله: إذا تخازرت ومابى من خَزَر^(١)

وهو معنى مطروق، منه قول الله تعالى: «فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه». وجاء به بعض المولدين فقال:

خالد اللؤم أمغضٍ أنت؟ لا بل متغاضى
وآخر ذلك قول شاعرنا^(٢):

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقّع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتبّع^(٣)
وما أظرف الأول وأدمته فى قوله^(٤):

(١) سبق الاستشهاد به.

(٢) هو المتنبي من قصيدة يرثى أبا شجاع فاتكاً، وقد توفي بمصر سنة خمسين وثلاثمائة، وكانت هذه المراثية بعد خروجه من مصر، ومطلعها:

الحزن يُقَلِّقُ والتحملُ يردُّ والدمعُ بينهما عصى طيّعُ

انظر: (شرح ديوان المتنبي ١٢/٣ وما بعدها ط دار الكتاب العربى).

(٣) يروى: «ويسومها طلب المحال فتطمع».

وقوله: عما مضى: متعلق بغافل، ويتوقع: ينتظر. يقول: إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومضايها، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر فى العواقب من انقضائها أو أحداثها التى لا يطيق لها احتمالاً، أما العاقل الفطن الذى ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فإنها لا تصفو له. انظر: (هامش الديوان ١٣/٣).

ويسومها: يكلفها، ويعنى بالحقائق: ما لا شك فيه للعاقل، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار، والإنسان فيها على خطر عظيم، وأن الحياة فانية فمن غالط فى هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر فى العواقب، وسام نفسه طلب المحال من البقاء فى السلامة مع نيل المراد فطمعت فى ذلك. انظر: (هامش الديوان ١٣/٣).

(٤) للعباس بن الأحنف، والبيتان مطلع قطعة من أربع أبيات.

أبكى إلى الشرق ما كانت منازلها مما يلي الغرب خوف القيل والقال
وأذكر الخال في الخد اليمين لها خوف الوشاة وما بالخذ من خال^(١)

* * *

اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا

ومن ذلك قراءة الحسن: «اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا»^(٢)، بكسر القاف وسكون الياء.

قال أبو الفتح: قد سبق ما في سكون هذه الياء المكسور ما قبلها في موضع النصب والفتح بشواهد. ومنه قول جرير^(٣):

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم ماضى العزيمة ما فى حكمه جَنَفٌ^(٤)

(١) فى الديوان ٢٥١، والخصائص ٣١٩/٣:

أبكى إلى الشرق ما كانت منازلهم مما يلي الغرب خوف القيل والقال
أقول بالخذ خالاً حين أنعتها خوف الوشاة وما بالخذ من خال

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣٣٧/٢، شرح التصريح ٤١/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٦٥).

(٣) من قصيدة يمدح يزيد بن عبد الملك ويهجو آل المهلب، مطلعها:

انظر خليلي بأعلى ثرمداء ضحى والعيس جائلة أغراضها خَنَفٌ

انظر: (الديوان ٣٠٢ وما بعدها).

(٤) فى الديوان:

هُوَ الْخَلِيفَةُ فَارَضُوا مَا قَضَى لَكُمْ بِالْحَقِّ يَصْدَعُ مَا فِى قَوْلِهِ جَنَفٌ

انظر: (ديوانه ٣٠٨، البحر المحيط ٣٣٧/٢، اللسان «صدع»، المغنى ٦٦٩/٢) برواية: «هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم».

قال ابن هشام: سكنت الياء للتخفيف.. والإسكان ضرورة.. وقد جعل ابن عصفور حذفهم الفتحة من الفعل المعتل اللام أحسن من حذفها من آخر الصحيح اللام.

قال الدكتور أحمد علم الدين الجندى: «وهذه الظاهرة نسمع صداها الآن فى الشرق والغرب معاً، وقد لا يبعد أن تكون هذه الظاهرة سامية قديمة، احتفظت بها طيى وقبتها، وظهرت آثارها على شعرائها، ثم قلدها القبائل المجاورة لطيى، كأسد ومزينة وتميم، لأن العلاقة الجغرافية بينهم ثابتة، فظهرت فى أسد لأن طيى لما هاجرت سكنت مساكن أسد، كما ظهرت فى بلحارث بن كعب، لأن بلحارث قبيلة يمنية كطيى، كما يحدث التاريخ أن اختلاطاً حدث بين بعض بطون طيى فى المجال العربى، ولعل فى هذا ما يفسر قول الزمخشري: (إن طيى لا تأخذ من لغة، ويؤخذ من لغاتها). انظر: (اللهجات العربية فى التراث ٥٣٦/٢).

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبي زيد عن أبي السَّمَّال: أنه كان يقرأ: «ما بقي من الرُّبُو»، مضمومة الباء ساكنة الواو.

قال أبو الفتح: في هذا الحرف ضربان من الشذوذ^(١).

أحدهما: الخروج من الكسر إلى الضم بناءً لازماً.

والآخر: وقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم، وهذا شيء لم يأت إلا في الفعل نحو يغزو ويدعو ويخلو، فأما «ذو» الطائية التي بمعنى الذي نحو قوله^(٢):

لأنتحيا للعظم ذو أنا عارقه^(٣)

فشاذ، وعلى أن منهم من يغير هذه الواو إذا فازق الرفع. فيقول: رأيت ذا قام أخوه، ومررت بذى قام أخوه.

وسألت أبا علي عن حكاية أبي زيد «فعلته من ذى إلينا». فقال: أراد من الذى إلينا. فقلت: فهذا يوجب عليه أن يقول من ذو إلينا.

فقال - وهو كما قال -: قد تغير هذه الواو في النصب والجر، وعلى أن ذو هذه لما كانت موصولة وقعت واوها حشوا فأشبهت واو طومار، كما أشبهت عند صاحب الكتاب ياء معد يكر ب ياء درديس.

والذى ينبغي أن يُتعلَّل به في الرُّبُو بالواو هو أنه فخَّم الألف انتحاءً بها إلى الواو التى الألف بدل منها على حد قولهم: الصلاة والزكاة، وكمشكاة، وكقولهم: عالم وسالم وسالف وأنف. وكأنه بين التفخيم فقوى الصوت فكان الواو أو كاد، إلا أن الراوى أبو زيد، وما أبعده مع علمه وفقهه باللغة من أن تتطرق ظِنَّةٌ عليه في تحصيل ما يسمعه.

فإن قلت فلعله شبه ذوات العلة بذوات الهمز فوقف على الواو، كما قالوا: هو الرُّدُو والبُطُو. قيل: هذه الواو إنما تكون مع الهمزة في هذا الكَلَو ومررت بالكَلَى في موضع

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٣٣٨، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٧٠).

(٢) نسبة أبو تمام في ديوان الحماسة ٢/٥٧٥ لعارف الطائي، من قصيدة مطلعها:

ألا حى قبل البين من أنت عاشقه ومن أنت مشتاق إليه وشائقه

(٣) وصدره: «لئن لم تغير بعض ما قد صنعتهم». انظر: (ديوان الحماسة ١/٥٧٦).

انتحاء: قصده. وذو: بمعنى الذى فى لغة طيحي. والعارق: منتزع اللحم من العظم.

الرفع، وموضع الربو جر بمن فى قوله: «مِنَ الرَّبِّ». وعلى أَن الكَلو مفتوح ما قبل الواو، والباء من الربو مضمومة: وعلى أَى الأمر حملته فهو شاذ.

* * *

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

ومن ذلك قراءة الزهرى ويعقوب: «ومن يُؤْتَ الحكمة^(١)»، بكسر التاء. قال أبو الفتح: وجهه على أَن الفاعل فيه اسم الله تعالى، أَى: وَمَنْ يُؤْتَ الله الحكمة، مَنْ منصوبة على أَنها المفعول الأول والحكمة المفعول الثانى، كقولك: آيهم تعط درهما يشكرك.

* * *

فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ

ومن ذلك قراءة الحسن بخلاف، وأبى رجاء ومجاهد فيما رُوى عنه: «فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ»^(٢)، وقراءة عطاء بن أبى رباح: «فَنَاظِرُهُ»^(٣) بالألف، والهاء كناية. ورُوى أيضاً عن عطاء: «فَنَاظِرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ»^(٤)، أمر.

قال أبو الفتح: أما «فَنَظَرُهُ» بسكون الظاء فمُسَكَّنَةٌ للتخفيف من «نَظَرَةٍ»، كقولهم فى كَلِمَةٍ: كَلِمَةٌ، وفى كَبِدٍ كَبِدٌ، لغة تميمية. وهم الذين يقولون فى كَرْمٍ: كَرْمٌ، وفى كُتْبٍ: كُتْبٌ.

(١) وهى قراءة الأعمش أيضاً. انظر: (البحر المحيط ٢/٣٢٠، التبيان ٢/٣٤٨، جمع البيان ٢/٣٨٢، النشر ٢/٢٣٥، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٤٨، الكشاف ١/١٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٣١، إتحاف فضلاء البشر ٦/١٤٦).

(٢) وقراءة قتادة، والضحاك. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٦٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٥، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٧٣، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨، البحر المحيط ٢/٢٤٠، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٦٦).

(٣) وقراءة مجاهد. انظر: (البحر المحيط ٢/٣٤٠، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٧٤، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٦٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٩٥).

(٤) وقراءة مجاهد. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٩٥، البحر المحيط ٢/٣٤٠، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨).

وأما فناظره فكقولك: فياسره فساخه وليس أمراً من المناظرة؛ أى الحاجة والمجادلة، لكنها من المساناة والمسامحة، فيقول على هذا: قد تناظر القوم بينهم الحقوق، كقولك: قد تسامحوا فيها ولم يضايق بعضهم بعضاً.

ويقول عليه: لله متبايعان رأيتهما، فقد تناظرا، أى: تسامحا ولم يتحاجا.

وأما «إلى ميسره». فغريب؛ وذلك أنه ليس فى الأسماء شىء على مفعّل بغير تاء، لكنه بالهاء، نحو المقدرة والمقبرة والمشرقة والمقنوة. وأما قوله^(١):

أبلغ النعمان عنى مألوكا أنه قد طال حبسى وانتظار
فطريقه عندنا أنه أراد مألوكه، وهى الرسالة، غير أنه حذف الهاء وهو يريد بها، كما قال كثير:

خليلى إن أم الحكيم تحملت وأخلت لحيمات العذيب ظلالها
يريد العذبية. وكما قال ملك بن جبار الطائي^(٢):

إننا بنو عمكم لا أن نباعلكم ولا نصالحكم إلا على ناح
يريد ناحية. وكذلك قول الآخر^(٣):

يثين الزمى لا إن لا إن لزمته على كثرة الواشين أى معون^(٤)
يريد معونة فحذف. وقيل: أراد جمع معونة. وكذلك قول الآخر^(٥):

(١) نسبه فى المنصف ١٠٤/٢ لعدى بن زيد.

(٢) انظر: (الخصائص ٢١٥/٣).

(٣) من قصيدة لجميل بنية (من الطويل) مطلعها:

حلفت برب الراقصات إلى منى هوى القطا يجتازن بطن دفين
انظر: (ديوان العذريين ١٥٩ طبعة دار الجليل).

(٤) انظر: (ديوانه ١٦٢، الخصائص ٢١٤/٣، شرح شافية ابن الحاجب ١٦٨/١) وبتين مرخم بنية

اسم حبيته، يقول: إذا سألك الواشون عنى أو عن شىء يرتبط بى فلا تذكرى شيئاً سوى كلمة

لا، فإن هذه الكلمة إن لزمته أكبر عون لك على رد كيدهم، والشاهد فيه قوله معون بضم

العين وأصله معون بسكونها وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها، وهذا شاذ،

والقياس المعان، وأصله معون فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها ثم قلبت ألفاً. انظر: (شرح

شواهد الشافية على هامش شرح الشافية ١٦٨/١، ١٦٩).

(٥) ذكره غير منسوب فى الخصائص ٢١٥/١٣ وكذلك صاحب شرح الشافية ١٦٩/١. وقال

البغدادي: هذا بيت من الرجز المشطور من كلمة لأبى الأعز الحمانى يمدح فيها مروان بن-

لَيَوْمٍ رَوْعٍ أَوْ فَعَالٍ مَكْرُمٍ^(١)

يريد مكرمة ثم حذف. وقيل: أراد جمع مكرمة، وكذلك أراد هنا إلى ميسرته، فحذف الهاء. وحسن ذلك شيئاً أن ضمير المضاف إليه كاد يكون عوضاً من علم التأنيث. وإليه ذهب الكوفيون في قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾^(٢) أنه أراد إقامة، وصار المضاف إليه كأنه عوض من التاء.

ويشهد لهذا قراءة من قرأ «فَنَظِرَةً إِلَى مَسِيرَةٍ»^(٣). قرأ بها نافع في جماعة من الصحابة، فاعرف.

* * *

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى^(٤)

ومن ذلك قراءة الحسن: «واتقوا يوماً يُرجعون فيه»^(٤) بياء مضمومة.

قال أبو الفتح: فيه أنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٥)، غير أنه تصور فيه معنى مطروباً هنا فحمل الكلام عليه، وذلك أنه كأنه قال: واتقوا يوماً يرجع فيه البشر إلى الله فأضمر على ذلك، فقال: يُرجعون فيه إلى الله.

=الحكم بن العاص، وقد روى قبله: «نعم أخو الهيجاء في اليوم اليمى». وعزاه أيضاً ابن السيد في الاقتضاب ٤٦٩ للأخضر الحمانى أيضاً.

(١) ويروى البيت الذى قبله: «مروان مروان لليوم اليمى». ويروى: «مروان مروان آخو اليوم اليمى». والروع: الفزع والخوف. والفعال - بفتح الفاء - الوصف حسناً أو قبيحاً والمكرم: الكريم، وهو محل الشاهد فى البيت. انظر (شرح شواهد الشافعية على هامش شرح الشافعية ١٦٩/١).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٧٣)، والنور الآية (٣٧).

(٣) وقراءة مجاهد، وأبى رجاء، وابن محيصن، وشيبة، وعطاء، وحמיד بن قيس. انظر: (الكشاف ١٦٧/١، معانى القرآن للأخفش ١٨٨/١، النشر ٢٣٦/٢، تفسير الفخر الرازى ٣٦٦/٢، الجامع لأحكام القرآن ٣٧٤/٣، التيسير ٨٥، التبيان ٣٦٨/٢، البحر المحيط ٣٤٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٦٦، إعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠٢، الحجة لأبى زرعة ١٤٩، السبعة ١٩٢، غيث النفع ١٧٠، الكشف للقيسى ٣١٩/١).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٦٩/١).

(٥) سورة يونس الآية (٢٢).

وقد شاع واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى، وترك الظاهر إليه، وذلك كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وإفراد الجماعة وجمع المفرد. وهذا فاش عنهم، وقد أفردنا له باباً في كتابنا في الخصائص ووسمناه هناك بشجاعة العريفة^(١). وكأنه - والله أعلم - إنما عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة فقال: يُرْجَعُونَ بالياءِ رفقا من الله سبحانه بصالحى عباده المطيعين لأمره.

وذلك أن العود إلى الله للحساب أعظم ما يخوفه ويُتَوَعَّدُ به العباد. فإذا قرئ تُرْجَعُونَ فيه إلى الله فقد خوطبوا بأمر عظيم يكاد يستهلك ذكره المطيعين العابدين، فكأنه تعالى انحرف عنهم بذكر الرجعة فقال: يرجعون فيه إلى الله. ومعلوم أن كل وارد هناك على أهول أمر وأشنع خطر، فقال: يرجعون فيه، فصار كأنه قال: يجازون أو يعاقبون أو يطالبون بجرائرهم فيه، فيصير محصوله من بعد، أى: فاتقوا أنتم يا مطيعون يوماً يعذب فيه العاصون.

ومن قرأ بالناء «تُرْجَعُونَ» فإنه فضل تحذير للمؤمنين نظراً لهم واهتماماً بما يُعَقَّبُ السلامة بخبرهم، وليس ينبغي أن يُقْتَصَرُ فى ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة توسط أهل النظر أن يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتساع فى اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ. هذا ينبغي أن يقال: إذا عَرِيَ الموضع من غرض معتمد، وسر على مثله تتعقد اليد.

فمنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، هذا بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فليس ترك الغيبة إلى الخطاب هنا اتساعاً وتصرفاً، بل هو لأمر أعلى ومهم من الغرض أعنى. وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبد؛ لأن العبادة غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية؟ فلما كان كذاك استعمال لفظ «الحمد» لتوسطه مع الغيبة، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولم يقل لك، ولما صار إلى العبادة التى هى أقصى أمد الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فخطاب بالعبادة إصراحاً بها، وتقرباً منه عز اسمه بالانتهاء إلى محوده منها.

وعلى نحو منه جاء آخر السورة، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فأصرح بالخطاب لما ذكر النعمة، ثم قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل غير الذين غضبت عليهم، وذلك أنه موضع تقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار الكلام إلى ذكر

الغضب قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، حتى كأنه قال: غير الذين غُضِبَ عليهم، فجاء اللفظ مُنْحَرَفًا به عن ذكر الغاضب، ولم يقل غير الذين غضبت عليهم كما قال: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فأسند النعمة إليه لفظًا، وزَوَى عنه لفظ الغضب تحسنًا ولطفًا.

فانظر إلى هذه اللغة الكريمة وشرفها، وتلاقى هذه الأغراض اللطيفة وتعطفها، الأقدام تكاد تطوها، والأفهام مع ثقبها صافحة عنها، وباليات شعري هل تكون سورة أكثر استعمالًا من سورة الحمد، وهذا جزء من أجزاء ما فيها ولم توضع عليه يد؟ شرح الله لإعظام أوامره صدورنا، وأحسن الأخذ إلى طاعته بأيدينا بقدرته وماضى مشيئته.

ومما يَلْقَاهُ عامة من يُسأل عنه بأنه أخذ باللغتين، وسعة باختلاف اللفظين - قراءة أبي عمرو: «وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد»^(١)، بسكون الياء من «لى»، وقراءته أيضًا: «وما لى لا أعبد الذى فطرني»^(٢)، بتحريك الياء.

وعلة ذلك ليس الجمع بين اللغتين كما يُفتى به جميع من تسأله عنه، لكنه لما جاز الوقف على قوله تعالى: «وتفقد الطير فقال ما لى»^(٣)، وأن يستأنف فيقول: «لا أرى الهدهد»^(٤) - سكن الياء من «لى»؛ أمانة لجواز الوقوف عليها. ولما لم يحسن الابتداء بقوله: «لا أعبد الذى فطرني»^(٥) - حرك الياء من «لى» قبلها؛ أمانة لإدراج الكلام ووصله، وذاك أن الحركة من أعراض الوصل، والسكون من أعراض الوقف. فهل يحسن مع وجود هذا الفرق الواضح الكريم أن يُخلدَ دونه إلى التعذر بما يُخلدُ إليه الموهون المضمين؟ اللهم انفعنا بما استودعته، واجعل بك اعتصامنا، وإلى طاعتك توجُّهنا، إنك لطيفٌ بنا وأنت حسبنا.

* * *

(١) سورة النمل الآية (٢٠)، وقراءة نافع، وحمة، وأبى جعفر، وهشام، ويعقوب، وابن وردان، وأبى حاتم وأبى عبيد. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٢٣٥، السبعة ٤٧٩، النشر ٢/٢٤٠، غيث النفع ٣١٠، تحبير التيسير ١٥٣).

(٢) سورة يس الآية (٢٢). انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٣٦٤، إعراب القرآن للعكبري ٢/٧١٥، النشر ٤/٣٥٦، السبعة ٥٤٤، غيث النفع ٣٣٢، تحبير التيسير ١٦٥).

(٣) سورة النمل الآية (٢٠).

(٤) سورة النمل الآية (٢٠).

(٥) سورة يس الآية (٢٢).

وَأَمْرَاتَانِ

ومن ذلك ما رواه مَتُّ بن عبد الرحمن قال: كان أهل مكة يقرءون: «وامراتان»^(١)، بسكون الهمزة.

قال أبو الفتح: وجه ذلك - والله أعلم - أنهم كانوا يخففون الهمزة هنا فيضعفون حركتها على المعتاد من أمرها، فتقرب من الساكن.

ويدلُّ على أن الهمزة المحركة إذا خففت في نحو هذا قريبة من الساكن - امتناع العرب من أن تبتدئ بها مخففة كما تمتنع من الابتداء بالساكن، فلما صارت إلى قولك: «وامراتان» بالغوا في ذلك فأبدلوا ألفاً، فصارت: «وامراتان» بألف ساكنة، كما قال^(٢):

يقولون جهلاً ليس للشيخ عِيْلَ لعمرى لقد أعيلت وإن رقوب^(٣)

يريد وأنا، فخفف الهمزة فصار «وان»، ثم تجاوز ذلك إلى البدل فأخلصها في اللفظ ألفاً فقال: وأن. فكذا لما أبدل من همزة «وامراتان» ألفاً فصارت تقديره: «وامراتان»، ثم أبدل الهمزة من الألف وإن كانت ساكنة على ما قدمنا ذكره فيما قبل. وعليه قراءة ابن كثير: «وكشفت عن ساقِيها»^(٤). ومنه الباز، والخاتم، والعالم، وتأملت القدر، ونحو ذلك مما قدمنا ذكره. هذا طريق الصنعة فيه والتأني له.

فأما أن يقدَّر به مقدَّرٌ على أنه أسكن الهمزة المتحركة اعتباراً بالبتة هكذا فلا؛ لأنه لا نظير له. ألا ترى أن ما قبل تاء التانيث لا يكون أبداً إلا مفتوحاً، نحو جوزة ورطبة، إلا أن تكون الألف المدة نحو فتاة وقطاة؟ فأما الهمزة فحرف صحيح حامل للحركة فتجب فتحه البتة. فإن قلت: أسكن الهمزة تشبيهاً لها بالألف من حيث تساوتا في

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٢٤٦، إعراب القرآن للعكبري ١/٦٩).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر دون نسب. انظر: (البحر المحيط ٣/٢٤٦).

(٣) قال أبو حيان: يريد: وأنا رقوب، قيل: خفف الهمزة بإبدالها ألفاً ثم همزة بعد ذلك قالوا: الخاتم والعالم. انظر: (البحر المحيط ٣/٢٤٦).

(٤) سورة النمل الآية (٤٤). وقراءة قبيل، وهب بن واضح. انظر: (السبعة ٤٨٣، النشر ٢/٣٣٨، إتحاف فضلاء البشر ٣٣٧، البحر المحيط ٧/٧٩، التيسير ١٦٨، غيث النفع ٣١٢، الكشف ٣/١٥٠، الكشف ٢/١٦٠، تفسير الفخر الرازي ٢٤/٢٠٠، الحجة المنسوب لابن محالويه ٢٧٢، الحجة لأبي زرعة ٥٣٠، العنوان ١٤٠، مخطوط تحبير التيسير ١٥٢، تفسير الألوسي ٢٠٩/١٩).

الجهر، وفي الزيادة، وفي البدل، وفي الحرف، وفي قرب المخرج، وفي الخفاء - فقول ما، غير أنه مخشوب لا صنعة فيه ولا يكاد يُقنع بمثله.

* * *

وَلَا يُضَارُّ

ومن ذلك قراءة عمرو بن عبيد وأبى جعفر يزيد بن القعقاع: «ولا يُضَارُّ»^(١)، بتشديد الراء وتسكينها.

قال أبو الفتح: أما تشديد الراء فلا سوال فيه؛ لأنه يريد يضارر، بفتح الراء الأولى أو بكسرها. وكلاهما قد قرئ به؛ أعنى: الفتح فى الراء الأولى والكسر. والإدغام لغة تميم، والإظهار لغة الحجازيين على ما مضى، لكن تسكين الراء مع التشديد فيه نظر.

وطريقه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف كقوله: سَبَسَبًا^(٢)، وكلّكلاً. وقد ذكرنا هذا الوصل على نية الوقف فيما مضى. وقد كنا ذكرنا فيما قبل ما يروى عن الأعرج عن أبى جعفر من تسكين الراء على أنها مخففة، وأيًا كان ففيه ما مضى.

وقراءة ابن محيصن: «ولا يُضَارُّ»، رفع^(٣). قال ابن مجاهد: لا أدري ما هى؟. وهذا الذى أنكره ابن مجاهد معروف، وذلك على أن تجعل «لا» نفيًا؛ أى: وليس ينبغى أن يضار، كقوله^(٤):

على الحكم المأتى يومًا إذا قضى
قضيته ألا يجور ويقصِدُ^(٥)

(١) سبق الإشارة إليها.

(٢) من قول رؤبة بن العجاج: «ترك ما أبقى الدبى سبسبًا». انظر: (شرح شواهد الشافية ٢٥٤/٢٥٩).

(٣) وهى قراءة ابن كثير، وأبى عمرو، ويعقوب، واليزيدى. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٥٨، البحر المحيط ٣٥٤/٢).

(٤) نسبه فى الكتاب لعبد الرحمن بن أم الحكم. انظر: (الكتاب ٥٦/٣، شرح المفصل ٣٨/٧، خزانة الأدب ٦١٣/٣، شرح شواهد المغنى ٢٦٣)، ونسب الشعر فى الخزانة إلى أبى اللحام التغلبى، وفى اللسان «قصد» أن هذه النسبة هى الصحيحة.

(٥) الحكم: الحاكم الذى يقض بين القوم. والقضية: الحكم. والقصد: العدل. والشاهد فيه: رفع «يقصد» على القطع؛ لأن معناه: وينبغى له أن يقصد، كأنه قال: وليقصد فى حكمه. ونظيره ما جاء بلفظ الخير، ومعناه الأمر فى قول الله تعالى: ﴿والوالدت يرضعن أولادهن﴾ أى ليرضعن.

فرع «ويقصد» على أنه أراد: وينبغي له أن يقصد فرع يقصد كما يرتفع ينبغي. فكذا هذا؛ أي وينبغي ألا يضار. وإن شئت كان لفظ الخبر على معنى النهي حتى كأنه قال: ولا يضارر، كقولهم في الدعاء: يرحمه الله، أي ليرحمه الله، ويغفر الله لك، أي ليغفر الله لك، ولا يرحم الله قاتلك، فرُفع على لفظ الخبر وأنت تريد: لا يرحم الله جزما فتأتى بلفظ الخبر وأنت تريد معنى الأمر والنهي على ما ذكرنا.

* * *

يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴿٣٨٤﴾

ومن ذلك ما رواه الأعمش قال: في قراءة ابن مسعود: «يحاسبكم به الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء»^(١)، جزم بغير فاء.

قال أبو الفتح: جزم هذا على البدل من «يحاسبكم» على وجه التفصيل لجملة الحساب، ولا محالة أن التفصيل أوضح من المفصل، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال. والبعض: كضربت زيداً رأسه، والاشتمال كأحب زيداً عقله. وهذا البدل ونحوه واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القيلين إلى البيان. فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾^(٢). لأن مضاعفة العذاب هو لقي الأثام.

وعليه قوله:

رُويْدًا بنى شيبان بعض وعيدكم	تلاقوا غداً خيلي على سفوان ^(٣)
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوعى	إذا ما غدت فى المأزق المتداني
تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم	على ما جنت فيهم يدا الحدثان ^(٤)

(١) وقراءة الجعفى، وخلاد، وطلحة بن مصرف. انظر: (البحر المحيط ٣٦١/٢، الكشف ١٧١/١، إعراب القرآن للعكبرى ٧١/١، إعراب القرآن للنحاس ٣٠٤/١).

(٢) سورة الفرقان الآيتان (٦٨، ٦٩).

(٣) سفوان: بفتح أوله وثانيه، وآخرة نون، كأنه فعلا ن من سفت الريح التراب وأصله الباء إلا أنهم هكذا تكلموا به، قال أبو منصور: سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير السافى وهو التراب، قال: وأنشدنى أعرابي:

جارية بسفوان دارها
تمشى الهويها ما تلا خمارها

انظر: (معجم البلدان ٢٢٥/٣).

(٤) من مقطوعة من ست أبيات لوداك بن ثميل المازنى، وردت فى ديوان الحماسة ٤٥/١.

فَأَبْدَلُ تَلَاقُوا جِيادًا من قوله: تَلَاقُوا غَدًا خَيْلِي، وَجَازَ إِبْدَالَهُ مِنْهُ لِلْبَيَانِ وَإِنْ كَانَ مِنْ لَفْظِهِ وَعَلَى مِثَالِهِ؛ لِمَا اتَّصَلَ بِالثَّانِي مِنْ قَوْلِهِ: جِيادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعْدِ، وَأَبْدَلُ تَلَاقُوهُمْ مِنْ تَلَاقُوا جِيادًا لِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَتَعْلَمُوا كَيْفَ صَبَرْتُمْ». وَإِذَا حَصَلَتْ فَائِدَةُ الْبَيَانِ لَمْ تُبَلَّ أَمِنْ نَفْسِ الْمَبْدَلِ كَانَتْ، أَمْ مِمَّا اتَّصَلَ بِهِ فَضْلُهُ عَلَيْهِ، أَمْ مِنْ مَعْطُوفٍ مَضمومٍ إِلَيْهِ؛ فَإِنْ أَكْثَرَ الْفَوَائِدَ إِنَّمَا تَجْتَنِي مِنَ الْأَلْحَاقِ وَالْفَضَلَاتِ. نَعَمْ وَمَا أَكْثَرَ مَا تُصْلِحُ الْجَمْلَ وَتَتَمِّمُهَا، وَلَوْلَا مَكَانُهَا لَوَهَتْ فَلَمْ تَسْتَمْسِكْ.

أَلَا تَرَكَ لَوْ قُلْتَ: زَيْدٌ قَامَتْ هِنْدٌ لَمْ تَتِمَّ الْجُمْلَةُ؟ فَلَوْ وَصَلْتَ بِهَا فَضْلَةَ مَا لَتَمْتَ، وَذَلِكَ كَأَنَّ تَقُولَ: زَيْدٌ قَامَتْ هِنْدٌ فِي دَارِهِ، أَوْ مَعَهُ، أَوْ بِسَبِيهِ، أَوْ لِتُكْرِمَهُ، أَوْ فَأَكْرَمْتَهُ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ - فَصَحَّتِ الْمَسْأَلَةُ؛ لِعَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ مِنَ الْجُمْلَةِ. وَعَلَيْهِ قَوْلُ كَثِيرٍ فِيمَا أَظُنُّ (١):

وَإِنْسَانٌ عَيْنِي يَحْسِرُ الْمَاءُ تَارَةً فَيَدُو وَتَارَتْ يَجُمُ فَيَغْرِقُ
فَبِالْمَعْطُوفِ عَلَى يَحْسِرُ الْمَاءُ مَا تَمَّتِ الْجُمْلَةُ. وَفِي هَذَا بَيَانٌ.

* * *

=وَيَيْنُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ:

عَلَيْهَا الْكَمَاءُ الْغَرَمُ مِنْ آلِ مَازَنِ أَلَا هَ طَعَانٌ عِنْدَ كُلِّ طِعَانٍ
وَهُوَ سَاقِطٌ «مِنْ بَعْضِ نَسْخِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ الْمَخْطُوطَةِ، وَلَعَلَّهَا هِيَ الَّتِي أُطْلِعَ عَلَيْهَا ابْنُ حَنِيٍّ.
(١) وَرَدَ فِي دِيْوَانِ ذِي الرِّمَّةِ ٣٩١.

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾

من ذلك قراءة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضی الله عنهما، وابن مسعود وإبراهيم النخعي، والأعمش، وأصحاب عبد الله وزيد بن علي، وجعفر بن محمد وأبي رجاء بخلاف، ورُويت عن النبي ﷺ: «الحَيُّ الْقَيُّومُ»^(١)، وقرأ علقمة: «الحَيُّ الْقَيِّمُ»^(٢).

قال أبو الفتح: أما «الْقَيِّمُ» ففعال من قام يقوم؛ لأن الله تعالى هو القيم على كل نفس، ومثله من الصفة على فعال الغِداق والبيطار. وأصله القَيِّوَم فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء فصارت القيام، ومثله قولهم: «ما بالدار ديار»، وهو فعال من دار وأصلها دَيَّوار، وأهل الحجاز يقولون، للصَّوْأغ: الصَّيَّاغ. فعلى هذا ينبغي أن يحمل لا على فَعَال؛ لأنه كان يجب أن يكون صَوَّأغا. هذا هو الباب.

وأما الفَيَّاد لِذِكْرِ اليوم فحملة أبو على على أنه فَعَال من الأسماء، وذلك أنه من فاد يفيد إذا تبختر. وأما الجَيَّار للسُّعال فكذا يجب أن يكون أيضاً، وهو فَعَال من لفظ «جَيْر» بمعنى نعم ومعناها؛ وذلك أن السُّعْلَة تحجب أختها كما أن جير جواب.

قال العجاج^(٣):

تجاوب الرَّعْدُ إذا تبوَّجا

وأنشدنا أبو على:

(١) وقراءة المطوعى، وعلقمة بن قيس. انظر: (الطبرى ١٥٥/٦)، الجامع لأحكام القرآن ١/٤، معانى القرآن للقرطبي ١٩٠/١، مجمع البيان ٤٠٥/٢، التبيان ٣٨٨/٢، البحر المحيط ٣٧٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣٨/١، شرح المفصل ١٢٧/٦).

(٢) وقراءة خارجة، وعبد الله بن مسعود. انظر: (الطبرى ١٥٥/٦) والقرطبي ١/٤ والبحر المحيط ٢٣٧٧، النحاس ٣٠٨/١.

(٣) فى ديوانه ٨.

إِذَا حَتَّ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعًا

والحديث طويل لكن هذا طريقه.

وأما القِيم ففيعل من قام يقوم بأمره، وهو من لفظ قِيَام ومعناه قال:

الله بينى وبين قِيمها يفر منى بها وأتبعُ

لما قال الشاعر هذا قيل له: لا، بل الله بين قيمها وبينك.

والقيوم قراءة الجماعة، فيقول هذا أيضًا، ومثله الدُّيُور فى معنى الدِّيَار.

* * *

وَالْأَنْجِيلَ ﴿٢﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «الأنجيل»^(١)، بفتح الهمزة.

قال أبو الفتح: هذا مثال غير معروف النظير فى كلامهم؛ لأنه ليس فيه أفعيل بفتح الهمزة. ولو كان أعجميًا لكان فيه ضرب من الحِجَاج، لكنه عندهم عربى، وهو أفعيل من نجل ينجل: إذا أثار واستخرج، ومنه نجلُ الرجل لولده؛ لأنه كأنه استخرجهم من صلبه وبطن امرأته، قال الأعشى^(٢):

أَنْجَبَ أَزْمَانٌ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَّاهُ فَنَعِمَ مَا نَجَّلَا^(٣)

أى أنجب والداه به أزمان إذ نجلاه، ففصل بالفاعل بين المضاف الذى هو أزمان وبين المضاف إليه الذى هو إذ، كقولهم: حيثنذ، ويومئذ، وساعتنذ، وليلتنذ.

وقال أبو النجم:

تنجل أيديهن كل منجل

(١) انظر: (الكشاف ١/١٧٣)، القرطبي ٦، ٤، البحر المحيط ٢/٣٧٨، مجمع البيان ٢/٤٠٥، إتحاف فضلاء البشر ١٧٠، اللسان «نجل».

(٢) من قصيدة فى مدح سلامة ذا فائش بن يزيد بن مرة بن عريب بن مرشد الحميرى (من المنسرح) مطلعها:

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَجًّا وَإِنْ فِى السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًّا

انظر: (ديوانه ٢٥٤ وما بعدها).

(٣) فى الديوان: «أحب أيام والديه به». انظر: (ديوانه ٢٥٦).

يريد أيدى الإبل، أى تثير بأيديها فى سيرها ما تمر به من نبت وحجر وغيرهما.

وقيل له: إنجيل لأن به ما استخرج علم الحلال والحرام ونحوهما، كما قيل: تورا، وهو فوعة من ورى الزند إذا قدح وأصله وورى، فأبدلت الواو التى هى الفاء تاء كما قالوا: التجاه والتخمة والتكلان والتيقور، وهى من الوجه الوحامة والوكيل والوقار. وقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت تورا. فهذه من ورى الزند: إذا ظهرت ناره، وهذا من نجل ينجل: إذا استخرج، لما فى هذين الكتابين من معرفة الحلال والحرام كما قيل لكتاب نبينا ﷺ: الفرقان؛ لأنه فرق بين الحق والباطل. وهذا الحديث الذى نحن عليه من باب ضمنه كتابنا الخصائص وسمته: باب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمباني^(١)، وذلك أن التوراة من لفظ ورى، والإنجيل من لفظ «ن ج ل»، والفرقان من «ف ر ق». والتوراة فوعة، والإنجيل إفعيل، والفرقان فعلان. فالأصول مختلفة والمباني كذلك، والمعانى واحدة ومعنىقة، وكلها للإظهار والإبراز والفرق بين الأشياء، أفلا ترى إلى هذه الحكمة المبرور بها، الواظقة الأقدام عليها، المسهولة عادة الدعة وقلة المراجعة عنها؟.

وفى كل شىء له شاهد يدل على أنه واحد^(٢)
ونظائره تكاد تكون أكثر من الرمل، منه قولهم للمسك: صوار، فأصلاهما مختلفان: هذا من «م س ك»، وهذا من «ص و ر». ومثالاها كذلك؛ لأن مسكاً فِعْلٌ، وصوار فعَالٌ، ومعنيهما واحد. وذلك لأنه سمي مسكاً لأنه بطيب رائحته يمسك الحس عليه استلذاذاً له، وصوار من صار يصور إذا عطف وجمع فأمسكت الشىء وعطفته وجمعتة شىء واحد. ومنه قولهم: سحاب، قيل له ذلك، كما قيل له حَبِي: فهذا من «ح ب و»، وهذا من «س ح ب». وسحاب فعال، وحبي فاعيل، فالأصلان مختلفان، والمثالان اثنان

(١) انظر: (الخصائص ١١٥/٢: ١٣٥).

(٢) لأبى العتاهية، روى أنه جلس فى دكان وراق فأخذ كتاباً فكتب على ظهره على البديهة:

ألا إنا كنا بـائِداً	وأى بنى آدم خـالِداً؟
وبدؤهم كان من ربهم	وكلُّ إلى ربّه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله فى كل تحريكه	وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية	تدل على أنه الواحدُ

ولما انصرف اجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال: لمن هذا؟ فقيل له: لأبى العتاهية فقال: لوددتها لى بجميع شعري. انظر: (ديوانه ١٢٢). وفى الديوان: «وفى كل شىء له آية».

والمعنيان واحد، وذلك أنه لثقله ما ينسحب على وجه الأرض، وكذلك ما يجبو عليها. قالت امرأة تصف غيثاً:

وأقبل يزحف زحف الكسير كأن على عضديه رفاقاً^(١)
وقال أوس أو عبيد^(٢):

دان مسفٌ فَوَيْقَ الأرض هَيْدُبُهُ يكاد يدفعه مَن قام بالراح^(٣)
واللطيفُ الحسن الجميل كثير، لكن أين لك بالمحسن المستثير؟ فهذا حديث هذا المثال الذي هو الإنجيل، وأما فتحه فغريب، ولكنه الشيخ أبو سعيد نضر الله وجهه ونور ضريحه. ونحن نعلم أنه لو مر بنا حرف لم نسمعه إلا من رجل من العرب لوجب علينا تسليمه له إذا أونسست فصاحته، وأن نبهأ به، وتحلى بالمذاكرة بإعرابه. فكيف الظن بالإمام في فصاحته وتحريره وثقته؟ ومعاذ الله أن يكون ذلك شيئاً جنح فيه إلى رأيه دون أن يكون أخذه عن قبله. وبعد فقد حكى أبو زيد في السكينة: السكينة، بفتح السين وتشديد الكاف. فهذا فعيلة وإن لم يكن لها نظير، وإفعيل أخو فَعِيل.

(١) ورد في لسان العرب مادة «رفق» دون نسبة.

(٢) ورد البيت في ديوان أوس بن حجر من قصيدة «من البسيط» مطلعها:

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذا فنكت في فساد بعد إصلاح
انظر: (ديوانه ١٣ وما بعدها).

قال محقق الديوان: وفي نسبة أبيات من هذه القصيدة خلاف بعضهم يعزوها إلى أوس، والبعض الآخر يعزوها إلى عبيد بن الأبرص. وقد ذكر صاحب الأغاني (١٠: ٥) نقلاً عن رواته أن هذا الشعر رواه الأصمعي لأوس ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص. وقال البكري: إنها ثابتة في ديوانيهما بخلاف يسير. وذكر ابن سلام (طبقات الشعراء ٧٦ - ٧٧) أن يونس بن حبيب جعلها لعبيد وعلى ذلك كان إجماعنا، فلما قدم المفضل حرفها إلى أوس والقصيدة في منتهى الطلب ما عدا الأبيات: ٣، ٥، ١٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦ والأبيات: ٦، ٧، ١١، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ٢٠، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ١٦، ٢٣ - في ديوان عبيد ق ٢٨، والبيت المذكور في الشاهد في ديوان عبيد بن الأبرص ٥٣، ونسبه في الخصائص ١٢٨/٢ لأوس، وانظر: (سمط اللآلي ٤٣٩).

(٣) دان: قرية، مسف، من أسف السحاب: دنا من الأرض. «مسف شديد الدنو من الأرض وهيدبه: ما تدلى منه» الأغاني (١١/ ٦٨، ٧١): يقول هذا السحاب يكاد من قام أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض وهو أحسن ما وصف به السحاب.
وهيدب السحاب ما تهدب منه إذا أراد الوبق كأنه خيوط. انظر: تاج العروس «هذب».

وأحسبني سمعت في برطيل برطيل.

فهذا فعليل بفتح الفاء، وأفعليل وفعليل وفعليل يكاد يكون مثلاً واحداً.

* * *

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴿٨﴾

ومن ذلك قراءة أبي واقد الجراح: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا»^(١).

قال أبو الفتح: هذا في المعنى عائد إلى قراءة الجماعة: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، وذلك أنه في الظاهر طلب من القلوب ورغبة إليها، فهو كقول الراجز فيما أنشده ابن الأعرابي^(٢).

يا رب لا يرجع إلينا طفيلًا

وفسره طفلاً فظاهر الطلب والرغبة إلى ذلك الإنسان المدعو إليه.

وإنما المستول الله سبحانه، حتى كأنه قال: اللهم لا ترجعه إلينا، ويؤكد في ذلك النداء في قوله تعالى: «رَبَّنَا».

ويزيد في شرحه لك أنك تقول للأمير: لا ترهقني؛ لأنه يملك التنفيس عنك، ولا تقول له: أيها الأمير أدخلني الجنة؛ لأن ذلك ليس له ولا إليه.

فقد علمت إذا أن معنى «لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» هو معنى ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾^(٣)؛ ألا ترى أن القلوب لا تملك شيئاً فيطلب منها؟ فالمستول إذاً واحد وهو الله سبحانه.

* * *

يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴿١٣﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس وطلحة: «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ»^(٤)، بياء مضمومة.

(١) انظر: (الكشاف ١/١٧٦، القرطبي ٤/٢٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٣١٢، العكبري ١/٧٢).

(٢) انظر: لسان العرب مادة «طفل».

(٣) سورة آل عمران الآية (٨).

(٤) وقراءة السلمي. انظر: (البحر المحيط ٢/٣٩٤، القرطبي ٤/٢٧، الكشاف ١/١٧٧، مجمع البيان

قال أبو الفتح: هذه قراءة حسنة المعنى، وذلك أن رَأَيْتُ وأرى أقوى فى اليقين من أَرَيْتُ وأَرَى. تقول: أَرَى أن سيكون كذا، أى: هذا غالب ظنى، وأَرَى أن سيكون كذا، أى: أعلمه وأتحققه، وسبب ذلك أن الإنسان قد يُريه غيره الشئ فلا يصح له، فمعناه إذا أن غيره يشرع فى أن يراه ولا أنه هو لا يراه. وأما أرى فأخبار بيقين منه، فكذلك هذه الآية «يُرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ»، أى: يُصَوِّرُ لهم ذلك وإن لم يكن حقاً؛ لأن الشئ الواحد لا يكون اثنين فى حال واحد قد يُظن ويتوهم شيئين بل أشياء كثيرة. ومثله قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكِهِمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾^(١)، فهذا يحسّن هذه القراءة.

وأما قراءة الجماعة: ﴿يُرَوْنَهُمْ﴾^(٢) فلأنها أقوى معنى، وذلك أنه أوكد لفظاً، أى حتى لا يقع شك فيهم ولا ارتياب بهم أنهم مثلام. فهذا أبلغ فى معناه من أن يكون مُرِيهِمْ ذلك، فقد يجوز أن يتم له ذلك وقد لا، هذا فى ظاهر الأمر؛ فأما على اليقين ومع الحقيقة فلا يجوز أن يكون الشئ الواحد شيئين اثنين فيما له كان واحداً. ومما جاء مفصلاً فيه بين أرى وأرى قوله^(٣):

تَرَى أو تَرَأَى عند معقِدِ غَرْزِهَا تهاويل من أجداد هِرٍّ مؤوَم
فلما قال: «تَرَى» استكثر ذلك لأنه مع التحصيل لا حقيقة له، فأتبعه بما لان له القول الأول، فقال: أو تَرَأَى فاعرف ذلك.

* * *

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴿١٤﴾

ومن ذلك قراءة مجاهد: «زَيْنَ للناسِ حُبُّ الشهوات»^(٤)، بفتح الزاى والياء. قال أبو الفتح: فاعل هذا الفعل إبليس، ودل عليه ما يتردد فى القرآن من ذكره. فهذا نحو قول الله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ﴾^(٥)، وما جرى هذا المجرى.

* * *

(١) سورة الأنفال الآية (٤٣).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٣).

(٣) أى ممزق العبدى. انظر الأصمعيات (١٨٨)، وفيها: «تهايل من أجداد مر معلق».

(٤) وقراءة ابن محيصن، والضحاك. انظر: (الكشاف ١/١٧٨، القرطبي ٤/٢٨، البحر المحيطة

٣٩٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٧١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٤، تفسير الفخر الرازى

٤١٦/٢.

(٥) سورة النساء الآية (١٢٠).

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ۝

ومن ذلك قراءة الناس: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾^(١) وقرأ أبو المهلب محارب بن دثار^(٢): «شُهِدَاءُ لِلَّهِ»^(٣). مضمومة الشين، مفتوحة الهاء، ممدودة على فعلاء.

قال أبو الفتح: هو منصوب على الحال من الضمير في المستغفرين، أى يستغفرونه شُهِدَاءُ لِلَّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وهو جمع شهيد. ويجوز أن يكون جمع شاهد، كعالم وعلماء، والأول أجود.

* * *

ذَرِيَّةٌ ۝

ومن ذلك قراءة الناس: ﴿ذَرِيَّةٌ﴾^(٤)، وقرأ زيد بن ثابت: «ذَرِيَّةٌ»^(٥) بكسر الذال، و«ذَرِيَّةٌ» بفتح الذال.

قال أبو الفتح: يَحْتَمِلُ أصل هذا الحرف أربعة ألفاظ:

أحدها: ذرأ، والثاني ذرر، والثالث ذرو، والرابع ذرى.

فأما الهمز فمن ذرأ الله الخلق. وأما ذرر فمن لفظ الذر ومعناه، وذلك لما ورد فى الخبر أن الخلق كان فى القديم كالذر، وأما الواو والياء فمن ذرّوت الحب وذريته، يقالان جميعا؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٦)، وهذا لطفه

(١) سورة آل عمران الآية (١٨).

(٢) محارب بن دثار بن كردوس السدوسى الشيبانى الكوفى، أبو المطرف (١١٦ هـ = ٧٣٤ م): قاض الكوفة. كان فقيها فاضلا، حسن السيرة، زاهدا شجاعا، من أفرس الناس. وكان من المرجحة فى على وعثمان. وله فى ذلك شعر. عزل عن القضاء وأعيد، وتوفى وهو قاض. انظر: (تهذيب التهذيب ٤٩/١٠ والجرح والتعديل ٤١٦/٤/١ وتاريخ الإسلام ٢٠٣/٤ والشذرات ١٥٢/١ والنجوم الزاهرة ٢٨٧/١ والأعلام ٢٨١/٥).

(٣) انظر: (الكشاف ١٨٠/١، البحر المحيط ٤٠٣/٢، التبيان ٤١٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣١٦/١، العكبرى ٧٥/١).

(٤) سورة آل عمران الآية (٣٤).

(٥) وقراءة المطوعى، والضحاك. انظر: (البحر المحيط ٤٣٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣٢٣/١، إتحاف فضلاء البشر ١٧٣).

(٦) سورة الكهف الآية (٤٥).

وخفته، وتلك حال الذر أيضاً. فهذه الأصول المنزوع إليها، المقود تصريف هذا الموضع عليها. فأما ذُرِّيَّة المضمومة فإن أخذتها من ذراً فإنها في الأصل فُعَيْلَةٌ كَمُرِّيق، وأصلها ذُرَيْتَةٌ، فألزمت التخفيف أو البدل كنبى في أكثر اللغة، وكالخباية، وكالبرية فيمن أخذها من برأ الله الخلق، وغير ذلك مما ألزم التخفيف. ومثلها: ﴿كَوْكَبٌ ذُرَّى﴾ (١) فيمن جعله فُعَيْلاً من درأت؛ وذلك لأنه يدرأ الظلمة عن نفسه بضوئه، وأصله على هذا ذُرَّى فخفف، وقد قرئ به مهموزاً.

وإن أخذت الذُرِّيَّة من الذرّ احتمل خمسة أوجه:

أحدها: أن يكون فُعْلِيَّة كُبُخْتِيَّة وقُمْرِيَّة.

والآخر: أن تكون منسوبة إلى الذرّ، إلا أنه غير أولها؛ لما قد يعرض من التغيير لياء الإضافة، كقولهم في الإضافة إلى أمس: إمسى، وإلى الأفق أفقى، وإلى الحرم حرمى، وإلى جذيمة جذمى، وإلى عبدة عبدى، وإلى الدهر دهرى، وإلى السهل سهلى.

والثالث: أن تكون ذُرِّيَّة فُعْلِيَّة كَمُرِّيْقَة؛ إلا أن أصلها ذُرَيْرَةٌ على هذا، فلما كثرت الراءات أبدلوا الآخرة ياء وأدغموا فيها ياء فُعْلِيَّة التى قبلها. ونحو منه مما أبدل فيه أحد الأمثال ياء هرباً من تكريرها قولهم: تَظَنَّنْتُ، وتسَرَّيْتُ، وتَلَعَّيْتُ من اللعاعة وهى بقلّة، وقَصَّيْتُ أظافرى، وتَفَضَّيْتُ من الفضة، وكقوله (٢):

تَقَضَّى الْبَازَى إِذَا الْبَازَى كَسِرَ

هو تَفَعَّلَ من الانقضاض، وأصله تَقَضُّضٌ، كما أن أصل تَظَنَّنْتُ تَظَنَّنْتُ، وتسَرَّيْتُ تسررت، لأنه تَفَعَّلْتُ من السُرِّيَّة فيمن أخذها من السرّ وهو النكاح، أو من السرّ لأنه فى غالب الأمر مكتومة الأمر من صاحبة المنزل. وهذا قول أبى الحسن الكرخى. وأصل تلعت تلعت، وأصل قَصَّيْتُ أظفارى قَصَصْتُ. ويمكن أن يكون أُخِذَتْ من أقاصيها فلا يكون مبدلاً، وأصل تَفَضَّيْتُ تَفَضَّضْتُ، وقالوا: فأبدلوا مع الاثنين فى أَمَلَلْتُ الكتاب: أَمَلَيْتُ، وقال الأسود بن يَغْفَرُ:

وَأَقْسَمْتُ لَا أَمْلَاهُ حَتَّى يَفَارِقَا (٣)

(١) سورة النور الآية (٣٥).

(٢) العجاج فى مدح عمر بن عبيدا لله بن معمر. انظر: (ديوانه ١٧).

(٣) ورد فى شرح شواهد الشافىة ٤/٤٤١: «فَأَلَيْتُ لَا أَمْلَاهُ حَتَّى يَفَارِقَا».

يريد أمله فأبدلوا الثانى منها ياء للتكرير، ثم أبدلت الياء ألفاً فصارت أملاه.

وأخبرنا أبو على قال: قال أحمد بن يحيى عنهم «لا وربك لا أفعل»، يريد: لا وربك، ونظائره كثيرة. فأصل ذرية على هذا ذرية فُعيلة كَمَرِيْقَة، فأبدلت الراء الأخيرة لما ذكرنا ياء، وأدغمت فيها ياء فُعيلة، فصارت ذرية.

والرابع أن تكون فُعولة كجُبورة وكسُبوح وقُدوس وأصلها على هذا ذُرورة، فأبدلت الراء الأخيرة - لما ذكرنا من اجتماع الأمثال - ياء فصارت ذُرورية، ثم أبدلت الواو لوقوعها ساكنة قبل الياء - ياء والضممة قبلها كسرة، وأدغمت فى الياء المبدلة من الراء، فصارت ذرية كما ترى.

والخامس أن تكون فعולה منه، كقرودة^(١) وحيرورة^(٢)، وأصلها على هذا ذرورة؛ فعمل فيها ما عمل فيما يليها. فهذا حديث ذرية إذا كانت من ذر. وإن كانت من لفظ ذرو أو ذرى احتملت مثالين: أحدهما: أن يكون فُعولة.

والآخر: أن يكون فعيلة. فإذا كانت فُعولة من الواو فأصلها ذُرورة، كفُعولة من غزوت غُرورة، إلا أن الاسم طال وضوعفت فى آخره الواو فاستثقلت، فأبدلت اللام ياء للتخفيف فصارت ذرورية، فأبدلت الواو لوقوع الياء بعدها والواو ساكنة - ياء والضممة قبلها كسرة كما قلبت هى ياء وأدغمت الياء فى الياء، فصارت ذرية.

ومثل ذلك مما أبدل لظوله وثقل تضعيف الواو أَدْحِيَّة^(٣) وأصلها أَدْحُوَّة لأنها من دحوت، وأدعية وأصلها أَدْعُوَّة؛ لأنها من دعوت، وأُحْحِيَّة وأصلها أُحْحُوَّة؛ لأنها من حجوت أى: ثَبْتُ وأُضْحِيَّة وأصلها أُضْحُوَّة؛ لأنها من الضحوة، فأبدلت لما ذكرنا، فصارت جميعها إلى الياء.

= قال: على أن أصله لا أمله، من ملئت الشيء بالكسر وملئت منه - أيضاً - مللاً وملالة وملّة؛ إذا سئمته.

(١) القُرْدودة: الفقارة، وأعلى الجبل، وجمع قرديد. انظر: المعجم الوسيط «قرد».

(٢) الحبارى طائر طويل العنق، من الفصيلة الحبارية من رتبة الكركيات، ومنه عدة أنواع، رمادى اللون على شكل الإدزة، فى منقاره طول، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء. انظر: المعجم الوسيط «حبر».

(٣) الأدحية: الأدحوة، وهى: موضع بيض النعام وتفرخه، جمع أدارح، ويقال للنعام: بنت أدحية. انظر: المعجم الوسيط «دحى».

وإن كانت ذرية من الياء، وهى فَعُولَةٌ فخطبها أيسر؛ لأن أصلها ذروية، ولزمها من إبدال الواو وإدغامها ما لزم فيما قبلها. انقضى أمر ذرية بضم الذال.

وأما ذرية بكسر الذال فتكون من ذراً الله الخلق، فلا يجوز فيها إلا أن تكون فَعِيلَةٌ، وأصلها ذريئة، ثم ألزمت التخفيف أو البديل على ما مضى فصارت ذرية.

فإن أخذت ذرية من الذر احتملت أربعة أوجه:

أحدها: أن تكون فَعِيلَةٌ كحيرى دهر.

والآخر: أن تكون منسوبة إلى الذر، إلا أنها كسر أولها للتغيير المعتاد مع ياءى الإضافة، كقولهم فى أمس: إمسى.

والثالث: أن تكون فَعِيلَةٌ كبطيخة وجريئة، وأصلها ذريرة، ثم غيرت الراء الأخيرة لكثرة الراءات ياء على ما مضى، ثم أدغمت فيها الياء قبلها، فصارت ذرية.

الرابع: أن تكون فَعِيلَةٌ كحلتيت^(١) وحيرير، وأصلها على هذا ذريرة، ثم عمل فيها ما عمل فى الذى يليها.

فإن أخذت ذرية من ذرو أو من: ذرى لم تكن إلا فَعِيلَةُ البتة، وأصلها من الواو ذريوة، فأبدلت الواو ياء، وأدغمت فيها ياء المد قبلها، فصارت ذرية.

وإن كانت من الياء فلا صنعة فيها، فهى كَفَعِيلَةٌ من رَمَيْت رَمِيَّة. انقضت ذرية بكسر الذال.

وأما ذرية بفتح الذال فتكون من لفظ الذر، وتكون من لفظ ذراً، وتكون من لفظ ذرو، وتكون من لفظ ذرى. فإذا كانت من لفظ ذر احتملت أن تكون فَعِيلَةٌ كبرنيئة، وأن تكون فَعُولَةٌ كخروبة، وأن تكون فَعْلُولَةٌ كَبَعْكُوكَة، وأن تكون فَعِيلَةٌ كسَكِينَة. فتلك أربعة أوجه. أما فَعِيلَةٌ فأمرها واضح، وأما فَعُولَةٌ فأصلها ذرورة فاجتمعت الراءات فأبدلت الآخرة ياء على ما قدمنا ذكره من تظنيت وتقضيت، فصارت ذروية، فلما اجتمعت الواو والياء وسكن الأول منهما قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء فى الياء، فصار ذرية.

وأما فَعْلُولَةٌ فأصلها أيضاً ذرورة، فعمل فيها من البديل والإدغام ما عمل فى فَعُولَةٌ.

(١) صمغ كرية الرائحة، وهو المعروف بأبى كبير، ويستعمل فى الطب. انظر: المعجم الوسيط

وأما فَعِيلَةٌ فأصلها ذَرِيَّةٌ، فأبدلت الراء الأخيرة لما ذكرنا ياء، وأدغمت فيها ياء المد قبلها، فصارت ذَرِيَّةً.

فإذا كانت من لفظ ذراً احتملت أن تكون فَعِيلَةٌ كسَكِينَةٍ، وأن تكون فَعُولَةٌ كخَرُوبَةٍ.

فإذا كانت فَعِيلَةٌ فأصلها ذَرِيَّةٌ، فألزمت الهمزة التخفيف البتة أو البدل فقلبت ياء، ثم أدغمت فيها الياء قبلها، فصارت ذَرِيَّةً.

وأما إذا كانت فَعُولَةٌ فأصلها ذَرُوءٌ، فأبدلت الهمزة ياء فصارت ذَرُوءِيَّةً، ثم أبدلت الواو ياء للياء بعدها، وأدغمت الياء المبدلة في الياء الثانية، فصارت ذَرِيَّةً.

ولا يجوز على هذا أن تكون همزة ذَرُوءَةٌ خففت؛ لأنه لو كان كذلك لقلبت واوًا لوقوع الواو قبلها ثم أدغمت واو فَعُولَةٌ فيها فصارت ذَرُوءَةٌ، كما أنك لو خففت مَقْرُوءَةً قلقت: مَقْرُوءَةٌ، وهذا واضح.

وأما فَعِيلَةٌ أعني ذَرِيَّةٌ فإنك إن أبدلتها أو خففتها استوى فيها اللفظان، قلقت: ذَرِيَّةً، كما تقول: في تخفيف جرِيَّةً وإبدالها جرِيَّةً، وهذا واضح.

وإذا كانت من لفظ الذُرُوءِ فإنها تكون فَعِيلَةٌ، وأصلها ذَرِيَّةٌ، فقلبت الواو لسكون الياء قبلها، وأدغمت الياء الأولى فيها، فصارت ذَرِيَّةً. ولا تحمل وهي من الواو أن تكون فَعُولَةٌ؛ لأنه كان يجب على هذا أن تكون ذَرُوءَةٌ، والحمل على أُدْحِيَّةٍ جائز، إلا أنه ليس بالظاهر، وليس كذلك أُدْعِيَّةٌ وأُدْحِيَّةٌ وأضحية؛ لأنه قد أُمِنَ أن يكون في الكلام أُفْعِيلٌ؛ لأنه لم يأت عنهم، فلا بد إذاً من أن يكون أصلها أدحوة وأدْعُوءَةٌ وأضحوة، فغيرت إلى الياء تخفيفاً استحساناً لا وجوباً، وليس كذلك ذَرِيَّةٌ لو كانت من الذُرُوءِ؛ لأنه ليس واجباً فَعُولَةٌ، بل قد يجوز أن تكون فَعِيلَةٌ، فافهم ذلك.

وأما إذا كانت من ذرى فإنها تحمل أن تكون فَعُولَةٌ وفَعِيلَةٌ، فأصل فَعُولَةٌ ذَرُوءِيَّةٌ، فأبدلت الواو للياء بعدها، وأدغمت الأولى في الثانية، فصارت ذَرِيَّةً.

وأصل فَعِيلَةٌ ذَرِيَّةٌ هكذا وكما ترى؛ لأنك أدغمت الياء الأولى في الثانية فصارت ذَرِيَّةً، ومثلها من قَضَيْتُ قَضِيَّةً، ومن رَمَيْتُ رَمِيَّةً. انتهى القول في ذَرِيَّةٍ وذَرِيَّةٍ وذَرِيَّةٍ، ودعانا إلى إشباع القول عليها أن لم يتقدم أحد ببسطها، وحسبنا الله.

* * *

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ ﴿٢﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم فيما رواه المغيرة والأعمش عنه: «نزل عليك الكتاب

بالحق^(١)، خفيفة الزاى، ورفع الباء من الكتاب.

قال أبو الفتح: هذه القراءة تدل على استقلال الجملة التى هى قوله عز اسمه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢).

ألا ترى أنه لا ضمير فى قوله: «نزل عليك الكتاب»؛ يعود على اسم الله تعالى؟ فعلى هذا ينبغى أن تكون جملة مستقلة أيضاً فى قول من شدد الزاى ونصب الكتاب، فيكون اسم الله مرفوعاً بالابتداء، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر عنه، ويكون ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ صفة له وثناء عليه. وإن شئت جعلت قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثناء عليه معترضاً بين المبتدأ والخبر، ويكون ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ خبرين عنه، كحلوه حامض.

وإن شئت جعلت قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبراً عنه، ﴿والْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أيضاً خبرين عنه، فيكون له ثلاثة أخبار.

وإن شئت أن تحبر عن المبتدأ عشرة أخبار أو بأكثر من ذلك جاز وحسن؛ لما يتضمنه كل خبر منها من الفائدة، فكأنه أخبر عنه وأثنى عليه، ثم أخذ يقصّ الحديث فقال: «نزل عليك الكتاب».

ومن شدد الزاى ونصب «الكتاب» جاز أن يكون على قوله خيراً رابعاً، وجاز أن يكون أيضاً جميع ما قبل نزل ثناء وإعظاماً، ويفرد قوله: «نزل عليك الكتاب» فيجعل خيراً عنه، كقولك: الله سبحانه، وجل ثناؤه، وتقدست أسماؤه يأمر بالعدل وينهى عن السوء. وفيه أكثر من هذا، إلا أن هذا مقنعاً بحمد الله.

* * *

﴿٣٦﴾ أَنْ اللَّهَ يَبَشِّرُكَ بِخَيْرٍ مُّصَدِّقٍ لِّكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

ومن ذلك قراءة مجاهد وحيد الأعرج: «أن الله يبشرك»^(٣)، بضم الياء، وسكون الباء، وكسر الشين خفيفة.

(١) وقراءة المطوعى، وابن أبى عبله. انظر: (الكشاف ١/١٧٤، البحر المحيط ١/١٧٤، إتحاف فضلاء البشر ١٧٠).

(٢) سورة آل عمران الآية (٢).

(٣) وقراءة عبد الله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ٢/٤٤٧، الطبرى ٦/٣٦٩، القرطبى ٤/٧٥، الكشاف ١/١٨٨، معانى القرآن للفرأ ١/٢١٢، التبيان ٢/٤٥١، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٢٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٨، تفسير الفخر الرازى ٤/٤٢٧).

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون هذا منقولاً من بَشِرْتُ بالأمر في وزن أَنْفَتُ وفرَحْتُ، كقولك: بَطِرَ وأبطرته، وخِرِقَ وأخرقته. يقال: بَشِرَ الرجل بالخير وأبشـرته وبشـرته وبشـرتُ خفيفةً أيضاً.

* * *

ءَايَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴿٤١﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش: «إِلَّا رَمْزًا»^(١)، بضمـتين.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون هذا على قول من جعل واحدتها رُمْزةً، كما جاء عنهم ظُلْمَةٌ وظُلْمَةٌ، وَجُمُعَةٌ وَجُمُعَةٌ. ويجوز أن يكون جَمَعَ رمزة على رُمز، ثم أتبع الضم الضم، كما حكى أبو الحسن عن يونس أنه قال: ما سَمِعَ في شيء فُعِلَ إلا سَمِعَ فيه فُعِلَ، وعليه قول طرفة:^(٢)

وَرَادًا^(٣) وَشُقْر^(٤)

يريد شُقْرًا.

* * *

﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]

ومن ذلك قراءة إبراهيم وأبى بكر الثقفي: «الْخَوَارِثُونَ»^(٥)، مخففة الياء في جميع القرآن.

(١) وقراءة يحيى بن وثاب، وعلقمة بن قيس. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٣٣٠/١، البحر المحيط

٤٥٣/٢، الجامع لأحكام القرآن ٨١/٤، الكشاف ١٨٩/١، تفسير الفخر الرازي ٤٥١/٢).

(٢) من قصيدته التي مطلعها:

أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَتِكَ هِرْ وَمِنَ الْحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِيرِ

انظر: (ديوانه ٥٠ وما بعدها).

(٣) الورد: وصف الخيل، الواحد ورد: وهو بين الكميت والأشقر.

(٤) البيت بتمامه:

أَيُّهَا الْفَتَيَانِ فِى مَجْلِسِنَا جَرَدُوا مِنْهَا وِرَادًا وَشُقْرَ

انظر: (ديوانه ٥٧).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٤٧١/٢، إعراب القرآن للعكبري ٨٠/١).

قال أبو الفتح: ظاهر هذه القراءة يوجب التوقف عنها والاحتشام منها؛ وذلك لأن فيها ضمة الياء الخفيفة المكسور ما قبلها، وهذا موضع تعافه العرب وتمتنع منه. ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(١) وأصله العاديون، فاستثقلت الضمة على الياء، فأسكنت وحذفت لسكونها وسكون الواو بعدها؟ فكان يجب على هذا أن يكون الحَوَارُونَ كَالْقَاضُونَ والساعون، إلا أن هنا غرضاً وفرقاً بين الموضعين يكاد يقنع مثله، وذلك أن أصل هذه الياء أن تكون مشددة، وإنما خففت استئقلاً لتضعيف الياء، فلما أريد فيها معنى التشديد جاز أن تُحْمَلَ الضمة تصوراً لاحتمالها إيائها عند التشديد، كما ذهب أبو الحسن في تخفيف يستهزبون إلى أن أخلص الهمزة ياء البتة وحملها الضمة تذكراً لحال الهمز المراد فيها: وكما قال في مثال عضرُفوط من قرأت: قرأ يؤء، فأبدل الهمزة الثانية التي كانت في قرأؤء ياء، ثم ضمها بعد أن أخلصها ياء وجرت مجرى الياء التي لا حظ فيها لشيء من الهمز. فإن قيل: فأى الياءين حذف من الحواريين؟.

قيل: المحذوفة هي أشبهها بالزيادة، وهي الأولى لأنها يازاء ياء العظاميس والزناديق. فإن قيل: فبالثانية وقع الاستئقال، فهلاً حذفت دون الأولى؟.

قيل: قد يُغَيَّرُ الأول من المثلين تخفيفاً كما يغير الآخر. وذلك قوله^(٢):

يا ليتما أُنْمَا شالت نعامُها أيما إلى جنة أيما إلى نارٍ

يريد أُمَّا، وكذلك القول في قيراط ودينار وديماس فيمن قال: دماميس، وديجاج فيمن قال: دباييج. وقد حذفت هذه الياء في الواحد من هذا الجمع. أنشدنا أبو علي وقرأته عليه أيضاً في نوادر أبي زيد^(٣):

بَكَّى بعينك واكفَ القَطْر ابن الحوارى العالى الذكر^(٤)

يريد الحوارى. وقد خففت ياء النسب في غير موضع مع كونها مفيدة لمعنى النسب، فكيف بها إذا كان لفظها لفظ النسب ولا حقيقة له هناك؟ ألا ترى أن الحوارى بمنزلة كرسى في أنه نسب لفظي، ولا حقيقة إضافة تحته؟.

* * *

(١) سورة المؤمنون الآية (٧).

(٢) هو سعد بن قرظ. انظر: (مختصر شواهد العين ٢٩٩).

(٣) لعبيد الله بن قيس الرقيات (من الكامل).

(٤) ورد في ديوانه (١٨٣): «بَكَّى بدمعك واكفَ القَطْر». وانظر: (النوادر في اللغة ص ٢٠٥). واكف القطر: ما انهمر منه، وابن الحوارى: مصعب بن الزبير.

﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]

ومن ذلك قراءة الحسن: «أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ»^(١). قال أحمد بن صالح^(٢) كذا قال: قال ابن مجاهد: وعلى هذا ينبغي أن يكون أن يؤتى أحداً. قال أبو الفتح: لا وجه لإنكار ابن مجاهد رفع أحد مع قوله «يؤتى» مُسَمَّى الفاعل، وذلك أن معناه أن يؤتى أحد أحداً مثل ما أُوتِيتُمْ، كقولك: أن يحسن أحد مثل ما أحسن إليكم، أي أن يحسن أحد إلى أحد مثل ما أحسن إليكم، فتحذف المفعول ويكون معناه ومفاده أنَّ نعمة الله سبحانه لا تقاس بها نعمة. وهذا مع أدنى تأمل واضح.

* * *

وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٤﴾

ومن ذلك قراءة أبي حيوة: «تَدْرُسُونَ»^(٣) بضم التاء ساكنة الدال مكسورة الراء. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون هذا منقولاً من درس هو وأدرس غيره، كقولك: قرأ وأقرأ غيره. وأكثر كلام العرب درس ودرس غيره، وعليه جاء المصدر على التدريس.

* * *

لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴿٨١﴾

ومن ذلك قراءة الأعرج فيما يروى عنه: «لَمَّا آتَيْنَاكُمْ»^(٤)، بفتح اللام وتشديد الميم، آتيناكم بألف قبل الكاف.

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٩٧/٢، الجامع لأحكام القرآن ١١٤/٤).

(٢) أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر (١٧٠ - ٢٤٨ هـ = ٧٨٦ = ٨٦٣ م): مقرئ عالم بالحديث وعلمه، حافظ ثقة، لم يكن في أيامه بمصر مثله. كان أبوه من أجناد طبرستان وولد له أحمد بمصر. زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل، وأخذ كلاهما عن الآخر. وحدث بدمشق وأنطاكية. ولم يصنف كتاباً، لكنه يتردد ذكره عند أهل الحديث. توفي في مصر. انظر: (تاريخ بغداد ١٩٥/٤، غاية النهاية ٦٢/١، طبقات الذهبي ١٥٢/١، الأعلام ٣٧/١).

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/٤، تفسير الفخر الرازي ٤٨٨/٢، البحر المحيط ٥٠٦/٢).

(٤) وقراءة نافع، وأبي جعفر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٧، البحر المحيط ٥١٣/٢، التبيان ٥١٣/٢، تفسير الطبري ٥٥٠/٦، الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٤، مجمع البيان ٤٦٧/٢، تفسير الفخر الرازي ٤٩١/٢، النشر ٢٤١/٢، الكشف ٣٥٢، ٣٥١/١، غيث النفع ١٧٩، السبعة ٢١٤، الحجة المنسوب لابن خالويه ١١١، الحجة لأبي زرعة ١٦٩، التيسير ٨٩، إعراب القرآن للعكبري ٨٣/١، مغنى اللبيب ١٧٦/١، ١٧/٢، همع الموامع ٢٠٢/٤، العنوان ٦١).

قال أبو الفتح: في هذه القراءة إغراب، وليست لَمَّا هاهنا بمعروفة في اللغة، وذلك أنها على أوجه:

تكون حرفاً جازماً كقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾^(١)، وتكون ظرفاً في نحو قوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينٍ﴾^(٢).

وتكون بمعنى إلا في نحو قولهم: أقسمت عليك لَمَّا فعلت، أى إلا فعلت. ولا وجه لواحدة منهن في هذه الآية.

وأقرب ما فيه أن يكون أراد: وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لَمِنَ ما آتيناكم وهو يريد القراءة العامة: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾^(٣)، فزاد من على مذهب أبى الحسن في الواجب، فصارت «لَمِمَّا»، فلما التقت ثلاث ميمات فتقلن - حُذفت الأولى منهن، فبقى «لَمَّا» مشدداً كما ترى. ولو فُكَّت لصارت لَمَّا، غير أن النون أدغمت في الميم كما يجب في ذلك فصارت «لَمَّا». هذا أوجه ما فيها إن صحت الرواية بها.

وأما «آتيناكم» بالجمع فطريقه أنه لما ورد مع لفظ الجماعة من النبيين جاء أيضاً مجموعاً تعالياً في اللفظ، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾^(٥)، ولو كانت وضربت لكم الأمثال لم تبلغ في سمو اللفظ وتعاليه في قوله: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ﴾، فتفهم معناه.

* * *

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿١٥﴾

ومن ذلك قراءة أبان بن تغلب: «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ»^(٦). بإدغام اللام في الصاد، وكذلك: «قل سيروا».

(١) سورة آل عمران الآية (١٤٢).

(٢) سورة القصص الآية (٢٢).

(٣) سورة آل عمران الآية (٨١).

(٤) سورة الإنسان الآية (٢٨).

(٥) سورة إبراهيم الآية (٤٥).

(٦) انظر: (البحر المحيط ٥/٣، إعراب القرآن للعكبري ٨٤/١).

قال أبو الفتح: علة جواز ذلك فُشو هذين الحرفين، أعنى الصاد والسين فى الفم وانتشار الصدى المنبث عنهما، فقاربنا بذلك مخرج اللام فجاز إدغامها فيهما، وكذلك هى أيضا مع الزاى ومع الطاء، والذال والتاء: قرئ: «فَهَلْ تُرَى لَهُم^(١)» ومع الظاء والتاء والذال: قرئ. «هل تُؤَبِّ الكفار^(٢)» فأما اللام التى للتعريف فتدغم فى ثلاثة عشر حرفًا، وذلك معروف فى موضعه، فلا وجه لإعادته.

* * *

يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٦٤﴾
يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿١٦٥﴾

ومن ذلك ما رواه مبارك عن الحسن أنه كان يقرأ: «ثَلَاثَةُ أَلْفٍ^(٣)»، و«بِخَمْسَةِ أَلْفٍ^(٤)»، وَقَفَّ ولا يُجْرَى واحدًا منهما.

قال أبو الفتح: وجهه فى العرية ضعيف؛ وذلك أن ثلاثة وخمسة مضافان إلى ما بعدهما، والإضافة تقتضى وصل المضاف بالمضاف إليه؛ لأن الثانى تمام الأول، وهو معه فى أكثر الأحوال كالأجزاء الواحد. وإذا وصلت هذه العلامة للتأنيث فهى تاء لا محالة، وذلك أن أصلها التاء، وإنما يبدل منها فى الوقف الهاء، وإذا كان كذلك - وهو كذلك - فلا وجه للهاء؛ لأنها من أمارات الوقف، والموضع على ما ذكرنا متقاض للوصل، غير أنه قد جاء عنهم نحو هذا، حكى الفراء أنهم يقولون: أَكَلْتُ لَحْمًا شاة يريدون لَحْمَ شاة، فيمطلون الفتحة فينشئون عنها ألفا، كما يقولون فى الوقف: قال، يريدون: قال، ثم يَمُطِّلُونَ الفتحة فتنشأ عنها الألف، وهذا المطل لا يكون مع الإسراع والاستحاث، إنما يكون مع الروية والتثبت، وأنشد أبو زيد:

مَحْضٌ نِجَارَى طَيِّبٌ عُنْصُرَى^(٥)

يزيد عُنْصُرَى بتخفيف الرائ، غير أنه ثقلها كما يفعل فى الوقف، نحو خالد وجعفر.

(١) سورة الحاقة الآية (٨)، وهى قراءة أبى عمرو بن العلاء، وهشام فى المشهور عنه، وحمزة، والكسائى.

(٢) سورة المطففين الآية (٣٦)، وهى قراءة هشام فى المشهور عنه، وحمزة، والكسائى.

(٣) انظر: (البحر المحيط ٣، ٥٠)، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٧.

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣/٥٠).

(٥) رواه فى الخصائص ٣/٢١٤: «غض نجارى طيب عنصري».

وإذا جاز أن يُنوى الوقف دون المضمّر المجرور، وهو على غاية الحاجة - للطفه عن الانفصال - إلى ما قبله جاز أيضًا أن يعترض هذا التلوم والتمكث دون المظهر المضاف إليه، أعنى قوله: «آلاف»، بل إذا جاز أن يعترض هذا الفتور والتمادى بين أثناء الحروف من المثال الواحد نحو قوله:

أقول إذ خَرَّتْ على الكلْكالِ يا ناقًا ما جُلَّتْ من مجالِ
وقوله فيما أنشدناه^(١):

ينباع من ذفرى غضوب جسرة^(٢)

يريد ينبع، وقوله، أنشدناه^(٣):

وأنت من الغوائل حين تُرمى ومن ذم الرجال بُمُتَزَّاح^(٤)

(١) من معلقة عنتر بن شداد الشهيرة التى مطلعها:

هل غادر الشعراء من مَرْدَمٍ أم هل عسفت الدار بعد توهم
وعجزه: «زيافة مثل الفنيق المكدم».

(٢) قال أكثر أهل اللغة: ينباع معناه، يَنْبَعُ على مثال يَفْعَلُ، من نَبَعَ الماء ينبع فزاد الألف على الإتياع

لفتحة الباء، لأنهم ربما وصلوا الفتحة بالألف، والضمّة بالواو، والكسرة بالياء، قال الرازي:

لا عهد لي بنيضال أصبحت كالشمن البسال
أراد: بنضال، من المناضلة، وقال الآخر:

كأنى بفتحاء الجناحين لقوة على عَجَل منى أطاطى شيمالى
أراد: شيمالى.

والذفرى والذفريان: الحيدان المشرفان وراء الأذنين، وهما عن يمين النقرة وشمالها. وأول شيء يعرق من البعير الذفريان.

والغضوب والغضبي واحد، وهى المتزغمة، والجسرة: الطويلة، ويقال: رجل جسر، أى: طويل. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال ٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) فى سر صناعة الإعراب ٢٥/١: وأنشدنا أبو على لابن هرمة يرثى ابنه فذكره. وانظر البيت فى: (شعر ابن هرمة ٩٢، الخصائص ٣١٨/٢، ١٢٣/٣، المسائل الحلبيات ق ٢٤/أ، شرح شواهد الشافية ٢٥/٤).

(٤) قال الصاغانى فى العباب: وانتزح: ابتعد، وأنت: ممتزح من كذا: أى يبعد منه، قال إبراهيم بن على بن محمد بن سلمة بن عامر بن هرمة يمدح بعض القرشيين وكان قاضيا لجعفر بن سليمان ابن على:

فأنت من الغوائل حيث تُرمى ومن ذم الرجال بُمُتَزَّاح

إلا أنه أشبع فتحة الزاى فتولدت الألف، هكذا أنشده بعض أهل اللغة، وفى شعره «مُتَزَّاح» فلا ضرورة، انتهى.

يريد منتزح، مُفْتَعَل من نزح - كان التأنى والتمادى بالمد بين المضاف والمضاف إليه لأنهما في الحقيقة اسمان لا اسم واحد أمثل. ونحوه قراءة الأعرج عن ابن أبي الزناد: «بثلاثه آلاف»، بسكون الهاء. وقد ذكرناه فيما قبل، فهذا تقوية وعذر لقراءة أبي سعيد. وقد أفردناه في الخصائص^(١) باباً قائماً برأسه وذكرناه أيضاً في هذا الكتاب.

* * *

إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴿١٤﴾

ومن ذلك قراءة محمد بن السَّمِيعِ: «قَرْحٌ»^(٢)، بفتح القاف والراء.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا الأمر أن يكون فيه لغتان: قَرْحٌ، وقَرْحٌ، كالحَلْب والحلب، والطَّرْد والطَّرد، والشَّلَّ والشَّلَل. وفيه أيضاً «قَرْحٌ»^(٣) على فُعل، يقرأ بهما جميعاً.

ثم لا أبعدُ من بُعد أن تكون الحاء لكونها حرفاً حلقياً يُفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فما كان ساكناً من حروف الحلق، نحو قولهم في الصخر: الصَّخَر، والنعل: النَّعْل. ولعمري إن هذا عند أصحابنا ليس أمراً راجعاً إلى حرف الحلق، لكنها لغات؛ وأنا أرى في هذا رأى البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتدلاً معتمداً؛ فلقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيه يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم: نَحَوَه، يريد نَحَوَه. وهذا ما لا تَوَقَّف في أنه أمر راجع إلى حرف الحلق؛ لأن الكلمة بُنيت عليه البتة. ألا ترى أن لو كان هذا هكذا

= والغوائل: جمع غائلة، وهي الفساد والشر، وقال الكسائي: الغوائل: الدواهي وتُرْمى بالبناء للمفعول مسند إلى ضمير الغوائل، وكذا تنمى يقال: نمى الشيء ينمى، من باب رمى، نماء، بالفتح والمد، أى: كثر، وفي لغة ينمو نمواً، من باب قعد، ويتعدى بالهمزة والتضعيف. انظر: (شرح شواهد الشافية ٢٥/٤).

(١) انظر: (باب مطل الحركات، الخصائص ١٢٣/٣: ١٢٦).

(٢) وقراءة أبي السمال. انظر: (إعراب القرآن للعكبري ٨٨/١، البحر المحيط ٦٢/٣، الجامع لأحكام القرآن ٢١٧/٤، إعراب القرآن للنحاس ٣٦٦/١).

(٣) هي قراءة حمزة، والكسائي، وعاصم، وخلف، والأعمش، وشعبة. انظر: (السبعة ٢١٦، النشر ٢٤٢/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٧٩، العنوان ٦٢ وفيه (حيث وقع)، تهذيب اللغة «حقر»، لسان العرب «قَرَح»، الغيث ١٨٢، الكشف ٢١٨/١، مجمع البيان ٥٠٨/٢، تفسير الفخر الرازي ٥٥/٣ معاني القرآن للقراء ٢٣٤/١، البحر المحيط ٦٢/٣، التبيان ٦٠/٢، إعراب القرآن للعكبري ٨٧/١، إعراب القرآن للنحاس ٣٦٦/١، الطبري ٢٣٦/٧).

لوجب أن يقال: نحة؛ لأنه فَعَلَ مما لأمه واو، فيجرى مجرى عصاة وفتاة. نعم، وسمعت الشجرى يقول فى بعض كلامه: أَنَا مَحْمُومٌ، بفتح الحاء. وقال مرة وقد رسم له الطبيب أن يَمَصَّ التفاح ويرمى بِثُفْلِهِ فلم يفعل ذلك، فَأَنكَرَهُ الطبيب عليه، فقال: إني لأبغى مصه وَعَلَيْتِهِ تَغْدُو، يريد تَغْدُو. ولا قرابة بينى وبين البصريين، لكنها بينى وبين الحق، والحمد لله. ويكون فتح الحاء من الْقَرَح لها ما قبلها كفتحها لها عَيْنَ الفعل المضارع، نحو يَسْنَحُ ويسفح ويسمَحُ.

ويؤنس بذلك أن هذه الحروف حلقية، فصارعت بذلك الألف التى لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، وهذا قدر ما يتعلل به، إلا أن الاختيار أن تكون «الْقَرَح» لغة.

* * *

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْتَوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ»^(١).

قال أبو الفتح: وجه ذلك أنك إذا لقيت الشيء فقد لقيك هو أيضاً، فلما كان كذلك دخله معنى المفاعلة، كالمضاربة والمقاتلة. وقد جاء ذلك عينه فى هذه اللفظة عينها، قالت امرأة:

هل إلا الموت يَغْلَى غالية^(٢) مختلطاً سافله بعالية
لا بد يوماً أننى ملاقيه

فأما ما قرأته على أبى على فى نوادر أبى زيد من قوله^(٣):

فارقنا قبل أن نفارقه لما قضى من جماعنا وطرا
فظاهره إلى التناقض؛ لأننا إذا فارقنا فقد فارقناه لا محالة، فما معنى قوله بعد: قبل أن نفارقه؟ وهو عندنا على إقامة المسبب مقام السبب فى تفسيره: فارقنا قبل أن نريد فراقه، فوضع المفارقة وهى المسبب موضع الإرادة لها وهى السبب، وذلك لقرب أحدهما من صاحبه ومثله قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(٤).

(١) وقراءة الأعمش، والزهرى. انظر: (البحر المحيط ٦٧/٣، إعراب القرآن للعكبرى ٧٨/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/٤).

(٢) رواه فى الخصائص ٣٦٦/٢: «ما هو إلا الموت يغلى غالية».

(٣) الربيع بن ضبع الفزارى. انظر: (نوادر اللغة ١٥٩).

(٤) سورة النحل الآية (٩٨).

أى: إذا أردت القراءة، وهو كثير قد مر فى هذا الكتاب. وقد أفردنا له فى الخصائص (١) باباً قائماً برأسه.

* * *

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿١٤٤﴾

ومن ذلك قراءة حِطَّانَ (٢) بن عبد الله: «وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ» (٣)، وكذلك هى فى مصحف ابن مسعود.

قال أبو الفتح: هذه القراءة حسنة فى معناها؛ وذلك أنه موضع اقتصاد بالنبي ﷺ وإعلام أنه لا يلزم ذمته ممن يخالفه تبعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٤)، وقوله: ﴿أَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٥)؛ وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٦)، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ (٧).

ومعلوم أن «إنما» موضوعة للاقتصاد والتقليد، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؟ (٨) فهذا كقوله: ﴿مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٩)، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (١٠)، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِى الشُّكُورُ﴾ (١١). فلما كان موضع اقتصاد به، وفك ليد الذم عن ذمته، وكان من مضى من الأنبياء عليهم السلام فى هذا المعنى مثله - لاقَ بالحال تنكير ذكرهم بقوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ».

وذلك أن التنكير ضرب من الكف والتصغير، كما أن التعريف ضرب من الإعلام

(١) انظر: (الخصائص ٣/١٧٥: ١٧٩).

(٢) وقع فى غير المحتسب، والبحر المحيط ٣/٦٨: «قحطان بن عبد الله».

(٣) وقراءة عبد الله بن عباس. انظر: (البحر المحيط ٣/٦٨، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٢٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٦٨).

(٤) سورة العنكبوت الآية (١٨).

(٥) سورة آل عمران الآية (١٢٨).

(٦) سورة الرعد الآية (٧).

(٧) سورة يونس (٤٢).

(٨) سورة فاطر (٢٨).

(٩) سورة هود الآية (٤٠).

(١٠) سورة ص الآية (٢٤).

(١١) سورة سبأ الآية (١٣).

والتشريف. ألا ترى إلى قوله (١):

فَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِينَا مِنْ أَنْتُمْ وريحكم من أيّ ريح الأعاصير
فأين هذا من قوله (٢):

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم؟
ولهذا قال (٣):

مِنْ حَدِيثِ نَمَى إِلَى فَمَا أَط عَمُ غَمُضًا وَلَا أَلَذَّ شَرَابِي
فَنَكَّرَ الْغُمُضَ احْتِقَارًا لَهُ إِذْ كَانَ لَا يَعْرِفُهُ، وَعَرَفَ الشَّرَابَ إِذْ كَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَشْرَبَ
وإن قل. قال:

على كل حال يأكل المرء زاده من الضرّ والبأساء والحدثان

(١) زياد الأعجم. انظر: (الدرر اللوامع ١/١٣٧).

(٢) وقع في المطبوعة من ديوان الحماسة ٢/٥٣٠ أنها من قول الفرزدق في علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنهم، ويقال: إنها للحزين الليثي في بعض بني، ومطلعها:
إذا رأيته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
وأشار التيزيري في الشرح إلى القول في نسبتها إلى الفرزدق، والبيت غير مذكور في ديوانه،
وقد ورد البيت الثالث من القصيدة:

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
في ديوان الفرزدق ٢/١٧٨، ولم يرد في بعض نسخ مخطوطات ديوان الحماسة وتقررت به
وحده.

(٣) غلفاء بن الحارث، واسمه (معدى كرب) بن الحارث بن عمرو المنصور بن حجر، أكل المدار
الملك الكندي، وهو عم امرئ القيس بن حجر الشاعر. وقد اقتتل شرحبيل بن الحارث وأخوه
سلمة بن الحارث يوم الكلاب، فجعل سلمة في رأس أخيه مائة من الإبل، فقتل أبو حنش
التغلي شرحبيل، فقال غلفاء يرثيه:

إن جنبي عن الفرائش لئلا كتجاني الأسر فوق الظراب
من حديث نَمَى إلى فَمَا يَر فأدعني وما أسخِ شَرَابِي
مُرة كالزعراف أكرمها النا س علي حَمَلَة كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأر ساح من بعد لَذَّة وشباب
يا ابن أُمى ولو شهدتك الخي سل تعادى إليك عدو الذئاب
لضربتُ الكمأة حولك حتى تبسغ الرّحب أو تبز ثيابي
با ابن أُمى ولو شهدتك إذ تد عو غيمًا وأنت غير مُحَاب

انظر: (معجم الشعراء للمرزباني ٣٢٤، ٤٣٣).

ولأجل ذلك لم تندب العرب المبهم ولا النكرة لاحتقارها، وإنما تندب بأشهر أسماء المندوب؛ ليكون ذلك عذراً لها في اختلاطها وتفجعها. ويؤكدده أيضاً قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾^(١)، فجرى قوله سبحانه: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ» مجرى قولك لصاحبك: اخدم كما خدمنا غيرك من قبلك ولا تبعة عليك بعد ذلك، فهذا إذا موضع إسماع له، فلا بد إذا من إلانة ذكره. وعليه جاء قوله تعالى: ﴿أَفَبِإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾^(٢)، فأضاف سبحانه من عذرهم، وأعلم أن لا متعلق عليه بشيء من أمرهم، فلهذا حسن تنكير «رسل» ها هنا، والله أعلم.

وأما من قرأ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فوجه تعريفهم ومعناه أنكم قد عرفتم حال من قبله من الرسل في أنهم لم يطالبوا بأفعال من خالفهم، وكذلك هو ﷺ. فلما كان موضع تنبيه لهم كان الأليق به أن يومئ إلى أمر معروف عندهم.

* * *

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ

مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش، فيما رواه القطعي عن أبي زيد عن الفضل عن الأعمش: «وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا يُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ يُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ»^(٣). بالياء فيهما.

قال أبو الفتح: وجهه على إضمار الفاعل لدلالة الحال عليه، أي يؤته الله، يدل على ذلك قراءة الجماعة: ﴿نُؤْتُهُ مِنْهَا﴾^(٤)، بالنون.

وحديث إضمار الفاعل للدلالة عليه واسع فاش عنهم، منه حكاية الكتاب أنهم يقولون: إذا كان غدا فأتني، أي إذا كان ما نحن عليه من البلاء في غد فأتني، ومثله حكايته أيضاً: مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ، أي كان الكذب شراً له. وعليه قول الآخر:

(١) سورة غافر الآية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٤).

(٣) وقراءة المطوعى. انظر: (البحر المحيط ٧٠/٣، الكشف ٢٢١/١، إتحاف فضلاء البشر ١٧٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٤٥).

وَمَجُوفَاتٍ قَدْ عَلَا أَلْوَانُهَا أَسَارَ جُرْدٍ مُتْرَصَاتٍ كَالنَّوَى
أَيُّ قَدْ عَلَا التَّجْوِيفُ أَلْوَانُهَا. وقول الآخر^(١):

إِذَا نَهَى السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافٍ
وَكَمَا أَضْمَرَ الْمَصْدَرُ مَجْرُورًا أَغْنَى الْهَاءُ فِي إِلَيْهِ - يَعْنِي إِلَى السَّفِيهِ - كَذَلِكَ أَيْضًا
أَضْمَرَهُ مَرْفُوعًا بِفَعْلِهِ.

* * *

وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ ﴿١٤٦﴾

ومن ذلك قراءة ابن مُحِصِّنٍ والأشهب والأعْمَشُ: «وَكَايٍ»^(٢)، بهمزة بعد الكاف ساكنة، وياء بعدها مكسورة خفيفة، ونون بعدها، في وزن كَعْفِيٍّ.

قال أبو الفتح: فيها أربع لغات: كَايٍ، وكَاءٍ، وكَايٍ، وهي هذه القراءة، وَكَاءٍ في وزن كَعَفٍ.

ثم اعلم أن أصل ذلك كله «كَايٍ» في معنى كم كأكثر القراءة، «وَكَايٍ» مِنْ قَرِيَةٍ^(٣)، وهي أَيْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا كَافُ الْجَرِّ، فَحَدَّثَ لَهَا مِنْ بَعْدُ مَعْنَى كَمَ، وَلِهَذَا الْكَافُ الْجَارَةُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ فِي دَخْوَلِهَا فِيهَا مَعْنَى التَّشْبِيهِ، وَفِي دَخْوَلِهَا عَارِيَةٌ مِنَ التَّشْبِيهِ، نَحْوُ كَانَ زَيْدًا عَمْرُو، وَلَهُ كَذَا وَكَذَا دَرَاهِمًا، وَكَايٍ مِنْ رَجُلٍ. ثُمَّ إِنَّهَا لَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا تَلَعَّبَتْ بِهَا الْعَرَبُ كَأَشْيَاءٍ يَكْثُرُ تَصَرُّفُهَا فِيهَا لِكثَرَةِ نَطْقِهَا بِهَا، فَقَدَّمَتِ الْيَاءَ الْمَشْدُودَةَ عَلَى الْهَمْزَةِ فَصَارَتْ كَيًّا بوزن كَعَفٍ، ثُمَّ حَذَفَتِ الْيَاءَ الْمُتَحَرِّكَ تَشْبِيْهُهَا لَهَا بِسَيِّدٍ وَمَيْتٍ، فَصَارَتْ «كَيَّ» بوزن كَعَفٍ، ثُمَّ قَلَبَتِ الْيَاءَ أَلْفًا وَإِنْ كَانَتْ سَاكِنَةً، كَمَا قَلَبَتْ فِي يَيْئَسُ فَقِيلَ: يَاءَسَ، فَصَارَتْ كَاءٍ بوزن كَاعٍ.

وذهب يونس في «كَاءٍ» إلى أنه فاعل من الكون، وهذا يبعد؛ لأنه لو كان كذلك لوجب إعرابه، إذ لا مانع له من الإعراب.

وأما كَايٍ بوزن كَعَفٍ فهو مقلوب كَيٍّ الذي هو أصل كَاءٍ، وجاز قلبه لأمرين:

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ولم ينسبه (١٠٤/١) وقال: يريد إلى السفه. وانظر: (خزانة الأدب ٣٨٢/٢).

(٢) انظر: (شرح الأشموني ٨٧/٤).

(٣) سورة محمد الآية (١٣).

أحدهما: كثرة التلعب بهذه الكلمة.

والآخر: مراجعة أصل، ألا ترى أن أصل الكلمة كَأَى؟ فاهمزة إذا قبل الياء. وأما كَيَّا بوزن كَعٍ فمحذوفة من كَاءٍ، وجاز حذف الألف لكثرة الاستعمال، كما قال الراجز^(١):

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَـرْدَا
إِلَّا عَرَادًا عَرْدًا وَصَلِيَانًا بَرْدَا
وَعَنْكَتًا مُتَبَدَا

يريد: عارداً وبارداً. ألا ترى إلى قول أبي النجم:

كَأَنَّ فِي الْفُرْشِ الْعَرَادَ الْعَارِدَا^(٢)

وكما قالوا: أَمْ اللَّهُ لَقَدْ كَانَ كَذَا، يريد أما، وحذف الألف.

فإن قلت: فما مثال هذه الكلم من الفعل فَإِنَّ كَأَى مثاله كَفَعَلَ، وذلك أن الكاف زائدة، ومثالُ أَى فعل كَطَى وَزَى، مصدر طويت وزويت، وأصل أَى أَوَى، لأنها فَعَلٌ من أويت، ووجه التقائها أن «أَى» أَتَيْنَ وَقَعْتَ فَهِيَ بَعْضُ مَنْ كَلَّ، وهذا هو معنى أَوَيْتُ؛ وذلك أن معنى أويت إلى الشيء تسانددت إليه، قال أبو النجم:

يَأْوِي إِلَى مُلْطٍ لَهُ وَكُلْكَلِ

أى يتساند هذا العير إلى ملأطيه وكلكله.

ونحوه قول طفيل الغنوي^(٣):

وَأَلَّتْ إِلَى أَحْوَازِهَا وَتَقَلَّقَلَّتْ قَلَامُذْ فِي أَعْنَاقِهَا لَمْ تُقَضَّبْ

فمعنى أَلَّتْ رجعت، والآوى إلى الشيء معتصم به وراجع إليه، هذا طريق الاشتقاق. وأما القياس فكذلك أيضاً؛ وذلك أن باب أويت وطويت وشويت مما عينه واو ولامه ياء أكثر من باب حَيَّيْتُ وَعَيَّيْتُ مما عينه ولامه ياءان. ولونُسِبَتْ إلى «أَى»، لقلت: أَوَوَى، كما أنك لو نسبت إلى طَى و لَى لقلت: طَوَوَى وَلَوَوَى، وكذلك لو أضفت إلى الرى لكان قياسه رَوَوَى. وأما قولهم: رَاوَى فَشَاذٌ بِمَنْزِلَةِ كَلَابِزِي وَاصْطَخْرَزِي.

(١) ذكره في الخصائص ٣٦٦/٢، دون نسبة، وفي اللسان «عرد».

(٢) ذكره في الخصائص ٣٦٧/٢، وفيه: «كَأَنَّ فِي الْفُرْشِ الْقَتَادَ الْعَارِدَا».

(٣) انظر: (ديوانه ٨). وفيه: «وَنَمَتْ إِلَى أَحْوَازِ مَا وَتَقَلَّقَلَّتْ».

وأما «كَاء» فوزنه كَعْفٍ وأصله «كَيَّا»، ومثاله كَعْلَفٌ؛ فحذفت الياء الثانية وهي لام الفعل، كما حذفت الثانية من ميت، فبقِيَ كَيَّءٌ، ووزنه كَعْفٌ. وقَلِبُ الياء أَلْفًا لا يخرجها أن تكون كما كانت عينًا، ألا ترى أن وزن قام في الأصل فَعَلَ لأنه قَوْمٌ، ومثال قام في اللفظ فَعَلَ؟ فالألف عين كما كانت الواو التي الألف بدل منها عينًا، وأيا كان مثال «كَأَيَّ» فإنه كَفَعٌ؛ لأن الهمزة التي هي فاء عادت إلى مكانها من التقدم.

وأما «كَيَّا» بوزن كَعٍ فإنه كَفٌ، والعين واللام محذوفتان.
فإن قيل: لَمَّا حذفت الياء الثانية من «كَيَّا» هلا رددت الواو على مذهبك، لأنه قد زالت الياء التي قلبت لها العين قبلها ياء فقدَرْتَهُ كَوَّءٌ؟.

قيل: لما تَلَعَّبَ بالكلمة تنوَسى أصلها فصارت الياء كأنها أصل في الحرف، ودعانا إلى اعتماد هذا وإن لم تظهر الياء إلى اللفظ أن الألف أبدلت منها وهي ساكنة، وقَلِبُ الألف من الياء الساكنة أضعاف قلبها من الواو الساكنة. ألا تراهم قالوا: حاجيت^(١) وعاعيت^(٢) وهَاهَيْت^(٣)، وأصلها حيحيث وعيعيت وهيهيت؛ فقلبت الياء أَلْفًا.

نعم، وقلبوها مكسورًا ما قبلها أَلْفًا، فقالوا في الحيرة: حَارِي، كما قالوا في المفتوح ما قبلها: طَائِي، وقالوا: ضَرَبَ عليه سَايَة، وهي فَعْلَة من سَوَّيت، يعنى به الطريق، وأصلها سَوِيَّةٌ؛ فقلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة قبل الياء فصارت سَيَّة، ثم قلبت الياء أَلْفًا فقيل: «سَايَة»: وهو أولى من أن تكون قلبت الواو من سَوِيَّة أَلْفًا قبل القلب والإدغام. وإن أعطيت القول ثني مقوده طال وطغى وأَمَلَّ وتماذى.

ومن ذلك قراءة قتادة: «وَكَأَيَّ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْبُونٌ كَثِيرٌ»^(٤)، مشددة.
قال أبو الفتح: في هذه القراءة دلالة على أن من قرأ من السبعة قُتِلَ^(٥) أو «قَاتَلَ» معه رَيْبُونٌ^(٦).

(١) يقال: حاجيت حيحاء وحاحاة، وهو التصويت بالغنم إذا قلت: حاي. انظر: (المنصف ٧٧/٣).

(٢) عاعيت: صوت صله، وهو العيعاء والعاعة: إذا قلت: عاي. انظر: (المنصف ٧٧/٣).

(٣) هَاهَيْت: صوت مثله، وهو الهيهاء والهاهاة: إذا قلت: هاي. انظر: (المنصف ٧٧/٣).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٧٢/٣، العنوان ٦٢ مخطوط).

(٥) وقراءة ابن عباس، ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، وابن محيصن، واليزيدي. انظر:

(معاني القرآن للفراء ٢٣٧/١، السبعة ٢١٧، النشر ٢٤٢/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠، البحر

المحيط ٧٢/٣، الكشف ٣٥٩/١، معاني القرآن للأخفش ٢١٧/١، مجمع البيان ٥١٦/٢، غيث

النفع ١٨٣، همع الموامع ٣٨٩/٤).

(٦) سورة آل عمران الآية (١٤٦)، وهي قراءة باقى السبعة.

فإن ربيون مرفوع في قراءته بقتل أو قاتل، وليس مرفوعاً بالابتداء ولا بالظرف الذي هو معه، كقولك: مررت برجل يقرأ عليه سلاح. ألا ترى أنه لا يجوز كم نبي قتل بتشديد التاء، على فعل؟ فلا بد إذا أن يكون ربيون مرفوعاً بقتل، وهذا واضح. فإن قلت: فهلا جاز فعل حملاً على معنى كم؟

قيل: لو انصرف عن اللفظ إلى المعنى لم يحسن العود من بعد إلى اللفظ. وقد قال تعالى، كما تراه: ﴿معه﴾، ولم يقل: معهم، فافهم ذلك.

* * *

رَبِّيُونَ

ومن ذلك قراءة على وابن مسعود وابن عباس وعكرمة والحسن وأبي رجاء وعمرو ابن عبيد وعطاء بن السائب: «رَبِّيُونَ»^(١)، بضم الراء. وقرأ بفتحها ابن عباس فيما رواه قتادة عنه.

قال أبو الفتح: الضم في «رَبِّيُونَ» تميمية، والكسر أيضاً لغة. قال يونس: الربة: الجماعة. وكان الحسن يقول: الربيون: العلماء الصبر. قال قطرب: والجماعة أيضاً مع يونس، أي فرق وجماعات^(٢).

وكان ابن عباس يقول: الواحدة ربة، وهي عنده عشرة آلاف، وأنكرها قطرب، قال: لدخول الواو في الكلمة، وهذا لا يلزم لأنه يجوز أن يكون بنى من الربة فعلاً كبطيخ، فصار ربّي ومثله من عزوت عزّي، ثم جمع ف قيل: ربّيون. وأما ربّيون، بفتح الراء فيكون الواحد منها منسوباً إلى الرب، ويشهد لهذا قول الحسن: إنهم العلماء الصبر. وليس ننكر أيضاً أن يكون أراد ربّيون وربّيون ثم غير الأول لباء الإضافة كقولهم في أمس: إمسي.

* * *

(١) انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٨٠، إعراب القرآن للعكبر ٨٩/١، إعراب القرآن للنحاس

٣٦٩/١، الكتاب ٢٢١/١، مغنى اللبيب ١٣٣/٢).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكبر ٨٩/١، الكشف ٢٢١/١، البحر المحيط ٧٤/٣، التهذيب

١٧٩/١٥، تفسير الفخر الرازي ٦١/٣، ٦٢).

﴿فَمَا وَهَنُوا لَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]

ومن ذلك قراءة الحسن: «فما وهنوا»^(١)، بكسر الهاء.

قال أبو الفتح: فيه لغتان: وهن يهن، ووهن يوهن. وقولهم في المصدر: الوهن، بفتح الهاء يؤنس بكسر الهاء من «وهن»، فيكون كفرق قرآنا وحذر حذرا. وحدثنا أبو علي أن أبا زيد حكى فيها كسر الهاء في الماضي، وقولهم فيه: الوهن، بسكون الهاء يؤنس بفتح عين الماضي كفتّر فترا.

* * *

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴿١٥٤﴾

ومن ذلك قراءة ابن مُحيّص، ورويت عن يحيى وإبراهيم: «أمنة نعاسا»^(٢)، بسكون الميم.

قال أبو الفتح: روينا عن قطرب أنه قال: الأمنة: الأمن. والأمنة؛ بفتح الميم أشبه بمعاقبة الأمن، ونظير ذلك قولهم: الحبط والحجج والرمث، كل ذلك في أدواء الإبل. فلما أسكنوا العين جاءوا بالهاء فقالوا: مغل مغلّة وحقل حقلة، وقد أفردنا بابا في كتاب الخصائص لنحو هذا، وهو باب في ترفع الأحكام^(٣).

* * *

إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى ﴿١٥٦﴾

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى: «أو كانوا غرّا»^(٤)، خفيفة الزاى.

قال أبو الفتح: وجهه عندي أن يكون أراد غرّة، فحذف الهاء إخلادا إلى قراءة من قرأ «غرّى»، بالتشديد. ولا يُستنكر هذا؛ فإن الحرف إذا كان فيه لغتان متقاربتان فكثيرا ما تتجاذب هذه طرفا من حكم هذه.

(١) وقراءة الأعمش، وأبى السمال. انظر: (البحر المحيط ٧٤/٣، الكشف ٢٢١/١، إعراب القرآن للعكبري ٨٩/١، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٨٥/٣، إعراب القرآن للعكبري ٩٠/١، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠).

(٣) انظر: (الخصائص ١١٠/٢: ١١٥).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبري ٩٠/١، إعراب القرآن للنحاس ٣٧٣/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/٤، الكشف ٢٢٥/١، البحر المحيط ٩٣/٣، إتحاف فضلاء البشر ١٨١).

قرأت على أبي بكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى لبلال بن جرير^(١):

إذا خفتهم أو سألتهم وجدت بهم علة حاضرة
وذلك أنه يقال: سألت عن حاله وسألته على البدل، فلما ألف استماعهما تجاذبتا
لفظه فجمع بينهما فيه لتداخلهما وتزاحم حروفها. وقد حذفت تاء التأنيث في أماكن
قد ذكرناها: ناح في ناحية، ومالك في مألكة. وأنشد ابن الأعرابي للعتابي يمدح
الكسائي:

أبي الذم أخلاق الكسائي وانتحي به المجد أخلاق الأبوسوابق
يريد الأبوة جمع أب، كالعمومة جمع عم، والخنولة جمع خال. وهذا عندي أمثل من
أن يكون خرج «أبوا» على أصله من الصحة وأن يكون من باب نحو ونحو، وبهو وبهو
للصدر، ونحو ونحو للسحاب، وعلى أنه قد يمكن أن تكون الهاء مرادة في جميع ذلك،
وقد قالوا أيضاً: ابن وبنو، والقول فيهما سواء.

ووجه آخر، وهو أن يكون مخففاً من «غزى»، ونظيره قراءة على عليه السلام:
«وكذبوا بآياتنا كذابا»^(٢)، وبابه ﴿كذابا﴾^(٣)، قراءة الجماعة. وقد يجوز أن يكون
«كذابا» مصدر كذب الخفيفة، جرى على الثقيلة لدلالة الفعل على صاحبه، والقول
الأول أقوى.

* * *

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴿١٥٩﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس فيما رواه عنه عمرو: «وشاورهم في بعض الأمر»^(٤).

(١) ذكره في الخصائص ٣/١٤٨، ٢٨٣ وفيه: «إذا خفتهم أو سألتهم». وانظر: (البحر المحيط ١/٢٣٥، مجالس نعلب ١/٣٧٣، اللسان «سأل»). قال ابن منظور: حكى الفارسي أن أبا عثمان
سمع من يقول اسل، يريد: اسأل، فيحذف همزة ويلقى حركتها على ما قبلها ثم يأتي بالف
الوصل لأن هذه السين وإن كانت متحركة فهي في نية السكون، وهذا كقول بعض العرب:
الأحمر، فيخفف همزة بأن يحذفها ويلقى حركتها على اللام قبلها.

(٢) سورة النبأ الآية (٢٨)، وهي قراءة الكسائي. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٢٦٦).

(٣) سورة النبأ الآية (٢٨).

(٤) انظر: (الجامع الأحكام القرآن ٤/٢٥٠، الكشف ١/٢٢٦، البحر المحيط ٣/٩٩، إعراب القرآن
للعكبري ١/٩١).

قال أبو الفتح: في هذه القراءة دلالة على أنك إذا قلت: شربت ماءك - وإنما شربت بعضه - كنت صادقاً، وكذلك إذا قلت: أكلت طعامك، وإنما أكلت بعضه. ووجه الدلالة منه قراءة الباقي: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، والمعنى واحد في القراءتين. ونحن أيضاً نعلم أن الله سبحانه لم يأمر النبي ﷺ بقوله: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، أى فى جميعه، كشرب الماء، وتناول الغذاء. وإنما المراد به العانى من أمر الشريعة وما أرسل عليه السلام له. ومع هذا فقد قال سيويه فى باب الاستقامة والاستحالة من الكلام: فأما المستقيم الكذب فهو قولك: حملتُ الجبل، وشربتُ ماءَ البحر ونحوه. فجعله إياه كذباً يدلُّك على أن مراده هنا بقوله: ماءَ البحر - جميعه؛ لأنه لا يجوز أن يشرب جميع مائه، فأما على العرف فى ذلك على ما مضى فلا يكون كذباً.

* * *

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴿١٥٩﴾

ومن ذلك قراءة جابر بن يزيد^(٢)، وأبى نهيك وعكرمة وجعفر بن محمد. «فإذا عَزَمْتُ»^(٣)، بضم التاء.

قال أبو الفتح: تأويله عندى والله وأعلم: فإذا أَرَيْتُكَ أمراً فاعمل به وصرْ إليه. وشاهدُه قول الله تعالى: ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^(٤)، وهذا ليس من رؤية العين؛ لأنه لا مدخل له فى الأحكام، ولا من العلم؛ لأن ذلك متعدي إلى مفعولين. فإذا نقل بالهمزة وجب أن يتعدى إلى ثلاثة، والذى معنا فى هذا الفعل إنما هو مفعولان: أحدهما الكاف، والآخر الهاءُ المحذوفة العائدة على «ما»، أى بما أَرَاكَ الله. فثبت بذلك أنه من الرأى الذى هو الاعتقاد، كقولك: فلان يرى رأى الخوارج، ويرى رأى أبى حنيفة ورأى مالك، ونحو ذلك؛ فرأيتُ هذه إذا قسم ثالث ليست من رؤية العين ولا من يقين القلب.

وجاز أن ينسب سبحانه العزم إليه إذ كان بهدایتِهِ وإرشاده، فهو كقوله تعالى:

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).

(٢) فى غيره من المصادر جابر بن زيد.

(٣) انظر: (الكشاف ٢٢٦/١)، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٢ البحر المحيط ٩٩/٣، إعراب القرآن للنحاس ٣٧٥/١.

(٤) سورة النساء الآية (١٠٥).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١)، وقد جاء فيه ما هو أقوى معنى من هذا، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٢)، فخرَج اللفظ فيه نافيةً أوله ما أثبتته آخره، والغرض فيه ما قدمناه من أن الرمي لما كان بإقداره ومشيتته صار كأنه هو الفاعل له، وهو كثير، منه قول الإنسان لمن ينتسب إليه: إنما أرى بعينك وأسمع بأذنك والفعل منك، وإنما أنا آلة لك. ومن عَرَف طريق القوم في اللغة سقطت عنه مئونات التعسف والشبهة.

* * *

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴿١٧٥﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس وعكرمة وعطاء: «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ»^(٣).

قال أبو الفتح: في هذه القراءة دلالة على إرادة المفعول في يخوف وحذفه في قراءة أكثر الناس: «يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ». وليس هذا كقولنا: فلان يُخَوِّفُ غلامه ويخوف جاريتَه من ضربه إياهما وإساءته إليهما، فالمحذوف هنا هو المفعول الثاني وهو في الآية المفعول الأول على ما قدمنا.

* * *

وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴿١٧٦﴾

ومن ذلك قراءة الحر النحوى: «يُسْرِعُونَ»، في كل القرآن.

قال أبو الفتح: معنى «يسارعون»^(٤)، في قراءة العامة: أى يسابقون غيرهم، فهو أسرع لهم وأظهر خُفوفاً بهم، وأما يسرعون فأضعف معنى في السرعة من يسارعون؛ لأن مَنْ سابق غيره أحرص على التقدم ممّن أثر الخفوف وحده. وأما سُرْع فعادة ونخيزة، أى صار سريعاً في نفسه.

وفعل من لفظ فاعلت ضربان: متعد، وغير متعد. فالمتعدى كضربت زيداً وضاربته،

(١) سورة آل عمران الآية (١٢٨).

(٢) سورة الأنفال الآية (١٧).

(٣) وقراءة عبد الله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ٣/١٢٠، الكشاف ١/٢٣١).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٧٦).

وغير المتعدى كقمت وقاومت زيدًا. وأما أسرع وسرّع جميعًا فغير متعددين، لكن سرّع غريزة، وأسرع كلّف نفسه السرعة، لكن سارع متعد.

* * *

إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ ﴿١٨٣﴾

ومن ذلك ما رواه رَوَّح عن أحمد عن عيسى أنه كان يقرأ: «بِقُرْبَانٍ»^(١)، بضم الراء.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون أصله «قُرْبَان» ساكنة الراء والضمة فيها إتياع؛ لتعذر فُعْلَان في الكلام. وحكى صاحب الكتاب منه السُّلْطَان، وذهب إلى أن ضمة اللام إتياع كضمة الراء من القَرْفُضَاء، وإنما هي القَرْفُضَاء بسكون الراء. ومثله من الإتياع ما حكاه من قولهم: مُتَنِّ بضم التاء، وهو مُنَحْدَر من الجبل، أى منحدر. وحكى أيضًا: أَجْوُوكَ وَأَنْبُوكَ. فأما العَرْقُضَان والعَرْتَن فليس إتياعًا، لكنه يراد به العَرْقُضَان بالياء والعَرْقُضَان يقال أيضًا، فحذفت الياء والنون، وكذلك العَرْتَن إنما هو العَرْتَن، فحذفت النون. وكذلك العَبْقُر أصله العَبْقُر، فحذفت الياء، فهذا طريق حذف وليس طريق إتياع.

* * *

(١) انظر: (الكشاف ٢٣٤/١، إعراب القرآن للنحاس ٣٨٣/١، البحر المحيط ١٣٢/٣).

سورة النساء

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ

من ذلك قراءة أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد^(١): «الذى تساءلون به والأرحام»^(٢)، رفعاً، قراءةً ثالثة.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون رفعه على الابتداء وخيره محذوف، أى: والأرحام مما يجب أن تتقوه وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه، وحسن رفعه لأنه أوكد فى معناه. ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت زيدا فزيد فضلة على الجملة، وإنما ذكر فيها مرة واحدة؟. وإذا قلت: زيد ضربته فزيد ربّ الجملة، فلا يمكن حذفه كما حذف المفعول على أنه نيف وفضلة بعد استقلال الجملة، نعم ولزيد فيها ذكران.

أحدهما: اسمه الظاهر، والآخر: ضميره وهو الهاء. ولما كانت الأرحام فيما يُعنى به ويُقوى الأمر فى مراعاته - جاءت بلفظ المبتدأ الذى هو أقوى من المفعول.

وإذا نصبت الأرحام أو جرّت فهى فضلة، والفضلة متعوضة للحذف والبذلة.

فإن قلت: فقد حذف خبر الأرحام أيضاً على قولك، قيل: أجل، ولكنه لم يحذف إلا بعد العلم به، ولو قد حُذفت الأرحام منصوبة أو مجرورة فقلت: «واتقوا الله الذى تساءلون به» لم يكن فى الكلام دليل على الأرحام أنها مرادة أو مقدرة، وكلما قويت الدلالة على المحذوف كان حذفه أسوغ، ونحو من رفع الأرحام هنا بعد النصب والجر قول الفرزدق:

يأبها المشتكى عُكْلاً وما جَرَمْتُ إلى القبائل من قتل وإِيسَاسٍ
إِنا كذلك إذ كانت هَمَرَجَةٌ نَسْبِي ونَقْتُلُ حتى يُسَلِّمَ الناسُ

(١) عبد الله بن زيد أبو عبد الرحمن القرشى المقرئ القصير البصرى ثم المكى، إمام كبير فى الحديث، ومشهور فى القراءات، لقن القرآن سبعين سنة، ثقة، توفى سنة ٢١٣هـ. انظر: (طبقات القراء ٤/١/٤٦٤).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/١٥٧، الجامع لأحكام القرآن ٥/٥، الكشاف ١/٢٤١، مجمع البيان ١/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٦).

أى من قتل وإياساً كذلك، فَقَوَّى لَفْظَهُ بالرفع لأنه أذهب فى شكواه إياه،
وعليه أيضاً قوله: (١)

إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفًا (٢)

فيمين قال: أراد أو مجلف كذا.

ومن حملة على المعنى فرفعه وقال: إذا لم يدع إلا مسحتا فقد بقى المسحت وبقى
أيضاً المجلف - سلك فيه غير الأول.

* * *

أَلَا تَقْسِطُوا (٣)

ومن ذلك ما رواه المفضل عن الأعمش عن يحيى وإبراهيم وأصحابه: «أَلَا
تَقْسِطُوا» (٣)، بفتح التاء.

قال ابن مجاهد: ولا أصل له.

قال أبو الفتح: هذا الذى أنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكراً؛ وذلك على زيادة
«لا»، حتى كأنه قال: إن خفت أن تقسطوا فى اليتامى، أى تجوروا. يقال: قسط: إذا
جار، وأقسط: إذا عدل. قال الله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ
حَطَبًا﴾ (٤). وزيادة «لا» قد شاعت عنهم واتسعت، منه قوله تعالى: ﴿لَسَاءَ يَعْلَمَ أَهْلُ
الْكِتَابِ﴾ (٥)، وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) فيمن ذهب إلى

(١) هو للفرزدق من قصيدته التى مطلعها:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

انظر: (ديوانه ٢٣).

(٢) ورد فى الديوان ٢٦: «من المال إلا مسحتاً أو مجرفاً». وصدده: «وعض زمان يا ابن مروان لم
يدع».

المسحت: الذى دخله الغش والحرام. المجرف: المستأصل. نصب مسحتا بيدع، ورفع المجرف على
استئناف الكلام.

(٣) انظر: (البحر المحيط ١٦٢/٣، الجامع لأحكام القرآن ١٢/٥، الكشف ٢٤٤/١، إعراب القرآن
للعكبري ٩٧/١).

(٤) سورة الجن الآية (١٥).

(٥) سورة الحديد الآية (٢٩).

(٦) سورة الأنعام الآية (١٠٩).

زيادة «لا»، وقال: معناه: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون. وعليه قول الراجز^(١):

وما ألوم البيضَ ألاَّ تسخرَ إذا رأيَسن الشَّمَطَ القَفَنَدَرا
أى أن تسخر، والأمر فيه أوسع، فهذا يعلم صحة هذه القراءة.

* * *

وَرُبَّعٌ

ومن ذلك ما رواه الأعمش عن يحيى بن وثاب، والمغيرة عن إبراهيم قراءتهما «وَرُبَّعٌ»^(٢)، مرتفعة الراء؛ منتصبه العين بغير ألف.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون محذوفاً من «رُبَّاعٍ» تخفيفاً، كما روينا عن قطرب^(٣):

ألا لا بارك الله فى سُهَيْلٍ إذا ما الله بارك فى الرجال
فحذف ألف «الله»، وقال الآخر^(٤):

مثل النقا لبَّده ضربُ الطَّلَلِ^(٥)

يريد الطلال جمع طَلٍّ، كما قال القحيف العُقَيْلى:

ديارُ الحى تضربها الطَّلَالُ بها أهل من الخافى ومال^(٦)
ويقوى أنه أراد «رُبَّاعٍ» ثم حذف الألف تركُّ صرفه كما كان قبل الحذف غير مصروف.

وأما رُبَّعٌ فلا نعلم إلا ولد الناقة فى أيام الربيع، وذلك مصروف فى المعرفة والنكرة، وهذا واضح.

(١) نسبه فى الخصائص ٢/٢٨٥ لأبى النجم. وانظر: (مجالس ثعلب ١٩٨).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/١٦٣، الكشف ١/٢٤٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٧، لسان العرب «ربع»).

(٣) ذكره فى الخصائص ٣/١٣٦ دون نسبة، وكذلك فى اللسان «أله». انظر: (خزانة الأدب ٤/٣٤١).

(٤) ذكره فى الخصائص ٣/١٣٦ دون نسبة.

(٥) الطلل أصله الطلال، وهو جمع الطل، وهو المطر القليل الدائم، ويرويه بعضهم بفتح الطاء وأصله الطلل، فك التضعيف. انظر: اللسان «طلل».

(٦) انظر: (طبقات الشعراء ٢٢٥).

ومما حذفت ألفه تخفيفاً أيضاً قولهم: أَمْ وَاللَّهِ لَأَفْعَلْنَ كَذَا، يريد أَمَا.

وكذلك قراءة من قرأ: «هَأَنْتُمْ»^(١)، في وزن أَعْنَتُمْ، الألف محذوفة من «ها». وأما قول الآخر:

وَأَتَى صَوَاحِبُهَا فَقُلْنَ هَذَا الَّذِي مَنَحَ الْمَوَدَّةَ غَيْرِنَا وَقُلْنَا
فإنه لا يريد هذا الذي، بل يريد أذا الذي، ثم أبدل همزة الاستفهام هاء، كقولهم:
هَرَقْتُ فِي أَرَقْتُ، وهرحت الدابة في أرحتها، وهردت ذلك في أردت، وهين فعلت
في إن فعلت. وقد يجوز مع هذا أن يكون أراد هذا الذي مخبراً، ثم حذف الألف على
ما مضى.

* * *

قِيَمًا

ومن ذلك ما ذكره ابن مجاهد في «قيماً»^(٢) و«قيماً»^(٣) - وهما في السبعة -
قَوَامًا^(٤)، وقيل: «قَوَامًا». واللغة بكسر القاف. قرأ «قَوَامًا»، بالواو وفتح القاف ابن
عمر^(٥). انتهى كلام ابن مجاهد ولم يذكر «قَوَامًا» عن أحد، لكنه أثبتته.

قال أبو الفتح: يقال هذا قَوَامٌ الأمر أى ملاكه، ويقال: قاومه قَوَامًا كقولك: عاودته
عواذاً كما قال^(٦):

(١) سورة آل عمران الآية (٦٦).

(٢) قراءة الجمهور فيما عدا نافع وابن عامر.

(٣) قراءة نافع، وابن عامر، وابن عباس. انظر: (البحر المحيط ١٧/٣، الطبري ٥٦٩/٧، القرطبي ٣١/٥، معاني القرآن للقراء ٢٥٦/١، النشر ٢٤٧/٢، الكشف ٣٧٦/١، الإتحاف ١٨٦، العكبري ٩٧/١ التيسير ٩٤، الغيث ١٨٨، النحاس ٣٩٦/١، العنوان ٦٥، تهذيب اللغة «ق م و»، لسان العرب «قوم» الحجة المنسوب لابن خالويه ١٩ شرح التصريح ٣٧٨/٢).

(٤) قراءة عبد الله بن عمر. انظر: (البحر المحيط ١٧٠/٣، الكشف ٢٤٧/١، النحاس ٣٩٦/١، العكبري ٩٧/١).

(٥) قراءة أبي عمرو، والحسن، وعيسى بن عمر. انظر: (البحر المحيط ١٧٠/٣، إعراب القرآن للعكبري ٩٨/١، الرازي ١٤٣/٣).

(٦) ذكره في الخصائص ٣١١/٢، ٢٣/٣ دون نسبة، وهو لشقيق بن جزء في فرحة الأديب. وانظر: الاقتضاب «آخره». وصدّره: «مالم تشكروا المعروف عندي».

وإن شتتم تعاودنا عوادًا

وأما «القوام» فمصدر جارية حسنة القوام، فهو كالشطاط، فقد يجوز مع هذا أن يراد بيقوام ما أراده من قرأ «قيامًا» فيخرجه على الصحة، كما قال العجاج^(١):

يَخْلِطُنَ بِالتَّائُسِ النَّوَارَا زَهْوِكَ بِالصَّرِيعةِ الصَّوَارَا
وقياسه النّيار لأنه مصدر فعل معتل العين، وهو نارينور: أى نفر. قال^(٢):

أَنُورًا سَرَعَ مَآذَا يَا فَرُوقُ وَحِبْلُ الوَصْلِ مَتَكِثُ حَديقُ
وقد ذكرت هذا الموضع فى كتابى المنصف^(٣).

* * *

يُورَثُ كَلَالَةً ۝ ١٧

ومن ذلك قراءة الحسن: «يُورَثُ كَلَالَةً»^(٤)، ويُورَثُ أيضًا كالمقروء به فى السبعة.

وقرأ عيسى بن عمر الثقفى: «يُورَثُ كَلَالَةً»^(٥).

قال أبو الفتح: يُورَثُ وَيُورَثُ كلاهما منقول من ورث، فهذا من أورث، وهذا من ورث. فورث وأورثته كوغر صدره وأوغرته، وورث وورثته كورم وورمته. قال الأعشى^(٦):

(١) انظر: (ديوانه ١٢٢).

(٢) من قول مالك بن زغبة الباهلى يخاطب امرأته. انظر: لسان العرب «نور».

(٣) انظر: (المنصف فى شرح تصريف المازنى ٣٠٣/٢).

(٤) وقراءة أيوب. انظر: (إعراب القرآن للعكرى ٩٩/١، البحر الحيط ١٨٩/٣، الطبرى ٥٣/٨،

تفسير الفخر الرازى ١٦٢/٣، معانى القرآن للأخفش ٢٣٢/١، جمع البيان ١٦/٢، البحر

الحيط ١٨٩/٣، الجامع لأحكام القرآن ٧٧/٥، الكشف ٢٥٤/١).

(٥) وقراءة أبى رجاء العطاردى، والحسن، والأعشى، والمطوعى. انظر: (إعراب القرآن للعكرى

٩٩/١، البحر الحيط ١٨٩/٣، تفسير الفخر الرازى ١٢٦/٣، جمع البيان ١٦/٢، الكشف

٢٥٤/١، الجامع لأحكام القرآن ٧٧/٥، إتحاف فضلاء البشر ١٨٧).

(٦) من قصيدة (من الطويل) فى مدح هودة بن على الحنفى، مطلعها:

أَتَشْفِيكَ «تَبَا» أَمْ تُرَكِّتُ بِدَاتِكَ وَكَانَتْ قَتُولًا لِلرَّجَالِ كَذَلِكَ

انظر: (ديوانه ١٩٨).

مورثة مالا وفي الحمد رفعة^(١) لِمَا ضاع فيها من قروء نِسَائِكَا^(٢)
 وفي كلتا القراءتين هناك المفعولان محذوفان، كأنه قال يورث وارثه ماله أو يورث
 وارثه ماله. وقد جاء حذف المفعولين جميعاً، قال الكمي:
 بأيّ كتاب أم بأية سنة ترى حُبهم عارا علىّ وتحسب
 فلم يُعدّ تحسب. و«كلالة» على نصبها في جميع القراءات.
 * * *

غَيْرُ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ ﴿١٣﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «غَيْرُ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ»، مضاف. قال أبو الفتح^(٣): أى غَيْرُ
 مضار من جهة الوصية، أو عند الوصية، كما قال طرفة^(٤):
 بَضَّةُ المتجرّد^(٥)
 أى بضة عند تجردها، وهو كقولك: فلان شجاعُ حربٍ وكريمُ مسألةٍ، أى: شجاع
 عند الحرب وكريم عند المسألة، وعليه قولهم مِذْرُه حرب أى: مِذْرُه عند الحرب، فهو
 راجع إلى معنى قولهم:
 يا سارقَ الليلةِ أهلِ الدار^(٦)
 * * *

(١) فى الديوان: «مورثة مالا وفى الحمد رفعة».

(٢) القروء: مفردا القراء: مدة حيض النساء وطهورهن.

(٣) انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٨٧، القرطبي ٨١/٥، الكشف ٢٥٥/١، إعراب القرآن للعكبرى
 ٩٩/١، البحر المحيط ١٩١/٣).

(٤) من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

خولة أطلال بيرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد
 انظر: (ديوانه ١٩ وما بعدها).
 (٥) البيت بتمامه:

رحيب قطاب الجيب منها رقيقة بحس الندامى بَضَّةُ المتجرّد
 والمتجرّد: حيث تجرد أى تعرى.

يقول: هذه القينة واسعة الجيب لإدخال الندامى أيديهم فى جيبها للمسها، ثم قال: هى رقيقة
 على جس الندامى إياها. وما يعرى من جسدها ناعم للحق رقيق الجلد صافى اللون. انظر:
 (هامش الديوان ٣٠).

(٦) انظر: (الكتاب ١٧٥/١، خزنة الأدب ٤٨٥/١، الأمالى لابن الشجرى ٢٥٠/٢).

بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴿١١﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس: «فاحشةٌ مُبَيَّنَةٌ»^(١)، مكسورة الباء ساكنة الياء، وقال: بيّنة.

قال أبو الفتح: يقال بان الشيء وأبنته، وأبان وأبنته، واستبان واستبينته، وتبين وتبينته. ومن أبيات الكتاب^(٢):

سَلِّ الهموم بكل معطى رأسه ناج مخالطِ صُهبة مُتَعَيِّسِ
مُتَغَالٍ أَحْبَلِهِ مُبَيِّنِ عُنُقِهِ فى مَنْكِبِ زَيْنِ المَطِيِّ عَرْنَدِسِ^(٣)
وَقَرَأْتُ على أبى على فى نوادر أبى زيد:

يَبِينُهُم ذُو اللَّبِّ حَتَّى تَرَاهُمْ بِسِيَمَاهُمْ بَيضًا لِحَاهُمْ وَأَصْلَعًا^(٤)
وَمِنْ كَلَامِهِمْ: قَدْ بَيَّنَّ الصَّبْحُ لَذَى عَيْنَيْنِ، وقال^(٥):

تَبِينْ لِي أَنْ القَمَاءَةَ ذَلَّةً وَأَنْ أَشَدَّاءَ الرِّجَالِ طِيَالُهَا^(٦)

(١) انظر: (القرطبي ٩٦/٥، مجمع البيان ٢٣/٢).

(٢) نُسبه فى الكتاب (٨٥/١) للمرار الأسدى. قال الشنتمرى: وبعده فى بعض نسخ الكتاب، فذكر البيت الثانى.

(٣) معطى رأسه: ذلول، منقاد: يعنى البعير، ناج: سريع، والنجاء: السرعة، والصبهة: بياض يضرب إلى الحمرة، وذلك نجار الكرم والعنق، المتعيس والأعيس: الأبيض تخالطه شقره.

(٤) هو للأسود بن يعفر. انظر: (النوادر ١٦٢).

(٥) قال ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل: البيت من قصيدة لأنيف بن زيان النبهانى من طيء وهو شاعر إسلامى، ومطلعها:

تَذَكَّرْتُ حُبِّى وَاعْتَرَاكَ خَيَالُهَا وَهِيَّاتُ حُبِّى لَيْسَ يُرْجَى وَصَالُهَا
وَقَدْ أَوْرَدَ أَبُو نِجْمٍ مِنْهَا بَيَّتَيْنِ فِى أَوَائِلِ الْحِمَاسَةِ، وهما:

فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا
دَعَا لِنَزَارِ وَاتَّمِنَا لَطِىءٍ كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنَزَالُهَا
انظر: (شرح فى شواهد الشافية ٣٨٧/٤).

(٦) ورد فى شرح شواهد الشافية ٣٨٥/٤: «وَأَنْ أَغْزَاءَ الرِّجَالِ طِيَالُهَا».

قال: على أن (طيالها) شاذ قياساً واستعمالاً، والقياس طواها، وهو الكثير المستعمل وقوله (لصحتها فى المفرد)، ليس كذلك، بل لتحركها فيه، ولو كانت ساكنة لأعلت، ولو كانت صحة العين فى المفرد سبباً لصحتها فى الجمع لما أعل نحو حياض وثياب وسياط.

وَأَنشَدْنَا أَبُو عَلِيٍّ:

فلما تبينَ غِبُّ أُمْرِي وأَمْرِهِ وولَّتْ بأعجاز الأمور صدور^(١)
وهو كثير.

* * *

وَمَا آتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴿٢٠﴾

ومن ذلك قراءة ابن مُحَيِّصِينَ: «وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا»^(٢)، وصل ألف إحداهن.

قال أبو الفتح: قد تقدم نحو هذا فيمن قرأ: «فلا اثمَ عليه»، يريد: فلا إثمَ عليه بشواهد، وهذا حذف صريح، واعتباط مريح، نحو قوله:

وتسمع من تحت العجاج لها ازمل^(٣)

وقد مضى.

* * *

الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴿٢١﴾

ومن ذلك قراءة ابن هُرْمُز: «الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ»، بلفظ الواحد.

قال أبو الفتح: ينبغي أن تكون التي هنا جنسا فيعود الضمير عليه على معناه دون لفظه^(٤).

كما قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٥)، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ

= والقماء - بفتح القاف والمد: مصدر قَمَوَ الرجل - بضم الميم مهموز اللام - أى: صار قميئا، على وزن فعيل، وهو الصغير الذليل، ويقال: قَمَاءٌ أيضاً، بدون الهاء على وزن فَعَالٍ وَفَعَالَةٌ، كذا في الصحاح في نسخة صحيحة، ولم يورد ابن ولاد في المقصور والممدود إلا فَعَالَةٌ، قال: (والقماء: الذل والمهانة)، يقال: قَمَوُ فهو قَمِيءٌ بين القماءة. انتهى.

(١) هو لنهشل بن حرى كما في لسان العرب «غب».

(٢) انظر: (البحر المحيط ٢٠٦/٣، الكشف ٢٥٩/١ إتخاف فضلاء البشر ١٨٨).

(٣) صدره: تضب لثات الخيل في حركاتها. والأزمل: الصوت. انظر: (الخصائص ١٥٣/٣).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٢١١/٣).

(٥) سورة الزمر الآية (٢٣).

هم المتقون»، فهذا على مذهب الجنسية، كقولك: الرجل أفضل من المرأة، وهو أمثل من أن يُعتقد فيه حذف النون من «الذي» كما حذفت من «اللذا» في قوله^(١):

إِنَّ عَمَى اللّٰذَا^(٢)

ألا ترى أن قوله: «التي أرضعنكم» لا يجوز أن يُعتقد فيه حذف النون؛ لأنه لا يقال: اللتين، والقول الآخر وجه، إلا أن هذا أقوى لهذه القراءة، وعليه قول الأشهب بن رُميلة^(٣):

وإنَّ الذي حانتْ بفلج دماؤهم هم القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالد^(٤)
يحتمل المذهبين حذف النون من الذين، واعتقاد مذهب الجنسية على ما مضى.

* * *

كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ^(٥)

ومن ذلك قراءة محمد بن السميع: «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(٥)، مفتوحة الكاف، وليس بعد التاء ألف، والباء نصب.

قال أبو الفتح: في هذه القراءة دليل على أن قوله: «عليكم» من قوله: «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(٦)، في قراءة الجماعة مُعلَّقة بنفس كتاب، كما تعلَّقت في «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» بنفس كتب، وأنه ليس «عليكم» «من كتاب الله عليكم» اسماً سمي به الفعل،

(١) من قول الأخطل. انظر: (ديوانه ٤٤).

(٢) البيت بتمامه:

أبنى كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا

(٣) انظر: (الكتاب ١٨٧/١، خزنة الأدب ٥٠٧/٢، شواهد المغنى للسيوطي ١٧٥، أمالي ابن الشجري ٣٠٧/٢).

(٤) فلج: راد بين البصرة وحى ضرية، حانت دماؤهم: لم يؤخذ لحم بدية ولا قصاص. هم القوم كل القوم، أي: القوم الكاملون في قوميتهم.

وشاهده: حذف النون من (الذين) استخفافاً لطول الاسم بالصلة ويروى «وإن الألى»، فلا شاهد فيه، وقيل: إن (الذي) مفرد غير به عن الجمع، فعاد الضمير إليه محمولاً على المعنى.

(٥) وقراءة أبي حيو. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/٥، الكشف ٢٦٢/١، البحر المحييط ٣١٤/٣).

(٦) سورة النساء الآية (٢٤).

كقولهم: عليك زيداً إذا أردت خذ زيداً؛ وذلك أن عليك ودونك وعندك إذا جُعِلن أسماء للفعل لسن منصوبات المواضع، ولا هن متعلقات بالفعل مُظْهِراً ولا مُضْمِراً، ولا الفتحة في نحو دُونَكَ زيدا فتحة إعراب كفتحة الظرف في نحو قولك: جلست دونك، بل هي فتحة بناء؛ لأن الاسم الذى هو عندك زيداً بمنزلة صه ومه لا إعراب فيه، كما لا إعراب فى صه ومه وحيَّهْل، غير أنه بُنى على الحركة التى كانت له فى حال الظرفية، كما أن فتحة لام رجل من قولك: لا رجل فى الدار، وهى الحركة التى تحدثها «لا» إعراباً فى المضاف والمطول، نحو لا غلام رجل عندك ولا خيراً منك فيها، وكذلك قول الله تعالى: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾^(١)، الفتحة فى نون مكانكم فتحة بناء؛ لأنه اسم لقولك: اثبتوا، وليست كفتحة النون من قولك: الزموا مكانكم، هذه إعراب، وتلك فى الآية بناء. وهذا موضع فيه لطف ففهمه.

ولما دخل شيخنا أبو على رحمه الله الموصل سنة إحدى وأربعين - قال لنا: لو عرفت فى هذا البلد من يعرف الكلام على قولك: دونك زيداً - لَغَدَوْتُ إلى بابه ورُحْتُ. وكذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ و﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، «عليكم» فى الموضوعين جميعاً منصوبة الموضع بنفس كُتِبَ وكتاب، ولو قلت: عليكم كتاب الله لما كان لقولك عليكم موضع من الإعراب أصلاً، ولا كانت متعلقة بشيء ظاهر ولا محذوف ولا مضمر على ما تقدم، فاعرفه.

* * *

فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ﴿٣٠﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم والأعمش وحميد: «فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا»^(٢)، بفتح النون، وسكون الصاد.

قال أبو الفتح: يروى فى الحديث أنه أُتِيَ بِشَاةٍ مَصْلِيَّةٍ، أى مشوية. يقال: صلاه يصليه: إذا شواه، ويكون منقولاً من صَلَّى نَارًا وَصَلَّيْتُهُ نَارًا، كقولك: كَسَى ثوباً وَكَسَوْتُهُ ثوباً. ومثله - إلا أنه قبل النقل غير متعد - شَتَرَ وَشَتَرْتُهُ، وغارت عينه وَغَرَّتْهَا.

(١) سورة يونس الآية (٢٨).

(٢) وقراءة المطوعى. انظر: (الكشاف ١/ ٢٦٤، معاني القرآن للفراء ١/ ٢٦٣، البحر المحيط ٢٣٣/ ٣).

وعليه قوله (١):

وصاليات كَمَا يُؤْتِفِنُ (٢)

فهذا من صلي.

فأما قراءة العامة: ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾ (٣)، بضم النون فهو منقول من صلي أيضاً، إلا أنه نُقِلَ بالهمزة لا بالثال، كقولك: طَعِمَ خبزًا وأطعمته خبزًا، وعِلِمَ الخير وأعلمته إياه، أي: عرف وعرفته.

والصَّلَى: النار منه، وهو من الباء، لقولهم: صَلَّيْتُهُ نَارًا.

وليست الصلاة من الباء لقولهم في جمعها: صلوات. قال لنا أبو علي سنة سبع وأربعين: الصلاة من الصَّلَوَيْنِ، قال: وذلك لأن أول ما يشاهد من أحوال الصلاة إنما هو تحريك الصَّلَوَيْنِ للركوع، فأما القيام فلا يخص الصلاة دون غيرها، وهو حسن.

* * *

فَالصَّلِيحَةُ قَتِنَتْ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءة طلحة: «فالصَّوَالِحُ قَوَانَتْ حَوَافِظُ لِلْغَيْبِ» (٤).

قال أبو الفتح: التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك أنه إنما يراد هنا معنى الكثرة، لا صالحات من الثلاث إلى العشر، ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلة. بمعنى الكثرة والألف والتاء موضوعتان للقلة، فهما على حد الثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كان على حد الزيدان. هذا موجب اللغة على أوضاعها، غير أنه قد جاء لفظ الصحة والمعنى الكثرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى:

(١) هو لخطام المجاشعي كما في الكتاب ٣٢/١. وانظر: (خزانة الأدب ٣٦٧/١، ٣٧٣/٢،

٥٧٣/٤، شرح شواهد الشافية ٥٩/٤، الاقتضاب ٤٣٩، شرح شواهد المغنى ١٧٢).

(٢) وصاليات: أثنافي القدر، لأنها صليت النار، أي وليتها وباشرتها، كَمَا يُؤْتِفِنُ، أي كمثل حالها: إذا كانت أثنافي مستعملة.

(٣) سورة النساء الآية (٣٠).

(٤) وقراءة عبدالله بن مسعود، وطلحة بن مصرف. انظر: (الكشاف ٢٦٦/١، جمع البيان ٤٢/٢، معاني القرآن للفراء ٢٦٥/١، تفسير الفخر الرازي ٢١٤/٣).

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾^(١)، والغرض في جميعه الكثرة، لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة.

وكان أبو على ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عَرَضَ عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله^(٢):

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يَلْمَعُنُ بِالضُّحَا وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرُنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا^(٣)
قال له النابغة: لقد قلت جفانك وسيوفك.

قال أبو على: هذا خير مجهول لا أصل له؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾، ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر. وعذر ذلك أنه قد كثر عنهم وقوع الواحد على معنى الجميع جنسًا؛ كقولنا: أهلك الناس الدينار والدرهم، وذهب الناس بالشاة والبعر. فلما كثر ذلك جاءوا في موضعه بلفظ الجمع الذي هو أدنى إلى الواحد أيضًا، أعنى الجمع بالواو والنون والألف والتاء، نعم وعلم أيضًا أنه إذا جيء في هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة - لا يتدارك معنى الجنسية، فلها عنه، وأقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أخرى؛ إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يُدرك، ويأسًا منه، وتوقفاً دونه. فيكون هذا كقوله^(٤):

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا
ومثل الجمع بالواو والنون والألف والتاء يجيئهم في هذا الموضع بتكسير القلة، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾^(٥).

وقول حسان:

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٥).

(٢) انظر: (ديوان حسان ٣٧١، الكتاب ٥٧٨/٣، المقتضب ١٨٨/٢، الخصائص ٢٠٨/٢، شرح المفصل ١٠/٥، خزنة الأدب ٤٣٠/٣، العيني ٢٥٧/٤، شرح الأشموني ١٢١/٤).

(٣) الغر: البيض، جمع غراء، يريد بياض الشحم، يقول: جفاننا معدة للضيغان ومساكين الحى بالعداة، وسيوفنا تقطر بالدم؛ لنجدتنا وكثرة حروبنا. والشاهد فيه: جمع جفنة على جففات، مع أنها للقلة، مرادًا بها جمع الكثرة.

(٤) في عيون الأخبار ٥٤/٣ منسوب إلى محمود الوراق، وانظر: (الخصائص ٢١٠/١، ٣٣/٢، ١٧٢).

(٥) سورة التوبة الآية (٩٢).

وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً^(١)

ولم يقل: عيونهم ولا سيوفنا. وقد ذكرنا هذا ونحوه في كتابنا الخصائص.

* * *

بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۞

ومن ذلك قراءة يزيد بن القَعْقَاع: «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ»، بالنصب^(٢)، في اسم الله تعالى.

قال أبو الفتح: هو على حذف المضاف، أى بما حفظ دين الله وشريعة الله، وعهود الله، ومثله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٣)، أى دين الله وعهود الله وأولياء الله، وحذف المضاف فى القرآن والشعر وفصيح الكلام فى عدد الرمل سعة، وأستغفر الله. وربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف مكرراً؛ أنسا بالحال ودلالة على موضوع الكلام، كقوله عز وجل: ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾^(٤)، أى: من أثر حافر فرس الرسول. وقد ذكرنا فى كتابنا ذلك هذا وغيره من كتبنا وكلامنا.

* * *

لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ۞

ومن ذلك قراءة الأعمش: «لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى»^(٥)، مضمومة السين، ساكنة الكاف من غير ألف.

وقراءة إبراهيم: «وَأَنْتُمْ سُكَرَى»^(٦).

وفى قراءته أيضاً: «تَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى»^(٧).

(١) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢٨٩).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢٦٥/١ إعراب القرآن للنحاس ٤١٣/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٠٤/١، البحر المحيط ٢٤٠/٣، التبيان ١٨٩/٣، الطبرى ٢٩٦/٨، مجمع البيان ٤٢/٢).

(٣) سورة محمد الآية (٧).

(٤) سورة طه الآية (٩٦).

(٥) وقراءة المطوعى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٠٦/١، البحر المحيط ٢٥٥/٣).

(٦) انظر: (القرطبى ٢٠٢/٥، البحر المحيط ٢٥٥/٣، الكشف ٢٦٩/١، العكبرى ١٠٦/١).

(٧) سورة الحج الآية (٢).

قال أبو الفتح: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن وكيع، عن الدمشقي، عن ابن قطرب، عن قطرب، في كتابه الكبير، أن قراءة أبي زرعة الشامي: «وترى الناس سُكْرَى وما هم بسُكْرَى».

وسألت أبا علي عن «سُكْرَى»، فردد القول فيها، ثم استقر الأمر فيها بيننا على أنها صفة من هذا اللفظ والمعنى، بمنزلة حبلى مفردة كما ترى.

فأما «سُكْرَى»، بفتح السين فيمن قرأ كذلك فيحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون جمع سكران؛ إلا أنه كُسِّرَ على فَعْلَى؛ إذ كان السكر علة تلحق العقل، فجرى ذلك مجرى قوله:

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمٌ بَنُ مُرٍّ فَأَلْفَاهُمْ الْقَوْمَ رَوَّيَ نِيَامَا
فهذا جمع رائب، أى نَوْمَى خِثَاءُ الْأَنْفَسِ؛ فيكون ذلك كقولهم: هالك وهلكى ومائد وَمَيْدَى، فيجرى مجرى صريع وصرعى وجريح وجرحى؛ إذ كان ذلك علة بُلُوا بها، وإن كان هالك ومائد ورائب فعلاً منسوباً إليهم، لا مَوْقِعاً فى اللفظ بهم.

والآخر أن يكون «سُكْرَى» هنا صفة مفردة، مذكرها سكران، كامرأة سكرى. ويشهد لهذا الأمر قراءة من قرأ: «سُكْرَى»، بالضم، وهذا لا يكون إلا واحداً. ويشهد للقول الأول قراءة العامة: «وترى الناس سُكَارَى وما هم بِسُكَارَى»^(١). وجاز أن يوقع على الناس كلهم صفة مفردة تصوراً لمعنى الجملة والجماعة وهى بلفظ الواحد، كما جاز لِلْيَدِّ أن يشير أيضاً إلى الناس بلفظ الواحد فى قوله^(٢):

وَلَقَدْ سَمِئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَبِئْتُ^(٣)

ومن معكوسة فى إيقاع لفظ الجماعة على معنى الواحد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾^(٤)، والمراد به الواحد، كلٌّ من كلام العرب.

(١) سورة الحج الآية (٢).

(٢) من قصيدة (من الكامل) مطلعها:

قضى الأمور وأنجز الموعد والله ربى ما جدد محمود

انظر: (ديوانه ٤٦).

(٣) يروى «ومقال هذا الناس». انظر: (هامش الديوان ٤٦).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٧٣).

وقراءته «وترى الناس سُكْرَى»، بضم التاء يقوى ما قدمناه من أن أَرَى فى اليقين دون أرى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾.

* * *

أَوْجَاءُ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴿٤٢﴾

ومن ذلك قراءة ابن مسعود والزُّهرى أيضاً: «أَوْجَاءُ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ غَيْطٍ». قال أبو الفتح: فيه صنعة، وذلك أن هذا الحرف مما عَيْنُهُ واو؛ لقولهم تَغَوَّطَ الرجل: إذا أتى الغائط، وهو مُطْمَأَنَّ من الأرض كانوا يقضون فيه حوائجهم. وظاهر أمر غَيْطُ أَنَّهُ فَعْلٌ مما عينه ياء؛ بمنزلة شيخ وبيت. وأمثلة ما ينبغي أن يقال فيه: أَنَّهُ محذوف من فِعْلٍ، كأنه فى الأصل غَيْطُ، كميت وسيد، ثم حذفت عينه تخفيفاً فبقى ميت وسيد، ومثاله قِيلَ؛ لأن العين محذوفة. فإن قلت: فإننا لا نعرف فى الكلام غَيْطاً كما عرفنا سيِّدا وميتاً؟

قيل: قد يجوز أن يكون محذوفاً من فِعْلٍ مقدراً غير مستعمل، كما أن قولهم: يَذَرُ ويدع استغنى عنهما بترك، كما استغنى أيضاً بغائط عن غَيْطٍ، وكما استغنى أيضاً بذكر ولمحة عن مذكور وملحة اللتين عليهما كسر ملامح ومذاكير.

ويؤكد هذا أن غائطاً إلى غَيْطٍ أقرب من ذَكَرٍ ولحّةٍ إلى مذكور وملحة؛ وذلك لأن ثانى فاعل ألف زائدة كما أن ثانى فِعْلٍ ياء زائدة، والعين فيهما كليهما مكسورة، واللام تلى العين فيهما جميعاً، والياء أيضاً أخت الألف، فكأنهما مثال واحد من حيث ذكرنا، فيقدر هذا القرب بينهما ما حسنت إنابة فاعل عن فِعْلٍ، لاسيما وكأن غَيْطاً فى اللفظ غَيْطٌ لقربه منه وزناً.

وفيه قول ثان، وهو أن يكون غَيْطُ فَعْلًا وأصله غَوَّطُ، إلا أن الواو قلبت للتخفيف ياء، كما قلبوها إليها لذلك فى قولهم: لا حَيْلَ ولا قوة إلا بالله، أى: لا حول ولا قوة إلا بالله. وقالوا: هو أليط بقلبي من كذا، وظاهر أمره أن يكون من لُطِيتِ الحَوْضُ أَلُوْطه، أى أَلَصَقْتُ بعضه ببعض، فكذلك هو أليط بقلبي: إذا لصق به، وأصله على هذا أَلُوْط، وقلبت الواو ياء استحساناً كأشياء نحو ذلك، نحو العلياء وهى من علوت، والعيصاء بمعنى العوصاء^(١) فهذا الوجه أقرب، والأول أشد وأصنع.

* * *

(١) العوصاء: الشدة والحاجة، يقال: أصابتهم عوصاء، والعوصاء من الكلم الغريبة. انظر: المعجم الوسيط «عوص».

سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴿٥٦﴾

ومن ذلك قراءة حميد بن قيس ^(١) «سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا» ^(٢).

قال أبو الفتح: قد أتينا على ما في ذلك فيما مضى من هذا الكتاب آنفاً.

* * *

تَعَالَوْا ﴿٥٧﴾

ومن ذلك قراءة الحسن فيما رواه عنه قتادة: «تعالوا» ^(٣)، بضم اللام.

قال أبو الفتح: وجه ذلك أنه حذف اللام من تعاليت استحساناً وتخفيفاً، فلما زالت اللام من تعالى ضُمت لام تعال لوقوع واو الجمع بعدها كقولك: تقدموا وتأخروا.

ونظير ذلك في حذف اللام استخفافاً قولهم: ما باليت به بالة، وأصلها باليَّة، كالعافية والعاقبة، ثم حذفت اللام كما ترى.

وذهب الكسائي في «آية» إلى أن أصلها: آيَّة فاعلة، فحذفت اللام كما ذكرنا، ولو كانت إنما حذفت لام «تعالوا» لالتقاء الساكنين كما حذفت لذلك في قولك للجماعة أمراً: تراموا وتغازوا لبقيت العين مفتوحة دلالة على الألف المحذوفة، وكنحو قولك: اخشوا واسعوا، إذا أمرت الجماعة.

ونظير حذف اللام استحساناً في هذه القراءة قراءة الحسن أيضاً في قوله الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالُ الْجَحِيمِ﴾ ^(٤).

حدثنا بذلك أبو علي، وذهب إلى ما ذكرناه من حذف اللام استخفافاً، وإلى أنه يجوز أن يكون أراد إلا من هو صالون الجحيم؛ فحذف النون للإضافة، وحذف الواو التي هي عَلم الجمع لفظاً لالتقاء الساكنين، واستعمل لفظ الجمع حملاً على المعنى دون

(١) أبو صفوان المكي القارئ حميد بن قيس الأعرج، ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر وعرض عليه ثلاث مرات، توفي سنة ١٣٠. انظر: (طبقات القراء ١/٢٦٥).

(٢) انظر: (القرطبي ٥/١٥٣، البحر المحيط ٣/٢٧٤).

(٣) انظر: (الكشاف ١/٢٧٦، البحر المحيط ٣/٢٨٠، إعراب القرآن للعكبري ١/١٨٨).

(٤) سورة الصافات الآية (١٦٣).

اللفظ، كقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾^(١)، وله نظائر، إلا أن الظاهر ما ذهب إليه أبو علي.

وأما حديث «تَعَالَى» والقول على ماضيه ومضارعه وتصرفه ومن أين جاز استعمال لفظ العلو في التقدم فأمر يحتاج إلى فضل قول، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع، إلا أن من جملة أنهم استعملوا لفظ التقدم والارتفاع على طريق واحد، من ذلك قولهم: قدّمته إلى الحاكم، فهذا كقولك: ترفعنا إلى الحاكم؛ كذلك قولك للرجل: تعال كقولك له: تقدم. وأصله أن التقدم تعال، والتأخر انخفاض وتراخ، فافهمه.

* * *

لَيَقُولَنَّ

ومن ذلك قراءة الحسن أيضاً: «لَيَقُولَنَّ»^(٢) بضم اللام على الجمع. قال عبد الوارث^(٣): سئل أبو عمرو عن قراءة الحسن: ليقولن برفع اللام، فسكت.

قال أبو الفتح: أعاد الضمير على معنى «مَنْ» لا على لفظها الذي هو قراءة الجماعة؛ وذلك أن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾^(٤) لا يُعْنَى به رجل واحد، لكن معناه أن هناك جماعة هذا وصف كل واحد منهم، فلما كان جمعاً في المعنى أُعيد الضمير على معناه دون لفظه كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾^(٥)، الحال فيهما واحدة وكان الموضع لحقه احتياط في اللفظ خوفاً من إشكال معناه، فَضُمَّ اللام من ليقولن ليعلم أن هذا حكم سارٍ في جماعة، ولا يُرى أنه واحد ولا أكثر منه، فاعرفه.

* * *

(١) سورة يونس الآية (٤٢).

(٢) انظر: (الكشاف ١/٢٨٠، البحر المحيط ٣/٢٩١، مجمع البيان ٢/٧٣).

(٣) عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو عبيدة، العنبري بالولاء، التنويري البصري (١٠٢ - ١٨٠هـ =

٧٢٠ - ٧٩٦م): حافظ ثبت. كان فصيحا من أئمة الحديث. انظر: (تذكرة الحفاظ

١/٢٣٧، شذرات الذهب ١/٢٩٣، طبقات ابن سعد ٧/٢٨٩، طبقات ابن الجزري ١/٤٧٨،

خلاصة الخزرجي ٢٤٧، الأعلام ٤/١٧٨).

(٤) سورة النساء الآية (٧٢).

(٥) سورة يونس الآية (٤٢).

﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]

ومن ذلك قراءة الحسن ويزيد النحوي: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا»^(١)، بالرفع. قال رَوْح: لم يجعل لليت جوابًا.

قال أبو الفتح: محصل ذلك أنه يتمنى الفوز، فكأنه قال: يا ليتني أفوز فوزًا عظيمًا، ولو جعله جوابًا لنصبه، أي: إن أكن معهم أفز، هذا إذا أصبحت بالشرط، إلا أن الفاء إن دخلت جوابًا للتمنى نصب الفعل بعدها بإضمار أن، وعطف أفوز على كنت معهم لأنهما جميعًا مُتَمَنِيَانِ، إلا أنه عطف جملة على جملة لا الفعل على انفراده على الفعل؛ إذ كان الأول ماضيًا والثاني مستقبلًا.

وذهب أبو الحسن في قوله عز وجل: ﴿يَا لَيْتَنَّا نُرْدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) بالرفع إلى أنه عطف على اللفظ، ومعناه معنى الجواب. قال: لأنهم لم يتمنوا ألا يكذبوا، وإنما تمنوا الرد، وضمنوا أنهم إن ردوا لم يكذبوا، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٣). وعليه قول الآخر^(٤):

فلقد تركت صبيّةً مرحومة^(٥) لم تدبر ما جَزَعُ عليك فتجزع
والقوافي مرفوعة، أي هي تجزع. ولو كان جوابًا لقول فتجزعا، وقد ذكرنا هذا ونحوه في كتابنا الموسوم بالتنبيه، وهو تفسير مشكل أبيات الحماسة.

* * *

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ

ومن ذلك قراءة طلحة بن سليمان: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ»^(٦)، برفع الكافين. قال ابن مجاهد: وهذا مردود في العربية.

(١) انظر: (الكشاف ٢٨٠/١، مجمع البيان ٧٣/٢، البحر المحيط ٢٩٢/٣).

(٢) سورة الأنعام الآية (٢٧).

(٣) سورة الأنعام الآية (٢٨).

(٤) من قصيدة لمويلك المزموم يرثي امرأته أم العلاء، ومطلعها:

أمرر على الحدث الذي حلت به أم العلاء فحيها لو تسمع

انظر: (ديوان الحماسة ٢٥٤/١).

(٥) يروى في ديوان الحماسة ٢٥٤/١: فلقد تركت صغيرة مرحومة.

(٦) انظر: (البحر المحيط ٢٩٩/٣، الكشاف ٢٨٣/١، مجمع البيان ٧٨/٢).

قال أبو الفتح: هو لعمرى ضعيف فى العربية، وبابه الشعر والضرورة، إلا أنه ليس بمردود؛ لأنه قد جاء عنهم. ولو قال: مردود فى القرآن لكان أصح معنى؛ وذلك أنه على حذف الفاء، كأنه قال: فَيَدْرُكُكُمْ الموت. ومثله بيت الكتاب^(١):

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا والشر بالشر عند الله مثلان^(٢)
أى فالله يشكرها، ومثله بيته أيضًا^(٣):

بنو تُعَلِّ لا تَنْكَعُوا الْعَنْزَ شِرْبَهَا بنى تُعَلِّ من يَنْكَعُ الْعَنْزَ ظَالِمٌ
فكأنه قال: فهو ظالم، فحذف الفاء والمبتدأ جميعاً، إلا أنه لما ترك هناك اسم الفاعل فهو لشبهه بالفعل كأنه هو الفعل، فيصير إلى أنه كأنه قال: من يَنْكَعُ الْعَنْزَ يَظْلِمُ، وشبه الفعل فى هذه اللغة أفشى من الشمس، حتى إنهم استجازوا لذلك أن يؤلوه نون التوكيد المختصة بالفعل، فقالوا^(٤):

أَرَيْتَ إِنْ جِئْتُ^(٥) بِهِ أَمْلُوداً مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ الْبُرُوداً
أَقَاتِلَنَّ أَحْضِرَى الشُّهُوداً

فكأنه قال: أيقولن، والنظائر فيه كثيرة جداً.

* * *

(١) نسب فى أحد نسخ الديوان لحسان بن ثابت، الكتاب ٦٤/٣، ولم يرد البيت فى ديوانه قال البغدادى: الأصمعى عن يونس قال: نحن عملنا هذا البيت وكذلك نقله الكرمانى فى الموشح. والبيت نسبه سيبويه لعبدالرحمن بن حسان ثابت رضى الله عنه. ورواه جماعة لكعب بن مالك الأنصارى. وانظر: (نوادى أبى زيد ٣١، الخصائص ٢٨٣/٢، النصف ١١٨/٣، شرح المفصل ٣/٢٠٩، مجالس العلماء للزجاجى ٣٤٢، خزنة الأدب ٦٤٤/٣، ٦٥٥، ٥٤٧/٤، العينى ٤٢٣/٣، همع الهوامع ٦٠/٢، شرح شواهد المغنى ١٠٠/٦٥، ١٥٩).

(٢) روى «سيان» فى أحد نسخ الكتاب ٦٥/٣، والشتمرى، وأمالى ابن الشحرى ٨٤/١، ٢٩٠، ٣٧١.

والشاهد فيه: حذف الفاء فى الجواب للضرورة، وتقديره: فالله يشكرها. قال الشتمرى. وزعم الأصمعى أن النحويين غيروه، وأن الرواية: من يفعل الخير فالرحمن يشكره. وانظر النوادر حيث أورد هذا الخير.

(٣) لرجل من بنى أسد. انظر: (الكتاب ٦٥/٣، العينى ٤٤٨/٤، الأشمونى ٢١/٤، اللسان «نكع»).

(٤) انظر: (الخصائص ١٣٧/١، خزنة الأدب ٥٧٤/٤، شرح الكامل ٩٧/١).

(٥) جئت بضم التاء كما نص عليه صاحب الخزنة، وإن ضبط فى بعض نسخ الخصائص بفتحها، فى بعض الروايات «جاءت» بدل «جئت» و«أحضر» بدل «أحضروا».

إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكُسُوا ﴿٩١﴾

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: «إِلَى الْفِتْنَةِ رُكِّسُوا فِيهَا»^(١)، مثقل بغير ألف.

قال أبو الفتح: وجه ذلك أنه شيء بعد شيء؛ وذلك لأنهم جماعة، فلما كانوا كذلك وقع شيء منه بعد شيء فطال، فلاق به لفظ التكثير والتكرير، كقولك: غَلَقْتُ الأبواب، وقَطَعْتُ الحبال وقد يكون معنى التكرير مع لفظ التخفيف، أنشد أبو الحسن:

أنت الفداء لِقَبْلَةِ هَذَمْتِهَا ونَقَرْتِهَا بِيَدِيكَ كَلِّ مُنْقَرٍ
فصار و«نَقَرْتِهَا» كأنه قال: ونَقَرْتِهَا، يدل عليه مصدره الذى هو «مُنْقَرٍ». وهذا ونحوه مما يدل على اشتغال لفظ الأفعال على معانى الأجناس، حتى إن اللفظة الواحدة تصلح لكثيره صلاحها لقليله.

* * *

إِلَّا خَطَأً ﴿٩٢﴾

ومن ذلك قراءة الزهرى فيما رواه عنه الوقاصى: «إِلَّا خَطَأً»^(٢)، مقصوراً، خفيفاً، بغير همز.

قال أبو الفتح: أصله خطأ، بوزن خَطَئاً، كقراءة العامة، غير أنه حذف الهمزة حذفاً على ما حكيناه عنهم من قولهم: جَا يَجَى، وَسَا يَسُو. وهذا ضعيف عند أصحابنا وإن كان قد جاء منه حروف صالحة، إلا أنه ليس تخفيفاً قياسياً، وإنما هو حذف وخبط للهمزة البتة. وقد ذكرناه فيما قبل. ويجوز أن يكون أبدل الهمزة إبدالاً على حد قَرِئْتُ، فجرى مجرى عصا ومطا.

* * *

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿٩٧﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ»^(٣).

قال أبو الفتح: معنى هذا كقولك: إِنَّ الَّذِينَ يُعَدُّونَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِمْ

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٣١٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١١).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٢١، الكشف ١/٢٨٩).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٣٤، مجمع البيان ٢/٩٨).

يحتسبون عليهم، فهو نحو من قولك: إن المال الذى توفاه أمة الله، أى يدفع إليها ويحتسب عليها. كأن كل ملك جعل إليه قبض نفس بعض الناس، ثم مكن من ذلك ووفيه، أو كأن ذلك فى بعض الملائكة، فجرى اللفظ على الجميع، والمراد البعض على ما مضى فى هذا الكتاب.

* * *

يُحَدِّثُ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً^٤

ومن ذلك ما رواه الواقدي^(١) عن عباس، عن الضبي^(٢) عن أصحابه: «مرغما»^(٣)، وقراءة الجماعة: «مرغما»^(٤).

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون هذا إنما جاء على حذف الزيادة من راغم، فعليه جاء مرغم، كمضرب من ضرب، ومذهب من ذهب. وأصل هذه المادة ر غ م، فمنه الرغام التراب وهو إلى الذل والشدة. والمرغم: المعار الذي يروم إذلال صاحبه، ومنه الحديث

(١) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ - ٨٢٣ م): من أقدم المؤرخين فى الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، وكان حنطا بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ، فى أيام الرشيد، واتصل يحيى بن خالد البرمكى فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة فولى القضاء ببغداد، واستمر إلى أن توفى فيها. من كتبه: «المغازى النبوية»، «فتح إفريقية»، «فتح العجم». انظر: (تذكرة الحفاظ ١/٣١٧، وفيات الأعيان ١/٥٠٦، تاريخ بغداد ٣/٣ - ٢١، ميزان الاعتدال ٣/١١٠، عيون الأثر ١/١٧١، تهذيب التهذيب ٩/٣٦٣ - ٣٦٨، الفهرست ١/٩٨، الأعلام ٦/٣١١).

(٢) المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي، أبو العباس (١٦٨ هـ = ٧٤٧ م): راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. قال عبد الواحد اللغوى: هو أولئك من روى الشعر من الكوفيين. يقال: إنه خرج على المنصور العباسى، فظفر به وعفا عنه. ولزم المهدي، وصنف له كتابه: «المفضليات» و«سماء الاختيارات»، ومن كتبه: «الأمثال»، «معانى الشعر»، «الألفاظ»، «العروض». انظر: (إرشاد الأريب ٧/١٧١، الفهرست ١/٦٨، غاية النهاية ٢/٣٠٧، ميزان الاعتدال ٣/١٩٥، لسان الميزان ٦/٨١، الباب ٢/٧١، مراتب النحويين ٧١، الأعلام ٦/٢٨٠).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٣٦).

(٤) سورة النساء الآية (١٠٠).

المرفوع: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُزِمْ جِبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ الْأَرْضَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ الرَّغْمُ»، أى حتى يَذَلَّ ويخضع لله عز وجل، وعليه بقية الباب.

* * *

ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ﴿١٣﴾

ومن ذلك قراءة طلحة بن سليمان^(١): «ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(٢) برفع الكاف، وقراءة الحسن والجراح: «ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(٣)، بنصب الكاف.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا الأمر أنَّ «يدركه» رفع على أنه خبر ابتداء محذوف، أى ثم هو يدركه الموت، فعطف الجملة التى من المبتدأ والخبر على الفعل المجزوم بفاعله، فهما إذا جملة، فكأنه عطف جملة على جملة. وجاز العطف ها هنا أيضًا لما بين الشرط والابتداء من المشابهات، فمنها أن حرف الشرط يجزم الفعل، ثم يعتور الفعل المجزوم مع آخر الجازم على جزم الجواب، كما أن الابتداء يرفع الاسم المبتدأ، ثم يعتور الابتداء والمبتدأ جميعًا على رفع الخبر، ولذلك قال يونس فى قول الأعشى^(٤):

إِنْ تَرَكَبُوا فَرَكُوبَ الْخَيْلِ عَادَتْنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ نُزِّلُ^(٥)

إنما أراد أو أنتم تنزلون. أفلا تراه كيف عطف المبتدأ والخبر على فعل الشرط الذى هو تركبوا؟ وعليه قول الآخر:

(١) مقرر متصدر، أخذ القراءة عرضًا عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصرف. انظر: (طبقات القراء ٣٤١/١).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١١٢/١، البحر المحيط ٣٣٦/٣، الكشف ٢٩٤/١).

(٣) وقراءة نبيح، وقتادة. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١١٢/١، الكشف ٢٩٤/١، البحر المحيط ٣٣٧/٣، مغنى اللبيب ١٠٨/١، شرح الأشموني ٢٥/٤، شرح التصريح ٢٥٢/٢).

(٤) هى من قصيدته المشهورة التى مطلعها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعًا أيها الرجل

قرأها أبو عبيدة على أبى عمرو بن العلاء، وقال فيها: لم تُقبل فى الجاهلية قصيدة على رويها مغلها، وقد عدها بغض الأدباء، كالتريزى وسواه، من القصائد العشر وشرحها بعد السبع المعروفة. انظر: (ديوانه ٢١٧ وما بعدها، الكتاب ٥١/٣، الأمالى لابن الشجرى ٣٠/٢، خزنة الأدب ٦١٢/٣، همع الهوامع ٦٠/٢، شرح شواهد المغنى ٣٢٦).

(٥) يروى: قالوا الركوب! قلنا تلك عادتنا. انظر: (ديوانه ٢٢٦).

إن تَذَنَّبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ فما على بذنب منكم فَوْتُ (١)
فَكَأَنَّهُ قَالَ: إن تَذَنَّبُوا ثُمَّ أَتَمْتُمْ تَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ. هذا أوجه من أن يَحْمِلَهُ على أنه جعل
سكون الياء في تَأْتِينِي عِلْمَ الْجَزْمِ، على إِجْرَاءِ الْمُعْتَلِّ بِمَجْرَى الصَّحِيحِ نحو قوله (٢):
أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمَى (٣)

فهذا جواب كما تراه.

وإن شئت ذهبت فيه مذهباً آخر غيره، إلا أن فيه غموضاً وصنعة، وهو أن يكون
أَرَادَ ثُمَّ يَدْرُكُهُ المَوْتُ جزماً، غير أنه نوى الوقف على الكلمة فنقل الحركة من الهاء إلى
الكاف، فصار يَدْرُكُهُ، على قوله (٤):

مَنْ عَنَزَى سَبْنَى لَمْ أَضْرِبْهُ

أَرَادَ لَمْ أَضْرِبْهُ، ثُمَّ نَقَلَ الضَّمَّةَ إِلَى الْبَاءِ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ (٥)، كقوله:

أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فَرَاشِي مَسْحَدُهُ يَأْيُهَا الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَرْشِدُهُ
أَيَّ أَرْشِدُهُ، ثُمَّ نَقَلَ الضَّمَّةَ، فَلَمَّا صَارَ يَدْرُكُهُ إِلَى يَدْرُكُهُ حَرَكَتِ الْهَاءِ بِالضَّمِّ عَلَى أَوَّلِ

(١) ذكره صاحب البحر المحيط ٣/٣٣٦، وروايته:

إن تَذَنَّبُوا ثُمَّ يَأْتِينِي نَعِيقُكُمْ فما على بذنب عندكم فَوْتُ
قال المعز: ثُمَّ أَتَمْتُمْ يَأْتِينِي نَعِيقُكُمْ.

(٢) هو لقيس بن زهير: (انظر الكتاب ٣/٣١٥، الخصائص ١/٣٣٩، ٣٣٥/١، المنصف ٢/٨١، ١١٤،
١١٥ أمالي ابن الشجري ١/٨٤، ٨٥، ٢١٥، الإنصاف ٣٠، خزانة الأدب ٣/٣٤، شرح شواهد
الشافعية ٤٠٨، شرح المفصل ٨/٢٤، ١٠/١٠٤، همع الهوامع ١/٥٢، شرح التصريح ١/٨٧،
شرح الأشموني ١/١٠٣، ٢/٤٤).

(٣) وعجزه: «بما لاقت لبون بنى زياد».

الشاهد فيه: إسكان الياء في «يأتيك» حال الجزم، حملاً لها على الصحيح، وهي لغة لبعض العرب
يجرون المعتل بمجرى السالم في جميع أحواله، فاستعملها هنا للضرورة.

(٤) من قول زياد الأعجم، وهو من شواهد سيبويه. وصدوره: «عجبت والدر كثير عجبته». انظر:
(شرح شواهد الشافعية ٤/٢٦١)، عزة: قبيلة من ربيعة بن نزار.

(٥) قال سيبويه: هذا باب الساكن الذي تحركه في الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذي هو علامة
الإضمار ليكون أين لها كما أردت ذلك في الهزمة، وذلك قولك ضربته وأضربه ومنه ومنه،
سمعنا ذلك من العرب ألقوا عليه حركة الهاء حيث حركوا لتبيانها، وذكر البيت.

قال الأعلام: الشاهد فيه نقل حركة الهاء إلى الياء في الأول، وإلى اللام في الثاني ليكون أين في
الوقف، لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها.

حالتها، ثم لم يُعدَّ إليها الضمة التي كان نقلها إلى الكاف عنها، بل أقر الكاف على ضمها، فقال: «ثم يدركه الموت»، وقد جاء ذلك عنهم. أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بقول الشاعر:

إن ابن أحوص معروفاً فبلغه فى ساعديه إذا رام العلا قصرُ
أراد: فبلغه، ثم نقل الضمة من الهاء إلى الغين فصار فبلغه، ثم حرك الهاء بالضم وأقر ضمة الغين عليها بحالها، فقال: فبلغه؛ وذلك أنه قد كثر النقل عنهم لهذه الضمة عن هذه الهاء، فإذا نُقلت إلى موضع قرئت عليه وثبتت ثبات الواجب فيه.
وفى إقرار الحركة بحالها مع تحريك ما بعدها دلالة على صحة قول سيويوه بإقرار الحركة التي يحرك بها الساكن عند الحذف إذا رُدَّ إلى الكلمة ما كان حُذف منها فى نحو قوله فى النسب إلى شَيْبَةٍ: وشَوَى، وهذا مشروح هنا فى موضعه، فهذا وجه ثان كما تراه فى قوله: «ثم يدركه الموت» بضم الكاف؛ فاعرفه.
وأما قراءة الحسن: «ثم يُدْرِكه الموت» بالنصب فعلى إضمار «أن»، كقول الأعشى^(١):

لنا هضبة لا يَنزُلُ الذُّلُّ وسطها ويأوى إليها المستجيرُ فَيُعْصِمَا
أراد فأن يعصما، وهذا ليس بالسهل، وإنما بابه الشعر لا القرآن. ومن أبيات الكتاب^(٢):

سأترك منزلى لبنى تميم وألحقُ بالحجاز فأستريح^(٣)
والآية على كل حال أقوى من ذلك؛ لتقدم الشرط قبل المعطوف، وليس بواجب، وهذا واضح.

وفيه أكثر من هذا إلا أنا نكره ونتحامى الإطالة لاسيما فى الدقيق؛ لأنه مما يجفو على أهل القرآن.

(١) لم أعره عليه فى ديوان الأعمش، وهو لطرفة بن العبد. انظر: (ديوانه ٤، الكتاب ٤٠/٣، المقتضب ٢٤/٢).

(٢) لمغيرة بن حبناء. انظر: (الكتاب ٣٩/٣، شرح المفصل ٢٧٩/١، خزنة الأدب ٦٠٠/٣، العينى ٣٩٠/٤، شرح الأشموني ٣٠٥/٣، مع الهوامع ٧٧/١، ١٠/٢، ١٦، ٧٣، شرح شواهد المغنى ١٦٩).

(٣) الشاهد فيه نصب فأستريح بعد الفاء فى ضرورة الشعر فيما ليس فيه معنى النفى أو الطلب، ويروى «لأستريح» فلا ضرورة فيه.

وقد كان شيخنا أبو عليّ عمل كتابه الحجة، وظاهر أمره أنه لأصحاب القراءة، وفيه أشياء كثيرة قلما يتتصف فيها كثير ممن يدعى هذا العلم، حتى إنه يجفو عند القراء لما ذكرناه.

* * *

﴿١٠٤﴾ إِنَّ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن الأعرج: «أَنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ»^(١)، بفتح الألف. قال أبو الفتح: «أَنْ» محمولة على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾^(٢)، أى لا تهنوا لأنكم تألمون، كقولك: لا تجبن عن قرنك لخوفك منه، فمن اعتقد نصب «أَنْ» بعد حذف الجر عنها فأن هنا منصوبة الموضع، وهى على مذهب الخليل بحرورة الموضع باللام المرادة، وصارت «أَنْ» لكونها حرفاً كالعوض فى اللفظ من اللام.

* * *

﴿١٠٤﴾ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ

ومن ذلك قراءة يحيى: «فإنهم ييلمون كما ييلمون»^(٣). قال أبو الفتح: العُرف فى نحو هذا أن من قال: أنت يتمن ويملف وييلف، فكسّر حرف المضارعة فى نحو هذا - إذا صار إلى الياء فتحها البتة، فقال: هو يآلف، ولا يقول: هو ييلف، استثقالاً للكسرة فى الياء.

فأما قولهم فى يَوْجَل وَيَوْحَل ونحوهما: ييجَل وييجل، بكسر الياء فإنما احتمل ذلك هناك من قبل أنهم أرادوا قلب الواو ياء هرباً من ثقل الواو؛ لأن الياء على كل حال أخف من الواو، وعلموا أنهم إذا قالوا: ييجل ويوجل، فقلبوا الواو ياء والياء قبلها مفتوحة - كان ذلك قلباً من غير قوة علة القلب، فكأنهم حملوا أنفسهم عما تجسموه من كسر الياء توصلأ إلى قوة علة قلب الواو ياء، كما أبدلوا من ضمة لام أدلو جمع

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٤٣، الكشف ١/٢٩٦، مجمع البيان ٢/١٠٤، إعراب القرآن للنحاس ١/٤٥٠).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٤).

(٣) وقراءة منصور بن المعتمر. انظر: (الكشاف ١/٢٩٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٢).

دَلُّوا كسرة فصار أدلُّوا لتقلب الواو ياء بعذر قاطع، وهو انكسار ما قبلها وهو لام، وليس كذلك الهمزة؛ لأنها إذا كسر ما قبلها لم يجب انقلابها ياء، وذلك نحو بئر وذئب، ألا تراك إذا قلت: هو يثلف لم يجب قلب الهمزة ياء؟ فلهذا قلنا إن كسر ياء ييجل لما يعقب من قلب الأنتقل إلى الأخف مقبول، وليس في كسر ياء يثلف ما يدعوا إلى ما تُحتمل له الكسرة، وليس فيه أكثر من أنه إذا كسر الياء ثم خفف الهمزة صار ييلمون فأشبهه في اللفظ ييجل، وهذا له قدر لا يحتمل له كسر الياء، فاعرفه.

* * *

إِلَّا أَتْنَا

ومن ذلك قراءة النبي ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها: «أُتْنَا»^(١)، بناء قبل النون. وروى أيضاً عنها عنه عليه السلام: «أُتْنَا»^(٢)، النون قبل الثاء. وقراءة ابن عباس: «إِلا وُتْنَا»^(٣)، وروى عنه أيضاً: «إِلا أُتْنَا»؛ بضميتين والثاء بعد النون. وقراءة عطاء بن أبي رباح: «إِلا أُتْنَا»^(٤)، الثاء قبل، وهى ساكنة.

قال أبو الفتح: أما «أُتْن» فجمع وُتْن، وأصله وُتْن، فلما انضمت الواو ضمناً لازماً قلبت همزة، كقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾^(٥)، وكقولهم فى وُجوه: أُجوه: وفى وعد أُعِد، وهذا باب واسع، ونظير وُتْن وأُتْن أُسَد وأُسَد. ومن قال: أُتْنَا بسكون الثاء فهو كأُسَد، بسكون السين.

حكى سيبويه هذه القراءة: «أُتْنَا»، بسكون الثاء.

وذهب أبو بكر محمد بن السرى فى قولهم: أُسَد وأُسَد إلى أنها محذوفة من أُسُود، ويقوى قوله هذا بيت الأخطل:

(١) وقراءة عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعطاء، وابن المسيب، ومسلم بن حننبل. انظر: (الكشاف ٢٩٩/١، مجمع البيان ١١/٢، البحر المحيط ٣، ٢، ٣، الطبرى ٢٠٩/٩، القرطبى ٣٨٧/٥، العكبرى ١١٣/١).

(٢) وقراءة عبد الله بن عباس، ومعاذ القارئ، وعطاء، وأبى العالية، وأبى حيو، وأبى نهيك. انظر: (تفسير الطبرى ٢٠٩/٩، الكشاف ٢٩٩/١، مجمع البيان ١١/٢، البحر المحيط ٣/٣٥٢، القرطبى ٣٨٧/٥، العكبرى ١١٣/١).

(٣) انظر: (الكشاف ٢٩٩/١ / مجمع البيان ١١/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١١٣/١).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٥٢، مجمع البيان ١١/٢).

(٥) سورة المرسلات الآية (١١).

كَلَمْعَ أَيْدِي مَآكِلٍ مُسَلَّبَةٍ يَنْلِينُ ضَرْسَ بَنَاتِ الدَّهْرِ وَالْخُطْبِ (١)
يريد الخطوب، فقصر الكلمة بحذف واوها، ومثله قول الآخر:

إِنْ الْفَقِيرَ بَيْنَنَا قَاضٍ حَكَمٌ أَنْ تَرِدَ الْمَاءُ إِذَا غَابَ النُّجْمُ (٢)
يريد النجوم.

وأما «أُنْثَا» بتقديم النون على التاء فينبغي أَنْ يكون جمع أنثى، كقولهم: سيف أنثى الخديد، وذلك كقراءة العامة: ﴿إِلَّا إِنْثَا﴾ (٣)، يعنى به الأصنام. قال الحسن: الإناث كل شيء ليس فيه روح: خشبة يابسة وحجر يابس، قال: وهو اسم صنم لحي من العرب، كانوا يعبدونها ويسمونها أنثى بنى فلان، وعليه القراءة: «إِلَّا أَوْثَانَا» (٤).

* * *

يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ

ومن ذلك قال حماد بن شعيب (٥): قلت للأعمش: «يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ» فقال: أيعدهم؟ إنما هو: «يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ» (٦)، ساكنة.
قال أبو الفتح: قد تقدم القول على نحو هذا مما أسكن فى موضع الرفع تخفيفاً لثقل الضمة.

قال أبو زيد فيما حكاه عنهم: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ﴾ (٧)، بسكون اللام تخفيفاً على هذا.

* * *

(١) انظر: (ديوان الأخطل ١٨٨، لسان العرب «ثكل»، «خطب»، «ضرس»).

(٢) ورد فى الخصائص ١٣٦/٣: «أَنْ تَرِدَ الْمَاءُ إِذَا غَارَ النُّجْمُ».

وورد فى البحر المحيط ٤٨١/٥: «إِنْ الْبَازِي قَاضِي بَدَا قَاضٍ حَكَمٌ».

(٣) سورة النساء الآية (١٠٤).

(٤) قراءة عائشة، وأبى السوار، ومجاهد. انظر: (البحر المحيط ٣٥٢/٣، الطبرى ٢٠٩/٩، ٢١٠،

الكشاف ٢٩٩/١).

(٥) حماد بن أبى زياد شعيب أبو شعيب التميمى الحمانى الكوفى، مقرئ حليل ضابط ولد سنة ١٠١هـ، وأخذ القراءة عرضاً عن عاصم، ثم عن أبى بكر بن عياش وغيره، وتوفى سنة ١٠٩هـ.

انظر: (طبقات القراء ٢٥٨/١).

(٦) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١١٣/١، البحر المحيط ٣٥٤/٣، إتحاف فضلاء البشر ١٩٤).

(٧) سورة الزخرف الآية (٨٠).

يَتَكَمَّى النِّسَاءُ ﴿١٢٧﴾

ومن ذلك ما رواه الضبي عن أبي عبد الله المدني: «في يَمَى النساء»^(١)، يباءين.

قال أبو الفتح: القراءة المجمع عليها: ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾^(٢) يباء وتاء بعدها. ولا يجوز قلب التاء هنا ياء. والقول عليه - والله أعلم - أنه أراد أيامى، فأبدل الهمزة ياء، فصارت «ييامى»، وقلبت الهمزة ياء كما قلبت الهمزة ياء فى قولهم: قطع الله «أذيه»، يريدون يده، فرد لام الفعل، وأعاد العين إلى سكونها، فصارت يديه، ثم أبدل الياء همزة فصارت أذيه، ولم أسمع هذا إلا من جهته، وأيا ما كان فقد قلب الياء همزة.

ونظير قلب الهمزة فى «أيامى» إلى الياء حتى صارت «ييامى» قولهم: باهلة بن يعصر، فالياء فيه بدل من همزة أعصر وذلك لأنه يقال: باهلة بن أعصر ويعصر، وإنما سمي أعصر ببيت قاله:

أبنى إن أباك غير لونه كُرُّ الليالى واختلاف الأعصر
فهذا دليل فى كون الهمزة أصلاً والياء بدل منها.

وأما «أيامى» فقالوا: إنها جمع أيام، وأصلها عندهم أيام كسيد وسيائد، كذا رواها ابن الأعرابى، سيد وسيائد بالهمز كما ترى، وفى هذا شاهد لقول سيبويه: إنه متى اكتنف ألف التكسير حرفاً علة آتت كانا وجاور الآخر منهما الطرف فإنه يهمز.

وشاهد ذاك أيضاً ما رواه أبو عثمان عن الأصمعى: أنهم قالوا: عيل وعيائل بالهمز. وحكى أبو زيد: سَيْقة وسيائق بالهمز.

وكان أبو على يسر بما حكاه أبو زيد من همز سيائق، ولم يقع له إذ ذاك ما حكيناه عن ابن الأعرابى من همز سيائد، ولا كان إذ ذاك وقع هذا الحرف إلى فأذكره له، كآشياء كانت تخطر لى أو تنتهى إلى فأحكيها له، فتقع مواقعها المرضية عنده.

ومذهب أبى الحسن بخلاف ذلك، فلما صارت إلى أيام قدمت السلام وأخرت العين، فصارت «أيامى» ثم أبدلت من الكسرة فتحة ومن الياء ألف فصارت «أيامى»، ووزنها الآن فيالع، وأصلها أيام فياعل، لأن أيما فيعل، هذا مذهب الجماعة فى أيام وأيامى.

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٦٢، الكشف ١/٣٠١، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٤).

(٢) سورة النساء الآية (١٢٧).

ولو ذهب به ذاهب إلى ما أذكره لم أر به بأساً، وذلك أنه كأنه كسر آيم فاعل على فعلى، وهو أيمى، من حيث كانت الأئمة بلية نافع إليها، فجرى مجرى هالك وهلكى، ومائد وميدى وجريح وجرحى، وزمن وزمنى، وسكران وسكرى. ثم كسرت أيمى على أياى، فوزن أياى الآن على هذا فعلى، ولا قلب فيها.

وأنت إذا سلكت هذه الطريق أحرزت غنمين، وكفيت مئنتين:

إحدهما أن تكون الكلمة على أصلها لم تقلب ولم يغير شيء من حروفها، والآخر: أنه لو كان الأصيل «أياىم» لجاز، بل كان الوجه أن يُسمع، وإنما المسموع أياىم كما ترى، فاعرف ذلك، «فاليامى» على هذا القول فعلى، تكسير أيمى على فعلى، كهلكى.

وعلى القول الآخر فيالع.

ومما كُسر على فعلى ثم كسرت على فعلى ما روينا عن أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى فى أماليه من قول بعضهم^(١):

مثل القتالى فى الهشيم البالى

فهذا تكسير قتيل على قتلى، ثم قتلى على قتالى.

* * *

أن يُصِّلِحَا

ومن ذلك قراءة عاصم الجحدري، «أنْ يُصِّلِحَا»^(٢).

قال أبو الفتح: أراد يصطلحاً أى يفتعلاً، فأثر الإدغام فأبدل الطاء صاداً، ثم أدغم فيها الصاد التى هى فاء، فصارت يُصِّلِحَا. ولم يجوز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصغير، ألا ترى أن كل واحد من الطاء وأختيها والطاء وأختيها يدغم فى الصاد وأختيها، ولا يدغم واحدة منهن فى واحدة منهن؟ فلذلك لم يجوز «إلا أن يُطِّلِحَا»، وجاز يصِّلِحَا.

* * *

(١) نسبه فى لسان العرب «قتل» لمنظور بن مرثد.

(٢) وقراءة عثمان. انظر: (القرطبي ٤٠٤/٥، معانى القرآن للأخفش ٣٦٦/٢).

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ﴿١٣٦﴾

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن فى رواية عطاء عنه وقراءة عاصم الجحدري أيضا: «وملائكته وكتبه»^(١)، على التوحيد.

قال أبو الفتح: اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجنس، أى وكتبه. ومثله قوله سبحانه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، أى كتبنا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٣) فلكل إنسان كتاب، فهى جماعة كما ترى. وقد قال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^(٤). ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش فى اللغة. قال الله تعالى: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾^(٥)، أى أطفالا، وحسن لفظ الواحد هنا شىء آخر أيضا، وذلك أنه موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة؛ لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد، فاعرف ذلك.

* * *

يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴿١٤٢﴾

ومن ذلك قراءة عبد الله بن أبى إسحاق، والأشهب العقيلي: «يُرَاءُونَ الناس»^(٦)، مثل يُرْعُونَ، والهمزة بين الراء والواو من غير ألف.

قال أبو الفتح: معناه يبيصرون الناس، ويحملونهم على أن يروهم يفعلون ما يتعاطونه، وهى أقوى معنى من «يُرَاءُونَ» بالمد على يفاعِلُونَ، لأن معنى يراءؤونهم يتعرضون لأن يروهم، و«يُرْعَوْنَهُمْ» يحملونهم على أن يروهم.

قال أبو زيد: رأت المرأة الرجل المرأة إذا أمسكتها له ليرى وجهه، ويدلك على أن يُرَائِي أضعف معنى من يُرَتَّى قوله:

(١) انظر: (الكشاف ٣٠٤/١، البحر المحيط ٣/٣٧٢).

(٢) سورة الإسراء الآية (١٣).

(٣) سورة الإسراء الآية (١٤).

(٤) سورة الجاثية الآية (٢٨).

(٥) سورة الحج الآية (٥).

(٦) وقراءة الأعرج. انظر: (الكشاف ٣٠٧/١، البحر المحيط ٣/٣٧٧، مجمع البيان ٢/١٢٨).

ترى أو ترأى عند معقد غرزها تهاويل من أجلاد هير مووم^(١)

* * *

مُذَبِّذِينَ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس وعمرو بن فايد: «مُذَبِّذِينَ»^(٢)، بكسر الذال الثانية. قال أبو الفتح: هو من قوله^(٣):

خيال لأُمّ السلسبيل ودونه مسيرة شهر للبريد المذبذب
أى المهتز القلق الذى لا يثبت فى مكان، فكذلك هؤلاء: يخفون تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء، فهو مثل قوله: ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾^(٤)، وهو من ذَبَّتْ عن الشيء: أى صرفت عنه شيئاً يريد به إلى غير جهته، وقريب من لفظه، إلا أنه ليس من لفظه كما يقول البغداديون وأبو بكر معهم؛ وذلك أن ذَبَّتْ من ذوات الثلاثة، وذذب من مكرر الأربعة، فهو كقولهم: عين ثرة وثرثارة، وهو كثير فى معناه. وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا المنصف.

* * *

إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴿١٤٨﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم^(٥)، وعبد الأعلى بن عبد الله بن مسلم بن يسار وعطاء بن السائب وابن يسار: «إِلَّا مَنْ ظُلِمَ»^(٦) بفتح الظاء واللام.

(١) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢٥١).

(٢) انظر: (الكشاف ٣٠٧/١، البحر المحيط ٣٧٨/٣، مجمع البيان ١٢٨/٢).

(٣) هو لبعيث بن حريت، وهو مطلع قصيدة له فى ديوان الحماسة ١١٧/١.

(٤) سورة النساء الآية (١٤٣).

(٥) زيد بن أسلم العدوى العمرى، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله (١٣٦هـ - ٧٥٣م): فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبدالعزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد بن يزيد، فى جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتياً فى أمر، وكان ثقة، كثير الحديث له حلقة فى المسجد النبوى، وله كتاب فى «التفسير» رواه عنه ولده عبدالرحمن. انظر: (تذكرة الحفاظ ١٢٤/١، تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥، الأعلام ٣/٥٦، ٥٧).

(٦) وقراءة الحسن، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وأبى رجاء، وابن عمر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٩٥، الطبرى ٩/٣٤٣، القرطبى ٦/٣، البحر المحيط ٣/٣٨٢).

قال أبو الفتح: ظَلَمَ وظَلِمَ جميعاً على الاستثناء المنقطع، أى لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره، ودل على ذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^(١).

* * *

وَالْمُقِيمِينَ ﴿١٦٥﴾

ومن ذلك قراءة مالك بن دينار وعيسى الثقفى وعاصم الجحدري: «والمقيمون»^(٢)، بواو.

قال أبو الفتح: ارتفاع هذا على الظاهر الذى لا نظر فيه، وإنما الكلام فى «المقيمين» بالياء، واختلاف الناس فيه معروف، فلا وجه للتشاكل بإعادته، لكن رفعه فى هذه القراءة يمنع من توهمه مع الياء مجروراً أى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، وهذا واضح.

* * *

وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ﴿١٦٦﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «وَكَلَّمَ الله موسى»^(٣)، اسم الله نصب.

قال أبو الفتح: يشهد لهذه القراءة قوله جل وعز حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٤) وغيره من الآى التى فيها كلامه لله تعالى.

* * *

سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴿١٧١﴾

ومن ذلك قراءة العامة: ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾^(٥) بالفتح، وقراءة الحسن: «إِنْ يَكُونُ»، بكسر الألف.

(١) سورة النساء الآية (١٤٨).

(٢) وقراءة ابن مسعود، وأبى، وقراءة أبى عمرو (رواية هارون)، وعمرو بن عبيد، وسعيد بن جبير، والحسن، ويونس، والأعمش. انظر: (البحر المحيط ٣/٣٩٥، الطبرى ٩/٣٩٦، القرطبي ٦/١٢٠، الكشف ١/٣١٣).

(٣) وقراءة ابن وثاب. انظر: (البحر المحيط ٣/٣٩٨).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٥) سورة النساء الآية (١٧١).

قال أبو الفتح: هذه القراءة توجب رفع يكون، ولم يذكر ابن مجاهد إعراب يكون، وإنما يجب رفعه لأن «إن» هنا نفى كقولك: ما يكون له ولد، وهذا قاطع.

* * *

وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ ۖ

ومن ذلك قراءة مسلمة: «فسيحشرهم» «فيعدبهم»^(١)، ساكنة الراء والباء.

قال أبو الفتح: قد سبق نحو هذا وأنه إنما يُسكن استثقلاً للضمة، نعم وربما كان العمل خُلُساً فظُنَّ سكوناً، وقد سبقت شواهد السكون بما فيه.

* * *

(١) انظر: (القرطبي ٢٦/٦، الكشاف ٣١٦/١، البحر المحيط ٤٠٢/٣).

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴿١﴾

من ذلك قراءة الحسن وإبراهيم ويحيى بن وثاب: «وَأَنْتُمْ حُرُمٌ»^(١) بإسكان الراء. قال أبو الفتح: هذه اللغة تميمية، يقولون في رُسُل: رُسُل، وفي كُتُب: كُتُب، وفي دجاج يُبِضُّ دجاجٍ بِيض، وذلك أنه صار إلى فُعْل، فجرى مجرى جمع أبيض إذا قلت: بِيض.

واعلم من بعد هذا أن إسكان «حُرُم» كَأَنَّ له مزية على إسكان كُتُب، وذلك أن في الراء تكريراً، فكادت تكون الراء الساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحركة لزيادة الصوت بالتكرير نحواً من زيادته بالحركة، وكذلك الكلام في جِراب وجُرْب وسراج وسُرُج، وكذلك القول فيما جاء عنهم من تكسير فرد على أفراد، فيه هذا المعنى الذي ذكرناه؛ وذلك أن التكرير في راء فرد كاد يكون كالحركة فيها فصار «فَرْد» وإن كان فَعْلًا ساكن العين - كأنه فَعْلٌ محركها، وقد تقصيت هذا في كتاب المحاسن وبسطته هناك ونظائره.

* * *

فَاصْطَادُوا^٢

ومن ذلك قراءة أبي واقد والجراح ونُبَيْج والحسن بن عمران: «فَاصْطَادُوا»^(٢) بكسر الفاء.

قال أبو الفتح: هذه القراءة ظاهرة الإشكال، وذلك أنه لا داعي إلى إمالة فتحة هذه الفاء كما أميلت فتحة الراء الأولى من الضرر لكسرة الثانية، وكما أميلت فتحة النون من قولهم: وإنا إليه راجعون؛ لكسر الهمزة، ونحو ذلك فمن هنا أشكل أمر هذه الإمالة،

(١) انظر: (القرطبي ٣٦/٦، مجمع البيان ١٥٠/٢، الإتحاف ١٩٧).

(٢) انظر: (الكشاف ٣٢١/١، البحر المحيط ٤٢١/٣، تفسير الفخر الرازي ٣٥٢/٣).

إلا أن هنا ضرباً من التعليل صالحاً، وهو أنه لك أن تقول: فاصطادوا، فتميل الألف بعد الطاء إذ كانت منقلبة عن ياء الصيد. فإن قلت: فهناك الطاء، فهلا منعت الإمالة، وكذلك الصاد.

قيل: إن حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة في الفعل، وإنما تمنع منها في الاسم، نحو طالب وظالم، فأما في الفعل فلا، ألا تراهم كيف أمالوا طغى وقضى وهناك حرفان مستعريان مفتوحان؟ وسبب ذلك إيغال الأفعال في الاعتلال، وأنها أقعد فيه من الأسماء. فإن قلت: فإنه لم يُحكَ في الطاء إمالة.

قيل: هي وإن لم تسمع معرضة، والكلمة لها معرضة فكأنها لذلك ملفوظ، كما أن من قال في الوقف هذا ماش، فأمال مع سكون الشين نظراً إلى الكسرة إذا وصل فقال: هذا ماش، وكما أن من قال: أغزيت نظر إلى وجوب الياء في المضارع لانكسار ما قبل الواو في يُغزى، وكما أن من أعلَّ يخاف وأصلها يَخَوْفُ نظر إلى اعتلالها في الماضي وأصلها خَوْف. ولولا ذلك لوجب أغزوت ويخوف لأنه لا علة فيهما في مكانهما، وكما أن من قال في الإضافة إلى الصَّعِقِ صِعْقِي أقر كسرة الصاد مع فتحة العين نظراً إلى أصل ما كان عليه من كسرة العين، ولذلك نظائر.

وإن شئت قلت: لما كان يقول في الابتداء: اصطادوا، فيكسر همزة الوصل - نظر إليها بعد حذف الهمزة فقال: «فاصطادوا» تصوراً لكسرة الهمزة إذا ابتدأت فقلت: اصطادوا. فهذا وجه ثان لما مضى.

* * *

وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ ۝

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: «وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ» - بضم الياء - «شَنَاٰنُ قَوْمٍ إِن يَصُدُّوكُمْ»^(١) - بكسر الألف.

قال أبو الفتح: في هذه القراءة ضعف، وذلك لأنه جزم بيان ولم يأت لها بجواب مجزوم أو بالفاء، كقولك: إن تزرني أعطك درهماً أو فلك درهم، ولو قلت: إن تزرني أعطيتك درهماً قبح لما ذكرنا، وإنما باب الشعر:

(١) وقراءة الأعمش، ويحيى بن وثاب. انظر: (معاني القرآن للفرء ١/٢٢٩، القرطبي ٤٥/٦،

الكشاف ٣٢١/١، الطبري ٤٨٥/٥، الإتحاف ١٩٧.

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةَ طَارُوا لَهَا فَرَحًا يَوْمًا وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا^(١)

* * *

وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ ﴿٢﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس: «وَأَكِيلُ السَّبْعِ»^(٢).

قال أبو الفتح: ذهب بالتذكير إلى الجنس والعموم، حتى كأنه قال: وما أكل السبع، ولو قال ذلك ما كان لفظ «ما» إلا إلى التذكير، والأكيل هنا إذا يصلح للمذكر والمؤنث، وأما الأكلة فكانت طيحة والذبيحة، اسم للمأكل والمنطوح، كالضحية والبلية في قوله^(٣):

مثل البلية قالصا أهدأها^(٤)

فتقول على هذا: مررت بشاة أكيل، أى قد أكلها السبع ونحوه، وتقول: ما لنا طعام إلا الأكلة، أى الشاة أو الجزور المعدة لأن تؤكل، فإن كانت قد أكلت فهي أكيل بلا هاء، وكذلك أكيل السبع هنا ما قد أكل السبع بعضه.

* * *

غَيْرُ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴿٣﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم: «غَيْرَ مُتَجَنِّفٍ لِإِثْمٍ»^(٥)، بغير ألف.

قال أبو الفتح: كأن متجنفاً أبلغ وأقوى معنى من متجانف، وذلك لتشديد العين، وموضوعها لقوة المعنى بها نحو تصوّن وهو أبلغ من تصاون؛ لأن تصوّن أوغل في ذلك، فصح له وعرف به، وأما تصاون فكأنه أظهر من ذلك وقد يكون عليه، وكثيراً

(١) لقنبن بن ضمرة: وهو مطلع قطعة في ديوان الحماسة ٢/ ٤٦١، وبعده:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

جهدا علينا وجبنا عن عدوهم لبنت الخلتان الجهل والجبـن

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/ ٤٢٣، الكشف ١/ ٣٢٢، مجمع البيان ٢/ ١٥٦، القرطبي ٦/ ٥٠).

(٣) للبيد بن ربيعة من معلقته الشهيرة.

(٤) صدره: «تأوى إلى الأطناب كل رذية».

(٥) وقراءة أبي عبد الرحمن. انظر: (القرطبي ٦/ ٦٤، البحر المحيط ٣/ ٤٢٧).

ما لا يكون عليه، ألا ترى إلى قوله^(١):

إذا تخازرت وما بى من خزر^(٢)

فصار متجنف بمعنى مُتَمَيِّل مُتَّشَنٍّ، ومتجانف كمتمايل، ومتأوّد أبلغ من متاوّد، وعليه قراءة عبد الله بن أبي إسحاق والأشهب العقيلي: «يُرْعَوْنَ الناس». أى يُكْرَهُونَهُمْ على أن يَرَوْهُمْ على ما يتحمّلون به، ويرأون يتصنعون لذلك فرمما تم لهم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا.

* * *

مُكَلِّينَ

ومن ذلك قراءة أبي رزين: «مُكَلِّين»^(٣)، ساكنة الكاف.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون «مُكَلِّين» من قولهم: آسدت الكلب، أى: أغريته، وكذلك إكلاب الجوارح هو إغراؤها بالصيد وإسآدها عليه ليكون كالكلب الكلب، كلب وأكلبته كضرى وأضرّيته، وغرى وأغريته، وأسيد وآسدته، وعَرِص وأعرصته^(٤)، وهَبِص وأهْبِصْتُهُ^(٥).

* * *

وَأَرْجُلُكُمْ

ومن ذلك ما رواه عمرو عن الحسن: «وَأَرْجُلُكُمْ»^(٦)، بالرفع.

(١) عمرو بن العاص كما فى اللسان «مرر». قال ابن برى: هو المشهور، ويقال إنه لأرطاة بن شهبه تمثل به عمرو. وانظر: (وقعة صفين ٣٧٠، الكتاب ٦٩/٤، المقتضب ٧٩/١، القالى ٩٦/١، شرح المفصل ٨٠/٧).

(٢) تخازر: تكلف الخزر ونظر بموخر عينه، والأخزر: الذى نظره كأنه فى أحد الشقين.

(٣) وقراءة الحسن، وابن مسعود. انظر: (الإتحاف ١٩٨، القرطبى ٦٨/٦، الكشف ٣٢٣/١، مجمع البيان ١٦٣/٢).

(٤) عرص البرق عَرَصًا: اضطرب، وعرض الصبيان: لعبوا ومرحوا، وعرض فلان: نشط فهو عرص. انظر: المعجم الوسيط «عرص».

(٥) هبص هبصًا: نشط وخف، فهو هابص، وهى هابصة. انظر: المعجم الوسيط «هبص».

(٦) وقراءة الوليد بن مسلم عن نافع. انظر: (الإتحاف ١٩٨، القرطبى ٩١/٦، الكشف ٣٢٦/١، البحر المحيط ٤٣٨/٣، تهذيب اللغة «ع ك ب»).

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون رفعه بالابتداء والخبر محذوف، دل عليه ما تقدمه من قوله سبحانه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، أى وأرجلكم واجب غسلها، أو مفروض غسلها، أو مغسولة كغيرها، ونحو ذلك. وقد تقدم نحو هذا مما حذف خبره لدلالة ما هناك عليه، وكأنه بالرفع أقوى معنى؛ وذلك لأنه يستأنف فيرفعه على الابتداء، فيصير صاحب الجملة. وإذا نصب أو جرّ عطفه على ما قبله، فصار لَحَقًا وتبعًا، فاعرفه.

* * *

وَعَزَّزْتُمُوهُمْ ﴿١٢﴾

ومن ذلك قراءة عاصم الجحدري: «وَعَزَّزْتُمُوهُمْ»^(١)، خفيفة.

قال أبو الفتح: عززت الرجل أعزّزته عَزْرًا: إذا حُطَّتْه وكنفتَه، وعَزْرْتُهُ: فحمت أمره وعظمتَه، وكأنه لقربه من الأزر وهو التقوية معناه أو قريبًا منه، ونحوه عَزَرَ اللبن وحَزَرَ: إذا حمض فاشتد، فانظر إلى تلامح كلام العرب واعجب.

* * *

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴿٢٣﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبير ومجاهد: «قال رجلان من الَّذِينَ يَخَافُونَ»^(٢)، بضم الياء.

قال أبو الفتح: يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون من المؤمنين الذين يُرْهَبُونَ وَيَتَّقُونَ لما لهم في نفوس الناس من العفة والورع والستر، وذلك أنه من كان في النفوس كذلك رهب واحتشم وأطيع وأعظم؛ لأن من أطاع الله سبحانه أكرم وأطيع، ومن عصاه امتن وأضيع.

والآخر: أن يكون معناه من الذين إذا وُعِظُوا: رَهَبُوا وخَافُوا، فإذا أتاهم الرسول بالحق أطاعوا وخضعوا، أى ليس ممن يركب جهله ولا يصغى إلى ما يحد له، فيكون

(١) انظر: (البحر المحيط ٤/٣، إعراب القرآن للعكبري ١/١٢٢).

(٢) وقراءة ابن عباس. انظر: (الطبري ١٠/١٧٩، القرطبي ٦/١٢٧، الكشف ١/٣٣١، البحر المحيط ٣/٤٥٥).

كقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾^(١)، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾^(٢)، ونحو ذلك من الآي الدالة على رغبة المؤمنين وطاعتهم، فهذا إذا من أخيف والأول من خيف.

* * *

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾^(٣)

ومن ذلك قراءة الحسن بن عمران وأبى واقد والجراح، ورؤيت عن الحسن: «فطاوَّعت له نفسه»^(٣).

قال أبو الفتح: ينبغي - والله أعلم - أن يكون هذا على أن قتل أخيه جذبه إلى نفسه ودعاه إلى ذلك، فأجابته نفسه وطاوَّعته.

وقراءة العامة: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ﴾^(٤)، أى حسَّنته له وسهَّلته عليه.

* * *

﴿فَأُوَارَى سَوْءَةَ أَخِي﴾^(٥)

ومن ذلك قراءة طلحة بن سليمان: «فأُوَارَى سَوْءَةَ أَخِي»^(٥) بسكون الياء فى «أُوَارَى».

قال أبو الفتح: قد سبق القول على سكون هذه الياء فى موضع النصب فى نحو قوله:

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمِاءِ أَيْدَى جَوَارٍ بَتْنٍ نَاعِمَاتٍ^(٦)
وقول أبى العباس: إنها من أحسن الضرورات.

* * *

(١) سورة الحجرات الآية (٣).

(٢) سورة يس الآية (١١).

(٣) انظر: (الكشاف ٢٣٤/١، إعراب القرآن للنحاس ٤٩٣/١).

(٤) سورة المائدة الآية (٣٠).

(٥) انظر: (البحر المحييط ٤٦٧/٣).

(٦) انظر: (سمط اللآلى ٧٥٥).

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ﴿٣٢﴾

ومن ذلك قراءة أبي جعفر يزيد: «من أجل ذلك»^(١)، غير مهموز والنون مكسورة.

قال أبو الفتح: يقال: فعلت ذلك من أجلك ومن إجلك بالفتح والكسر، ومن إجلاك ومن جللك ومن جلالك ومن جرّاك، فيجب على هذا أن تكون قراءة أبي جعفر: «من اجل ذلك» على تخفيف همزة «إجل» بحذفها وإلقاء حركتها على نون من، كقولك في تخفيف كم إيلك: كم بلك، وفي من إبراهيم من إبراهيم، وهو واضح.

* * *

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ﴿٣٣﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ»^(٢)، بنصب الفساد.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون ذلك على فعل محذوف يدل عليه أول الكلام، وذلك أن قتل النفس بغير النفس من أعظم الفساد، فكأنه قال: أو أتى فسادًا، أو ركب فسادًا، أو أحدث فسادًا، وحذف الفعل الناصب لدلالة الكلام عليه وإبقاء عمله ناطقًا به ودليلاً عليه مع ما يدل من غيره عليه - أكثر من أن يؤتى بشيء منه مع وضوح الحال به، إلا أن منه قول القطامي^(٣):

فكُرتْ تبتغيه فوافقتَه على دمه ومصرعه السباعا

فنصب السباع لأنها داخله في الموافقة. ألا تراها إذا وافقت السباع على دمه فقد دخلت السباع في الموافقة، فيصير كأنه قال: وافقت السباع؟ وهو عندنا بعد على حذف المضاف، أي آثار السباع؛ لأنها لو صادفت السباع هناك لأكلتها أيضًا. وهناك مضاف آخر محذوف، أي صادفت السباع على أشلائه وبقيائه؛ لأنها إذا وافقت آثار السباع على دمه ومصرعه فإنما وافقت بقيائه لا جميعه.

وسمعت سنة خمس وخمسين غلامًا حدثًا من عقيل ومعه سيف في يده، فقال له بعض الحاضرين - وكنا مُصْجِرِينَ - يا أعرابي، سيفك هذا يقطع البطيخ؟ فقال: إي

(١) وقراءة الحسن. انظر: (الإتحاف ٢٠٠، القرطبي ١٤٥/٦، ١٤٦، الكشف ٣٣٥/١، البحر

المحيط ٤٦٨/٣، النشر ٢٥٤/٢).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٤٩٤/١، القرطبي ١٢٤/١).

(٣) انظر: (الكتاب ١٤٢/١ طبعة بولاق).

والله وغوارب الرجال، فنصب الغوارب على ذلك، أى ويقطع غوارب الرجال.

* * *

أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ ﴿٥٠﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم السلمى: «أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ»^(١)، بالياء ورفع الميم.

قال ابن مجاهد: وهو خطأ.

قال: وقال الأعرج: لا أعرف فى العربية أفحكم، وقرأ: «أفحكم»، نصبا.

وقرأ الأعمش: «أفحكمَ الجاهلية»^(٢)، بفتح الحاء والكاف والميم.

قال أبو الفتح: قول ابن مجاهد إنه خطأ فيه سرف، لكنه وجه غيره أقوى منه، وهو جائز فى الشعر. قال أبو النجم^(٣):

قد أصبحت أمّ الخيار تدعى علىّ ذنباً كلّهُ لم أصنع^(٤)

أى لم أصنعه، فحذف الهاء. نعم، ولو نصب فقال: «كلّه» لم ينكسر الوزن، فهذا يؤنسك بأنه ليس للضرورة مطلقة، بل لأن له وجها من القياس، وهو تشبيه عائد الخير بعائد الحال أو الصفة، وهو إلى الحال أقرب؛ لأنها ضرب من الخير. فالصفة كقولهم: الناس رجالان: رجل أكرمت ورجل أهنت، أى أكرمته وأهنته؛ والحال كقولهم: مررت بهند يضرب زيد، أى يضربها زيد، فحذف عائد الحال وهو فى الصفة أمثل؛ لشبه الصفة بالصلة فى نحو قولهم: أكرمت الذى أهنت، أى أهنته، ومررت بالتى لقيت، أى لقيتها، فغير بعيد أن يكون قوله: «أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ»^(٥)، يراد به ييغونه، ثم يحذف الضمير، وهذا وإن كانت فيه صنعة فإنه ليس بخطأ.

وفيه من بعد هذا شيان نذكرهما، وهو أن قوله: «كلّه لم أصنع» وإن كان قد حذف

(١) وقراءة أبى رجاء، والأعرج. انظر: (القرطبى ٢١٥/٦، الكشاف ٣٤٣/١، البحر المحيط ٥٠٥/٣، الرازى ٤١١/٣ مغنى اللبيب ١٠٦/٢).

(٢) وقراءة قتادة، والحسن، والأعرج. انظر: (القرطبى ٢١٥/٦، جمع البيان ٢٠٤/٢، البحر المحيط ٥٠٥/٣).

(٣) انظر: (الكتاب ٨٥/١، ١٣٧، خزنة الأدب ١٧٣/١، شرح شواهد المغنى ١٨٥ أمالى ابن الشجرى ٨/١، ٩٣، ٣٢٦).

(٤) أم الخيار: زوجته ويعنى بالذنب: الشيب، والصلع، والشيخوخة.

(٥) سورة المائدة الآية (٥٠).

منه الضمير فإنه قد خلفه وأُعيض منه ما يقوم مقامه فى اللفظ؛ لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه، وهو حرف الإطلاق، أعنى الياء فى «أصنعى»، فلما حضر ما يعاقب الهاء فلا يجتمع معها صارت لذلك كأنها حاضرة غير محذوفة، فهذا وجهه.

والثانى: أن هناك همزة استفهام، فهو أشد لتسليط الفعل، ألا ترى أنك تقول: زيد ضربته فيختار الرفع، فإذا جاء همزة الاستفهام اخترت النصب البتة، فقلت: أزيده ضربته، فنصبته بفعل مضمّر يكون هذا الظاهر تفسيراً له.

فإذا قلت: أفحكّم الجاهلية تبغون ولم تعد ضميراً ولا عوضت منه ما يعاقبه، وحرفُ الاستفهام الذى يختار معه النصب والضمير ملفوظ به موجود معك، فتكاد الحال تختلف على فساد الرفع، وبإزاء هذا أنه لو نصب فقال: كلّه لم أصنع لما كسر وزنا، فهذا يؤنسك بالرفع فى القراءة.

وإن شئت لم تجعل قوله: «يبغون» خبراً، بل تجعله صفة خير موصوف محذوف، فكأنه قال: أفحكّم الجاهلية حكّم يبغونه، ثم حذف الموصوف الذى هو حُكم وأقام الجملة التى هى صفته مقامه، أعنى يبغون، كما قال الله سبحانه: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(١)، أى قوم يحرفون، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، وعليه قوله^(٢):

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبغى العيش أكدح^(٣)

أى فمنهما تارة أموت فيها، فحذف تارة وأقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها فصار أموت فيها، ثم حذف حرف الجر فصار التقدير أموتها، ثم حذف الضمير فصارت أموت. ومثله فى الحذف من هذا الضرب بل هو أطول منه^(٤):

تروّحى يا خيرة الفسيل تروّحى أجدر أن تقيلى
أصله: اتنى مكاناً أجدر بأن تقيلى فيه، فحذف الفعل الذى هو «اتنى» لدلالة

(١) سورة النساء الآية (٤٦).

(٢) لثميم بن مقبل. انظر: (ديوان لثميم بن مقبل ٢٤، الكتاب ٣٤٦/٢، الحيوان ٤٨/٣، الكامل ٥٣٨، حماسة البحترى ١٨٣، خزائن الادب ٣٠٨/٢، همع الهوامع ١٥١/٢، اللسان «كدح»).

(٣) التارة: المرة، وألفها واو، يقول: لا راحة فى الدنيا فوقتها قسمان: موت مكروه لدى النفس، وحية كلها كدح ومعاناة، ومشقة للكسب. وقدم الموت ليعبر عن ضجره. والشاهد فيه: حذف الاسم لدلالة الصفة عليه، والتقدير: فمنها تارة أموت فيها.

(٤) قول أحичة بن الجلاح. انظر: (شرح التصريح ١٠٣/٢، العينى ٣٦/٤).

تروحي عليه، فصار مكانا أجدر بأن تقيلى فيه، ثم حذف الموصوف الذى هو مكاناً فصار تقديره أجدر بأن تقيلى فيه، ثم حذف الباء أيضاً تخفيفاً فصار أجدر أن تقيلى فيه، ثم حذف حرف الجر فصار أجدر أن تقيليه، ثم حذف العائد المنصوب فصار أجدر أن تقيلى. ففيه إذا خمسة أعمال، وهى حذف الفعل الناصب، ثم حذف الموصوف، ثم حذف الباء، ثم حذف «فى»، ثم حذف الهاء، فتلك خمسة أعمال. وهناك وجه سادس، وهو أن أصله اتى مكاناً أجدر بأن تقيلى فيه من غيره، كما تقول: مررت برجل أحسن من فلان، وأنت أكرم على من غيرك. فإذا جاز فى الكلام توالى هذه الحذوف ولم يكن معيياً ولا مشيناً ولا مُستكرهاً كان حذف الهاء من قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَةِ يَنْفُونَ﴾ - والمراد به حُكم ييغونه - ثم حذف الموصوف وعائده - أسوغ وأسهل وأسير. وأما قوله: ﴿أَفَحُكَمَ الْجَاهِلِيَةِ يَنْفُونَ﴾ فيمن قرأه كذلك فأمره ظاهر فى إعرابه، غير أن «حكماً» هنا ليس مقصوداً به قصد حاكم بعينه، وإنما هو بمعنى الشّيعاء والجنس، أى أفحكّم الجاهلية ييغون؟ وجاز للمضاف أن يقع جنساً كما جاء عنهم فى الحديث من قولهم: «منعت العراق قفيزها ودرهمها، ومنعت مصر إردبها، وله نظائر.

ثم يرجع المعنى من بعد إلى أن معناه معنى: ﴿أَفَحُكَمَ الْجَاهِلِيَةِ يَنْفُونَ﴾؛ لأنه ليس المراد والمُنْفَى هنا نفس الحكم، فإنما المبغى نفس الحُكم، فهو إذا على حذف المضاف أى أفحكّم حُكَمَ الجاهلية ييغون؟ وهذا هو الأول فى المعنى، فاعرف ذلك.

* * *

فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿٥١﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم: «فقرى الذين فى قلوبهم مرض»^(١). بالياء.

قال أبو الفتح: فاعل يرى مضمّر دلت عليه الحال، أى فقرأ رائيهم ومتأملهم. والذين فى موضع نصب كقراءة الجماعة، وقد كثر إضمار الفاعل لدلالة الكلام عليه، كقولهم: إذا كان غدا فأتنى، أى إذا كان ما نحن عليه من البلاء فى غد فأتنى، وهو كثير. ودل عليه أيضاً القراءة العامة، أى: فقرأ أنت يا محمد أو يا حاضر الحال الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فى ولاء المشركين ونصرهم.

* * *

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١٢٧، البحر المحيط ٣/٥٠٨).

مَثُوبَةٌ

ومن ذلك قراءة الحسن وابن هُرْمَزٍ وابن عمران ونُيَيْجٍ وابن بُرَيْدَةَ: «مَثُوبَةٌ»^(١)، ساكنة التاء.

قال أبو الفتح: هذا مما خرج على أصله، شاذاً عن بابهِ وحال نظائره، ومثله مما يحكى عنهم من قولهم: الفُكاهة مَقُودَةٌ إلى الأذى. وقياسهما مَثَابَةٌ ومَقَادَةٌ، كما جاء عنهم من منامة وهي القطيفة، ومزادة، ومثله مزيد وقياسه مزاد، إلا أن مَزِيداً عَلِمَ، والأعلام قد يحتمل فيها ما يكره في الأجناس نحو مَحَبٍّ ومَكْرُوزَةٍ ومَرِيْمٍ ومَذْنٍ ومَعَدٍّ يَكْرِبُ ورجاء بن حيوة ومنه مَوْطَبٌ ومورق اسم رجلين، ومَثُوبَةٌ مَفْعَلَةٌ ومَثُوبَةٌ مَفْعُلَةٌ، ونظيرها المَبْطُخَةُ والمَبْطُخَةُ والمَشْرُفَةُ والمَشْرُفَةُ. وأصل مَثُوبَةٌ مَثُوبَةٌ، فنقلت الضمة من الواو إلى التاء، ومثلها معونة. وأما مَثُونَةٌ فمختلف فيها، فمذهب سيويهِ أنها فَعُولَةٌ من مُنِتَ الرَّجُلُ أَمُونَهُ، وأصلها مَوُونَةٌ بلا همز، كما تقول في فَعُولٍ من القيام: قَوُومٌ، ومن النوم: نَوُومٌ، ثم تُهْمَزُ الواو استحساناً للزوم الضمة لها، فتصير مَثُونَةٌ. وقال غيره: هي مَفْعُلَةٌ من الأَوْنِ، وهو الثَّقَلُ من قول رؤبة^(٢):

سِيراً وَقَدْ أَوْنَ تَأْوِينَ الْعُقُقِ

أى ثقلت أجوافهن فصار كأن هناك أَوْنين، أى عِذْلين، فمَثُونَةٌ على هذا كمعونة، هذا من الأَوْنِ، وهذا من المَوْنِ. وأجاز الفراءُ أن تكون من الأَينِ، وهو التعب من حيث كانت المَثُونَةُ ثِقَلًا على ملتزمها، فسلك الفراءُ في هذا مذهب أبي الحسن في قوله في مَفْعُلَةٍ من البيع: مَبُوعَةٌ، وحقته في هذا ما سمع منهم في قول الشاعر^(٣):

وَكُنْتُ إِذَا جَارَى دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرٌ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مَئْزَرِي^(٤)

(١) وقراءة الأعرج. انظر: (الإتحاف ٢٠١)، الكشاف ٣٤٨/١، البحر المحيط ٥١٨/٣، مجمع البيان ٢١٤/٢.

(٢) انظر: (ديوانه ١٠٨).

(٣) لأبي جندب الهذلي، من قصيدة مطلعها:

أَلَا أَيْلَغَا سَعْدَ بْنَ لَيْثٍ وَجُنْدَعَا

وَكَلْبَا أَثْيَبَا الْمُنَّ غَيْرَ الْمَكْدَرِ

انظر: (ديوان الهذليين ٩١/٣ وما بعدها).

(٤) مضوفة، إلى أمر ضافه، أى نزل به وشق عليه. والمضاف: الملجأ. في السكري: «وكنْتُ إِذَا جَارَى دَعَا لِمَضُوفَةٍ»، فسر المضوفة فقال: أى هم ضافة أو أمر شديد، يقال: لى إليك مضوفة أى حاجة صفته: لجأت إليه وأضفته ضمته إلى رحلى. ويقال رجل مضاف: ملجأ. ويقول الباهلي: =

وهى من الضيف. والكلام هنا يطول، وقد أشبعناه فى كتابنا المنصف.

* * *

وَعَبْدُ الطَّاعُوتِ ﴿٦٥﴾

ومن ذلك ما يروى فى قول الله تعالى: ﴿وَعَبْدُ الطَّاعُوتِ﴾، وهو عشر قراءات: «وَعَبْدُ الطَّاعُوتِ» على فَعَلَ ونصبِ الطَّاعُوتِ^(١). «وَعَبْدُ الطَّاعُوتِ»، بفتح العين، وضم الباء، وفتح الدال، وخفض الطَّاعُوتِ^(٢)؛ وهما فى السبعة.

ابن عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعى، والأعمش، وأبان بن تغلب، وعلى بن صالح، وشيبان: «وَعَبْدُ الطَّاعُوتِ»، بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطَّاعُوتِ^(٣). وروى عكرمة عن ابن عباس: «وَعَبْدُ الطَّاعُوتِ»^(٤)، يضم العين وفتح الباء وتشديدها وفتح الدال وخفض الطَّاعُوتِ.

وأبو واقد: «وَعَبَادُ الطَّاعُوتِ»^(٥)، «وَعِبَادُ الطَّاعُوتِ» قراءة البصريين^(٦).

=مضوفة، بأمر يشفق منه، قال الجعدى: «وكان النكير أن تضيف وتجزأ». انظر: هامش ديوان الهذليين ٩٢/٣.

وقال فى المنصف بعدما ذكر البيت ٣٠١/١: ففيه تعلق لأبى الحسن فى قوله: «مفعلة» من «عشت: معوشة» لأن مضوفة: مَفْعَلَةٌ من ضفت الرجل: إذا نزلت به لأن معناها ما ينزل بالإنسان ويضيفه من نوابب الدهر، وأصلها «مضيضة» ثم نقلت الضمة إلى الضاد، وانقلبت الياء واوًا، لسكونها وانضمام ما قبلها. فيشبه أن يكون أبو الحسن بهذا تعلق وعليه عقد هذا الخلاف، إلا أن هذا حرف شاذ لا نعلم له نظيرًا، فينبغى ألا يقاس عليه.

(١) قراءة الجمهور.

(٢) وقراءة حمزة، ويحيى بن وثاب، والمطوعى، والأعمش. انظر: (الإتحاف ٢٠١، البحر المحيط ٥١٩/٣، القرطبى ٢٣٥/٦، الطبرى ٢٣٩، ١٠، السبعة ٢٤٦، غيث النفع ٢٠٤، الكشف ٤١٤، النشر ٢٥٥/٢، الرازى ٤٢٢/٣ التيسير ١٠٠، العنوان ٧١، التهذيب اللغة «ع د ب»، لسان العرب «عبد»).

(٣) وقراءة مجاهد، وابن وثاب، والشبنوذى، وابن أبى عيلة. انظر: (الطبرى ٤٤٠/١٠، القرطبى ٢٣٥/٦، مجمع البيان ٢١٥/٢، البحر المحيط ٥١٩/٣).

(٤) وقراءة الأعمش. انظر: (القرطبى ٢٣٥/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣، الرازى ٤٢٢/٣، لسان العرب «عبد» تهذيب اللغة «ع د ب»).

(٥) انظر: (القرطبى ٢٣٥/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣، لسان العرب «عبد»، تهذيب اللغة «ع د ب»).

(٦) انظر: (القرطبى ٢٣٦/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣).

وقال معاذ: قرأ بعضهم: «وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ»^(١)، كقولك: ضُرب زيد لم يسم فاعله.

وقرأ عون العقيلي وابن بريدة: «وَعَابِدُ الطَّاغُوتِ»^(٢).

وقرأ أبي بن كعب: «وَعَبْدُوا الطَّاغُوتِ» بواو^(٣).

وقرأ ابن مسعود فيما رواه عبد الغفار عن علقمة^(٤)، عنه: «وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ»^(٥)، كصُرد.

قال أبو الفتح: أما قوله: «وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ» فماض معطوف على قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ﴾.

وأما «وَعَبْدُ الطَّاغُوتِ» فاسم على فَعْل. قال أبو الحسن: جاء به نحو حَذَرَ وَفَطُنَ.

قال: وَأَمَّا «وَعَبْدٌ» فجمع عبيد، وأنشد:

انسب العبد إلى آبائه أسود الجلد ومن قوم عبْد^(٦)
هكذا قال أبو الحسن، وقد يجوز أن يكون عبْد جمع عبْد، كرهْنِ وَرُهْنِ، وسُقْفِ
وَسُقْفِ.

ومن جهة أحمد بن يحيى عبْد جمع عابد، وهذا صحيح، كبازل وبُزْل، وشارف
وشُرْف.

قال أبو الحسن: والمعنى - فيما يقال - خَدُمُ الطَّاغُوتِ.

وأما عبْد الطَّاغُوتِ فجمع عابد، ومثله عبَاد، كضارب وضُرْب وضُرَّاب، وعليه

(١) وقراءة أبي جعفر الرأس، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، والأعمش. انظر: (الطبري ١٠/٤٤٠، القرطبي ٢٣٦/٦، مجمع البيان ٢/٢١٥).

(٢) وقراءة بريدة الأسلمي. انظر: (الطبري ١٠/٤٤١، الكشف ١/٣٤٨، القرطبي ٢٣٦/٦، الرازي ٣/٤٢٢، لسان العرب «عبد»، تهذيب اللغة «ع د ب»).

(٣) انظر: (معاني القرآن للفراء ١/٣١٤، الطبري ١٠/٤٤٢، القرطبي ٦/٢٣٥، الكشف ١/٣٤٨، البحر المحيط ٣/٥١٩، تهذيب اللغة «ع د ب»، لسان العرب «عبد»).

(٤) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل (٦٢ هـ = ٦٨١ م): تابعي، كان فقيه العراق. يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله. انظر: (تهذيب التهذيب ٧/٢٧٦، تذكرة الحفاظ ١/٤٥٠، حلية الأولياء ٢/٩٨، تاريخ بغداد ١٢/٢٩٦، الأعلام ٤/٢٤٨).

(٥) انظر: (القرطبي ٦/٢٣٦، البحر المحيط ٣/٥١٩، مجمع البيان ٢/٢١٥، الرازي ٣/٤٢٢).

(٦) انظر: (البحر المحيط ٣/٥١٩).

القراءتان: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ» و«وَعَبَادَ الطَّاغُوتِ»، وعليه قراءة من قرأ: «وَعِبَادَ الطَّاغُوتِ»، عابد وعِبَاد، كقائم وقيام، وصائم وصيام. وقد يجوز أن يكون عِبَادَ الطَّاغُوتِ جمع عَبْد، وقلما يأتي عِبَاد مضاف إلى غير الله. وقد أنشد سيبويه^(١):

أتوعدنى بقومك يابن حَجَلٍ أَشَابَاتٍ يَخَالُونَ الْعِبَادَ^(٢)
يريد عبيداً لبني آدم، ولا يجوز أن يكون فى المعنى عباد الله؛ لأن هذا ما لا يسب به أحد، والناس كلهم عباد الله تعالى. وأما قول الآخر:

لا والذى أنا عبد فى عبادته لولا شماتة أعداء ذوى إحـن
ما سرنى أنَّ إبلى فى مباركها وأن شيئاً قضاؤه الله لم يكن
فيحتمل أن يكون جمع عبد، إلا أنه أنه فصار كينكاره وحجارة وقصارة، جمع قصير.
ويجوز أن تكون العبادة هنا مصدرًا، أى أنا عبد فى طاعته.

وأما «عَبَدَ الطَّاغُوتَ» فظاهر، وعليه قراءة أبى: «وَعَبَدُوا الطَّاغُوتَ»، بواو.
وأما «وَعَابَدَ الطَّاغُوتَ» فهو فى الأفراد كَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، واحد فى معنى جماعة على ما مضى.

وعليه أيضًا «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ» لأنه كحُطِمَ ولَبِد، كما أن عَبْدًا كَنَدُسٍ وحذرُ
ووظيف عَجْر. ومن جهة أحمد بن يحيى «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ» أى: صار الطَّاغُوتُ معبودًا،
كفقه الرجل، وظُرِف: صار فقيهاً وظريفًا. ومن جهته أيضًا: «وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ»، وقال:
أراد عَبْدَةً فحذف الهاء، قال: ويقال: عَبْدَةُ الطَّاغُوتِ والأوثان، ويقال للمسلمين عِبَاد.

* * *

وَالصَّائِغُونَ ﴿٦﴾

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى: «وَالصَّائِغُونَ»^(٣)، يثبت الياء ولا يهمز.

(١) قال سيبويه: وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم يُنْشِدُ هذا البيت نصبًا، فذكره.

انظر: (الكتاب ٣٠٤/١)، أمالى ابن الشجرى (١٥٣).

(٢) الأشابات: الأخلاط من الناس هاهنا: جمع أشابة بالضم، ونصها على الـنـم، والعباد: جمع عبد، قال ابن الشجرى: يقولون: نحن عباد الله، لا يكادون يضيفونه إلى الناس، ولكنه جعل العباد هنا بمعنى العبيد.

(٣) انظر: (الكشاف ٣٥٤/١)، البحر المحيط ٥٣١/٣.

وقرأ «الصابون»^(١)، بغير همز ولا ياء أبو جعفر وشيبة، والخطاطون^(٢)، ومُتْكُون^(٣). قال أبو الفتح: أما «الصابيون» بياء غير مهموزة فعلى قياس قول أبي الحسن في «يستَهْزُون»: يَسْتَهْزُون بياء غير مهموزة، ويحمل ذلك فيها لتقدير الهمزة في أصلها، فيكون ذلك فرقاً بينها وبين ياء يَسْتَقْضُون. ألا ترى أن أصله يستقضيون، كما فرق أبو الحسن بقوله في مثل عنكبوت من قرأت: قرأ يوت بضممة الياء - بينه وبين مثال عنكبوت من رميت رميوت، وقد مضى هذا في موضعه.

وأما «الصابُون» و«مُتْكُون» فعلى إبدال الهمزة البتة، فصارت كالصابون من صبوت، وكمْتَجْنُون من تَجْنَيْتُ، والوجه أن يكون الصابيون بلا همز تخفيفاً لا بدلاً، وإن جعلته بدلاً مراعى به أولية حاله كقرأ يوت جاز أيضاً.

ومن ذلك قراءة عثمان وأبي بن كعب وعائشة وسعيد بن جبير والجحدري رضى الله عنهم: «والصابيين»، بياء^(٤).

قال أبو الفتح: الخطب في هذا أيسر من الصابيون بالرفع؛ لأن النصب على ظاهره، وإنما الرفع يحتاج أن يقال: إنه مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى على ما يقال في هذا، حتى كأنه قال: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابون كذلك.

* * *

ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا ﴿٧﴾

ومن ذلك قراءة يحيى والنخعي: «ثم عَمُوا وَصَمُوا»^(٥)، بضم العين والصاد. قال أبو الفتح: يجب أن يكون هذا على تقدير فَعِلَ، كقولهم: زُكِمَ وَأَزْكَمَهُ اللهُ، وَحُمَّ وَأَحْمَهُ اللهُ، فكذلك هذا أيضاً، جاء على عُمَى وَصُمَّ، وأعماه الله وأصمه الله. ولا يقال: عَمِيَّتْهُ وَلَا صَمَمَتْهُ، كما لا يقال: زَكَمَهُ اللهُ وَلَا حَمَّهُ، فاعرف ذلك.

* * *

(١) وقراءة نافع. انظر: (الإتحاف ٢٠٢، الكشاف ٣٥٤/١، غيث النفع ٢٠٤).

(٢) سورة الحاقة الآية (٣٧)، وهي قراءة أبي جعفر، وشيبة، وطلحة، ونافع بخلاف عنه. انظر: (البحر المحيط ٣٢٧/٨).

(٣) سورة يس الآية (٥٦).

(٤) وقراءة ابن كثير، وابن محيصن. انظر: (إعراب القرآن للعكبري ١٢٨/١، البحر المحيط ٥٣١/٣، الكشاف ٣٥٤/١ إعراب القرآن للنحاس ٥٠٩/١).

(٥) انظر: (الكشاف ٢٥٥/١، الرازي ٤٣٢/٣، البحر المحيط ٥٣٤/٣).

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءة جعفر بن محمد: «من أوسط ما تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ»^(١).

قال أبو الفتح: يقال أهل وأهلة، قال:

وأهلة ود قد تبريت ودهم وأبليتهم فى الحمد جهدى ونائلى
فأما أهال فكقولهم: ليلال، كأن واحدها أهلاة وليلاة، وقد مر بنا تصديقاً لقول
سيبويه: فإن واحده فى التقدير ليلاة - ما أنشده ابن الأعرابى من قوله:

فى كل يوم ما وكل ليلاه حتى يقول من رآه إذ رآه
يا ويحه من جمل ما أشقاه

ومن ذهب إلى أن أهال جمع أهلون فقد أساء المذهب؛ لأن هذا الجمع لم يأت فيه
تكسير قط. قال الشنفرى:

ولى دونكم أهلون: سِيدَ عَمَلَسُ وأرقط زهلول وعرفاء جيثل
ونحو من ذلك أرض وأراض، القول فيهما واحد، ويقال: أرض وأرضون وأرضون،
بفتح الراء وتسكينها أيضاً. قال كعب بن معديان الأشقرى:

لقد ضجت الأرضون إذ قام من بنى هداد خطيب فوق أعواد منبر
وحكى أبو زيد فيها: أرض، وقيل: أراض. وأسكن الياء من أهاليكم فى موضع
النصب تشبيها لها بالألف، وقد سبق مثل ذلك.

* * *

أَوْكِسَوْتُهُمْ ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبير ومحمد بن السميعف: «أو كإسوتهم»، من الإسوة.
قال أبو الفتح: كأنه - والله أعلم - قال: أو كما يكفى مثلهم، فهو على حذف
المضاف، أو ككفاية إسوتهم، وإن شئت جعلت الإسوة هى الكفاية ولم تحتج إلى حذف
المضاف.

* * *

(١) انظر: (القرطبي ٢٧٩/٦، البحر المحيط ١٠/٤، مجمع البيان ٢٣٧/٢).

فَجَزَاءٌ ۝ ٩٥

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن: «فجزاء»، رفع منون، «مثل»، بالنصب.

قال أبو الفتح: «مثل» منصوبة بنفس الجزاء، أى فعلية أن يجزى مثل ما قتل، «فمثل» إذاً فى صلة الجزاء، والجزاء مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، أى فعلية جزاء مثل ما قتل، أو فالواجب عليه جزاء مثل ما قتل، فلما نون المصدر أعمله كقوله: (١)

بضرب بالسيوف رءوس قوم أزلنا هامهن عن المقيـل (٢)

* * *

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ۝ ٩٥

ومن ذلك قراءة محمد بن على وجعفر بن محمد: «يَحْكُمُ بِهِ ذُو عَدْلٍ مِّنْكُمْ» (٣).

قال أبو الفتح: لم يوحّد ذو لأن الواحد يكفى فى الحكم، لكنه أراد معنى مَنْ، أى يحكم به مَنْ يعدل، ومن تكون لل اثنين كما تكون لل واحد، نحو قوله (٤):

نَكُنْ مَثَلْ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ.

* * *

وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۝ ٩٦

ومن ذلك قراءة ابن عباس: «وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حَرَمًا» (٥).

(١) المدار الأسدى. انظر: (الكتاب ١/١١٦، والعينى ٣/٤٩٩).

(٢) الهام: جمع هامة وهى الرأس. والضمير فيه يرجع إلى الرءوس السالفة الذكر، وإضافة الشىء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان خائر للتوكيد، كما فى ﴿جبل الوريد﴾، و﴿حب الحصيد﴾. أو الضمير راجع إلى «قوم» والقوم يذكر ويؤنث. ومقيل الرأس هو العنق. وأصل المقيل مكان القيلولة فى الظهيرة، ومثله قول عبد الله بن راحة:

اليوم نضربكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله

انظر: (هامش الكتاب ١/١١٦).

(٣) انظر: (جمع البيان ٢/٢٤٢، البحر المحيط ٤/٢٠).

(٤) هو الفرزدق. صدره: «تعشّن فإن واقتننى لا تخوننى». انظر: (ديوانه ٢/٨٧٠).

(٥) انظر: (الكشاف ١/٢٦٦، البحر المحيط ٤/٢٤، العكبرى ١/٣٣٢).

قال أبو الفتح: معنى «حَرَمًا» راجع إلى معنى قراءة الجماعة ﴿حُرُومًا﴾، وذلك أن الحُرْمَ: جمعُ حرام، والحَرَمُ: المحرَّم، فهو في المعنى مفعول، فجعلهم حَرَمًا، أى هم في امتناعهم مما يمتنع منه المحرَّم وامتناع ذلك أيضًا منهم كالحَرَم، فالمعنيان إذاً واحد من حيث أرينا.

* * *

قَدْ سَأَلَهَا ١٠٢

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «قد سَأَلَهَا»^(١)، بكسر السين.

قال أبو الفتح: يعنى ويريد الإمالة؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها أبدًا إلا مفتوحًا، ووجه الإمالة أنه على لغة من قال: سِلْتَ تسال، فهى فى هذه اللغة كخفت تخاف، فالإمالة إذاً إنما جاءت لانكسار ما قبل اللام سِلْتَ، كمجيئها فى خاف لمجىء الكسرة فى خاء خِفت. ويدلُّك على أن هذه اللغة من الوار لا من الهمزة ما حدثنا به أبو علي من قوله: هما يتساولان، وهذه دلالة على ما ذكرنا قاطعة.

* * *

لَا يَضُرُّكُمْ ١٠٥

ومن ذلك قراءة الحسن: «لا يَضُرُّكُمْ»^(٢)، وقراءة إبراهيم: «لا يَضِرُّكُمْ»^(٣).

قال أبو الفتح: فيها أربع لغات: ضاره يَضِرُّه، وضاره يَضُورُه، وضَرَّه يَضُرُّه، وضَرَّه يَضِرُّه، بكسر الضاد وتشديد الراء، وهى غريبة أعنى يفعل فى المضاعف متعدية، وقد ذكرناها وقراءة من قرأ: «لن يَضِرُّوا الله شيئاً»^(٤)، وجزم يَضُرُّكم وَيَضِرُّكم لأنه جعل جواب الأمر أعنى قوله: «عليكم أنفسكم». ويجوز أن تكون لا هنا نهياً كقولك: لا تقم إذا قام غيرك، والأول أجود.

* * *

(١) انظر: (البحر المحيط ٣٢/٤).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣٧/٤، العكبرى ١٣٢/١، النحاس ٥٢٣١/١).

(٣) وقراءة والحسن أيضًا. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٣٣/١، البحر المحيط ٣٧/٤، والإتحاف

٢٠٣).

(٤) سورة آل عمران الآيتان (١٧٦، ١٧٧).

شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ

ومن ذلك قراءة الأعرج والشَّعْبِيُّ والحسن والأشهب: «شهادة بَيْنَكُمْ»^(١)، رفع.

وعن الأعرج، بخلاف: «شهادة بَيْنَكُمْ»^(٢)، نصب.

قال أبو الفتح: أما الرفع بالتنوين فعلى سميت قراءة العامة «شهادة بَيْنَكُمْ» بالإضافة، فحذف التنوين فانجرَّ الاسم.

«وأما شهادة بَيْنَكُمْ» بالنصب والتنوين فنصبها على فعل مضمر، أى لِيُقِيمَ شهادة بَيْنَكُمْ اثنان ذوا عدل منكم، كما أن من رفع فَنَوَّنَ أو لم يُنَوَّنْ فهو على نحو من هذا، أى مقيم شهادة بَيْنَكُمْ أو شهادة بَيْنَكُمْ اثنان ذوا عدل منكم، ثم حُذِفَ المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وإن شئت كان المضاف محذوفاً من آخر الكلام أى شهادة بَيْنَكُمْ شهادة اثنين ذوى عدل منكم، أى ينبغي أن تكون الشهادة المعتمدة هكذا.

* * *

شَهَادَةُ اللَّهِ

ومن ذلك قراءة على كرم الله وجهه والشَّعْبِيُّ بخلاف ونعيم بن ميسرة «شهادة آله»^(٣).

وروى عن الشعبي: «شهادة آله»^(٤)، مقصور وينون شهادة.

وروى عنه أيضاً: «شهادة آله»، مجزومة الهاء ممدودة الألف.

وروى عنه «شهادة آله»^(٥)، مجزم شهادة وقصر الله، فهذه أربعة أوجه رويت عن

(١) انظر: (الكشاف ٣٦٩/١، البحر المحيط ٣٨/٤، مجمع البيان ٢٥٤/٢).

(٢) وقراءة السلمى، وأبى حيرة، والحسن. انظر: (الكشاف ٣٦٩/١، البحر المحيط ٣٨/٤، مجمع البيان ٢٥٤/٢).

(٣) انظر: (الطبرى ١٧٨/١١، مجمع البيان ٢٥٤/٢، البحر المحيط ٤٤/٤).

(٤) قراءة السلمى يحيى بن آدم، وأبى بكر بن عياش، وسعيد بن جبير بن يعمر. انظر: (البحر المحيط ٤٤/٤، العكبرى ١٣٣/١).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٤٤/٤).

الشَّعْبِي، وتابعه على «شهادة الله» السُّلَمِيُّ ويحيى وإبراهيم وسعيد بن جبَّير ويحيى بن يعمر والحسن والكَلْبِيُّ.

قال أبو الفتح: أما «شهادة» فهي أعم من قراءة الجماعة: «شهادة الله» بالإضافة، غير أنها بالإضافة أفخم وأشرف وأحرى بترك كتمانها لإضافتها إلى الله سبحانه، وأما الله مقصورة بالجر فحكاها سيويه: أن منهم من يجذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول: الله لقد كان كذا، قال: وذلك لكثرة الاستعمال.

وأما «الله» بالمد فعلى أن همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم، ألا تراك لا تجمع بينهما فتقول: أو الله لأفعلن؟.

وأما سكون هاء «شهادة» فللوقوف عليها ثم استؤنف القسم، وهو وجه حسن؛ وذلك ليُستأنف القسم في أول الكلام فيكون أوقر له وأشدَّ هيبة من أن يدرج في عرض القول؛ وذلك أن القسم ضرب من الخير يُذكر ليؤكد به خير آخر فلما كان موضع تأكيد مُكِّن من صدر الكلام، وأعطى صورة الإعلاء والإعظام.

ويزيد في وضوح هذا المعنى وبيانه أنه لما نون شهادة فأدرج وقر الهمزة عن حذفها كما يجب فيها من حيث كانت همزة وصل، فأقرأها مقطوعة كما تُقطع مبتدأة، فقد جمع في هذه القراءة بين حالى الوصل والوقف.

أما الوصل فلتنوين شهادة، وأما الوقف فلإبباته همزة الوصل التى إنما تُقطع إذا وقف على ما قبلها ثم استؤنفت، والعناية بقطعها واستئنافها ما قدمت ذكره لك من تمكن حال القسم بتوفية اللفظ جميع وجوها، وقطع ليكون فى حال إدراجها فى لفظ المبدوء بها لا الآتية مأتى النّيف الذى لم يُوفَّ من صدر الكلام ما يجب لها، فافهمه.

ويؤكد عندك شدة الاهتمام بهذا القسم لما فيه - بحقيقته وحرف الاستفهام قبله، فكأنه - والله أعلم - قال: أنقسم بالله إنا إذا لمن الظالمين، ففى هذا تهيب منهم للموضع، وتكعكع عن القسم عليه باستحقاق الظلم عنه، كأنه يريد القسم بالله عليه كما أقسم فى الأخرى بلا استفهام، ثم إنه هاب ذلك فأخذ يشاور فى ذلك كالقائل: أوقدِم على هذه اليمين يا فلان أم أتوقف عنها إعظاما لها ولا ارتكاب ما أقسم عليه بها؟.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾

من ذلك قراءة الأعرج: «وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ»^(١).

قال أبو الفتح: يقال: أفرط في الأمر إذا زاد فيه، وفرط فيه: إذا قصر، فكما أن قراءة العامة: ﴿لَا يُفْرِطُونَ﴾^(٢): لا يقصرون فيما يؤمرون به من تَوْفِيٍّ من تحضر منيته - فكذلك أيضًا لا يزيدون، ولا يَتَوَفَّوْنَ إلا من أُمِرُوا بِتَوْفِيِّهِ. ونظيره قوله جل وعز: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٣).

* * *

لَأَيِّهِمْ أَزْرٌ ﴿٧٤﴾

ومن ذلك قراءة أبيّ وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدني ويعقوب، ورويت عن سليمان التيمي: «لَأَيِّهِمْ أَزْرٌ»^(٤).

وقرأ ابن عباس بخلاف: «أَزْرًا تَتَّخِذُ»^(٥) بهمزيّن، استفهام، وينصبهما، وينون.

وقرأ أبو إسماعيل رجل من أهل الشام: «أَثْرًا» - مكسورة الألف منونة - «تَتَّخِذُ»^(٦).

(١) وقراءة عمرو بن عبيد. انظر: (القرطبي ٧/٧ والكشاف ١٩/٢، البحر المحيط ٤/١٤٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (٦١).

(٣) سورة الرعد الآية (٨).

(٤) انظر: (الطبري ٤٦٧/١١، الكشاف ٢٣/٢، القرطبي ٢٣/٧، البحر ٤/١٦٤، النشر ٢/٢٥٩، الإتحاف ٢١١).

(٥) انظر: (القرطبي ٢٣/٧، الكشاف ٢٢/٢، البحر المحيط ٤/١٦٤).

(٦) وقراءة ابن عباس أيضًا. انظر: (النحاس ٥٥٨/١، الكشاف ٢٣/٢، القرطبي ٢٣/٧، البحر المحيط ٤/١٦٤، العكبري ١/١٤٤).

قال أبو الفتح: أما «آزر» فنداء، وأما «أزرا» فقييل: «إزرا» هو الصنم، وأزرا بالفتح أيضاً.

* * *

قَنَوَانٌ

ومن ذلك قراءة الأعرج: «قَنَوَان»^(١)، بالفتح.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون قَنَوَان هذا اسماً للجمع غير مكسر، بمنزلة رَكِب عند سيويه والجامل^(٢) والباقر^(٣)؛ وذلك أن فَعْلَان ليس من أمثلة الجمع.

وقرأت على أبي عليّ في بعض كتب أبي زيد قوله^(٤):

خلع الملوك وسار تحت لوائه شَجَرُ العُرا وَغُرَاعِرُ الأَقْوامِ
وقال أبو زيد: غُرَاعِر جمع غُرْعرة، فقلت لأبي عليّ: كيف يكون هذا وأوله مضموم؟.

فقال: يعنى أبو زيد إنه اسم للجمع يفيد مفاد التكسير.

* * *

وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمِ الْبَيْنَ وَبَنَتِ

ومن ذلك قراءة ابن يعمر: «وَخَلَقَهُمْ»^(٥) بجزم اللام.

قال أبو الفتح: أى وَخَلَقَ الجن، يعنى ما يَخْلُقونه: ما يَأْكُون فيه ويتكذَّبونه. يقول: جعلوا له الجنَّ شركاء، وأفعالهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عَنِ بذلك الأصنام ونحوها.

(١) وقراءة أبي عمرو، وهارون. انظر: (القرطبي ٤٨/٧، الكشاف ٢٢٣/١، البحر المحيط ١٨٩/٤، العكبري ١٤٨/١).

(٢) هو القطيع من الإبل برعاته وأربابه، ورجُلٌ حَامِلٌ: ذو جمال. انظر: المعجم الوسيط «جمل».

(٣) هو جماعة البقر مع رعاتها. انظر: المعجم الوسيط «بقر».

(٤) هو المهلل. انظر: لسان العرب «عرعر».

(٥) انظر: (الطبري ٧/١٢، القرطبي ٥٢/٧، الكشاف ٣١/٢، البحر المحيط ١٩٤/٤، والعكبري ١٤٨/١، النحاس ٥٧٠/١).

ومن ذلك قراءة عُمر وابن عباس «رضى الله عنهما»: «وَحَرَّفُوا لَهُ»^(١)، بالخاء والفاء. وقال أبو الفتح: هذا شاهد بكذبهم، ومثله «يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^(٢)، وأصله من الانحراف، أى الانعдал عن القصد، وكلاهما من حَرَفِ الشَّيْءِ؛ لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة، وهو أيضاً معنى قراءة الجماعة: «وَحَرَّفُوا» بالخاء والقاف، ومعنى الجميع كذبوا.

* * *

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴿١٠﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ»^(٣)، بالياء.

قال أبو الفتح: يَحْتَمِلُ التذكيرُ هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون فى «يكن» ضمير اسم الله، أى لم يكن الله له صاحبة، وتكون الجملة التى هى «له صاحبة» خبر كان.

والثانى: أن يكون فى يكن ضميرُ الشأن والحديث على شريطة التفسير، وتكون الجملة بعده تفسيراً له وخبراً، كقولك: كان زيد قائم، أى كان الحديث والشأن زيد قائم.

والثالث: أن تكون «صاحبة» اسم كان، وجاز التذكير هنا للفصل بين الفاعل والفعل بالظرف الذى هو الخبر، كقولنا: كان فى الدار هند.

ومثله ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: حضر القاضى اليوم امرأة.

وأنا أرى أن تذكير «كان» مع تأنيث اسمها أسهل من تذكير الأفعال سواها وسوى أخواتها مع فاعليها.

وكان فى الدار هند أسوغ من قام فى الدار هند، وذلك أنه إنما احتيج إلى تأنيث الفعل عند تأنيث فاعله لأن الفعل انطبع بالفاعل حتى اكتسب لفظه من تأنيثه، فقليل: قامت هند وانطلقت جُمْل، من حيث كان الفعل والفاعل يجريان مجرى الجزء الواحد،

(١) انظر: (البحر المحيط ٤/١٩٤، الكشف ٢/٣١).

(٢) سورة النساء الآية (٤٦).

(٣) انظر: (الكشف ٢/٣٢، البحر المحيط ٤/١٩٤).

وإنما كان ذلك كذلك لأن كل واحد منهما لا يستغنى عن صاحبه، فأنت الفعل إذاً بأن الفاعل الموقع بعده مؤنث، وليس كذلك حديث كان وأخواتها؛ لأنه ليست «كان» مع اسمها كالجاء الواحد، من قبل أنك لو حذف «كان» لاستقل ما بعدها برأسه، فقلت في قولك: كان أخوك جالساً: أخوك جالس، فلما أن قام ما بعدها برأسه، ولم يحتاج إليها لم يتصل به اتصال الفاعل بفعله، نحو قام جعفر وجلس بشر.

ألا تراك لو حذف الفعل هنا لانفرد الفاعل جزءاً برأسه، فلم يستقل بنفسه استقلال الجملة بعد «كان» بنفسها؟ فلما لم تقو حاجته إلى «كان» قوة حاجة الفاعل إلى الفعل انحطت رتبته في حاجته إلى «كان»، فامتاز منها امتيازاً قد أحطنا به، فساغ لذلك ألا يلزم تأنيث «كان» لاسمها إذا كان مؤنثاً - تأنيث الفعل لفاعله إذا كان مؤنثاً، ولم يذكر أحد من أصحابنا هذا فافهمه؛ فإن هذه حاله.

* * *

دَرَسْتُ (١٥)

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة، ورؤيت عن الحسن: «دَرَسْتُ»^(١). ابن مسعود وأبي: «دَرَسَ»^(٢). ابن مسعود أيضاً: «درسن»^(٣).

قال أبو الفتح: أما «دَرَسْتُ» ففيه ضمير الآيات، معناه وليقولوا درستها أنت يا محمد، كالقراءة العامة «دارست»^(٤).

ويجوز أن يكون «دَرَسْتُ» أى عفت وتنوسيت؛ لقراءة ابن مسعود: «دَرَسْن»، أى: عفون، فيكون كقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥)، ونحو ذلك.

(١) وقراءة زيد بن علي. انظر: (معاني القرآن للفراء ٣٤٩/١، الطبري ٢٦/١٢، القرطبي ٥٩/٧، البحر المحيط ١٩٧/٤، تهذيب اللغة، لسان العرب «درس»).

(٢) وقراءة طلحة، والأعمش. انظر: (معاني القرآن للفراء ٣٤٩/١، الطبري ٣٠/١٤، القرطبي ٦٠/٧، البحر المحيط ١٩٧/٤).

(٣) وقراءة الحسن. انظر: (البحر المحيط ١٩٧/٤، روح المعاني ٢٥٠/٧).

(٤) قراءة عبد الله بن عباس، ومجاهد، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن تحيتم، واليزيدي. انظر: (معاني القرآن للفراء ٣٤٩/١٠، معاني القرآن للأخفش ٢٨٥/١، مجمع البيان ٢٢٦/١، الطبري ٢٦/١٢، القرطبي ٥٨/٧، البحر المحيط ١٩٧/٤، الكشاف ٣٣/٢، النشر ٢٦١/٢، الإتحاف ٢١٤، غيث النفع ٢١٣، العنوان ٧٦، تهذيب اللغة، لسان العرب «درس»).

(٥) سورة الأنعام الآية (٢٥).

وأما «دَرَسَ» ففيه ضمير النبي ﷺ، وشاهد هذا دارست، أى فإذا جئتهم بهذه القصص والأنبياء قالوا: شئ قرأه أو قارأه فأنتى به، وليس من عند الله، أى يفعل هذا بهم لتقوى أثره التكليف عليهم زيادة فى الابتلاء لهم كالحج والغزو وتكليف المشاق المستحق عليها الثواب. وإن شئت كان معناه فإذا هم يقولون كذا، كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾^(١)، أى: فإذا هو عدو لهم.

* * *

فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا (١٨)

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى رجاء وقتادة وسلام^(٢) ويعقوب وعبدالله بن يزيد: «فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا»^(٣).

وروى عنهم أيضاً: «بَغْيًا وَعَدُوًّا»^(٤).

قال أبو الفتح: العَدُوُّ والعُدُوُّ جميعاً: الظلم والتعدى للحق، ومثلهما العُدوان والعداء، قال الراعى:

كتبوا الدهيم على العداء لمسرف عادٍ يريدُ خيائنةً وغُلُولا
ومثله الاعتداء قال أبو نُحَيْلَةَ:

ويعتدى ويعتدى ويعتدى وهو يعين الأسد المسود
ومثلُ العُدُوِّ والعَدُوِّ من التعدى الرُّكوب والركب. قال:

أَوْ رَكَّابِ الْبِرَازِيْنِ

يريد ركوب.

* * *

(١) سورة القصص الآية (٨).

(٢) هو سلام بن سليمان الطويل البصرى، ثم الكوفى، ثقة، حليل، ومقرئ كبير توفى سنة ١٧١ هـ انظر: (طبقات القراءة ١/٣٠٩).

(٣) وقراءة عثمان بن سعد. انظر: (البحر المحيط ٤/٢٠٠، الكشف ٢/٣٣، مجمع البيان ٢/٣٤٧، النشر ٢/٢٦١).

(٤) سورة يونس الآية (٩٠).

وَنَذَرُهُمْ ﴿١١٠﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى رجاء وقتادة وسلام ويعقوب وعبد الله بن يزيد والأعمش والهمداني: «وَيَذَرُهُمْ»^(١)، بالياء وجزم الراء.

قال أبو الفتح: قد تقدم ذكر إسكان المرفوع تخفيفاً، وعليه قراءة من قرأ أيضاً: «وما يُشْعِرُكُمْ» بإسكان الراء، وكأنَّ «يشعركم» أعذر من «يَذَرُهُمْ»؛ لأن فيه خروجاً من كسر إلى ضم، وهو في «يَذَرُهُمْ» خروج من فتح إلى ضم.

* * *

وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ﴿١١١﴾

ومن ذلك قراءة عطية العوفي: «وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ»^(٢)، خفيفة.

قال أبو الفتح: هو من قولك: قد فصل إليكم وخرج نحوكم.

* * *

وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْعِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴿١١٢﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وابن شرف: «وَلِتَصْغَى»^(٣) - وَلِيَرْضَوْهُ - وَلِيَقْتَرِفُوا»^(٤)، يجزم اللام في جميع ذلك.

قال أبو الفتح: هذه اللام هي الجارة، أعني لام كي، وهي معطوفة على الفرور من قول الله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٥)، أى للفرور، «وَلأن تصغى إليه أفعدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه، وليقترفوا ما هم مقترفون»، إلا أن إسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس، وذلك لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا

(١) وقراءة النخعي. انظر: (البحر المحيط ٢٠٤/٤، مجمع البيان ٣٤٨/٢).

(٢) انظر: (القرطبي ٧٣/٧، البحر المحيط ٢١١/٤).

(٣) انظر: (مجمع البيان ٣٥١/٢، البحر المحيط ٢٠٨/٤، النحاس ٥٧٦/١).

(٤) انظر: (القرطبي ٧٠، ٦٩/٧، البحر المحيط ٢٠٨/٤، الإتحاف ٢١٥).

(٥) سورة الأنعام الآية (١١٢).

نُذَوْرَهُمْ وَلَيَطَوَّعُوا^(١)، وَإِنَّمَا أَسْكَنتُ تَخْفِيفًا لِّثَقُلِ الْكُسْرَةِ فِيهَا، وَفَرَّقُوا بَيْنَهَا وَلَامَ كِي بَأَنَّ لَمْ يَسْكُنُوها، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا اخْتَارُوا السَّكُونَ لِلَامِ الْأَمْرِ، وَالتَّحْرِيكَ لِلَامِ كِي مِنْ حَيْثُ كَانَتْ لَامُ كِي نَائِبَةً فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ عَنْ أَنْ، وَهِيَ أَيْضًا فِي جَوَابِ كَانَ سَيَفْعَلُ إِذَا قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَفْعَلَ - مَحذُوفَةٌ مَعَ اللَّامِ الْبَتَّةِ، فَلَمَّا نَابَتْ عَنْهَا قُوَّوْها بِإِقْرَارِ حَرَكَتِهَا فِيهَا؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ الْمُتَحَرِّكَ أَقْوَى مِنَ السَّاكِنِ، وَالْأَقْوَى أَشْبَهَ بِأَنَّ يَنْوِبُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَضْعَفِ.

نعم، وَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ إِذَا أَسْكَنُوا بَعْضَ الْحُرُوفِ أَتَابُوهُ عَنْ حَرَكَتِهِ وَعَاقَبُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَذَلِكَ نَحْوُ الْجَوَارِي، وَالْفَوَاشِي: صَارَتْ الْيَاءُ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ وَالْجَرِّ مَعَاقِبَةً لِّضَمَّتِهَا وَكَسَرَتْهَا فِي قَوْلِكَ: هَؤُلَاءِ الْجَوَارِي وَمَرَرْتُ بِالْجَوَارِي، فَكَأَنَّ لَامَ كِي عَلَى هَذَا إِذَا أَسْكَنتُ مَعَاقِبَةً لِأَنَّ، وَكَالْمَعَاقِبَةِ أَيْضًا لِكَسَرَتْهَا؛ فَلِذَلِكَ أَقْرَوْها عَلَى كَسَرَتْهَا، وَلَمْ يَجْمَعُوا عَلَيْهَا مَنَابَهَا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ عَنْ أَنْ، وَقَدْ ابْتَنَزَتْ حَرَكَةُ نَفْسِهَا أَيْضًا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَمْرَ مَوْضِعَ إِيجَازٍ وَاسْتِغْنَاءٍ، أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا: صِهْ وَمِهْ، فَأَتَابُوهُمَا عَنْ الْفِعْلِ الْمُتَصَرِّفِ، وَكَذَلِكَ حَاءٍ وَعَاءٍ وَهَاءٍ.

* * *

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١٧٧)

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ»^(٢)، بِضَمِّ الْيَاءِ.

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَنْ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ بِإِضَافَةِ «أَعْلَمُ» إِلَيْهَا، لَا فِيمَنْ ضَمَّ يَاءُ يَضِلُّ، وَلَا فِيمَنْ فَتَحَهَا؛ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ «أَعْلَمُ» أَفْعَلُ، وَأَفْعَلُ هَذِهِ مَتَى أُضِيفَتْ إِلَى شَيْءٍ فَهُوَ بَعْضُهُ، كَقَوْلِنَا: زَيْدٌ أَفْضَلُ عَشِيرَتِهِ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَلَا نَقُولُ: زَيْدٌ أَفْضَلُ إِخْوَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا نَقُولُ أَيْضًا: النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ، لَكِنْ نَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُ بَنِي هَاشِمٍ، لِأَنَّهُ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ يَتَعَالَى عُلُوًّا عَظِيمًا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْمُضِلِّينَ أَوْ بَعْضُ الضَّالِّينَ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٣) فَلَيْسَ مِنْ هَذَا، إِنَّمَا تَأْوِيلُ ذَلِكَ - وَاللَّهُ

(١) سورة الحج الآية (٢٩).

(٢) وقراءة أحمد بن أبي شريح. انظر: (الإتحاف ٢١٦، البحر المحيط ٤/٢١٠، والقربطى ٧٢/٧،

الكشاف ٣٦/٢).

(٣) سورة الجاثية الآية (٢٣).

أعلم - وجده ضالا، كقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(١)، وذلك مشروح في موضعه، فقوله أيضًا: «أَعْلَمُ مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ»، أى يُجِيرُهُ عن الحق ويصده عنه. كما أن قراءة من قرأ «أَعْلَمُ مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ»: مَنْ يَجُورُ عَنْهُ، ألا ترى إلى قوله قبل ذلك: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلا محالة أنه سبحانه أراد بمن يُضِلُّ عن سبيله، فحذف الباء وأوصل «أعلم» هذه بنفسها، أو أضمر فعلا واصلا تدل هذه الظاهرة عليه، حتى كأنه قال: يعلم، أو علم مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ. يؤكد ذلك ظهور الباء بعده معه فى قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وقوله بعده: ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾.

وقد يجوز أن تكون «مَنْ» هذه مرفوعة بالابتداء ويضلل بعدها خبر عنها، و«أَعْلَمُ» هذه معلقة عن الجملة، حتى كأنه قال: إن ربك هو أعلم أيهم يضل عن سبيله، كقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٢).

فأما الجر فمدفوع من حيث ذكرنا، وإذا كان ذلك كذلك علمت أن «مَنْ» فى قول الطائى:

غدوتُ بهم أَمَدًا ذَوِي ظِلًّا وَأَكْثَرَ مَنْ وَرَأَى مَاءً وَادِي
لا يجوز أن تكون «مَنْ» فى موضع جر بإضافة أكثر إليه؛ إذ ليس واحداً ممن وراءه، فهو إذا منصوب الموضع لا محالة بأكثر أو بما دل عليه أكثر، أى كَثُرَتْهُمْ: كنت أكثرهم ماءً واد.

ولا يجوز فيه الرفع الذى جاز مع العلم، لأن كثرت ليس من الأفعال التى يجوز تعليقها، إنما تلك ما كان من الأفعال داخلا على المبتدأ وخبره، وأظننى قد ذكرت نحو هذا فى صدر هذا الكتاب.

* * *

وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ ﴿١٣٧﴾
ومن ذلك قراءة أبى عبد الرحمن السُّلَمَى: «وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شَرَّكَائِهِمْ»^(٣).

(١) سورة الضحى الآية (٧) ..

(٢) سورة الكهف الآية (١٢) ..

(٣) وقراءة الحسن، وأبى عبد الملك. انظر: (البحر المحيط ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠، السبعة ٢٧٠، الكشف

٤٢/٢، مجمع البيان ٢/ ٣٧٠، معانى القرآن للفراء ١/ ٣٥٧، النشر ٢/ ٢٦٣، الإتحاف ٢١٧).

قال أبو الفتح: يحتمل رفع شركاء تأويلين:

أحدهما: وهو الوجه، أن يكون مرفوعاً بفعل مضمر دل عليه قوله: «زَيْن»، كأنه لما قال: زَيْن لكثير من المشركين قتلُ أولادِهِمْ: قيل: من زينه لهم؟ فقيل: زينه لهم شركاؤهم فارتفع الشركاء بفعل مضمر دل عليه «زَيْن» فهو إذا كقولك: أَكَل اللحم زيدٌ، وَرَكِبَ الفرسُ جعفرٌ، وَتَرَفَعَ زيداً. وجعفرُ بفعل مضمر دل عليه هذا الظاهر. وإياك وأن تقول: إنه ارتفع بهذا الظاهر لأنه هو الفاعل في المعنى؛ لأمرين:

أحدهما: أن الفعل لا يرفع إلا الواحد فاعلاً أو مفعولاً أُقيم مقام الفاعل، وقد رفع هذا الفعل ما أُقيم مقام فاعله وهو «قتلُ أولادِهِمْ»، فلا سبيل له إلى رفع آخر على أنه هو الفاعل في المعنى؛ لأنك إذ انصرفت بالفعل نحو إسنادك إياه إلى المفعول لم يجز أن تتراجع عنه فتسندته إلى الفاعل، إذ كان لكل واحد منهما فعل يخصه دون صاحبه، كقولك: ضَرَبَ وضُرِبَ، وَقَتَلَ وقُتِلَ. وهذا واضح.

والآخر: أن الفاعل عندنا ليس المراد به أن يكون فاعلاً في المعنى دون ترتيب اللفظ، وأن يكون اسماً ذكرته بعد فعل وأسندته ونسبته إلى الفاعل، كقام زيد وقعد عمرو. ولو كان الفاعل الصناعي هو الفاعل المعنوي للزمك عليه أن تقول: مررت برجلٍ يقرأ، فترفعه لأنه قد كان يفعل شيئاً وهو القراءة، وأن تقول: رأيت رجلاً يحدث، فترفعه بحديثه، وأن تقول في رفع زيد من قولك: زيد قام: إنه مرفوع بفعله لأنه الفاعل في المعنى، لكن طريق الرفع في «شركاؤهم» هو ما أريتك من إضمار الفعل له لترفعه به. ونحوه ما أنشده صاحب الكتاب من قول الشاعر: (١)

لِيُنِيكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخَصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَوَائِحُ (٢)

كأنه لما قال: لِيُنِيكَ يَزِيدُ قِيلَ: من يبيكه؟ فقال: لِيُنِيكَ ضَارِعٌ لَخَصُومَةٍ. والحمل على المعنى كثير جداً، وقد أفردنا له فصلاً في جملة شجاعة العربية من كتابنا الموسوم بالخصائص (٣).

(١) نسبه صاحب الكتاب للحارث بن نهيك (الكتاب ٢٨٨/١) قال محققه: والصواب أنه لنهشل ابن حرى (خزانة الأدب ١٥٢/١) حيث ذكر نسبته أيضاً: إلى لبید، وإلى مزرد، وإلى الحارث ابن ضرار النهشلي.

(٢) انظر: (الخصائص ٣٦٢/٢ : ٤٤٣ باب في شجاعة العربية).

(٣) انظر: (خزانة الأدب ١٤٧/١، العيني ٤٥٤/٢، شرح المفصل ٨٠/١) ويزيد هذا هو يزيد بن نهشل الذي رثاه بهذا الشعر. والضارع: الذيل الخاضع لخصومة، أى لأجل الخصومة، فهو =

فهذا هو الوجه المختار فى رفع الشركاء، وشاهده فى المعنى قراءة الكافة: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾. ألا ترى أن الشركاء هم المزيّنون لا محالة؟.

وأما الوجه الآخر: فأجازه قطرب، وهو أن يكون الشركاء ارتفعوا فى صلة المصدر الذى هو القتل بفعلهم، وكأنه «وكذلك زَيْنَ لكثير من المشركين أن قَتَلَ شركاءهم أولادهم» وشبّه بقوله: حبب إلى ركوب الفرس زيد، أى أن ركب الفرس زيد. هذا - لعمري - ونحوه صحيح المعنى، فأما الآية فليست منه، بدلالة القراءة المجتمع عليها، وأن المعنى أن المزيّن هم الشركاء، وأن القاتل هم المشركون، وهذا واضح.

* * *

وَلْيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «وَلْيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ»، بفتح الباء. قال أبو الفتح: المشهور فى هذا لبست الثوب ألبسه، ولبست عليهم الأمر ألبسه. فيما أن تكون هذه لغة لم تتأد إلينا: لبست عليهم الأمر ألبسه، فى معنى لبسته ألبسه. وإما أن تكون غير هذا، وهو أن يراد به شدة المخالطة لهم فى دينهم، فلا اعتراض فيه بينه وبينهم ليشكروا فيه ولا يتمكنوا من التفرد به، كما أن لابس الثوب شديد المماس له والالتباس به، فيقول على هذا: لبست إليك طاعتك، واشتملت الثقة بك، أى خالطت هذه الأشياء وماسستها؛ تحققاً بها وملابسة لها، وعليه قول الفلاخ السعدى:

نكسوهُمُ مَخْشَوْنَةَ لِبَاسِ

يعنى السيوف. وقد مر به لفظاً البتة شاعرنا فقال^(١):

=ينصره ويؤيده. والمختبط: طالب العرف. تطيح: تنهب وتهلك. والطوائح، أراد المطاوح لأنه جميع مطيحة، فجمعه على حذف الزيادة، كقوله تعالى: لواقع وواحدتها مُلْقحة. الشاهد فيه: رفع «ضارع» بإضمار فعل دل عليه ما قبله، تقديره: لييك يزيد ضارع. انظر: (هامش الكتاب ٢٢٨/١).

(١) للمتنبى من قصيدة قالها عندما عزم سيف الدولة على لقاء الروم فى السنْبوس سنة أربعين وثلاثمائة وبلغه أن العدو فى أربعين ألفاً، فتهيئتهم أصحابه، فأشدها أبو الطيب بحضرة الجيش، ومطلعها:

تزود دياراً ما نُحِبُّ لها مغنى ونسأل فيها غير ساكنها الإذنا

انظر: (شرح ديوان المتنبى ٢٩٩/٤).

وإنا إذا ما الموت صرّح في الوغى لیسنا إلى حاجتنا الضرب والطعن^(١)
 فإما أن يكون هذا الشاعر نظر إلى هذه القراءة، وإما أن يكون أراد المراد بها فسلك
 سنة قارئها، فاعرف ذلك ولا تقل ما يقوله من ضعفت نبجيزته، وركت طريقته: هذا
 شاعر مُحدث، وبالألمس كان معنا، فكيف يجوز أن يحتج به في كتاب الله جل وعز؟
 فإن المعاني لا يرفعها تقدّم، ولا يُزرى بها تأخّر. فأما الألفاظ فلعمري إن هذا الوضع
 معتبر فيها، وأما المعاني ففائدة بأنفسها إلى مغرسها، وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي
 تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالموّلد الآخر أشبه.

* * *

وَحَرْتُ حِجْرٌ ﴿١٣٨﴾

ومن ذلك قراءة أبيّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير والأعمش
 وعكرمة وعمرو بن دينار: «حَرْتُ حِرْج»^(٢)، وقراءة الناس: ﴿حِجْرٌ﴾^(٣).
 قال أبو الفتح: قد قدمنا في كتابنا الخصائص^(٤) صدرًا صالحًا من قلب الأصل
 الواحد والمادة الواحدة إلى صور مختلفة يخطمها كلها معنى واحد، ووسمناه بباب
 الاشتقاق الأكبر، نحو: «ك ل م»، «ك م ل»، «م ل ك»، «م ك ل»، «ل ك م»، «ل م ك».
 وإنها مع التأمل لها ولين معطف الفكر إليها آتلة إلى موضع واحد ومتزمية نحو غرض
 غير مختلف، كذلك أيضًا يقال: «ح ج ر»، «ج ر ح»، «ح ر ج»، «ر ج ح»، «ج ح ر».
 وأما «ر ح ج» فمهمل فيما علمنا، فالتقاء معانيها كلها إلى الشدة والضيق والاجتماع.
 من ذلك الحِجْر وما تصرف منه، نحو: انحجر، واستحجر الطين، والحجرة وبقيته، وكله
 إلى التماسك في الضيق. ومنه الحِرْج: الضيق والجرح مثله، والحرجة: ما التفّ من
 الشجر فلم يمكن دخوله، ومنه الجُحر وبابه لضيقه، ومنه الجُرْح لمخالطة الحديد للحم
 وتلاحمه عليه، ومنه رجح الميزان، لأنه مال أحد شقيه نحو الأرض؛ فقرب منها، وضاق
 ما كان واسعًا بينه وبينها.

- (١) صرح: برز وظفر؛ والوغى: الحرب. يقول: إذا صار الموت صريحًا في الحرب بارزًا ليس دونه
 قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالظعن بالرماح والضرب بالسيف، أى: اتخذنا الضرب والطعن وقاء
 لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه. انظر: (شرح ديوان المتنبي ٣٠٠/٤).
 (٢) انظر: (الطبرى ١٢/١٤٢، القرطبي ٧/٩٤، الكشف ٢/٤٣، البحر المحيط ٤/٢٣١).
 (٣) سورة الأنعام الآية (١٣٨).
 (٤) انظر: (الخصائص ٢/١٣٥: ١٤١ باب في الاشتقاق الأكبر).

فإن قلت: فإنه إذا مال أحدهما إلى الأرض فقد بعد الآخر منها، قيل: كلامنا على الراجح، والراجح هو الدانى إلى الأرض. فأما الآخر فلا يقال له: راجح فيلزم ما ألزمته، وإذا ثبت ذلك - وقد ثبت - فكذلك قوله تعالى: «حَرْتُ حِرْجٍ» فى معنى حِرْجٍ، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة أن يطعمها إلا من يشاءون أن يطعموه إياها بزعمهم.

* * *

خَالِصَةٌ (١٣٦)

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف والأعرج وقتادة وسفيان بن حسين: خَالِصَةٌ^(١) وقرأ «خالصا»^(٢) سعيد بن جبير.

وقرأ «خالصه»^(٣) ابن عباس بخلاف والزهرى والأعمش وأبو طالوت.

وقرأ «خالص»^(٤) ابن عباس وابن مسعود والأعمش بخلاف.

قال أبو الفتح: أما قراءة العامة: «خَالِصَةٌ» فتقديره: ما فى بطون هذه الأنعام خَالِصَةٌ لنا، أى خَالِصٌ لنا، فأنت للمبالغة فى الخُلوص، كقولك: زيد خَالِصَتِي، كقولك صَفِيٌّ وثقتى، أى المبالغ فى الصفاء والثقة عندى. ومنه قولهم: فلان خَالِصَتِي من بين الجماعة، أى خَالِصَتِي الذى يخصنى، والتاء فيه للمبالغة وليكون أيضاً بلفظ المصدر، نحو العاقبة والعافية، والمصدر إلى الجنسية، فهى أعم وأؤكد.

ويدلك على إرادة اسم الفاعل هنا، أى خالصة - قراءة سعيد بن جبير «خَالِصًا»، وعليه القراءة الأخرى: «خَالِصٌ لذكورنا»، والقراءة الأخرى «خَالِصُهُ لذكورنا». ألا تراه اسم فاعل وإن كان مضافاً؟ لكن الكلام فى نصب خَالِصًا وخَالِصَةٌ، وفيه جوابان:

(١) وقراءة ابن عباس، والأعرج، وقتادة، وابن جبير. انظر: (البحر المحيط ٢٣١/٤، القرطبي ٩٦/٧،

الكشاف ٤٣/٢، مجمع البيان ٣٧٢، معاني القرآن للفراء ٣٥٨/١٠).

(٢) انظر: (القرطبي ٩٦/٧، البحر المحيط ٢٣١/٤، معاني القرآن للفراء ٣٥٨/١).

(٣) وقراءة عكرمة، وأبى رزين، وابن يعمر، وأبى حيرة، والمطوعى. انظر: (الإتحاف ٢١٨، القرطبي ٩٦/٧، البحر المحيط ٢٣١/٤، الكشاف ٤٣/٢).

(٤) وقراءة ابن جبير، والضحاك، وابن أبى عبة، وأبى العالية. انظر: (الطبرى ١٤٢/١٢، الكشاف ٤٣/٢، والقرطبي ٩٦/٧، معاني القرآن للفراء ٣٥٨، ١٠).

أحدهما: أن يكون حالا من الضمير في الظرف الجارى صلة على «ما» كقولنا: الذى فى الدار قائماً زيد.

والآخر: أن يكون حالا من «ما» على مذهب أبى الحسن فى إجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان معنى بعد أن يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا: زيد قائماً فى الدار.

واحتج فى ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١)، فيجوز على هذا فى العربية لا فى القراءة؛ لأنها سنة لا تخالف ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٢).

فإن قلت: فهل يجوز أن يكون «خالصاً» و«خالصةً» حالا من الضمير فى لنا؟ قيل: هذا غير جائز؛ وذلك أنه تقدّم على العامل فيه وهو معنى وعلى صاحب الحال، وهذا ليس على ما بينا.

ولا يجوز أن يكون «خالصة» حالا من الأنعام؛ لأن المعنى ليس عليه، ولعزّة الحال من المضاف إليه.

* * *

خَطُوتٌ

ومن ذلك قراءة علىّ عليه السلام والأعرج وعمرو بن عبّيد «خُطُوتٌ»^(٣) بالهمز مثقلاً، وقرأ «خَطُوتٌ» أبو السّمّال.

قال أبو الفتح: أما «خُطُوتٌ» بالهمز فواحدها خُطْطَاءٌ، بمعنى الخطأ. أثبت ذلك أحمد ابن يحيى.

وأما «خَطُوتٌ» فجمع خَطْوَةٍ، وهى الفَعْلَةُ الواحدة من خَطُوتٍ، كغزوت غزوة، ودعوت دعوة. والمعنى لا تتبعوا خَطُوتِ الشيطان، أى آثاره، لا تقتدوا به. وتقديره على هذا حذف المضاف، أى لا تتبعوا مواضع خَطُوتِ الشيطان.

(١) سورة الزمر الآية (٦٧).

(٢) سورة الزمر الآية (٦٧).

(٣) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٥٨٦/١).

وإن شئت أجرته على ظاهره من غير تقدير حذف كقولك: لا تتبع أفعال المشركين، ولا تأتم بأديان الكافرين. ومن قرأ «خطوات» بلا همز فأمره واضح، وهو جمع خطوة، وهي ذرع ما بين القدمين. وهذا واضح.

* * *

الضَّانُّ

ومن ذلك قراءة طلحة: «الضَّانُّ»^(١)، بفتح الهمزة.

قال أبو الفتح: الضَّانُّ جمع، واحدته ضائن وضائنة، وصرفوا فعله فقالوا: ضنَّنت العنَّز ضائناً، إذا أشبهت الضَّان. وأما الضَّانُّ بفتح الهمزة في هذه القراءة فمذهب أصحابنا فيه وفي مثله مما جاء على فَعَّل وفَعَلَ وثانيه حرفُ حلق، كالنَّهْر والنَّهْر، والصَّخْر والصَّخْر، والنَّعْل والنَّعْل، وجميع الباب - أنها لغات كغيرها مما ليس الثاني فيه حرفاً حلقياً، كالنَّشْر والنَّشْر، والقَصَّ والقَصَّص.

ومذهب البغداديين أن التحريك في الثاني من هذا النحو إنما هو لأجل حرف الحلق، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب وغيره، ويؤنسني بصحة ما قالوه أني أسمع ذلك فاشياً في لغة عُقَيْل، حتى لسمعت بعضهم يوماً قال: نَحَوَه، يريد نَحَوَه. فلو كانت الفتحة في الحاء هنا أصلاً معترضة غير إتباع لكونها حرفاً حلقياً لوجب إعلال اللام التي هي واو ألفاء؛ لتحركها وافتتاح ما قبلها، كغَضَاة وشَجَاة، فكان يقال: نَحَاة، وهذا واضح، غير أن لأصحابنا ألا يقبلوا من اللغة إلا ما روى عن فصيح موثوق بعربيته، ولست أثبت هذه الفصاحة المشروطة لمن سمعت منه هذه اللفظة، أعني نَحَوَه.

* * *

تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ

ومن ذلك قراءة ابن يَعْمَر: «تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ»^(٢).

قال أبو الفتح: هذا مستضعف الإعراب عندنا؛ لحذفك المبتدأ العائد على الذي؛ لأنَّ

(١) انظر: (القرطبي ١٠٤/٧، البحر المحيط ٢٣٩/٤، النحاس ٥٨٧/١، العكبري ١٥٣/١).

(٢) وقراءة الحسن، والأعمش، وابن أبي إسحاق. انظر: (الإتحاف ٢٢٠، الكشف ٤٩/٢، معاني

القرآن للفرء ٣٦٥/١، والطبري ٢٣٦/١٢، القرطبي ١٤٢/٧، البحر المحيط ٢٥٠/٤، أمالي ابن

الشجري ٢٣٥/٢، معجم الهوامع ٣١٢/١، شرح الكافية ٢٤٩/١، مغني اللبيب ١٥٤/١).

تقديره: تماما على الذى هو أحسن، وحذف «هو» من هنا ضعيف؛ وذلك أنه إنما يُحذف من صلة الذى - الهاء المنصوبة بالفعل الذى هو صلتها، نحو مررت بالذى ضربت أى ضربته، وأكرمت الذى أهنت أى أهنته، فالهاء ضمير المفعول، ومن المفعول بُدِّ، وطال الاسم بصلته، فحذفت الهاء لذلك. وليس المبتدأ بئيف ولا فضلة فيحذف تخفيفاً، لاسيما وهو عائد الموصول، وأن هذا قد جاء نحوه عنهم. حكى سيبويه عن الخليل: «ما أنا بالذى قاتل لك شيئاً وسواءاً»، أى بالذى هو قاتل، قال^(١):

لم أر مثل الفتيان فى غبن الـ أيام ينسون ما عواقبها^(٢)
أى ينسون الذى هو عواقبها.

ويجوز أن يكون «ينسون» معلقة كما علقوا نقيضتها التى هى يعلمون، وتكون «ما» استفهاما وعواقبها خير «ما»، كقولك: قد علمت من أبوك وعرفت أيهم أخوك؟، وعلى الوجه الأول حمّله أصحابنا.

* * *

مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿١٥٧﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم: «مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ»^(٣)، خفيفة الذا. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون دخول الباء هنا حملا على المعنى، وذلك لأنه فى معنى مكر بها، وكفر بها. وما أكثر هذا النحو فى هذه اللغة، وقد ذكرناه فيما مضى. ومنه قوله:

ألم يأتيك والأنباء تَمْسَى بما لاقت لبون بن زياد^(٤)
زاد الباء فى بما لاقت معناه ألم تسمع بما لاقت لبونهم، وفيه ما أنشدناه أبو على^(٥):

(١) لعدى بن زيد من أبيات ذكرها صاحب الأغاني ١٣٩/٢، يقول فيها:

لم أر مثل الفتيان فى غبن الـ	يام ينسون ما عواقبها
ينسون إخوانهم ومصرعهم	وكيف تعسفهم مخالفتها
ماذا ترجى النفوس من طلب الخير	وحب الحياة كاربها
تظن إن لن يصيبها عنث الدهر	وريب المنون صائبها

(٢) يقول: الأيام تغيب الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغيب فى البيع.

(٣) انظر: (البحر المحيط ٢٥٨/٤، العكبرى ١٥٤/١).

(٤) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٣٠٠).

(٥) لأنفون التغلبى. انظر: لسان العرب «رأم» «علق».

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَعْطَى الْعَلَقُ بِـه رُفْمَانْ أَنْفَ إِذَا مَا ضُمْنَنَّ بِاللِّبْنِ
أَلْحَقُ الْبَاءَ فِي بِهِ لَمَّا كَانَ تَعْطَى فِي مَعْنَى تَسْمَحُ بِهِ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ فِي آخِرِ الْبَيْتِ: إِذَا
مَا ضُنَّ بِاللِّبْنِ؟ فَالضَّنُّ نَقِیْضُ السَّمَاةِ وَالْبَذَلِ.

* * *

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴿١٥٨﴾

ومن ذلك قراءة زهير الفرقي^(١): «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ»، بالرفع.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون ارتفاع اليوم بالابتداء، والجملة التي هي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ خبر عنه،
والعائد من الجملة محذوف لطول الكلام والعلم به، وإذا كانوا قد قالوا: السمن منوان
بدرهم، فحذفوا وهم يريدون «منه» مع قصر الكلام كان حذف العائد هنا لطول الكلام
أسوغ، وتقديره لا ينفع فيه نفساً إيمانها. ومثله قولهم: البرُّ الكُرُّ بستين، أى الكُرُّ منه.

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا﴾^(٢) ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون على حذف العائد، أى إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا منهم،
وله نظائر كثيرة، لكننا نحذف الإطالة إذ كان هذا كتاباً مختصراً ليقرب على القراء ولا
يلطّف عنهم، وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة فى قراءة السبعة، فأغمضه
وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدعى العربية فضلاً على القراء - منه، وأجفاهم عنه.

* * *

لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا ﴿١٥٨﴾

ومن ذلك قراءة أبى العالية: «لَا تَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا»^(٣)، بالتاء فيما يروى عنه. قال
ابن مجاهد: وهذا غلط.

(١) فى البحر المحيط ٢٦٠/٤: «زهير القروى».

(٢) سورة الكهف الآية (٣٠).

(٣) وقراءة ابن سيرين. انظر: (القرطبي ١٤٨/٧، البحر المحيط ٢٦٠/٤، الكشف ١٥٠/٢، مغنى
الليث ١١٣/٢).

قال أبو الفتح: ليس ينبغي أن يُطلق على شيء له وجه من العربية قائم وإن كان غيره أقوى منه - أنه غلط. وعلى الجملة فقد كثر عنهم تأنيث فعل المضاف المذكر إذا كانت إضافته إلى مؤنث، وكان المضاف بعض المضاف إليه أو منه أو به. وأنشدنا أبو على لابن مقبل: (١)

قد صرَّح السيرُّ عن كُفْمَانَ وإِتْلِلت
وَقَعُ الحَاجِنُ بِالْمَهْرِيةِ النُّقْــن
فَأَنْثُ «الوقع» وإن كان مذكراً لما كان مضافاً إلى «الحاجن»، وهى مؤنثة، إذ كان الوقع منها. وكذلك قول ذى الرمة: (٢)

مَشْيَيْنِ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحُ تَسْفَهت
أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النُّوَاسِمِ (٣)
فَأَنْثُ «الر» لإضافته إلى الرياح وهى مؤنثة، إذ كان المر من الرياح، ونظائر ذلك كثيرة جداً ولا وجه للإطالة بذكرها. فهذا وجه يشهد لتأنيث الإيمان إذ كان من النفس وبها.

وإن شئت حملته على تأنيث المذكر لما كان يعبر عنه بالمؤنث، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (٤) فتأنيث المثل لأنه فى المعنى حسنة.

فإن قلت: فهلا حملته على حذف الموصوف، فكأنه قال: فله عشر حسنات أمثالها. قيل: حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قبلُ ليس بمستحسن فى القياس، وأكثر مأتاه إنما هو فى الشعر، ولذلك ضعف حمل «دانية» من قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ (٥) على أنه وصف جنة، أى وجنة دانية عليهم ظلالها عطفاً على جنة من قوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ وَجَنَّةٌ دَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا: لما فيه من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه حتى عطفوها على قوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا، فكانت حالاً معطوفة على حال قبلها، فلهذا يضعف أن يكون تقدير الآية على: فله عشر حسنات أمثالها، بل تكون أمثالها غير صفة: لكنه محمول على المعنى؛ إذ كن حسنات كما ترى.

(١) ذكره الفراء فى معانى القرآن ١٨٧/١ دون نسبته، وكذلك ذكر فى الخصائص دون نسبته ٤٢٠/٢.

(٢) انظر: (ديوان ذى الرمة ٦١٦، الكتاب ٥٢/١، ٦٥).

(٣) جعل النساء فى اهتزازهن، حين بمشين، بمنزلة الرماح تستخفها الرياح فتزعزعها. والنواسم: الضعيفة المهبوب، ويروى: «مَرَضَ الرِّيحِ» فلا شاهد فيه.

(٤) سورة الأنعام (١٦٠).

(٥) سورة الإنسان (١٤).

وعليه أيضاً قوله تعالى: ﴿تَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾^(١)، لما كان ذلك البعض سياراً في المعنى.

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها، قال: فقلت له: أنقول جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة؟ فلا تعجب إلا من هذا الأعرابي الجافي وهو يعلل هذا التعليل في تأنيث المذكر، وليس في شعر منظوم فيحتمل ذلك له، إنما هو في كلام مثور، فكذلك يكون تأنيث الإيمان. ألا تراه طاعة في المعنى؟ فكأنه قال: لا تنفع نفساً طاعتها. والشواهد كثيرة، لكن الطريق التي نحن عليها مختصرة قليلة قصيرة.

* * *

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

ومن ذلك قراءة النخعي وأبي صالح مولى ابن هانئ، ويروى أيضاً عن الأعمش ويحيى: «الذين فرَّقوا دينهم»^(٢)، بالتخفيف.

قال أبو الفتح: أما «فرَّقوا» بالتخفيف فتأويله أنهم مازؤه عن غيره من سائر الأديان، هذا ظاهر «فرَّقوا» بالتخفيف. وقد يحتمل أن يكون معناه معنى القراءة بالثقل، أي فرَّقوه وعَضَوْهُ أَعْضَاءً، فخالقوا بين بعضه وبعض، وذلك أن فَعَلَ بالتخفيف يكون فيها معنى الثقل.

ووجه هذا أن الفعل عندنا موضوع على اغتراق جنسه، ألا ترى أنَّ معنى «قام زيد»: كان منه القيام، و«قعد»: كان منه القعود؟ والقيام - كما نعلم - والقعود جنسان، فالقعد إذا على اغتراق جنسه، يدل على ذلك عمله في جميع أجزاء ذلك الجنس من مفردة ومثناه ومجموعه، ونكرته ومعرفته، وما كان في معناه. وذلك قوله: قمت قومة وقومتين وألف قومة، وقمت قياماً وقياماً طويلاً، وجلست جلوساً وجلوساً قصيراً، وقمت القيام الذي تعلم. وقال: ^(٣)

لعمري لقد أحْيَيْتُكَ الحَبَّ كُلَّهُ^(٤)

(١) سورة يوسف (١٠).

(٢) انظر: (القرطبي ١٤٩/٧، العكبري ١٥٤/١، ١٥٥).

(٣) انظر: (الخصائص ٤٥٠/٢).

(٤) عجزه: «وزدتك حباً لم يكن قبل يعرف».

وقالوا: قعد القرفصاء، وعدّا البشكى، ووثب الحجزى. فعمل الفعل فى جميع أجزاء المصادر من لفظه ومن غير لفظه كما كان معناه - يدل على أن وضعه لاغتراق جنسه؛ إذ الفعل لا يعمل من المصادر إلا فيما كان عليه دليل. ألا تراك لا تقول: قمت قعوداً، ولا خرجت دخولاً؛ لأنه لا دليل فى الفعل على ذلك؟ وهذا واضح مُتَّاهٍ فى البيان. وإذا كان كذلك علم منه وبه أن جميع الأفعال ماضية وحاضرها ومتلقاها مجاز لا حقيقة. ألا تراك تقول: قمت قومة؟ وقمت على ما مضى دال على الجنس، فوضعك القومة الواحدة موضع جنس القيام، وهو فيما مضى وما هو حاضر وفيما هو متلقى مستقبل - من أذهب شيء فى كونه مجازاً. ولذلك ما كان شيخنا أبو على يقول: إن قولنا قام زيد فى كونه مجازاً بمنزلة قول القائل: خرجت فإذا الأسد، يريد بذلك أن الأسد هنا لاغتراق الجنس، وإنما وجد بياحه أسداً واحداً، فأطلقه على جميع جنسه الذى لا يحيط به إلا خالقه، جل وعز.

فهذا كقولك: قام زيد فى وضعه إياه على البعض وإن كان مفاداً «قام» الاغتراق للكل، إذ كان قيام زيد جزءاً مما لا يحاط به، ولا يحاط الوهم إلا على كلاً ولا على قصوره.

وهذا موضع يسمعه الناس منى ويتناقلونه دائماً عنى، فيكبرونه ويكثرون العجب به، فإذا أوضحته لم يسأل عنه استحياء، وكان يستغفر الله لاستيحاشه كان منه.

وكشفت هذا الموضع يوماً لبعض من كان له مذهب فى المشاغبة عفا الله عنا وعنه، فتوقف فيه، ثم قال: أو كذلك أفعال القديم عندك؟ فقلت: هذا موضع لا تعلق له بذكر القدم والحدوث، وإنما هو طريق مسلوكة يتعاقبها القديم والمحدث تعاقباً واحداً. ألا تراك تقول: خلق الله كذا؟ أفنتظن أن هذا ينتظم كل خلق فى الوهم؟ فإن قلت: نعم، لزمك أن يكون هو الخالق لأفعال العباد، ومذهبك ناف لهذا عندك، فلما بلغ الموضع بنا إلى هذا أمسك، ثم مضى فقرأ شيئاً من كلام شيخنا فعاد معترفاً بما قلت له منه، غير أننا أعلمنا بذلك أن العلل عنده مروية غير مدرية، وليست بحقائق ولا عقلية.

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴿١١﴾

من ذلك قراءة أبي جعفر: «ثم قلنا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ»^(١)، بضم الهاء.

قال أبو الفتح: هذا مذهب ضعيف جدًا، وذلك أن الملائكة مجرورة، ولا يجوز أن يكون حذف همزة اسجدوا وألقى حركتها على الهاء، من موضعين:

أحدهما: أن هذا التخفيف إنما هو في الوصل، والوصل يحذف هذه الهمزة أصلاً إذ كانت همزة وصل، فيألت شعري من أين له همزة أصلاً في الوصل حتى يُلقى حركتها للتخفيف - على ما قبلها، وليست كذلك الهمزات التي تُلقى للتخفيف حركاتهن على ما قبلهن؛ لأنَّ لك أن تثبت هذه الهمزة قبل حذفها للتخفيف؟ ألا تراك أنك إذا خَفَفْتَ همزة أنت من قولك: مَنْ أنت جاز من انت؛ لأنَّ لك أن تحققها قبل التخفيف فتقول: من أنت؟ وليس لك أن تثبت همزة «اسجدوا» في الوصل فتقول: للملائكة أسجدوا فيجوز تخفيفها فيما بعد. وهذا واضح، وهو أذهب في الفحش من قول القراء: مَنْ فتح ميم من قوله تعالى: «ألف لام ميم الله»^(٢) إنه حذف همزة «الله» وألقى حركتها على ميم «ميم»؛ لأنَّ له أن يقول: إن الهجاء عندنا على الوقف، فإذا وصل فإنه مع ذلك ينوى الوقف، والوقف يجوز معه قطع همزة الله، وليس كذلك «ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا»، لأنه ليس من حروف الهجاء فينوى فيه الوقف عليه ثم تخفف همزته، وعلى أن مذهب القراء هناك أيضاً مدفوع عندنا لا يُخَفَّفُ إلا في الوصل، والوصل يُسقط همزة اسم الله تعالى، فالطريق في الفساد واحدة، وإن كان فيه في قول القراء ذلك القدر من تلك الشبهة الضعيفة.

فإن قال القراء: قولهم: «نون والقلم»^(٣) بترك إدغام النون في الواو يدل أن نية الوقف

(١) وقراءة ابن وردان. انظر: (الإحاف ٢٢٢، النشر ٢٦٧/٢).

(٢) سورة آل عمران الآيتان (١، ٢).

(٣) سورة القلم الآية (١).

فى هذه الحروف مع الوصل موجودة، إذ لو كانت موصولة البتة لوجب الإدغام، وأن يقال: «نور القلم»، كما تدغم النون فى الواو من قوله عز وجل: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١).

قيل له: ولو كانت فى وصلها على حكم الوقف البتة عليها لوجب إظهار النون فقيل: «نون والقلم» بإظهار النون؛ لقولك فى الوقف: نون بإظهار النون، فترك إظهار النون من قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ يدل على نية الوصل، وإنما لم يكن هناك إدغام لعمرى تعقباً لما كان عليه من الوقف، وإلا فهو موصول لا محالة، وإذا كان موصولاً وجب حذف الهمزة أصلاً، وإذا حذفت أصلاً لم تجد هناك لفظاً تحققه أو تخففه.

ويؤكد ذلك عندك قراءتهم «كاف هايا عين صاد»^(٢)، بإخفاء النون من عين عند الصاد، كما تخفى فى الوصل إذا قلت: عجبت من صالح، ونحو ذلك.

فقد ترى إلى جريان هذا مع أنه حرف هجاء كجريانه فى حال وصله نون عين وسين قاف من قوله: عين سين قاف، فأخفيت النون من عين عند السين، والنون من سين عند القاف، كما تخفيان فى: عن سالم، ومن قاسم.

ويؤكد أيضاً عندك إدغام الدال من صاد فى الذال من ذكر فى قوله: «عين صاد ذكر رَحْمَةِ رَبِّكَ»^(٣) كإدغامها فيها فى غير الهجاء، كقولك: تعهد ذلك الباب.

وهذا ينبهك على أن ترك إدغام النون من قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ إنما هو لئلا يجتمع هناك ثلاث واوات، فنقل عليهم أن يقولوا: «نور القلم»، ولو كان لنية الوقف البتة لظهرت الدال من «ص ذكر رَحْمَةِ رَبِّكَ». هذا أعلى القراءة وإن كان بعضهم قد أظهرها، إلا أن الإدغام أقوى رواية وقياساً. فهذا أحد وجهى قبح قراءة أبى جعفر: «ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ».

والآخر أن التخفيف فى نحو هذا إنما يكون إذا كان الحرف الأول قبل الهمزة ساكناً صحيحاً نحو ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾^(٤)، فإذا خففت الهمزة أُلقيت حركتها على الساكن قبلها

(١) سورة الشورى الآية (٨).

(٢) سورة مريم الآية (١).

(٣) سورة مريم الآيتان (١)، (٢).

(٤) سورة المؤمنون الآية (١).

فَقَبِلَهَا لِسْكُونِهِ، ثُمَّ حَذَفْتَ الْهَمْزَةَ تَخْفِيفًا، فَقُلْتَ: «قَدْ فَلَحَ»، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبُوكَ إِذَا خَفَفْتَهُ قُلْتَ: مَنْ بُوكَ؟.

فَأَمَّا إِذَا كَانَ قَبْلَ الْهَمْزَةِ حَرْفٌ مَتَحَرِّكٌ وَأَرَدْتَ تَخْفِيفَهَا فَإِنَّكَ لَا تَلْقَى حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ عَلَيْهِ، أَلَا تَرَكَ لَا تَقُولُ: فَلَانِ يَضْرِبُ خَاهُ، تَرِيدُ: يَضْرِبُ أَخَاهُ؟ لِأَنَّ بَاءَ يَضْرِبُ مَتَحَرِّكَةً، فَمَا فِيهَا مِنْ حَرَكَتِهَا لَا يَسُوِّغُ نَقْلَ حَرَكَةِ أُخْرَى إِلَيْهَا عَوْضًا مِنْ حَرَكَتِهَا، وَلِذَلِكَ ضَعَفْتَ عِنْدَنَا قِرَاءَةَ الْكَسَائِي: «مَا أُنْزِلُكَ»^(١) لِأَنَّ اللَّامَ مِنْ أُنْزَلَ مُفْتُوحَةً، فَلَا يَنْقَلُ عَلَيْهَا كَسْرَةُ هَمْزَةِ إِلَيْكَ ثُمَّ يَلْتَقِي الثَّلَاثَانِ مَتَحَرِّكِينَ، فَيَسْكُنُ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا، وَيَدْغَمُ فِي الثَّانِي كَمَا جُعِلَ فِي قَوْلِهِ: «لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي»^(٢)، إِذْ كَانَتْ النُّونُ مِنْ لَكِنْ سَاكِنَةً فَسَاغَتْ حَذْفُ هَمْزَةٍ أَنَا وَإِلْقَاءُ حَرَكَتِهَا عَلَى النُّونِ قَبْلَهَا، فَصَارَتْ لَكِنَّا، فَكَّرَهُ التَّقَاءُ الثَّلَاثِينَ مَتَحَرِّكِينَ، فَأَسْكَنَ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا وَأَدْغَمَ فِي الثَّانِي، فَصَارَ لَكِنَّا كَمَا تَرَى.

وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِنَا مُصَنَّفًا وَغَيْرَ مُصَنَّفٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَصْنَعُ بِمَا أَخْبَرَكَ بِهِ أَبُو عَلِيٍّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: دَعَا فِي حِرْمِهِ، بَضْمَ الرَّاءِ، وَهُوَ يَرِيدُ فِي حَرِّ أُمِّهِ؟ أَلَا تَرَى كَيْفَ أَلْقَى حَرَكَةَ هَمْزَةٍ «أُم» عَلَى الرَّاءِ، وَقَدْ كَانَتْ مَكْسُورَةً ثُمَّ حَذَفَ الْهَمْزَةَ، وَإِلَى مَا حَكَاهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى مِنْ قَوْلِ أَبِي السَّرَّارِ فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ سَلِيمٍ وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ حَاضِرٌ مِنْ قَوْلِ امْرَأَةٍ رَأَتْ أَبَا السَّرَّارِ عِنْدَ بَنَاتِهَا، فَأَنْكَرَتْهُ: أَفَى السَّوْتِ تَنْتَنَهُ، وَهِيَ تَرِيدُ أَفَى السَّوَةِ «أَنْتَنَهُ»، فَحَذَفَتْ هَمْزَةَ أَنْتَنَهُ وَأَلْقَتْ حَرَكَتِهَا عَلَى تَاءِ السَّوَةِ وَهِيَ مَكْسُورَةٌ؟.

قِيلَ: هَذَا مِنَ الشَّدُوذِ بِحَيْثُ لَا يُقَاسُ عَلَى ضَعْفِهِ، فَضَلَا عَنْهُ عَلَى قَلْتِهِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ حَذَفَ هَمْزَةً ثَابِتَةً مَوْجُودَةً فِي الْوَصْلِ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ هَمْزَةُ «اسْجُدُوا» لِأَنَّهَا بَلَا خِلَافٍ مَعْدُومَةٌ فِي الْوَصْلِ أَصْلًا، وَمَا هُوَ مَعْدُومٌ فِي اللَّفْظِ لَا يَغْرِضُ فِيهِ تَخْفِيفٌ وَلَا تَحْقِيقٌ.

فَإِنْ تَوَهَّمْ مَتَوَهَّمٌ أَنَّهُ يَرَى قَطْعَ هَمْزَةِ «اسْجُدُوا» عَلَى ضَعْفِ ذَلِكَ، ثُمَّ فَعَلَ مِنْ بَعْدُ نَحْوًا مِنْ حِكَايَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ: دَعَا فِي حِرْمِهِ - فَإِنْ هَذَا أَفْحَشُ، مِنْ حَيْثُ كَانَتْ هَمْزَةُ «اسْجُدُوا» مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي الْقُرْآنِ قَطْعُهُ أَصْلًا، لَخَبِثَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ فَضْلًا عَنِ التَّنْزِيلِ وَمَا يَجِبُ فِيهِ مِنْ تَخْيِيرِ أَفْصَحِ اللُّغَاتِ لَهُ.

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ الْآيَةُ (٦٨).

(٢) سُورَةُ الْكَهْفِ الْآيَةُ (٣٨).

ويزيد في قبح ذلك أنه إن نوى قطع همزة اسجدوا فإنما ذلك للوقوف قبلها، والوقوف هنا قبلها لا يجوز من حيث كان قوله: «اسْجُدُوا لِآدَمَ» معمولٌ قوله: «قلنا للملائكة»، ولا يحسن الوقف على الناصب دون منصوبه، بل لا يجوز الوقف على العامل دون معموله؛ لاتصاله به وكونه في بعض الأماكن كالجزم من العامل فيه، نحو لا رجل في الدار، ومررت بى، والمال لى، فيمن أسكن الياء، فهذا كله وما تركناه من نحوه يشهد بفساد قراءة أبى جعفر: «لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا».

* * *

مَذْمُومًا مَذْحُورًا

ومن ذلك قراءة الزهرى: «مَذْمُومًا مَذْحُورًا»^(١).

قال أبو الفتح: هذا على تخفيف الهمزة من «مَذْمُومًا»، كقولك فى مسئول: مسؤل. فإن قلت: أفيكون من ذمته أذيمة؟ قيل: لو كان منه لكان مَذْمُومًا كمبيع ومكيل. فإن قيل: فقد حكى الفراء: هذا بُرٌّ مَكُولٌ، ورجل مسورٌ به، وقد قالوا فى مهيب: مَهْرَبٌ.

قيل: هذا من الشذوذ فى منزلة القُصْيا، فلا يحسن الحمل عليه، وإنما ذكرناه لئلا يورده من يضعف نظره وهو يظنه طائلاً، فلا تحفل به.

* * *

سَوَاءٌ تَهُمَا

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى جعفر وشيبة والزهرى: «سَوَاءٌ تَهُمَا»^(٢) بتشديد الواو.

قال أبو الفتح: حكى سيبويه ذلك لغة قليلة، والوجه فى تخفيف نحو ذلك أن تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الواو قبلها فتقول فى تخفيف نحو السوءة: السّوءة، وفى تخفيف الجيئة: الجيّة. ومنهم من يقول: السّوءة والجيّة، وهو أدون اللغتين وأضعفهما،

(١) وقراءة الأعمش، والمطوعى، وأبى جعفر. انظر: (الإتحاف ٢٢٢، والقرطبى ١٧٦/٧، مجمع البيان ٤٠٤/٢، غيث النفع ٢٢١).

(٢) وقراءة أبى جعفر بن القعقاع. انظر: (البحر المحيط ٢٧٩/٤، غيث النفع ٢٢١، الكشف ٥٧/٢، مجمع البيان ٤٥٤/٢).

ومنهم من يقول في المنفصل من أَوْ أَنْتَ، وفي أبو أيوب أبو أيوب، وهو في المنفصل أسهل منه في المتصل، لما يوهم «سَوَّةٌ» أنه من مضاعف الواو، نحو القوَّة والحوَّة.

وقرأ: «سَوَّيْتُهُمَا»^(١) واحدة مجاهد.

ووجه ذلك أن السوَّة في الأصل فَعْلَةٌ من ساء يسوء، كالضربة والقتلة، فأثاها التوحيد من قبل المصدرية التي فيها.

فإن قلت: إن الفَعْلَة واحدة من جنسها والواحد مُعَرَّضٌ للتثنية والجمع.

قيل: قد يوضع الواحد موضع الجماعة وقد مضى ذلك مشروحاً.

* * *

هَذِهِ الشَّجَرَةُ (١٩)

ومن ذلك قراءة ابن مُحَيِّصٍ: «من هِذَى الشَّجَرَةِ»^(٢).

قال أبو الفتح: هذا هو الأصل في هذه الكلمة، وإنما الهاء في «ذه» بدل من الياء في ذى، يدل على الياء الأصل: قولهم في المذكر: «ذا»، فالألف في ذا بدل من الياء في ذى وأصل ذا عندنا ذى، وهو من مضاعف الياء مثل حى، فحذفت الياء الثانية التي هي لام تخفيفاً فبقى ذى قال لى أبو على: فكرهوا أن يشبه آخره آخر كنى وأى، وأبدلوا ألفاً كما أبدلت فى باعس ويأيس.

ويدل على أن أصل ذا ذى وأنه ثلاثى جواز تحقيره فى قولك: ذياً، ولو كان ثنائياً لما جاز تحقيره كما لا تحقر «ما»، «ومن» لذلك. وقد شرحت هذا الموضع فى كتابى الموسوم بالمنصف بما يمنع من الإطالة بذكره هنا.

فأما الياء اللاحقة بعد الهاء فى «هذه سبيلى»^(٣) ونحوه فزائدة، لحقت بعد الهاء تشبيهاً لها بهاء الإضممار فى نحو مررت بهى، ووجه الشبه بينهما أن كل واحد من الاسمين معرفة مبهمة لا يجوز تنكيره، وإذا وَقَفْتَ قلت: هذه، فأسكنت الهاء. ومنهم

(١) انظر: (الكشاف ٥٧/٢، العكبرى ١٥٦/١، النحاس ٦٠٥/١، الإتحاف ١٢٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٥٦/٢، مجمع البيان ٤٠٤/٢، العكبرى ١٥٦/١).

(٣) سورة يوسف الآية (١٠٨).

من يدعها على سكونها فى الوصل كما يسكنها عند الوقف عليها، كما أن منهم من يسكن الهاء المضمرة إذا وصلها فيقول: مررت به أمس، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزْد السَّراة، وأنشد هو وغيره^(١):

فَظَلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُخِيلُهُ وَمِطْوَايَ مُشْتَاقًا لَهُ أَرْقَانُ^(٢)
وروينا عن قطرب قول الآخر:

وَأَشْرَبُ الْمَاءَ مَا بَى نَحْوَهُ عَطَشٌ إِلَّا لِأَنَّ عَيُونَهُ سَيَلُّ وَادِيهَا

* * *

يُخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا ۝٢٢

ومن ذلك قراءة الزهرى: «يُخَصِّفَانِ عَلَيْهِمَا»^(٣) من أَخَصَّفْتُ، «وَيَخِصِفَانِ» الحسنُ بخلاف، وقرأ «يُخَصِّفَانِ»^(٤)، ابنُ بُرَيْدَةَ والحسنُ والزُّهْرِيُّ والأعرج، واختلف عنهم كلهم.

قال أبو الفتح: مألوف اللغة ومستعملها خَصَّفْتُ الورق ونحوه، وأما أَخَصَّفْتُ فكأنها منقولة من خَصَفْتُ، كأنه - والله أعلم - : يُخَصِّفَانِ أَنْفُسَهُمَا أَوْ أَجْسَامَهُمَا من ورق الجنة، ثم حذف المفعول على عادة حذفه فى كثير من المواضع، أنشد أبو على للحطيطه:

مَنْعَمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا كَصُونِكَ مِنْ رَدَاءٍ شَرْعَبِيٍّ
أَيُّ تَصُونُ الْحَدِيثَ وَتَحْزُنُهُ.

وأما قراءة الحسن: «يَخِصِّفَانِ» فإنه أراد بها يَخْتَصِفَانِ يَفْتَعِلَانِ من خَصَفْتُ،

(١) ينسب لبعلبى الأحول الأزدي. انظر: (خزانة الأدب ٢/٤٠١، الخصائص ١/١٢٩، والنصف ٨٤/٣ دون نسبه.

(٢) يقال: ظَلْتُ وظَلَلْتُ بمعنى: ظَلْتُ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي ظَلْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]. وضمير أخيله، وله: عائد إلى البرق فى بيت قبله، وهو:

أَرَقْتُ الْبَرْقَ دُونَهُ شَدَوَانِ يَمَانٍ وَأَقْبَرَى الْبَرْقِ كُلِّ يَمَانٍ

(٣) انظر: (القرطبي ٧/١٨١، الكشف ٢/٥٨، البحر المحيط ٤/٢٨٠).

(٤) وقراءة الأعرج، ومجاهد، وابن وثاب. انظر: (القرطبي ٧/١٨٠، الكشف ٢/٥٨، البحر المحيط ٤/٢٨٠).

كقولهم: قرأت الكتاب واقتزأته، وسمعت الحديث واستمعتة؛ فآثر إدغام التاء في الصاد فأسكنها، والخاء قبلها ساكنة، فكسرهما لالتقاء الساكنين، فصارت «يَخَصِّفَان».

وأما من قرأها «يَخَصِّفَان»^(١) فإنه أراد أيضاً إدغام التاء في الصاد فأسكنها على العبرة في ذلك، ثم نقل الفتحة إلى الخاء فصار «يَخَصِّفَان».

ويجوز يَخَصِّفَان بكسر الياء فيمن كسر الخاء إتباعاً، كما قال أبو النجم:

تَدِافِعُ الشَّيْبِ وَلَمْ تَقْتَلِ^(٢)

أراد تَقْتَلِ على ما ذكرت لك. ونحو من ذلك القراءة: يَهْدِي^(٣) وَيَهْدِي^(٤) وَيَهْدِي^(٥)، أصله كله يَهْتَدِي على ما مضى.

وأما من قرأ: «يُخَصِّفَان» وهو ابن بُرَيْدَةَ والحسن أيضاً والأعرج، واختلف عنهم كلهم فهو يُفَعِّلَان، كيَقْطَعَان ويكسران، وهذا واضح.

* * *

وَرِيشًا^(٦)

ومن ذلك قراءة النبي ﷺ وجماعةٍ عاصمٍ بخلاف: «ورِيشًا»^(٦) بالفتح.

قال أبو الفتح: يحتمل رِيشٌ شَيْئَيْنِ:

أحدهما: أن يكون جمع رِيش، فيكون كِشْعٌ وشِعَابٌ ولِهَبٌ، ولِهَابٌ، ولِصَبٌ ولِصَابٌ وشِقْبٌ وشِقَابٌ.

(١) وهم الحسن، ويعقوب، وبريدة، ومحبوب. انظر: (القرطبي ١٨١/٧، البحر المحيط ٢٨٠/٤، النحاس ٦٠٥/١).

(٢) سبق الاستشهاد به في صفحة (١٤٠).

(٣) من سورة يونس الآية (٣٥)، قراءة ابن كثير وابن عامر وورش. انظر: (الإتحاف ١٥٠).

(٤) قراءة حفص ويعقوب. انظر: (الإتحاف ١٥٠).

(٥) هي قراءة أبي بكر. انظر: (المرجع السابق).

(٦) وقراءة ابن عباس، وزيد بن علي، وزر بن حبيش، وعثمان، ومجاهد، وقتادة، وأبي رجاء، وعلي ابن الحسين، وأبي عمرو، والحسن البصري، وأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: (الإتحاف ٢٢٣، البحر المحيط ٢٨٢/٤، الطبري ٣٦٣/١٢، القرطبي ١٨٤/٧، معاني القرآن للقرآن ٣٧٥/١، معاني القرآن للأخفش ٢٩٧/٢، الكشف ٥٨/٢).

والآخر: أن يكونا لغتين: فِعْلٌ وفِعَالٌ. هكذا قال أبو الحسن، قال: وقال الكلبيون: الرياش: ما كان من لباس أو حشو من فراش أو دثار، والريش: المتاع والأموال. وقد يكون الريش في الثياب دون المال. ويقال: هو حَسَنَ الريش، أى الثياب. والرياش: القِشْر، وهما كما ترى متداخلان.

* * *

فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴿٣٤﴾

ومن ذلك قراءة ابن سيرين: «فإذا جاءَ آجالهم»^(١).

قال أبو الفتح: هذا هو الظاهر؛ لأن لكل إنسان أجلاً. فأما أفراد الأجل فلأنه جعله جنساً، أو لأنه مصدر فأتته الجنسية من قبل المصدرية، وحسن الأفراد لإضافته أيضاً إلى الجماعة، ومعلوم أن لكل إنسان أجلاً، وعليه جاءَ قوله: ^(٢)

فِي خَلْقِكُمْ عَظُمَ وَقَدْ شَجِينَا

لأن لكل إنسان خلقاً، وتقول على هذا: رأسُ القومِ صُلْبٌ، أى رؤوسهم صلاب. ويجوز أن تقول: رأسُ القومِ صِلَابٌ حملاً على المعنى.

وندع الإطالة بالشواهد إشفاقاً من الإطالة التي سئلنا اجتنابها على ما بينا فى صدر الكتاب.

* * *

إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ ﴿٣٥﴾

ومن ذلك قراءة أبى بن كعب والأعرج والحسن: «إِذَا تَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» بالتاء.

قال أبو الفتح: فى هذه القراءة بعض الصنعة، وذلك لقوله فيما يليه: ﴿يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾^(٣). فالأشبه بتذكير يَقْصُونَ التذكير بالياء فى قراءة الجماعة: ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، فتقول على هذا: قامت الزُّيُود وقام الزُّيُودُونَ، وتذكر لفظ قام لتذكير

(١) والحسن. انظر: (الكشاف ٦١/٢، القرطبي ٢٠٢/٧، البحر المحيط ٢٩٣/٤).

(٢) نسه فى لسان العرب «شجا» للمسيب بن زيد مناة.

(٣) سورة الأعراف الآية (٣٥).

الزيدون، وتؤنث لفظ قامت لأن الزيدود مكسر ولا يختص بالتذكير، لقولك: الهنود. وقد يجوز قامت الزيدون، إلا أن قام أحسن.

* * *

حَقَّ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا ٣٨

ومن ذلك ما روى عن أبي عمرو: «حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا»^(١) وروى عنه أيضاً: «حتى إذا» يقف ثم يقول: «تَدَارَكُوا»^(٢)، وظهور التاء في تداركوا قراءة ابن مسعود والأعمش.

وقراءة أخرى: «إِذَا أَدَارَكُوا»^(٣) قرأ بها مجاهد وحُميد ويحيى وإبراهيم.

قال أبو الفتح: قَطَعَ أبى عمرو همزة «أَدَارَكُوا» فى الوصل مشكل، وذلك أنه لا مانع من حذف الهمزة؛ إذ ليست مبتدأة كقراءته الأخرى مع الجماعة. وأمثل ما يصرف إليه هذا أن يكون وقف على أَلَف «إِذَا» مُمَيَّلًا بين هذه القراءة وقراءته الأخرى التى هى تداركوا، فلما اطمأن على الألف لذلك القدر من التمييز بين القراءتين لزمه الابتداء بأول الحرف، فأثبت همزة الوصل مكسورة على ما يجب من ذلك فى ابتدائها، فجرى هذا التمييز فى التلوم عليه وتطاول الصوت به بجرى وقفة التذكر فى نحو قولك: قالوا - وأنت تتذكر - الآن من قول الله سبحانه: ﴿قَالُوا الْآنَ﴾^(٤)، فتثبت الواو من قالوا لتلومك عليها للاستدكار ثم تثبت همزة الآن، أعنى همزة لام التعريف.

ومثله «اشْتَرَوْا» - إذا وقفت مستذكراً «للضلالة»، فتضم الواو من اشتروا على ما كانت عليه من الضم لالتقاء الساكنين، ثم تشبع الضمة لإطالة صوت وقفة الاستدكار، فتحدث هناك واوًا تنشأ عن ضمة واو الضمير، ثم تبتدىء فتقول: «الضلالة»، فتقطع همزة الوصل لابتدائك بها، فهذا أمثل ما يقال فى هذا.

ولا يحسن أن تقول: إنه قطع همزة الوصل ارتجالاً هكذا؛ لأن هذا إنما يسوغ

(١) انظر: (القرطبي ٢٠٤/٧، البحر المحيط ٢٩٦/٤، العكبري ٥٨/١).

(٢) وقراءة عبد الله بن مسعود، والأعمش، والمطوعى. انظر: (القرطبي ٢٠٤/٧، البحر المحيط ٢٩٦/٤، الإتحاف ٢٢٤).

(٣) وقراءة أبى عمرو، وعصمة. انظر: (القرطبي ٢٠٤/٧، حاشية يس ٨٨/١).

(٤) سورة البقرة الآية (٧١).

لضرورة الشعر. فأما في القرآن فمعاذ الله وحاشا أبي عمرو، ولا سيما وهذه الهمزة هنا إنما هي في فعل، وقلما جاء في الشعر قطع همزة الوصل في الفعل، وإنما يجيء الشيء النزر من ذلك في الاسم، نحو قول جميل^(١):

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة على حدّثان الدهر مني ومن جُمْل^(٢)
وقول الآخر:

يا نفس صبرا كل حى لاق وكل إثنين إلى افتراق^(٣)
أى لاق منيته، فحذف المفعول. وإنما قل قطع همزة الوصل هذه في الفعل وجاء ما جاء من ذلك في الاسم حيث كان الفعل مظنة من همزة الوصل، وإنما تدخل من الأسماء ما ضارع الفعل.

وباب همزات الأسماء أن تكون قطعاً، فلما غلب القطع عليها جرت الألسن على العادة في ذلك واستجازوا قطع همزة الوصل لما ذكرنا.

وليس حال همزة الوصل في الفعل كذلك؛ لأنها معتادة هناك فازداد قطعها من الفعل ضيقٌ عُدِرَ لما ذكرنا.

فأما «حتى إذا أداركوا» بإثبات ألف إذا مع سكون الدال من «أداركوا» فإنما ذلك لأنه أجرى المنفصل مجرى المتصل، فشبهه بشأبة ودابة ونحو قولهم: لاها الله ذا بإثبات الألف في «ها»، وترك حذفها لالتقاء الساكنين كما حذف في قول من قال: لاها الله ذا.

وقال لى أبو على: فيها أربع لغات: لاها لله ذا بجذف الألف. ولاها الله ذا بعمدها تشبيهاً بالمتصل على ما مضى في دابة. ولاها الله بإثبات ألفها وهمزة الله بوزن لاها علاه ذا.

والرابعة: لاها لله ذا في وزن هَعَلَّه ذا، تحرك ألف «ها» لا لالتقاء الساكنين وتقلبها

(١) (من الطويل) من قصيدته التي مطلعها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

انظر: (ديوان العذريين ١٢٩).

(٢) جمل: كنية بثينة - حدّثان الدهر: مصائبه.

(٣) ذكره في الخصائص ٤٧٧/٢ - أيضاً - دون أن ينسبه.

همزة كما قرأ أيوب السخيتاني: «ولا الضَّالِّين»^(١) بوزن الضَّعَلَيْن. وعليه ما حكاه أبو زيد من قولهم: شَابَّة ومَأْدَة.

ومثله أيضاً قراءة أبي عمرو، ورويناها عن قطرب عنه: «قالوا أطَّيرنا»^(٢) وحكى عن بعضهم: هذان عبدا الله.

وحكى عنهم: له ثلثا المال وهو أشد لأنه غير مُدْغَم. وقال بعضهم: يا الله، وبعضهم: يا أ الله، وبعضهم: يا الله، وبعضهم: يا الله، فحذف ألف يا لالتقاء الساكنين.

* * *

حَتَّى يَلِجَ الْجُمْلُ^(٤)

ومن ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وأبي العلاء بن الشَّخِير، ورويت عن أبي رجاء: «حتى يَلِجَ الْجُمْلُ»^(٣)، وقرأ «الْجُمْلُ»^(٤) بضم الجيم وفتحة الميم مخففة - ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف وعبد الكريم وحنظلة ومجاهد بخلاف. وقرأ: «الْجُمْلُ»^(٥) بضم الجيم وسكون الميم - ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف عنهما.

وقرأ: «الْجُمْلُ»^(٦) بضميتين والميم خفيفة - ابن عباس. وقرأ أبو السَّمَّال: «الْجُمْلُ»^(٧) مفتوحة الجيم ساكنة الميم.

(١) سورة الفاتحة الآية (٧)، وسبق الإشارة إلى القراءة.

(٢) سورة النمل الآية (٤٧).

(٣) وقراءة عاصم، وأبان، والشعبي، وابن محيصن، وأبي رزين، وأبي مجلز، وشهر بن حوشب. انظر: (الإتحاف ٢٢٤، البحر المحيط ٢٩٧/٤، الطبري ٤٢٨/١٢، القرطبي ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢).

(٤) وقراءة سالم، وقتادة، وابن مسعود، وأبي عمرو، والحسن. انظر: (الطبري ٤٢٨، ١٢، القرطبي ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢، لسان العرب، تهذيب اللغة «جمل»).

(٥) انظر: (القرطبي ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢، البحر المحيط ٢٩٧/٤).

(٦) وقراءة عطاء، والضحاك، والجدري. انظر: (القرطبي ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢، مجمع البيان ٤١٧/٢).

(٧) وقراءة المتوكل، وأبي الجوزاء. انظر: (الكشاف ٦٢/٢، القرطبي ٢٠٧/٧، البحر المحيط ٢٩٧/٤).

قال أبو الفتح: أما «الجَمَلُ» بالثقل «الجَمَلُ» بالتخفيف فكلاهما الجَمَلُ الغليظ من القنب، ويقال: جبل السفينة، ويقال: الجبال المجموعة، وكله قريب بعضه من بعض. وأما «الجَمَلُ» فقد يجوز في القياس أن يكون جمع جَمَلٍ كأسدٍ وأسدٍ ووثنٍ ووثنٍ، وكذلك المضموم الميم أيضاً كأسد.

وأما «الجَمَلُ» فبعيد أن يكون مخففاً من المفتوح لخفة الفتحة وإن كان قد جاء عنهم قوله^(١):

وما كل مبتاع ولو سَلَفَ صَفْقُهُ تراجع ما قد فاتهُ بِرِدَادُ^(٢)
* * *

لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴿٦١﴾

من ذلك قراءة عكرمة: «لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ دَخَلُوا الْجَنَّةَ»^(٣).

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «بِرَحْمَةٍ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ»، أى فَعِلَ ذلك بهم.

قال أبو الفتح: الذى فى هاتين القراءتين خطابهم بقوله سبحانه: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وطريق ذلك أن قوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ الوقف هنا، ثم يُسْتَأْنَفُ فيقال: دَخَلُوا الْجَنَّةَ، أَوْ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ، أى قد دخلوا أَوْ أَدْخِلُوا، وإضمار قد موجود فى الكلام نحو قوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ

(١) قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب: ذكر ابن قتيبة أن هذا البيت للأخطل، ولم أحده فى ديوان شعره الذى رواه أبو على البغدادى، ولعله قد وقع فى رواية أخرى. انظر: (شرح شواهد الشافية ٢١/٤)، وقد ورد فى ديوانه المطبوع (١٣٧).

(٢) قال البغدادى: على أن أصله سَلَفَ بفتح اللام، وتسكين العين المفتوحة شاذ ضرورة، قال سيبويه فى ذلك الباب: وأما ما توالى فيه الفتحان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء، وذلك نحو حَمَلٍ وَحَمَلٍ ونحو ذلك، انتهى. وقد أورده ابن عصفور فى كتاب الضرائر، فقال: فأما نقص الحركة فمنه حذفهم الفتحة من عين فَعِلَ مبالغة فى التخفيف، نحو قول الراجز:

على محالات عكسن عكسا إذا تسداها طلابها غلَسَا

يريد غلَسَا وقول الآخر [من الطويل]: «وما كل مغبون ولو سَلَفَ صَفْقُهُ». يريد سَلَفَ.

(٣) وقراءة النخعي، وابن وثاب. انظر: (القرطبى ٢١٤/٧)، الكشف ٦٤/٢، البحر المحيط ٣٠٤/٤.

صُدُورِهِمْ ﴿١﴾ أَى قَد حَصَرَتْ صُدُورَهُمْ، أَى فَقَد دَخَلُوا الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وَقَدْ اتَّسَعَ عَنْهُمْ حَذْفُ الْقَوْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٢) أَى يَقُولُونَ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَقَالَ الشَّاعِرُ: (٣)

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخِيرَانَا إِنَا رَأَيْنَا رَجُلًا عَرِيَانَا

أَى قَالَا: إِنَا رَأَيْنَا، وَلِذَلِكَ كَسَرَ. هَكَذَا مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا فِي نَحْوِ هَذَا مِنْ إِضْمَارِ الْقَوْلِ.

وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ قَوْلًا مَرْتَجَلًا لَا عَلَى تَقْدِيرِ إِضْمَارِ الْقَوْلِ، لَكِنْ اسْتَأْنَفَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ خُطَابَهُمْ، فَقَالَ: «أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ»، كَمَا اسْتَأْنَفَهُ تَعَالَى عَلَى الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ وَهِيَ: ﴿أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾. وَمِثْلُهُ مِنْ تَرْكِ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ آخَرَ بَيْتُ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (٤)

أَلَا يَا بَيْتُ بِالْعِلْيَاءِ بَيْتُ

أَلَا تَرَاهُ حَمْلَهُ عَلَى أَنَّهُ نَادَى الْبَيْتَ، ثُمَّ تَرَكَ خُطَابَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِهِ، فَقَالَ: بِالْعِلْيَاءِ بَيْتُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُطَابِ الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ:

وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ

وَسَأَلَنِي قَدِيمًا بَعْضُ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ عَنِّي، فَقَالَ: لَمْ لَا يَكُونُ «بَيْتُ» الثَّانِي تَكْرِيرًا عَلَى الْأَوَّلِ كَقَوْلِكَ: يَا زَيْدُ زَيْدُ، وَيَكُونُ بِالْعِلْيَاءِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، كَمَا كَانَ قَوْلُ النَّابِغَةِ:

يَا دَارَ مِيَةَ بِالْعِلْيَاءِ (٥)

(١) سورة النساء الآية (٩٠).

(٢) سورة الرعد الآية (٢٣).

(٣) قَالَ فِي الْخَصَائِصِ: وَأَنْشَدَ الْبَغْدَادِيُّونَ، فَذَكَرَهُ (الْخَصَائِصُ ٢/٣٤٠) وَكَذَلِكَ انْظُرْ: (الْبَغْدَادِيُّ فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى ٢/٦٥٩).

(٤) هُوَ لَعَمْرُؤُا بَنُ قُتَيْبَةَ كَمَا فِي الْكِتَابِ ٢/٢٠١، وَأَنْشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (بَيْتٌ) بِدُونِ نِسْبَةٍ. وَعِجْزُهُ: «وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ». أَرَادَ: لِي بَيْتٌ غَيْرُكَ بِالْعِلْيَاءِ، وَلَكِنْ أَوْثَرْتُ عَلَيْهِ لِأَنِّي أَحَبُّ أَهْلِكَ وَأَوْدَهُمْ: وَبَعْدَهُ:

كَأَنِّي كُلَّ ذَنْبٍ قَدْ حَنِيتُ

أَلَا يَا بَيْتَ قَوْمِكَ أَيْدُونَنِي

أَى: كَأَنِّي حَنِيتُ كُلَّ ذَنْبٍ أَتَاهُ إِلَيْهِمْ أَت.

(٥) الْبَيْتُ بِتَمَامِهِ:

أَقُوتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ =

يَا دَارَ مِيَةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالْسِّنْدُ

قوله: «بالعلياء» فى موضع الحال، أى يا دار مية عالية مرتفعة، فيكون كقوله: (١)

يا بؤسَ للجهلِ ضَرَّارًا لأقوامٍ (٢)

هذا معنى ما أورده بعد أن سَدَّدَت السؤال ومكنته، فقلت: لا يجوز ذلك هنا؛ وذلك أنه لو كان البيت الثانى تكريراً على الأول لقال: لولا جُبْ أهلك ما أتيت، فيكون كقولك: يا زيد لولا مكانك ما فعلت كذا، وأنت لا تقول: يا زيد ولولا مكانك لم أفعل كذا، فإذا بطل هذا ثبت ما قاله صاحب الكتاب من كونه كلاماً بعد كلام، وجملة تتلو جملة. وهذا واضح، فقوله على هذا: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٣) جملة لا موضع لها من الإعراب من حيث كانت مرتجلة، وهى فى القول الأول منصوبة الموضع على الحال، أى دَخَلُوا الجنة أو أُدْخِلُوا الجنة مقولاً لهم هذا الكلام الذى هو لا خوف عليكم، وحُذِفَ القول وهو منصوب على الحال، وأقيم مقامه قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ فانتصب انتصابه، كما أن قولهم: كَلَّمْتَهُ فَاهَ إِلَى فِى منصوب على الحال؛ لأنه نابٍ عن جاعلا فاهَ إِلَى فِى، أو لأنه وقع موقع مشافهة التى هى نائبة عن مشافها له.

* * *

أَوْنُرْدُ

ومن ذلك قراءة ابن أبى إسحاق: «أو نُردَّ»، بنصب الدال.

= انظر: (ديوان النابغة ١٦، الكتاب ٣٢١/٢، الإنصاف ٢٦٩، خزانة الأدب ١٢٥/٢، العينى ٤٩٦/٤، ١٢٩/٨، مع الهوامع ٢٢٣/١، ٢٢٥/٢، ١٥٨/٢).

العلياء والسند: موضعان. أقوت: حلت من أهلها.

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني قالها النابغة لزراعة بن عمرو العامري، فقد كانت بنو عامر قد بعثت إلى حصن بن حذيفة وعيينة بن حصن أن اقطعوا خلف ما بينكم وبين بنى أسد، وألقوهم بنى كنانة، ونخالفكم، فنحن بنو أبيكم. فلما هم عيينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان: اخرجوا من فيكم من الحلفاء ونحرج من فينا فأبوا، فقالها النابغة. انظر: (ديوانه ١٠٥).

(٢) صدره: «قالت بنو عامر خالوا بنى أسد». انظر: (ديوانه ١٠٥، الكتاب ٢٧٧/٢، الخصائص

١٠٨/٣، الإنصاف ٣٣٠، أمالى ابن الشجرى ٨٣، ٨٠/٢، شرح المفصل ٦٨/٣، ١٠٤/٥،

خزانة الأدب ٢٨٥/١، ١١٩/٢، مع الهوامع ١٧٣/١).

يا بؤسَ للجهل: اللام زائدة، وهذه اللفظة تأتى بها العرب على جهة التعنيف.

(٣) انظر: (الإتحاف ٢٢٥، البحر المحيط ٣٠٦/٤، القرطبي ٢١٨/٧).

قال أبو الفتح: الذى قبله مما هو متعلق به قوله: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا﴾، ثم قال: «أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ»، فعطف «نرد» على «يشفعوا»، وهو منصوب لأنه جواب الاستفهام وفيه معنى التمنى، وذلك أنهم قد علموا أنه لا شفيع لهم، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاء، فيردوا بشفاعتهم، فيعلموا ما كانوا لا يعلمونه من الطاعة؛ فيصير به المعنى إلى أنه كأنهم قالوا: إن نُرْزَقَ شَفْعَاءَ يَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ. وتقديره مع رفع نرد على قراءة الجماعة: إن نُرْزَقَ شَفْعَاءَ يَشْفَعُوا لَنَا، وإن نرد نعمل غير الذى كنا نعمل. وذلك أنهم مع نصب «نرد» تمنوا الشفعاء وقطعوا بالشفاعة، وتمنوا الرد أيضاً وضمنوا عمل ما لم يكونوا يعملونه، أى: إن نرد نعمل غير الذى كنا نعمل كأنه قال: أَوْ هَلْ نرد فنعمل.

فأما قوله سبحانه: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ﴾^(١) فقال فيه أبو الحسن: إنهم إنما تمنوا الرد، وضمنوا ألا يكذبوا، وهذا يوجب النصب لأنه جواب للتمنى، قال: إلا أنه عطف فى اللفظ والمراد به الجواب، وشبهه بقول الله سبحانه: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجِلِكُمْ﴾^(٢) بالجر، قال: فهى فى اللفظ معطوفة على المسح، وفى المعنى معطوفة على الغسل، قال ونحو منه: هذا جحر ضب خرب. وقرأها الحسن: «أَوْ تُرِيدُ فَنَعْمَلُ»^(٣)، فهو على هذه القراءة على أنهم تمنوا إرادته عز وجل إيمانهم وعملهم.

فإن قيل: وكيف يصح تمنىهم إرادته منهم الإيمان، ومعلوم أنه هو المراد منهم لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونُ﴾^(٤) وغيره من الآى؟.

قيل: يكون معناه إرادة اقتسار لهم على الإيمان لا رد منه تعالى الأمر إليهم فيه، فيكون هذا كقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾^(٥)، أى لو شاء مشيئة إلقاء أو إكراه لا عرض وترغيب.

وساغ فى هذه القراءة تمنىهم العمل، إذ كان بلطف الله عز وجل لهم فيه وإعائته إياهم عليه.

(١) سورة الأنعام الآية (٢٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٦).

(٣) وقراءة أبى حيو. انظر: (القرطبي ٢١٨/٧، الكشف ٦٥/٢، البحر المحيط ٣٠٦/٤).

(٤) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٥) سورة يونس الآية (٩٩).

وإن شئت قلت: عَطَفَ «نَعْمَلْ» بالرفع لفظاً وهو ينوى أنه جواب، أى إن شاء الله ذلك مشيئة إجلاء عملنا لا محالة، فيعطفه لفظاً وهو يريد الجواب على ما مضى.

* * *

يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ ﴿٥٤﴾

ومن ذلك قراءة حُمَيْد: «يَغْشَى»، بفتح الياء والشين، ونصب «الليل»، ورفع «النهار»^(١).

قال أبو الفتح: اتصال قوله تعالى: «يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ» بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ اتصال الحال بما قبلها، ويكون هناك عائد منها إلى صاحبها وهو الله تعالى، أى يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ بأمره أو بإذنه، وحذف العائد كما يحذف من خبر المبتدأ فى نحو قولهم: السَّمْنُ مَتَوَانٌ بدرهم، أى متوان منه بدرهم.

ودعانا إلى إضمار هذا العائد أن تتفق القراءتان على معنى واحد، ألا ترى إلى قراءة الجماعة: ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾، وأن هذه الجملة فى موضع الحال، أى استوى على العرش مُغْشِياً اللَّيْلَ النَّهَارَ، أى استوى عليه فى هذه الحال. فقوله إذا: ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾ بدل من قوله: «يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ» للتوكيد، وهو على قراءة الجماعة: «يَغْشَى»^(٢) أو «يُغْشَى»^(٣) حالٌ من الليل، أى يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ طالبا له حيثاً، وحيثاً بدل من طالب أو صفة له؛ لأن طالبا لو كان منطوقاً به حال هناك، والحال عندنا فوصف من حيث كانت فى المعنى خبراً، والأخبار توصف، لكن الصفات عندنا لا توصف.

وإن شئت يكون «حيثاً» حالا من الضمير فى يطلبه، وفيه من بعد هذا ما أذكره. وذلك أن الفاعل فى المعنى فى أحد المفعولين فى قراءة الجماعة هو الليل؛ لأنه المفعول الأول، كقولك: أعطيت زيدا عمراً، فزيد هو الآخذ وعمرو هو المأخوذ، وأعشيت جعفرًا خالدًا، فالغاشى جعفر والمغشى هو خالد، والفاعل فى قراءة حُمَيْد هو النهار؛ لأنه مرفوع: «يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ» فالفاعلان والمفعولان جميعاً مختلفان على ما ترى.

ووجه صحة القراءتين جميعاً والتقاء معنييهما أن الليل والنهار يتعاقبان، وكل واحد

(١) انظر: (القرطبي ٢٢١/٧، الكشاف ٦٥/٢، الرازى ٢٢٧/٤، البحر المحيط ٣٠٩/٤).

(٢) وقراءة الجمهور عدا الأخوين وأبى بكر. انظر: (البحر المحيط ٣٠٩/٤).

(٣) وقراءة الأخوين وأبى بكر. انظر: (البحر المحيط ٣٠٩/٤).

منهما وإن أزال صاحبه فإن صاحبه أيضاً مُزيلٌ له، فكل واحد منهما على هذا فاعل وإن كان مفعولاً، ومفعول وإن كان فاعلاً. وعلى أن الظاهر في الاستحاثات هنا إنما هو النهار؛ لأنه بسفوره وشروقه قد أظهر أثراً في الاستحاثات من الليل. وبعد، فليس النهار إلا ضوء الشمس، والشمس كائنة محدثة، ولا ضوء قبل أن يخلقها الله جل وعز، فالضوء إذا هو الهاجم على الظلمة، ويطلبه حينئذ على هذا حال من النهار؛ لأنه هو الأحدث منهما.

ويجوز في قراءة الجماعة أن يكون يطلبه حالاً من النهار وإن كان مفعولاً، كقولك: ضربتُ هندٌ زيداً مولمةً له، فقد يكون مؤلة حالاً لزيد، كما قد يجوز أن يكون حالاً من هند، وذلك أن لكل واحد منهما في الحال ضميراً. ومثله قول الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾^(١)، فقد يجوز أن يكون «تحمله» حالاً منها، ويجوز أن يكون حالاً منه، وقد يجوز أيضاً أن يكون منهما جميعاً على قوله:

فلئن لقيتكَ خاليسن لتعلما أئبى وأئيك فارسا الأحزاب؟
ويجوز أئبى وأئيك فارسُ الأحزاب، أى أينما فارسُ الأحزاب، فكذلك يكون قوله: يطلبه حينئذ حالاً منهما جميعاً على ما مضى؛ لأن لهما جميعاً فيه ضميراً. ولو كانت الآية «فأتت به قومها تحمله إليه» لجاز أن يكون ذلك حالاً منها، ومنه ومنهم جميعاً؛ لحصول ضمير كل واحد منهم في الجملة التي هي حال، فاعرف ذلك.

ولعمري إنك إذا قلت: أغشيتُ زيداً عمراً فإن العرف أن يكون زيد هو الغاشى وعمرو هو المغشى، إلا أنه قد يجوز فيه قلب ذلك، لكن مع قيام الدلالة عليه، ألا ترى إلى قوله:

فدع ذا ولكن من ينالك خيرُهُ ومن كان يُعطى حقهُن القصائد
أراد يعطى القصائد حقهن، ثم قدم المفعول الثانى فجعله قبل الأول من حيث كانت القصائد هنا هي الآخذة في المعنى، ونحوه: كسوت ثوباً زيداً، ساغ تقديمه لارتفاع الشك فيه، وليس كذلك «يُغشى الليل النهار» من حيث كانا متساويين الحالين في الغشيان، وعلى كل حال فكل واحد منهما غاشٍ لصاحبه.

* * *

بُشْرًا ﴿٥٧﴾

ومن ذلك قراءة الحسن بخلاف وقتادة وأبى رجاء والجحدري وسهل بن شعيب.
«نُشْرًا»^(١) بضم النون وحزم الشين.

وقرأ: «بُشْرًا»^(٢)، بفتح الباء ساكنة الشين، أبو عبدالرحمن بخلاف.

وقرأ: «بُشْرًا»^(٣)، بالياء مضمومة منونين، ابن عباس والسلمي بخلاف وعاصم بخلاف.

وقرأ: «بُشْرَى»^(٤)، غير منونة على فُعْلَى، محمد بن السَّمِيعَ وابن قُطَيْب.

وقرأ: «نُشْرًا»^(٥)، بفتح النون والشين مسروق.

قال أبو الفتح: أما «نُشْرًا» فتخفيف «نُشْرًا»^(٦) في قراءة العامة، والنُشْر جمع نُشُور؛ لأنها تُنْشَر السحاب وتستدرّه، والتثقيل أفصح لأنه لغة الحجازيين، والتخفيف في نحو ذلك لتعميم.

وأما بُشْرًا فجمع بشير، لأنَّ الريح تبشِّر بالسحاب.

وأما بُشْرًا فمصدر في موضع الحال، كقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اذْعُهْنَ يَا بَنِيكَ سَعْيًا﴾^(٧) أى ساعيات، فكذلك «بُشْرًا» أى باشرات فى معنى مُبَشِّرَات، يقال:

(١) وقراءة ابن عامر، وعبدالله بن مسعود، ومسروق، والحسن، والأعمش، والنخعي، وابن وثاب، وابن عباس. انظر: (الإتحاف ٢٢٦، السبعة ٢٨٣، النشر ٢٦٩/٢، ٢٧٠، غيث النفع ٢٢٤، التيسير ١١٠، البحر المحيط ٣١٦/٤، القرطبي ٢٢٩/٧).

(٢) وقراءة عاصم. انظر: (القرطبي ٢٢٩، البحر المحيط ٣١٦/٤، معاني القرآن للفراء ٣٨١/١، الرازى ٢٣٩/٤).

(٣) وقراءة ابن أبى عيلة. انظر: (الطبري ٤٩١/١٢، القرطبي ٢٢٩/٧، الرازى ٢٣٩/٤، البحر المحيط ٣١٦/٤).

(٤) انظر: (القرطبي ٢٢٩/٧، البحر المحيط ٣١٦/٤، النحاس ٦١٩/١).

(٥) انظر: (الكشاف ٦٦/٢، البحر المحيط ٣١٦/٤).

(٦) قراءة نافع، وأبى عمرو، وابن كثير، والحسن، والسلمي، وأبى نوفل، والأعرابي، وابن محيصن، واليزيدي، وأبى يحيى الأعرابي، وأبى رجاء، وأبى جعفر. انظر: (الإتحاف ٢٢٦، السبعة ٢٨٣، غيث النفع ٢٢٤، الكشف ٤٦٥/١، ٤٦٦، مجمع البيان ٤٣٠/٢، معاني القرآن للأخفش ٣٠١/٢، الطبري ٤٩١/١٢، القرطبي ٢٢٩/٧، البحر المحيط ٣١٦/٤).

(٧) سورة البقرة الآية (٢٦٠).

بَشَرْتُ الرَّجُلَ أَبْشَرُهُ بَشْرًا، فَأَنَا بَاشِرٌ وَهُوَ مَبْشُورٌ، وَأَبْشَرْتُهُ أَبْشِيرُهُ، فَأَنَا مُبَشِّرٌ وَهُوَ مُبَشَّرٌ. وَبَشَرْتُهُ تَبْشِيرًا، فَأَنَا مُبَشِّرٌ وَهُوَ مُبَشَّرٌ. وَبَشِرَ بِالْأَمْرِ يُبَشِّرُ بِهِ، فَهُوَ بَشِيرٌ، كَفَرِحَ بِهِ يَفْرَحُ فَرَحًا، وَهُوَ فَرِحٌ. وَأَبْشَرَ هُوَ أَيْضًا يُبَشِّرُ إِبْشَارًا، وَمِنْهُ الْمَثَلُ السَّائِرُ:

أَبْشِرْ، بِمَا سَرَّكَ عَيْنِي تَخْتَلِجُ^(١)

وَالْبَشَارَةُ: حَسَنُ الْبَشَرَةِ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: قِيلَ: لَمَّا يُفْرَحُ بِهِ بِشَارَةٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَرِحَ حَسَنَتْ بَشَرَتُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنَّ الْبَشَرَةَ قَدْ يَبِينُ عَلَيْهَا الْحَسَنُ تَأْرَةً وَالْقَبِيحُ أُخْرَى فَكَيْفَ خُصَّ بِهِ هَاهُنَا حَسَنُهَا دُونَ قَبِيحِهَا؟.

قِيلَ: مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَوْقِعُوا عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يُخْتَصُّونَهُ بِالْمَدْحِ اسْمَ الْجِنْسِ الْمَطْلُوقِ عَلَى جَمِيعِ أَجْزَائِهِ الْمُخْتَلِفَةِ. أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا: لِفُلَانٍ خُلُقٌ فَخُصَّوهُ بِالْمَدْحِ، وَإِنْ كَانَ الْخُلُقُ يَكُونُ قَبِيحًا كَمَا يَكُونُ حَسَنًا.

وَقَالُوا لِلْكُفَّةِ: بَيْتُ اللَّهِ، وَالْبُيُوتُ كُلُّهَا لِلَّهِ، فَخُصَّوْا بِاسْمِ الْجِنْسِ أَشْرَفَ أَنْوَاعِهِ.

وَقَالُوا: فُلَانٌ مُتَكَلِّمٌ، يَعْنُونَ بِهِ صَاحِبَ النَّظَرِ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُتَكَلِّمُونَ.

وَأَمَّا «بُشْرَى» عَلَى فُعْلَى فَمَنْصُوبَةٌ عَلَى الْخَالِ أَيْضًا، أَيْ مُبَشِّرَاتٌ عَلَى مَا مَضَى.

وَفِي «نَشْرًا» فَعْلَى حَذَفِ الْمُضَافِ، أَيْ ذَوَاتِ نَشْرٍ، وَالنَّشْرُ أَنْ تَنْتَشِرَ الْغَنَمُ بِاللَّيْلِ فَزَعَى، فَهَذَا عَلَى تَشْبِيهِ السَّحَابِ فِي انْتِشَارِهِ وَعُمُومِهِ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا بِالْغَنَمِ إِذَا انْتَشَرَتْ لِلرَّغَى.

* * *

وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ^٢

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَنْسَ بْنِ مَالِكٍ وَعَلْقَمَةُ وَالْجَحْدَرِيُّ وَالتَّيْمِيُّ وَأَبَى طَالُوتَ وَأَبَى رَجَاءَ: «وَيَذَرُكَ وَإِلَاهَتَكَ»^(٢).

(١) ذَكَرَهُ الزَّخَشَرِيُّ فِي أُسَاسِ الْبَلَاغَةِ «خُلِجَ» ٢٤٥/١ يَقَالُ: خُلِجَ الشَّيْءُ مِنْ يَدِهِ: نَزَعَهُ، وَأَخَذَتْ يَدَهُ فَخُلِجَتْ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ. وَخُلِجَ الطَّاعِنُ رَمَحَهُ مِنَ الْمُطْعُونِ، وَخُلِجَتْ عَيْنُهُ وَحَاجِبُهُ وَاجْتَلَجَا.

(٢) وَقِرَاءَةُ ابْنِ مَيْصَنٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَمَجَاهِدٍ. انْظُرْ: (الطَّبْرِيُّ ٣٨/١٣، الْكَشَافُ ٨٣/٢، الْقُرْطُبِيُّ ٢٦٢/٧، الْإِتْحَافُ ٢٢٩، الْبَحْرُ الْخَاطِطُ ٣٦٧/٤).

وقرأ: «وَيَذَرُكَ»^(١) بِإِسْكَانِ الرَّاءِ الْأَشْهَبِ.

وقرأ «وَيَذَرُكَ»^(٢) نَعِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ وَالْحَسَنَ بِخِلَافِ.

قال أبو الفتح: أما «إِلَاهَتَكَ» فإنه عبادتك، ومنه الإله، أى مستحق العباداة، وقد سميت الشمس إلهة وألأهة؛ لأنهم كانوا يعبدونها، ويقال: تأله تألها. قال رؤية:

سَبَّحْنِ وَاسْتَزَجَعْنِ مَنْ تَأْلَاهِ^(٣)

أى عبادتى، ويقال: لا إله أبوك، وله أبوك، ولهى أبوك وله أبوك، وفى تصريحها بعض الطول فندعه تخفيفاً.

وأما «وَيَذَرُكَ» بالرفع فعلى الاستئناف، أى فهو يترك.

وأما «يَذَرُكَ» بالإسكان فمن «يَذَرُكَ»، كقراءة أبى عمرو: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ»^(٤) وحكى أبو زيد: «رُسُلُنَا» بِإِسْكَانِ اللَّامِ اسْتِقْلَالاً لِلضَّمَةِ مَعَ تَوَالِي الْحَرَكَاتِ، وَلَمْ يَسْكُنْ أَبُو عَمْرٍو «يَأْمُرُهُمْ» كَمَا أُسْكِنَ «يَأْمُرُكُمْ» وَذَلِكَ لِحِفَاءِ الْهَاءِ وَخَفْتِهَا قِجَاءُ الرِّفْعِ عَلَى وَاجِبِهِ.

وليست الكاف فى «يَأْمُرُكُمْ» بخفية ولا خفيفة خفة الهاء ولا خفاءها، فتقل النطق بها فحذف ضَمَّتْهَا.

* * *

إِنَّمَا طَيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١٣٦﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «إِنَّمَا طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ».

قال أبو الفتح: الطير: جمع طائر فى قول أبى الحسن، وفى قبول صاحب الكتاب: اسم للجمع، بمنزلة الجامل والباقر غير مكسّر.

ورويانا عن قطرب فى كتابه الكبير أن الطير قد تكون واحداً، كما أن الطائر الذى

(١) والحسن. انظر: (القرطبي ٢٦١/٧، البحر المحيط ٣٦٧/٤، الكشاف ٨٣/٢، الرازى ٢٧٤/٤).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٢٩، الطبرى ٣٧/١٣، القرطبي ٢٦١/٧، الكشاف ٨٣/٢، مجمع البيان

٤٦٤/٢، معانى القرآن للقرءاء ٣٩١/١).

(٣) انظر: (ديوانه ١٦٥).

(٤) وقراءة، والدورى باختلاس الضمة أو الإسكان. انظر: (الإتحاف ١٩١، غيث النقع ١٩٢).

يقرأ به الجماعة واحد، وعلى أنه قد يكون الطائر جماعاً بمنزلة الجامل والباقر. أنشد ابن الأعرابي:

وبالعثانين وبالحناجر
على رءوس كءوس الطائر^(١)
* * *

الْقَمَل

ومن ذلك قراءة الحسن: «عليهم القمل»^(٢)، بفتح القاف، وسكون الميم.
قال أبو الفتح: «القمل» هنا: هو هذا المعروف، ولا يجوز أن يكون تحريف القمل ولا لغة فيه، كالجمل والجمل في قراءة من قرأ «حتى يلج الجمل في سم الخياط»؛ لأن لهذا وجهاً قائماً معروفاً، وهو هذا القمل المعروف.
* * *

سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ

ومن ذلك قراءة الحسن أيضاً: «سأوريكم دار الفاسقين»^(٣).
قال أبو الفتح: ظاهر هذه القراءة مردود، لأنه سأفعلكم من رأيت، وأصله سأريكم، ثم خففت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء، فصارت سأريكم. قالوا: وإذا لا وجه لها، ونحو من هذا قرأته أيضاً: «ولا أدراؤكم به»، إلا أن له وجهاً ما، وهو أن يكون أراد: «سأريكم»، ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واواً، فصارت «سأوريكم» وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثراً ونظماً، فمن المنشور قولهم: بينا زيد قائم جاء عمرو، إنما يراد بين أوقات زيد قائم جاء فلان، فأشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً. ومثله قول عنزة.

يَنبَاغُ من ذِفْرَى غَضُوبِ جِسْرَةٍ^(٤)

أراد ينبع، فأشبع فتحة الباء فنشأت عنها ألف كما ترى، على هذا حملة لنا أبو علي

(١) ذكر في الخصائص ٤٩٢/٢ الشطر الأخير فقط. قال: يريد الطير.

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٢٩، القرطبي ٢٧٠/٧، الكشف ٨٦/٢، مجمع البيان ٤٦٧/٢).

(٣) انظر: (الكشاف ٩٣/٢، البحر المحيط ٣٨٩/٤، العكبري ١٦٤/١).

(٤) سبق الاستشهاد به.

سنة إحدى وأربعين. وقد قال الأصمعي مع ذلك يقال: انباع الشجاع يباع انبياعاً إذا انخرط ماضياً من الصف.

وأخبرنا أبو علي عن أحمد بن يحيى أنه قال: يقال: جرى به من حيث وليس. وروى الفراء عن بعضهم أنه سمعه يقول: أكلت لحماً شاقاً، وهو يريد لحم شاة، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً، وهو اعتراض بين المضاف والمضاف إليه على ضيق الوقت وقصره بينهما. ومنه المسموع عنهم في الصياريف والدراهيم. وأنشدنا أبو علي: وأنتى حيشما يسرى الهوى بصرى من حوثماً سلكوا أنتى فأنظور يريد فأنظره، فأشبع الضمة فأنشأ عنها واواً، هكذا رواه أبو علي يسرى من سرى، ورواه ابن الأعرابي: يُشَرى، بالشين معجمة، أى يَقلق ويحرك الهوى بصرى، وما أحسن هذه الرواية وأطرفها! وأنشد غيرهما:

عَيْطَاءُ جَمَاءِ الْعِظَامِ عُطْبُولٌ كَأَنَّ فِي أَنْبَاهِهَا الْقَرْنُفُولُ^(١)

يريد القرنفل، فإذا جاز هذا ونحوه نظماً ونثراً ساغ أيضاً أن يُتأول لقراءة الحسن: «سأوريكم»، أراد سأريكم وأشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واواً، وهو أبو سعيد، والمأثور من فصاحته ومتعالم قوة إعرابه وعريته! فهذا مع ما فيه من نظائره أمثل. من أن يتلقى بالرد صيرفاً غير منظور له ولا مسعى في إقامته. وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه لما ذكرنا.

* * *

فَلَا تَشْمِتْ بِإِ الْأَعْدَاءِ ﴿١٥٠﴾

ومن ذلك قراءة مجاهد: «فلا تشمت بى الأعداء»^(٢)، وقرأ أيضاً: «فلا يشمت بى الأعداء»^(٣).

(١) ذكره في الخصائص (١٢٦/٣) «مذكورة جم العظام عطبول». المذكورة المطوية الحلق الحسنة (و) (جم العظام) يقرأ بضم الجيم جمع أجم، وقد جمع نظراً إلى المضاف إليه، والفصيح غير هذا. وقد يكون الأصل: حمة العظام فقصر الممدود، وحذفت الألف في الرسم، ويقال: عظم أجم: وافر اللحم. انظر: (هامش الخصائص ١٢٦/٣).

(٢) والكسائي، وابن محيصن، ومالك بن دينار، وحמיד الأعرج. انظر: (الإتحاف ٣٢١، القرطبي ٢٩١/٧، مجمع البيان ٤٨١/٢، البحر المحيط ٣٩٦/٤، تهذيب اللغة «شمت»).

(٣) انظر: (الكشاف ٩٥/٢، مجمع البيان ٤٨١/٢).

قال أبو الفتح: الذى رويناه عن قطرب فى هذا أن قراءة مجاهد «فلا تُشمت بى الأعداء» رَفَعَ - كما ترى - بفعلهم، فالظاهر أن انصرافه إلى الأعداء، ومحصوله: يا رب لا تُشمت أنت بى الأعداء، كقراءة الجماعة.

فأما مع النصب فإنه كأنه قال: لا تُشمت بى أنت يارب، وجاز هذا كما قال الله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١) ونحوه مما يجرى هذا المجرى، ثم عاد إلى المراد فأضمر فعلا نصب به الأعداء، فكأنه قال: لا تُشمت بى الأعداء كقراءة الجماعة.

* * *

هُدْنَا إِلَيْكَ ﴿١٥٦﴾

ومن ذلك قراءة أبى وَحْزَةَ السعدى: «هُدْنَا إِلَيْكَ»^(٢).

قال أبو الفتح: أما «هُدْنَا» بضم الهاء مع الجماعة فُتَبْنَا، والهود: جمع هائد، أى تائب. وأما «هُدْنَا» بكسر الهاء فى هذه القراءة فمعناه انجذبنا وتحركنا، يقال: هادنى يهيدنى هيداً، أى جذبنى وحركنى، فكأنه قال: إِنَّا هِدْنَا أَنْفُسَنَا إِلَيْكَ، وحركناها نحو طاعتك.

قال:

أَلَمَّا عَلَيْهَا فَانْعِيَانِيْ وانظروا أينصتها أم لا يهيدُّها ذِكْرِيْ
أى: أم لا يهيجها ويهزها ذكرى، ومنه قولهم فى زجر الإبل: هيد، أى أسرع.
قال ذو الرمة:

إذا حباهن بهيـدٍ هيـدٍ صفحن للأززار بالحدودِ

* * *

النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ﴿١٥٧﴾

ومن ذلك قال ابن رومى: حدثنى أحمد بن موسى، وحدثنى الثقة عنه أنه قرأ: «النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ»^(٣) بفتح الهمزة، يقول: يأتى به من قبله.

(١) سورة البقرة الآية (١٥).

(٢) وقراءة زيد بن على. انظر: (الكشاف ٩٧/٢، البحر المحيط ٤٠١/٤).

(٣) وقراءة يعقوب. انظر: (البحر المحيط ٤٠٣/٤، العكبرى ١٦٥/١).

قال أبو الفتح: هذا منسوب إلى مصدر أَمَت الشيء أَمًّا، كقولك: قصدته قصداً، ثم أضيف إليه عليه السلام. هذا على هذا التفسير الذي سبق ذكره.

وقد يجوز مع هذا أن يكون أراد الأُمِّي بضم الهمزة كقراءة الجماعة، ثم لحقه تغيير النسب، كقولهم في الإضافة إلى أُمِّيَّة: أُمَوِي، بفتح الهمزة، وكقولهم في الدَّهْر: دُهْرِي، وفي الأُمسِ إمْسِي، وفي الأفقِ أَفْقِي بفتح الهمزة، وهو باب كبير واسع عنهم.

* * *

أَصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ ﴿١٥٦﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وعمرó الأسواری^(١): «أَصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ»^(٢).

قال أبو الفتح: هذه القراءة أشد إفساحاً بالعدل من القراءة الفاشية التي هي: «مَنَ أَشَاءُ»؛ لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكورٌ علّة الاستحقاق له، وهو الإساءة، والقراءة الفاشية لا يُتناول من ظاهرها علّة إصابة العذاب له، وأن ذلك لشيء يرجع إلى الإنسان، وإن كنا قد أخطأنا علماً بأن الله تعالى لا يظلم عباده وأنه لا يعذب أحداً منهم إلا بما جناه واجترمه على نفسه، إلا أننا لم نعلم ذلك من هذه الآية، بل من أماكن غيرها. وظاهر قوله تعالى: ﴿مَنَ أَشَاءُ﴾ بالشين معجمة ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنه يعذب من يشاء من عباده، أساء أو لم يسي. نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله، وهو حسبننا وولينا.

* * *

وَعَزَّزُوهُ ﴿١٥٧﴾

ومن ذلك قراءة الجحدري وسليمان التيمي وقتادة: «وَعَزَّزُوهُ»^(٣)، خفيفة الزاى.

(١) عمرو بن فائد، أبو على الأسواری التيمي: معتزلى قدرى، من القراء القصاص، من أهل

البصرة. كان منقطعاً إلى أميرها محمد بن سليمان. أخذ عن عمرو بن عبيد، وله مناظرات. وكان

متروك الحديث، ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقيل: له «تفسير» كبير. قال ابن حجر: مات بعد

المائتين ييسير. انظر: (لسان الميزان ٣٧٢/٤، اللباب ٤٧/١ - ٤٨، الأعلام ٨٣/٥).

(٢) وقراءة، زيد بن على، وطاوس، وسفيان بن عيينة. انظر: (الإتحاف ٢٣١، الكشف ٩٧/٢،

البحر المحيط ٤٠٢/٤، مجمع البيان ٤٨٥/٢).

(٣) وقراءة عيسى. انظر: (القرطبي ٣٠١/٧، الكشف ٩٧/٢، البحر المحيط ٤٠٤/٤).

قال أبو الفتح: مشهور اللغة في ذلك: عزّرت الرجل: أى عظّمته، وهو مشدد، وقد قالوا: عزّرت الرجل عن الشيء بتخفيف الزاى إذا منعتة عن الشيء، ومنه سمي الرجل: عزّرة، فقد يجوز أن يكون «وعزّروه» على هذه القراءة، أى منعه وحجزوا ذكره عن السوء، كقوله: سبحان الله. ألا ترى أن أبا الخطاب فسرّه فقال: براءة الله من السوء، فبرأته من الشيء وحجزته عنه بمعنى واحد.

* * *

عَشْرَة (١٦)

ومن ذلك قراءة يحيى والأعمش وطلحة بن سليمان: «عَشْرَة»^(١)، وقرأ «عَشْرَة»^(٢) بفتح الشين بخلاف.

قال أبو الفتح: أما «عَشْرَة» بكسر الشين فتميمية، وأما إسكانها فحجازية.

واعلم أن هذا موضع طريف؛ وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثانى من الثلاثى إذا كان مضموماً أو مكسوراً، نحو الرُسل والطُّب والكبد والفخذ، ونحو طُرْف وشرُف وعِلْم وقَدِيم. وأما بنو تميم فيسكنون الثانى من هذا ونحوه، فيقولون: رُسُل وكتُب وكَبِد وفَخَذ، وقد طُرِفَ وقد عُلِمَ، لكن القبيلتين جميعاً فارقتا فى هذا الموضع من العدد معتاد لفتهما، وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها وتركت مألوف اللغة السائرة عنها، فقال أهل الحجاز: اثنتا عشرة بالإسكان، والتميميون عشيرة بالكسر.

وسبب ذلك ما أذكره؛ وذلك أن العدد موضع يَحْدُث معه ترك الأصول وتُضم فيه الكلمُ بعضُهُ إلى بعض، وذلك من أحد عشر إلى تسعة عشر. فلما فارقوا أصول الكلام من الأفراد وصاروا إلى الضم فارقوا أيضاً أصول أوضاعهم ومألوف لغاتهم، فأسكن من كان يحرك، وحرك من كان يسكن، كما أنهم لما حذفوا هاءَ حنيفة للإضافة حذفوا معها الياء، فقالوا: حَتَفَى، ولما لم يكن فى حنيف هاءَ تحذف فتحذف لها الياء قالوا فيه: حَنَفَى. وكقولهم: الجاه، وأصله عندنا الوجه، فقلبوه فقدموا العين على الفاء، وكان قياسه أن يقولوا: جَوَه، إلا أنهم لما قلبوا شجّعوا عليه فغيروا بناءه، فأصاروه من جَوَه إلى وجوه، فانقلبت الواو التى هى فاء فى موضع العين ألفاً لانفتاح

(١) انظر: (الإتحاف ٢٣١، الكشف ٩٩/٢، البحر المحيط ٤/٤٠٦، الرازى ٤/٣٠٣).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٠٦، لسان العرب «عشر»، العكبرى ١/١٩٥).

ما قبلها وحركتها، فصارت جاه كما ترى. وحسن ذلك لهم أيضًا ما أذكره، وهو أنهم قد علموا أنهم إذا حركوا الواو وقبلها فتحة انقلبت ألفًا وهي ساكنة كما تعلم أبدًا، فصار عودهم إلى سكون الحرف مسوغًا لهم تحريكه المؤدى إلى سكونه، حتى كأنهم لم يحدثوا في الحرف حدثًا.

فإن قيل: فهلا أقروا الواو على سكونها، واستغنوا بذلك عن تحريكها المؤدى إلى سكون الحرف المنقلب عنها وهو الألف.

قيل: الذى فعلوه أصنع، وذلك أنهم إذا قلبوه ألفا صار بمنزلة وجود الحركة فيه؛ لأن الألف فى نحو هذا لا تنقلب إلا عن حركة وهى مع هذا ساكنة، فاجتمع لهم فى الألف أمران:

أحدهما: تحريك الساكن لما عَرَضَ لهم هناك فى القلب على عادتهم فى إلحاق التحريف ببعضه ببعض.

والآخر: سكون الألف لفظًا مع ما قدمناه من اعتقاد تحريكها معنى.

وإذا أدى الحرف الساكن على خفته تأدية المُحَرَّك على ثقله فتلك صنعة مأنوس بها مُعْتَمَدٌ مثلها، وما لحقه تغيير ما فدعا ذاك إلى إلحاقه تغييرًا ثانيًا كثير فى اللغة جدًّا، ألا ترى إلى أحد قولى سيبويه فى أَيْتُق: إن الياءَ فيها بدل من الواو التى هى عين فى أصل الكلمة، وذلك أن أصلها أُنُوق، وقد حكاهما الفراء فيما رويناه عنه، فقدمت العين على الفاء فصار تقديرها أُونُق، فلما قدمت العين على الفاء فتَوَهَّنت بذلك - قلبوها ياءً، فقأها: أَيْتُق، وكذلك لما أَعْلُوا فاء الفعل من اتقى بأن أبدلوا تاء وأدغموها فى تاء افتعل أَعْلُوها أيضًا بالحذف، فقالوا: تَقَى يَتَقَى. ومثله ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

قَصَرْتُ لَهُ الْقَبِيلَةَ إِذْ تَجَهَّنَّا — وَمَا ضَاقَتْ بِشِدَّتِهِ ذِرَاعِي

فيمر رواه بفتح الجيم، ألا ترى أن وزنه افتعلننا من الوجه إَوْتَجَهْنَا، فلما أبدلت الواو تاء وأدغمت فى تاء افتعل فصارت اتجه - شَجُّوا على أن حذفوها أيضًا فقالوا: تَجَه؟ فوزن تَجَه الآن على لفظه تَعَل، ومضارعه يَتَجَه. ومثاله يَتَعَل، وكذلك تَقَى فَعَلَ. والجاه وزنه على اللفظ بسكون الألف عَقَل، وهو قبل القلب عَقَل، لأنه صار من جَوَه إلى جَوَه، وأصله الأول فعل لأنه وَجَهٌ، ولولا إشفاقى من الإطالة لبسطت هذا ونحوه بسطًا يوثقُ عارفه وأهله، وفيما ذكرنا دليل على ما أغفل.

وأما «اثنتا عشرة»، بفتح الشين فعلى وجه طريف، وذلك أن قوله: «اثنتى» يختص بالتأنيث، وعشرة، بفتح الشين تختص بالذكر، وكل واحد من هذين يدفع صاحبه. وأقرب ما تُصَرَّف هذه القراءة إليه أن يكون شبه اثنتى عشرة بالعقود ما بين العشرة إلى المائة. ألا تراك تقول: عشرون وثلاثون، فتجد فيه لفظ التذكير ولفظ التأنيث؟ أما التذكير فالواو والنون، وأما التأنيث فقولك: ثلاث من ثلاثون، ولذلك صلحت ثلاثون إلى التسعين للمذكر والمؤنث فقلت: ثلاثون رجلاً وثلاثون امرأة، وتسعون غلاماً وتسعون جارية؛ فكَذلك أيضاً هذا الموضع.

ألا تراه قال تعالى: ﴿اِثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾^(١) فـ«أسباط» يؤذن بالذكر، و«أمم» يؤذن بالتأنيث. وهذا واضح.

وحسُن تشبيه اثنتى عشرة برؤوس العقود دون المائة من حيث كان إعراب كل واحد منهما بالحرف لا بالحركة، وذلك اثنتا عشرة واثنتى عشرة، فهذا نحو من قولهم: عشرون وعشرين، وخمسون وخمسين، وتسعون وتسعين، فافهمه.

ومما يدل على أن ضم أسماء العدد بعضها إلى بعض يدعو إلى تحريفها عن عادة استعمالها قولهم: أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وكان قياس أربع وأربعة وخمس وخمسة أن يكون هذا أحد وأحدة، أفلا ترى إلى إحدى - وهى فعلى وأصلها وإحدى - كيف عاقبت فى المذكر فعلاً، وهو أحد وأصله وحَدٌ؟.

فأما إحدى وعشرون إلى التسعين فإنه لما سبق التحريف إليها فى إحدى عشرة ثبت فيها فيما بعد.

* * *

وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴿١٦١﴾

ومن ذلك ما رواه قتادة عن الحسن: «وقولوا حِطَّةً»، بالنصب.

قال أبو الفتح: هذا منصوب عندنا على المصدر بفعل مقدر، أى احططُ عنا ذنوبنا حِطَّةً.

قال:

واحططُ إلهى بفضلٍ منك أوزارى

ولا يكون «حِطَّة» منصوبًا بنفس قولوا؛ لأن قلت وبابها لا ينصب المفرد إلا أن يكون ترجمة الجملة، وذلك كأن يقول إنسان: لا إله إلا الله، فتقول أنت قلت: حقا؛ لأن قوله: لا إله إلا الله حق، ولا تقول: قلت زيدا ولا عمرا، ولا قلت قياما ولا قعودا، على أن تنصب هذين المصدرين بنفس قلت لما ذكرته.

* * *

يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴿١٦٣﴾

ومن ذلك قراءة شهر بن حوشب^(١) وأبى نهيك: «يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ»^(٢).

قال أبو الفتح: أراد يعتدون، فأسكن التاء ليدغمها في الدال، ونقل فتحها إلى العين، فصار يَعْدُونَ، وقد مضى مثله في يَخْصِف.

* * *

يُعَذِّبُ بَيْسٍ ﴿١٦٥﴾

ومن ذلك قراءة أبى جعفر وشيبة وأبى عبد الرحمن والحسن واختلف عن نافع: «يُعَذِّبُ بَيْسٍ»^(٣)، فَعَلَّ بلا همز «وبَيْسٍ»^(٤)، وهى قراءة السُّلَمي بخلاف، ويمحي وعاصم بخلاف، والأعمش بخلاف، وعيسى الهمداني. «بَيْسٍ» مثال فَعَلَ ابنُ عباس وعاصم بخلاف. «بَيْسٍ» طلحة بن مُصَرِّف.

(١) شهر بن حوشب الأشعري (٢٠ - ١٠٠ هـ = ٦٤١ - ٧١٨ م): فقيه قارئ، من رجال

الحديث. شامي الأصل. سكن العراق، وكان يتزنا بزى الجند، وولى بيت المال مدة. وهو متروك

الحديث. انظر: (تهذيب التهذيب ٣٦٩/٤، ثمار القلوب ١٣٣، الأعلام ١٧٨/٣).

(٢) انظر: (الكشاف ٩٩/٢، البحر المحيط ٤١٠/٤، مجمع البيان ٤٩١/٢).

(٣) وقراءة زيد، وهشام، والداخوني. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان

٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ١٣/٢٠٠، ٢٠١، القرطبي

٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١،

النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٤) وقراءة ابن عامر، وابن كثير، وزيد بن ثابت، وهشام، والداخوني، وابن ذكوان. انظر: (الإتحاف

٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة

٢٩٦، الطبري ١٣/٢٠٠، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير

١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

وقرأ أبو رجاء. «بئس»^(١)، و«بئس» وزن فَعَلٌ.

وقراءة نصر بن عاصم وجُوَيْة بن عائذ: و«بأس»^(٢)، وروى عن مالك بن دينار أيضاً.

و«بئس»^(٣) وزن فَعَلٍ يروى عن نصر بن عاصم أيضاً.

و«بئس»^(٤) وزن فَعِل قراءة زيد بن ثابت و«بئس»^(٥).

ومما رويت عن الحسن و«بئس»، ورويت عن نافع أيضاً.

قال أبو الفتح: أما «بئس» بغير همز على وزن فَعِل فيحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أراد مثال فَعِل، فيكون كما جاء من الأوصاف على فَعِل نحو نَضُو ونَقْض وحَلْف، وأصله الهمز كقراءة من قرأ «بئس» بالهمز، إلا أنه خفف فأبدل ياء فصارت «بئس» كبير وذبيب، فيمن خفف.

(١) وقراءة أبي رجاء، ومجاهد. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحیط ٤/٤١٢، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٢) ولأعمش، ومالك بن دينار. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحیط ٤/٤١٢، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٣) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحیط ٤/٤١٢، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٤) وقراءة حمزة، ويعقوب، ويحيى، وعيسى بن عمر، وابن مصرف، وأبي عبد الرحمن. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحیط ٤/٤١٢، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٥) وقراءة أبي بكر، وابن عامر، والحسن. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحیط ٤/٤١٢، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

والآخر: أن يكون أراد فعلاً، فأصله يئس كمَطِيرَ وحَذِرَ، ثم أسكن ونقل الحركة من العين إلى الفاء كالعبرة فيما كان على فِعِل وثانيه حرف الحلق كفَعِخَذَ ونَغِرَ وَجَحَزَ^(١)، فصار إلى يئس، ثم خفف فقال: يئس على ما مضى.

وأما «يئس» على فِعِل فجاء على قولهم: قد يئس الرجل بأسه: إذا شَجُعَ، فكأنه عذاب مُقَدِّم عليهم وغير متأخر عنهم.

وقد يجوز أيضاً أن يكون «يئس» مقصوراً من يئس كالقراءة الفاشية، كما قالوا فى لبيق: لبيق، وفى سميع سَمِج.

وأما «يئس» على فِعِل ففيه النظر، وذلك أن هذا البناء مما يختص به ما كان معتل العين كسيّد وهين ودّين ولّين، ولم يَجِئ فى الصحيح، وكأنه إنما جاء فى الهمزة لمشابهتها حرفى العلة، والشبة بينها وبينهما من وجوه كثيرة.

وأما «يئس» فى وزن جَيْشٍ فطريق صنعته أنه أراد يئس، فخفف الهمزة فصارت بين بين، أى بين الهمزة والياء، فلما قاربت الياء ثقلت فيها الكسرة فأسكنها طلباً للاستخفاف. فصارت فى اللفظ ياءً، كما خففوا نحو صيد البعير فقالوا: صيد وإن كانت العين فى صيد ياءً مخضة وكانت فى يئس همزةً مخففةً، إلا أنه شبهها ياءً صيد لما ذكرنا من مقاربتها فى اللفظ الياء، ونحو من ذلك قول ابن ميادة:

فكان يؤمّيز لها حكمها

أراد يؤمّز، فخفف فصارت الهمزة بين بين بهت الياء فأسكنها، فقال: يؤمّيز، فهذا كَيْئسٍ على ما ترى.

وقد يجوز أن يكون أراد تخفيف يئس، فصارت يئس ثم أسكن تخفيفاً، كقولهم فى عِلِمَ: علم، وفى كَلِمَة كَلِمَة، وفى فَخِذ فَخِذ، ومثال يئس على هذا فِيل.

فأما بئس فاسم الفاعل من يئس على ما قدمنا ذكره.

وأما «يئس»^(٢) فطريف، وظاهر أمره أن يكون جاء على ماض مثاله فَيَعْلَ كهيئهم، ثم

(١) وخارجة، طلحة. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «يئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «يئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف =

خففت الهمزة فيه وألقت حركتها على الياء فصار ييس، وجاز اعتقاد هذا الفعل وإن لم يظهر كأشياء تثبت تقديرًا ولا تبرز استعمالًا.

وأما «ييس» بتشديد الياء وكسرها. فليس على فعل كما ظن ابن مجاهد، بل هو على فيعل تخفيف ييس على قول من قال في تخفيف سوءة: سوءة، وفي تخفيف شيء: شيء، فأبدل الهمزة على لفظ ما قبلها، وعليه قول الشاعر:

يُعْجِلُ ذَا الْقَبَاضَةِ الْوَحِيَّ أَنْ يَرْفَعَ الْمُتَزَرَّ عَنْهُ شَيْئًا
فصار ييس كما ترى.

وأما «يأس» فتخفيف ييس، كقولك في سئم: سأم، وفي علم: علم.

وأما «ييس» فالعمل فيه من تخفيف الهمزة ثم إسكانها فيما بعد كالعمل في «ييس» وهو يريد الاسم وقد مضى ذلك.

وأما ييس^(١) فعلى الإتيان مثل فخذ وشهد. قال أبو حاتم في قراءة بعضهم: «ييس»^(٢) فهذا في الصفة بمنزلة جذيم فيعل، وكذا مثله أبو حاتم أيضًا.

وحكى أبو حاتم أيضًا «ييس»^(٣) كشعير وبغير، فكسر أوله لكسر الهمزة بعده.

وحكى أيضًا فيها «ييس» فعل، وأنكرها فردها البتة، أنكر قراءة الحسن: «ييس». وقال: لو كان كذا لما كان بُدُّ معها من «ما» ييسما كنعم ما.

* * *

٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤/١٢٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥.
(١) قراءة ابن كثير، والزهرى. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «ييس»، مجمع البيان ٢/٤٩٢، النشر ٢/٢٧٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤/١٢٤، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «ييس»، مجمع البيان ٢/٤٩٢، النشر ٢/٢٧٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤/١٢٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).
(٣) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «ييس»، مجمع البيان ٢/٤٩٢، النشر ٢/٢٧٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤/١٢٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴿١٧٦﴾

ومن ذلك قراءة زهير عن خصيف: «مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ». واحدة مهموزة.

قال أبو الفتح: هذا يمنع مِنْ تَأْوِيلِ الذرية فيمن لم يهمز أنها من الذر أو من ذروت أو من ذريت، ويقطع بأنها من ذرأت، أى خلقت.

فإن قلت: فهلا أجزت أن تكون من الذر وجعلتها فُعْلِيَّةً غير أنها همزت كما وجد بخط الأصمعي: قَطًا جَوْنِي.

قيل هذا من الشذوذ بحيث لا يسمع أصلاً فضلاً عن أن يتخذ قياساً.

* * *

وَدَّرَسُوا مَا فِيهِ ﴿١٧٧﴾

ومن ذلك قراءة السلمي: «وَادَّارَسُوا مَا فِيهِ»^(١) وعباس عن الضبى عن الأعمش: «وَادَّكَّرُوا مَا فِيهِ».

قال أبو الفتح: «وَادَّارَسُوا»: تدارسوا، كقوله: ﴿وَادَّارَكُوا﴾^(٢) والعمل فيهما واحد وقد تقدم.

وأما «وَادَّكَّرُوا» فأراد تذكروا، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾^(٣).

* * *

أَيَّانَ مَرَسَهَا ﴿١٨٧﴾

ومن ذلك قراءة السلمي: «إِرْيَّانَ مَرَسَاهَا»^(٤) بكسر الهمزة.

قال أبو الفتح: أما أَيَّانَ بفتح الهمزة فَعَفْلَان، وبكسرهما فَعْلَان والنون فيهما زائدة حملاً على الأكثر في زيادة النون في نحو ذلك.

فإن قيل: فهلا جعلتها فَعْلَا من لفظ أين، قيل: يمنع من ذلك أن أَيَّان ظرفُ زمان

(١) وقراءة على. انظر: (الكشاف ١٠٢/٢، القرطبي ٣١٢/٧، مجمع البيان ٤٩٥/٢).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣٨).

(٣) سورة النمل الآية (٤٧).

(٤) انظر: (الكشاف ١٠٧/٢، البحر المحيط ٤٣٤/٤).

وَأَيْنَ ظَرْفٌ مَكَانٌ، لَكِنِّهَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مِنْ لَفْظِ «أَيَّ» لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ اعْتِبَارِ زِيَادَةِ النَّونِ فِي نَحْوِ هَذَا.

وَلَأَنَّ «أَيَّ» اسْتِفْهَامٌ كَمَا أَنَّ «أَيَّانَ» اسْتِفْهَامٌ، وَأَنَّ «أَيَّ» أَيْنَ كَانَتْ فَهِيَ بَعْضُ مَنْ كُلِّ، وَالبعض لا يَخْصُ زَمَانًا مِنْ مَكَانٍ وَلَا جَوْهَرًا مِنْ حَدْثٍ، فَحَمَلُهَا عَلَى «أَيَّ» أَوَّلَى مِنْ حَمَلِهَا عَلَى أَيْنَ.

وَقَدْ كُنَّا قُلْنَا فِي أَيِّ هَذِهِ: إِنَّهَا مِنْ لَفْظِ أَوَّيْتُ وَمَعْنَاهُ.

أَمَّا اللَّفْظُ فَلَأَنَّ بَابَ طَوَيْتَ وَشَوَيْتَ أَوْعَافُ بَابِ حَيَّيْتُ وَعَيَّيْتُ.

وَأَمَّا الْمَعْنَى فَلَأَنَّ الْبَعْضَ آوَى إِلَى الْكُلِّ وَمَتَسَانَدٌ إِلَيْهِ، فَهِيَ إِذَا مِنْ قَوْلِهِ:

يَأْوِي إِلَى مُلْطٍ لَهُ وَكُلِّ كَلْبٍ

يَصِفُ الْبَعِيرَ يَقُولُ: إِنَّهُ يَتَسَانَدُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، فَهُوَ أَقْوَى لَهُ، فَأَصْلُهَا عَلَى هَذَا أَوَّيْتُ، ثُمَّ قَلِبْتَ الْوَاوَ يَاءً وَأَدْغَمْتَ فِي الْيَاءِ فَصَارَتْ أَيْ، كَقَوْلِكَ: طَوَيْتَ الْكِتَابَ طَيًّا وَشَوَيْتَ اللَّحْمَ شَيًّا.

وَلَوْ سَمِيتَ رَجُلًا بِأَيَّانَ، فَتَحَتِ الْهَمْزَةُ أَوْ كَسَرَتْهَا، لَمْ تَصْرِفْهُ مَعْرِفَةً لِأَنَّهَا كَحَمْدَانَ وَعِمْرَانَ، وَإِنْ كَسَرْتَ ذَلِكَ الْاسْمَ عَلَى سِرْحَانَ وَسِرَاحِينَ وَخَوَّامَانَةٍ وَخَوَّامِينَ قُلْتَ: أَوَّايْنِ، فَظَهَرَتِ الْوَاوُ الَّتِي هِيَ عَيْنُ أَوَّيْتُ، كَقَوْلِكَ فِي تَكْسِيرِ رِيَّانٍ أَوْ جَمْعِهِ عَلَى مِثَالِ مِفَاعِيلَ: رَوَّايْنِ، تَظْهَرُ الْوَاوُ الَّتِي هِيَ عَيْنُهُ لَزْوَالِ عِلَّةِ الْقَلْبِ عَنْهَا.

* * *

كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا».

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: ذَهَبَ أَبُو الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ لِعَالِي: «يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا» إِلَى أَنْ تَقْدِيرُهُ يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا، فَأَخَّرَ «عَنْ» وَحَذَفَ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا، فَهَذَا الَّذِي قَدَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ قَدْ أَظْهَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَحَذَفَ «عَنْهَا» لِلدَّلَالَةِ الْحَالِ عَلَيْهَا. أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ حَفِيًّا بِهَا فَمِنْ الْعَرَفِ وَجَارَى عَادَةِ الْاسْتِعْمَالِ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهَا، كَمَا أَنَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِحِفَاوَتِهِ بِهَا؟ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا حَفِيًّا لَمْ يَكُنْ عَنْهَا مَسْتَوَلًّا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ حُرْفِي الْجَرِّ دَلٌّ عَلَيْهِ مَا صَحَبَهُ فَسَاخُ حَذْفِهِ، وَهَذَا وَاضِحٌ.

* * *

فَمَرَّتْ بِهِ (١٨٩)

ومن ذلك قراءة ابن يعمر: «فَمَرَّتْ بِهِ»^(١)، خفيفة.

قال أبو الفتح: أصله «فمرت به» مثقلة، كقراءة الجماعة، غير أنهم حذفوا نحو هذا تخفيفاً لثقل التضعيف. وحكى ابن الأعرابي فيما رويناه عنه فيما أحسب: ظَنَنْتُ زَيْدًا يفعل كذاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢) فيمن أخذه من القرار لا من الوقار، وهذا الحذف في المكسور أسوغ؛ لأنه اجتمع فيه مع التضعيف الكسرة وكلاهما مكروه، وهو قوله تعالى: ﴿ظَلَلْتُ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾^(٣) أى ظَلَلْتُ، وقالوا مَسْتُ يده أى مَسَسْتُهَا. وقال أبو زَيْد:

خَلَا أَنْ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شُوسٌ^(٤)
أَرَادَ أَحْسَسَنَ، وهذا وإن كان مفتوحاً فإنه قد حُمِلَ الهمزة الزائدة، فازداد ثقلًا.

وقرأ: «فَمَارَتْ بِهِ»^(٥) بألف عبد الله بن عمرو^(٦)، وهذا من مار يمحور: إذا ذهب وجاء، والمعنى واحد، ومنه سُمِيَ الطريق مَوْراً للذهاب والجيء عليه، ومنه المور: التراب لذلك.

وقرأ ابن عباس: «فَاسْتَمَرَّتْ بِهِ»^(٧) ومعناه مَرَّتْ مكلفةً نفسها ذلك؛ لأن استفعل إنما يأتي في أكثر الأمر لمعنى الطلب، كقولك: استطعم أى طلب الطعم، واستوهب: طلب الهبة، والباب على ذلك.

* * *

(١) وقراءة ابن عباس، وأبى العالية، والنقاش، وأيوب. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٣٩، الكشف ١٠٩/٢، مجمع البيان ٥٠٨/٢).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٣).

(٣) سورة طه الآية (٩٧).

(٤) قال في المصنف ٨٤/٣: ويروى: حَسَسَنَ به، يقال: حسستُ بالشيء، وأحسسته وأحسستُ به وحسيت به فى معنى واحد. وانظر: (الخصائص ٢/٤٤٠).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٣٩، الكشف ١٠٩/٢).

(٦) فى مجمع البيان ٥٠٨/٢: عبد الله بن عمر.

(٧) وقراءة سعد بن أبى وقاص، والضحاك. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٣٩، الكشف ١٠٩/٢، مجمع البيان ٥٠٨/٢).

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١١٤﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبیر: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا»^(١)، نَصَبٌ. «أمثالكم»، نصبٌ.

قال أبو الفتح: ينبغي - والله أعلم - أن تكون «إِنَّ» هذه بمنزلة «ما»، فكأنه قال: ما الذين تدعون من دون الله عبادًا أمثالكم. فأعمل «إِنَّ» إعمال «ما»، وفيه ضعف: لأنَّ إن هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص «ما» به، فتجرى مجرى «ليس» في العمل، ويكون المعنى: إن هؤلاء الذين تدعون من دون الله إنما هي حجارة أو خشب، فهم أقل منكم لأنكم أنتم عقلاء، ومخاطبون، فكيف تعبدون ما هو دونكم؟.

فإن قلت: ما تصنع بقراءة الجماعة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أمثالكم﴾؟ فيكيف يُثبت في هذه ما نفاه في هذه؟.

قيل: يكون تقديره أنهم مخلوقون كما أنتم أيها العباد مخلوقون، فسماهم عبادًا على تشبيههم في خلقهم بالناس كما قال: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٢). وكما قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣) أى: تقوم الصنعة فيه مقام تسبيحه.

* * *

يَمْدُونَهُمْ ﴿١١٥﴾

ومن ذلك قراءة الجحدري: «يُمَادُونَهُمْ»^(٤). قال أبو الفتح: هو يُفَاعِلُونَهُمْ من أمددته بكذا، فكأنه قال: يعاونونهم.

* * *

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٢٥﴾

ومن ذلك قراءة أبي مجلز: «بِالْغُدُوِّ وَالْإِيصَالِ»^(٥) بكسر الألف.

(١) انظر: (القرطبي ٣٤٢/٧، الكشاف ١١٠/٢، شرح الأشموني ٢٥٥/١، ومغنى اللبيب ٢٢/١،

شرح التصريح ٢٠١/١، همع الهوامع ١١٦/٢، البحر المحيط ٤٤/٤).

(٢) سورة الرحمن الآية (٦).

(٣) سورة الإسراء الآية (٤٤).

(٤) انظر: (القرطبي ٣٥٢/٧، البحر المحيط ٤٠١/٤، الكشاف ١١١/٢، مجمع البيان ٥١٣/٢).

(٥) انظر: (القرطبي ٣٥٥/٧، الكشاف ١١١/٢، البحر المحيط ٤٥٣/٤، العكبري ١٦٨/١،

النحاس ٦٦٢/١).

قال أبو الفتح: هو مصدر أصلنا فنحن مؤصلون، أى دخلنا فى وقت الأصيل. قال أبو النجم:

«فَصَدَرْتُ بَعْدَ أَصِيلِ الْمُؤْصِلِ».

* * *

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۖ

من ذلك قرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وأبو جعفر محمد ابن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف: «يسألونك الأنفال»^(١).

قال أبو الفتح: هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي: «عن الأنفال»، وذلك أنهم إنما سألوها عنها تعرضاً لطلبها، واستعلاماً لحالها: هل يسوغ طلبها؟.

وهذه القراءة بالنصب إصراح بالتماس الأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها. فإن قلت: فهل يحسن أن تحملها على حذف حرف الجر حتى كأنه قال: يسألونك عن الأنفال، فلما حذف عن نصب المفعول، كقوله^(٢):

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

قيل: هذا شاذ، إنما يحمله الشعر، فأما القرآن فيُختار له أفصح اللغات وإن كان قد جاء: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾^(٣) ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾^(٤) فإن أظهر ما قدمناه.

* * *

(١) وقراءة عكرمة، وعطاء، والضحاك. انظر: (الكشاف ١١٢/٢، الطبري ٣٧٧/١٣، التبيان ٨٦/٥، البحر المحيط ٤٥٦/٤، النحاس ٦٤٤/١).

(٢) من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وعجزه: «فقد تركتك ذا مال وذا نسب». انظر: (الكتاب ٣٧/١)، وقيل: البيت في شعرين مختلفين أحدهما لأعشى طرود، والآخر مختلف في قائله، فقيل: عمرو بن معد يكرب، وقيل: العباس بن مرداس، وقيل: زرعة بن السائب، وقيل: خفاف بن أم ندية. انظر: (خزانة الأدب ١/١٦٤: ١٦٦).

النسب: المال الثابت كالضياح ونحوها، من نسب الشيء، والمال. الإبل، أو هو عام، وشاهده «أمرتك الخير».

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٥).

(٤) سورة التوبة الآية (٥).

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴿٧﴾

ومن ذلك قراءة ابن محيصن: «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ»^(١) يصل ضمة الهاء بالحاء ويسقط الهمزة.

قال أبو الفتح: هذا حَذَفٌ عَلَى غير قياس، ومثله قراءة ابن كثير: «إِنَّمَا لَحْدَى الْكُبَرِ»^(٢)، وقد ذكرنا نحوه، وهو ضعيف القياس، والشعر أولى به من القرآن.

* * *

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ ﴿٧﴾

ومن ذلك قراءة مسلمة بن محارب: «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ»^(٣)، بإسكان الدال. قال أبو الفتح: أسكن ذلك لتوالى الحركات وثقل الضمة، وقد ذكرنا قبله مثله.

* * *

مُرْدَفَيْنِ ﴿١﴾

ومن ذلك قراءة رجل من أهل مكة، زعم الخليل أنه سمعه يقرأ: «مُرْدَفَيْنِ»^(٤). واختلفت الرواية عن الخليل في هذا الحرف، فقال بعضهم: «مُرْدَفَيْنِ»^(٥)، وقال آخر: «مُرْدَفَيْنِ»^(٦).

قال أبو الفتح: أصله «مُرْتَدَفَيْنِ» مفتعلين من الرَّدْف، فأثر إدغام التاء في الدال، فأسكنها وأدغمها في الدال، فلما التقى ساكنان وهما الراء والدال حرك الراء لالتقاء الساكنين: فتارة ضمها إتياعاً لضمة الميم، وأخرى كسرهما إتياعاً لكسرة الدال.

(١) انظر: (البحر المحيط ٤/ ٤٦٤، الإتحاف ٢٣٥).

(٢) سورة المذثر الآية (٣٥).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٤/ ٤٦٤، إعراب القرآن للعكبري ٢/ ٢).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٤/ ٤٦٥، الطبري ١٣/ ٤١٥، القرطبي ٧/ ٧٠، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٦٧، إعراب القرآن للعكبري ٢/ ٣).

(٥) انظر: (الكشاف ٢/ ١١٦، القرطبي ٧/ ٣٧٠، الطبري ١٣/ ٤١٥، البحر المحيط ٤/ ٤٦٥، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٦٧).

(٦) انظر: (الطبري ١٢/ ٤١٧، البحر المحيط ٤/ ٤٦٥، القرطبي ٧/ ٣٧٠، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٦٧).

ومثله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾. ومن كسر الراء فلا لتقاء الساكنين، وعليه جاء: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾^(١). ويجوز فيهما أن تنقل حركة الحرف الساكن على الساكن قبله فيقول: «مُرَدِّفِينَ»، «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» مفعلين من الاعتذار، على قولهم: عذر في الحاجة: أى قصر، وأعذر: تقدم.

* * *

أَمْنَةُ نَعَّاسًا [آل عمران: ١٥٤]، وأما آية الأنفال: النَّعَّاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ [الأنفال: ١١]

ومن ذلك قراءة ابن محيصن: «أَمْنَةُ نَعَّاسًا»^(٢) بسكون الميم.

قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون «أَمْنَةُ» مخففاً من «أَمْنَةُ» كقراءة الجماعة، من قبل أن المفتوح فى نحو هذا لا يُسكن كما يُسكن المضموم فى المكسور لحفة الفتحة. وأما قوله:

وما كل مبتاع ولو سلف صفقه برأى ما قد فاته برداد^(٣)
قال أبو الفتح: فشاذاً. على أننا قد ذكرنا وجه الصنعة فى كتابنا الموسوم
بالمئصف^(٤).

* * *

مَاءٌ لِّطَهْرِكُمْ بِهِ [١١]

ومن ذلك قراءة الناس: ﴿مَاءٌ لِّطَهْرِكُمْ بِهِ﴾ وقرأ الشعبي: ﴿مَاءٌ لِّطَهْرِكُمْ بِهِ﴾^(٥) على معنى الذى به.

قال أبو الفتح: ما هاهنا موصولة، وصلها حرف الجر بما جره، وكأنه قال: ما

(١) سورة التوبة الآية (٩٠).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٣٦، البحر المحيط ٤/٢٦٨).

(٣) سبق الاستشهاد به صفحة (٣٦١).

(٤) انظر: (المئصف ٢١/١).

(٥) عامر بن شراحيل بن عبد، الشعبي الحميرى، أبو عمرو (١٩ - ١٠٣هـ = ٦٤٠ - ٧٢١م)، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. انظر: (تهذيب التهذيب ٦٥٠/٥، الوفيات ١/٢٢٤، حلية الأولياء ٤/٣١٠، تهذيب ابن عساكر ٧/١٣٨، سبط اللآلى ٧٥١، تاريخ بغداد ١٢/٢٢٧، الأعلام ٣/٢٥١).

(٦) انظر: (الكشاف ٢/١١٧، البحر المحيط ٤/٤٦٨، مجمع البيان ٢/٥٢٣).

لِلطَّهْر، كقولك: كسوته الثوب الذى لدفع البرد، ودفعت إليه المال الذى للجهاد، واشترت الغلام الذى للقتال.

ألا ترى أن تقديره ويُنزّل عليكم من السماء الماء الذى لأن يُطهّرَكم به، أى الماء الذى لطهارتكم أو لتطهيركم به. وهذه اللام فى قراءة الجماعة: ﴿مَاءٌ يُطَهَّرُكُمْ بِهِ﴾ هى لام المفعول له، كقوله: زرتك لتكرمنى، وهى متعلقة بزرتك، ولا ضمير فيها لتعلقها بالظاهر.

فهى كقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾^(١)، فهى كما ترى متعلقة بنفس «فتحن» تعلق حرف الجر بالفعل قبله.

وأما اللام فى قراءة من قرأ: «مَا يُطَهَّرُكُمْ بِهِ»، أى الذى للطهارة به، فمتعلقة بمحذوف، كقولك: دفعت إليه المال الذى له، أى استقر أو ثبت له، وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف.

وأما لام المفعول له فلا تكون إلا متعلقة بالظاهر نحو زرتك ليكرمنى وأعطيته ليشكرنى، أو بظاهر يقوم مقام الفعل كقولك: المال لزيد ليتنفع به، فاللام فى «لزيد» متعلقة بمحذوف على ما مضى، والتى فى قولك: ليتنفع به هى لام المفعول له، وهى متعلقة بنفس قولك: لزيد تعلقها بالظرف النائب عن المحذوف فى نحو قولك: أزيد عندك لتتنفع بحضوره؟ وزيد بين يديك ليؤنسك.

فاللام هنا متعلقة بنفس الظرفين اللذين هما عندك وبين يديك.

وعلى كل حال فعنى القراءة: ﴿مَاءٌ يُطَهَّرُكُمْ بِهِ﴾، والقراءة بقوله: «مَا يُطَهَّرُكُمْ بِهِ»، يرجعان إلى شىء واحد، إلا أن أشدهما إفصاحاً بأن الماء أنزل للتطهر به هى قراءة مَنْ قرأ: ﴿مَاءٌ يُطَهَّرُكُمْ بِهِ﴾؛ لأن فيه تصريحاً بأن الماء أنزل للطهارة، وتلك القراءة الشاذة إنما يُعَلِّمُ أنه أنزل للطهارة به، فالقراءة الأخرى وبغيرها - مما فيه إصرار بذلك.

وعلى كل حال فلام المفعول له لا تعلق بمحذوف أبداً، إنما تعلقها بالظاهر، فعلاً كان أو غيره مما يقام مقامه.

* * *

رَجَزُ الشَّيْطَانِ ﴿١١﴾

ومن ذلك قراءة أبي العالية^(١): «رَجَسَ الشَّيْطَانُ»^(٢)، بالسين.

قال أبو الفتح: كل شيء يُستَقْدَرُ عندهم فهو رَجَسٌ، كالخنزير ونحوه.

وفيما قرئ على أبي العباس أحمد بن يحيى^(٣) قال: الرَجَسُ فى القرآن: العذاب، كالرَجَز. ورَجَسُ الشَّيْطَانِ: وسوسته وهَمَزُهُ ونحو ذلك من أمره. والرَجَز: عبادة الأوثان، ويقال: هو إثم الشرك كله.

وقرىء: «الرَّجَزَ والرُّجَزَ»، جميعاً «فاهْجُرْ»^(٤). قال: وقال بعضهم: أراد به الصنم. قال: وكل عذاب أنزل على قوم فهو رَجَز، ووسواس الشَّيْطَانِ رَجَز. وقد ترى إلى تراحم السين والزى فى هذا الموضع، فقراءة الجماعة: «رَجَزَ الشَّيْطَانُ» معناه كمعنى رَجَسَ الشَّيْطَانُ. وقد نبهنا فى كتابنا المعروف بالخصائص^(٥) من هذه الطريق فى تراحم الحروف المتقاربة ما فى بعضه كل مقنع بمشيئة الله.

* * *

(١) أبو العالية الرياحى، رفيع بن مهران، من كبار التابعين، أخذ القرآن عرضاً عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس، وصح أنه عرض على عمر، توفى سنة ٩٠ هـ، وقيل: سنة ٩٦ هـ. انظر: (طبقات القراء ٢٨٤/١).

(٢) انظر: (الكشاف ١١٧/٢، البحر المحيط ٤٦٩/٤).

(٣) أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (٢٠٠ - ٢٩١ هـ = ٨١٦ - ٩٠٤ م): إمام الكوفيين فى النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات فى بغداد. من كتبه: «الفصيح»، «قواعد الشعر»، وشرح ديوان زهير، «مجالس ثعلب»، «معانى القرآن». انظر: (نزهة الألبا ٢٩٣)، تذكرة الحفاظ ٢١٤/٢، طبقات ابن أبى يعلى ٨٣/١، أداب اللغة ١٨١/٢، ابن خلكان ٣٠/١، تاريخ بغداد ٢٠٤/٥، الأعلام ٢٦٧/١).

(٤) سورة المدثر الآية (٥)، وقراءة الضم هى قراءة الجمهور، والكسر قراءة ابن مسعود. قال الخليل فى العين (٦: ٦٦): وقرئ «والرَّجَزَ فاهْجُرْ» بكسر الراء وفيها بضمها وهما واحد، وقال فى الدر المنثور: أخرج الطبرانى والحاكم وصححه (المستدرک ٢٩٩١/١٢٠)، وابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ على رسول الله ﷺ: «والرَّجَزَ فاهْجُرْ» بالكسر. انظر: (الدر المنثور ٤٥٢/٦، الزخاج معانى القرآن ٢٤٥/٥).

(٥) انظر: (الخصائص ٨٤/٢: ٩٠).

بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى «بين المرء وقلبه»^(١).

قال أبو الفتح^(٢): وجه الصنعة فى هذا أنه خفف الهمزة فى «المرء» وألقى حركتها على الراء قبلها، فصارت بين المر وقلبه، ثم نوى الوقف فأسكن وقل الراء على لغة من قال فى الوقف: هذا خالده وهو يجعل، ثم أطلق ووصل على نية الوقف، فأقر التثقيل بحاله على إرادة الوقف.

وعليه قوله، أنشدناه أبو على^(٣):

بِيَا زِلٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْهَلٍ^(٤)

(١) انظر: (الكشاف ١٢١/٢، البحر المحيط ٤٨٢/٤).

(٢) نقل البغدادى هذا النص فى شرح شواهد الشافى ٢٤٨/٤ عن ابن جنى ونسبه إلى المنصف، ولكنه فى المحتسب كما هنا ولم يذكره فى المنصف.

(٣) البيت من أرجوزة طويلة لمنظور بن مرثد الأسدى، وقيل: لمنظور بن حبة الأسدى، (وهو بعينه منظور بن مرثد).

قال المجد: «ومنظور بن حبة راجز، وحبة أمه، وأبوه مرثد، والشطر الأول: «نسل وجد الهائم المغتال». انظر: (شرح شواهد الشافى ٢٤٦/٤، ٢٤٧).

(٤) قال البغدادى: على أنهم جوزوا فى الشعر تحريك لام المضعف لأجل حرف الإطلاق مع أن حقه السكون فى غير الشعر كما جوزوا فيه أن يحركوا لأجل المحىء بحرف الإطلاق ما حقه السكون فى غيره.

قال سيبويه: «وأما تضعيف قولك: هذا خالده، وهو يجعل، وهذا فرج حدثنا بذلك الخليل عن العرب، ومن ثم قالت العرب: فى الشعر فى القوافى سيمباً تريد السيسب، وعيهل تريد العيهل، لأن التضعيف لما كان فى كلامهم فى الوقف أتبعوه الياء فى الوصل والواو على ذلك كما يلحقون الواو والياء فى القوافى فيما لا تدخله واو ولا ياء فى الكلام، وأجروا الألف مجراها؛ لأنها شريكها فى القوافى، ويمد بها فى غير موضع التنوين، ويلحقونها فى غير التنوين؛ فألحقوها بهما فيما ينون فى الكلام، وجعلت سبب كأنه مما لا تلحقه الألف فى النصب؛ إذا وقفت، قال رجل من بنى أسد [من الرجز]: «بيازِل وجنَاء أو عيهل».

وقال رؤبة [من الرجز]:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى حَدَبًا فِى عَامِنَاذَا بَعْدَمَا أَخْصَا

أراد حدباً؛ وقال رؤبة: [من الرجز]: «بدء يحب الخُلُق الأضخما».

يريد العيهل فنوى الوقف فنقل، ثم أطلق وهو يريد الوقف. ومثله ما قرأناه على أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى:

ومُقلتان جَوَّتا المكحلَّ

يريد المكحلَّ. وأول هذه القصيدة (١):

ليست شبابى عاد للأولَّ وعَضَّ عيش قد خلا أرغَلٌ (٢)
وفيها أشياء من هذا الطراز كثيرة، فكذلك «الرَّ» على هذا.

وقراءة الجماعة من بعد أقوى وأحسن، لأنَّ هذا من أغراض الشعر لا القرآن.

* * *

لَا تُصَيِّبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٢٥﴾

ومن ذلك قراءة العامة: «لَا تُصَيِّبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا»، وقراءة على وزيد بن ثابت وأبى جعفر محمد بن على (٣) والربيع بن أنس وأبى العالية وابن جَمَّاز: «لَتُصَيِّبَنَّ» (٤).

قال أبو الفتح: معنيا هاتين القراءتين ضدان كما ترى؛ لأنَّ إحداهما ﴿لَا تُصَيِّبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، والأخرى: «لَتُصَيِّبَنَّ» هؤلاء بأعيانهم خاصة. وإذا تباعد معنيا قراءتين هذا التباعد وأمكن أن يُجمع بينهما كان ذلك جميلاً وحسنًا، ولا يجوز أن

= فعلوا هذا إذ كان من كلامهم أن يضعفوا. انتهى كلامه. انظر: (الكتاب ٢/٢٨٢، شرح شواهد الشافعية ٤/٢٤٦، ٢٤٧. سر صناعة الإعراب ١/١٦١، ٤١٧/٢).

(١) انظر: (شرح شواهد الشافعية ٤/٢٤٦).

(٢) شدد لام أول، وأرغل كذلك، وهو بالغين المعجمة، قال صاحب العباب: وعيش أرغل وأغرل: أى واسع. انظر: (شرح شواهد الشافعية ٤/٢٤٦).

(٣) محمد بن على زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر (٥٧ - ١١٤ هـ - ٦٧٦ - ٧٣٣ م): خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكاً عابداً، له فى العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة. وتوفى بالحيمية ودفن بالمدينة. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/١١٧، تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠، وفيات الأعيان ١/٤٥٠، اليعقوبى ٣/٦٠، صفة الصفوة ٢/٦٠، ذيل المذيل ٩٦، حلية الأولياء ٣/١٨٠، الأعلام ٦/٢٧٠، ٢٧١).

(٤) وقراءة عبد الله بن مسعود، والزبير بن العوام، وأبى. انظر: (الكشاف ٢/١٢١، القرطبى ٧/٣٩٢، مجمع البيان ٢/٣٢، البحر المحيط ٤/٤٨٦، شرح المفصل ٨/١١٧، مغنى اللبيب ١/٢٠٣).

يراد زيادة «لا» من قبل أنه كان يصير معناه: واتقوا فتنة تصيب الذين ظلموا منكم خاصة، فليس هذا عندنا من مواضع دخول التون، ألا تراك لا تقول: ضربت رجلاً يدخلن المسجد؟ هذا خطأ لا يقال، ولكن أقرب ما يصرف إليه الأمر في تلافى معنئى القراءتين أن يكون يراد لا تصيين، ثم يحذف الألف من «لا» تخفيفاً واكتفاءً بالفتحة منها، فقد فعّلت العرب هذا في أخت «لا» وهى «أما».

من ذلك ما حكاه محمد بن الحسن من قول بعضهم: أم والله ليكوننّ كذا، فحذف ألف أما تخفيفاً، وأنشد أبو الحسن وابن الأعرابي وغيرهما (١):

فلسْتُ بمدرِك ما فات منى بلهْف ولا بليت ولا لو انى (٢)
يريد بلهفاً، فحذف الألف.

وذهب أبو عثمان في قول الله سبحانه: «يَا أَبَتَ» (٣)، فيمن فتح التاء أنه أراد يا أبتا، فحذف الألف تخفيفاً. وأنشدوا (٤):

قد وردت من أمكنة من هاهنا ومن ههنا
إن لم أروها فمفة (٥)

يريد: إن لم أروها فما أصنع؟ أو فما مغناى؟ أو فما مقداري؟ فحذف الألف. وألحق الهاء لبيان الحركة، وروينا عن قطرب (٦).

(١) أنشده أبو الحسن في كتابه معانى القرآن ص ٦٥، ٧٢، وهو فى الخصائص ١٣٧/٣، الأمالى الشجرية ٧٤/٢، واللسان «لهف»، ٢٣٤/١١، الإنصاف ٣٩٠، ٤٤٩، ٥٤٦، العينى ٢٤٨/٤، الخزانة ٦٣/١، سر صناعة الإعراب ٥٢١/٢، ٧٢٨.

(٢) فى معانى القرآن للأخفش ص ٧٣: يريد: بلهفاه، وفى سر صناعة الإعراب ٥٢١/٢ «بلهفا» وفيه ٧٢٨/٢ بلهفى.

(٣) سورة يوسف الآية (٤). وقراءة الجماعة: ﴿يَا أَبَتِ﴾.

(٤) ذكر فى سر صناعة الإعراب ١٦٣/١، ٥٥٥/٢ قال: فيما أخبرنا به بعض أصحابنا يرفعه بإسناده إلى قطرب فذكره، وهو فى: (المنصف ١٥٦/٢، وشرح شواهد الشافية ٤٧٩/٤، وشرح المفصل ١٣٨/٣، ٤٣/١٠، والأول والثانى فى شرح الملوكى ص ٣١٢، ٣١٥، وشرح المفصل ٨١/٩، والمتع ٤٠٠، واللسان «هنا» ٣٧٤/٢٠).

(٥) قوله: «قد وردت» أى: الإبل، والورود: الوصول إلى الماء من غير دخول فيه، وقد يكون دخولاً، وأمكنة: جمع مكان، ومن هاهنا - إلى آخره: يدل من أمكنة، وروى «إن لم تُروها بالخطاب». انظر: (شرح شواهد الشافية ٤٧٩/٤، ٤٨٠).

(٦) انظر: (سر صناعة الإعراب ١٦٣/١).

فعلى هذا يجوز أن يكون أراد بقوله: «لُتُصَيِّنَ»: لا تُصَيِّنَ، فحذف ألف لا تخفيفاً من حيث ذكرنا.

فإن قلت: فهل يجوز أن يحمله على أنه أراد: لُتُصَيِّنَ الذين ظلموا منكم خاصة، ثم أشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً كالأبيات التي أنشدتها قبل هذا الموضع، نحو قوله: ينباع من ذفرى غضوب جَسرة (١)

وهو يريد ينبع؟.

قيل: يمنع من هذا المعنى، وهو قوله تعالى يليه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢) فهذا الإغلاظ والإرهاب أشبه بقراءة من قرأ: ﴿لَا تُصَيِّنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ من أن يكون معناه إنما تصيب الذين ظلموا خاصة. فتأمل ذلك فإنه يضح لك عشيئة الله.

* * *

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴿٣٥﴾

ومن ذلك ما روى عن عاصم أنه قرأ: «وما كان صلاتهم عند البيت» نصباً، «إلا مكاءً وتصدية» رفعاً. رواه عبيد الله عن سفيان عن الأعمش أن عاصماً قرأ كذلك.

قال الأعمش: وإن لحن عاصم تلحن أنت؟! وقد روى هذا الحرف أيضاً عن أبان بن تغلب (٣) أنه قرأ كذلك.

قال أبو الفتح: لسنا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح، فإنما جاءت منه أبيات شاذة، وهو في ضرورة الشعر أعذر، والوجه اختيار الأفضح الأعرّب، ولكن من وراء ذلك ما أذكره.

اعلم أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته، ألا ترى أنك تقول: خرجت فإذا أسد

(١) سبق الاستشهاد به صفحة (١٦٠).

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٥.

(٣) أبان بن تغلب بن رباح البكرى الجريري بالولاء، أبو سعيد (١٤١هـ = ٧٥٨م): قارئ لغوى، من غلاة الشيعة. من أهل الكوفة. كان جده رباح مولى لجرير بن عباد البكرى فنسب إليه. من كتبه: «غريب القرآن»، «القراءات»، «صفين»، «الفضائل»، «معاني القرآن». انظر: (اللباب ٢٢٤/١، فهرست الطوسي ١٧، أعيان الشيعة ٤٧/٥ - ٦١، الأعلام ٢٧/١).

بالباب فتجد معناه معنى قولك: خرجت فإذا الأسد بالباب لا فرق بينهما؟ وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسداً واحداً معيناً، وإنما تريد خرجت فإذا بالبَاب واحد من هذا الجنس، وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في ﴿مُكَاً وَتَصَدِيَةً﴾ جَوَازاً قريباً، حتى كأنه قال: وما كان صلاحهم عند البيت إلا المُكَاً والتصدية، أى إلا هذا الجنس من الفعل. وإذا كان كذلك لم يجر هذا مجرى قولك: كان قائم أخاك، وكان جالس أباك، لأنه ليس في جالس وقائم من معنى الجنسية التى تلاقى معنياً نكرتها ومعرفتها على ما ذكرنا وقدمنا.

وأيضاً فإنه يجوز مع النفى من جعل اسم كان وأخواتها نكرة ما لا يجوز مع الإيجاب. ألا تراك تقول: ما كان إنسان خيراً منك ولا تجيز كان إنسان خيراً منك؟ فكذلك هذه القراءة أيضاً، لما دخلها النفى قوى وحسن جعل اسم كان نكرة. هذا إلى ما ذكرناه من مشابهة نكرة اسم الجنس لمعرفته، ولهذا ذهب بعضهم فى قول حسان^(١):

كَأَنَّ سَيِّئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ^(٢)

أنه إنما جاز ذلك من حيث كان عسل وماء هما جنسين، فكأنه قال: يكون مزاجها العسل والماء، فبهذا تسهل هذه القراءة، ولا يكون من القبيح واللحن الذى ذهب إليه الأعمش على ما ظن.

* * *

بِالْعُدْوَةِ ٤٤

ومن ذلك قراءة الناس ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ و«العُدْوَةِ»، بالضم والكسر^(٣). وقرأ

(١) انظر: (ديوانه ٣، الكتاب ٤٩/١، لسان العرب «سبأ»، خزنة الأدب ٤٠/٤).

(٢) السبيطة: الخمر، وفي رواية السيرافى والشتتمرى: كأن سلافة. وبيت رأس: موضع بالشام. وخير كأن فى البيت بعده:

على أنيابها أو طعم عض من التفاح هصره اجتناء

(٣) كسر العين قراءة ابن كثير، وأبى عمرو بن العلاء، ويعقوب، وابن محيصن، والحسن، واليزيدى،

وضمها قراءة باقى السبعة. انظر: (الإتحاف ٢٣٧، الطبرى ٥٦٥/١٣، القرطبى ٢١/٨، السبعة

٣٠٦، الكشف ١٢٧/٢، معاني القرآن للأخفش ٣٢٣/٢، الرازى ٣٦٩/٤، النشر ٢٧٦/٢،

التيبان ١٤٧/٥، التيسير ١١٦، البحر المحيط ٤٩٩/٤، إعراب القرآن للعكبرى ٤/٢، العنوان

٨٨، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٠، ١٧١، الحجة لأبى زرعة ٣١١، غيث النفع ٢٣٤،

الكشف ٤٩١/١، مجمع البيان ٥٤٨/٢).

«بِالْعُدْوَةِ»^(١) قَتَادَةَ^(٢) والحسن وعمر، واختلف عنهم.

قال أبو الفتح: الذى فى هذا أنها لغة ثالثة، كقولهم: فى اللبن رَغْوَةٌ ورَغْوَةٌ ورَغْوَةٌ. ولها نظائر مما جاءت فيها فُعْلَةٌ وفَعْلُهُ وفَعْلُهُ، منه قولهم: له صِفْوَةٌ مالى وصفوته وصفوته، روى ذلك أبو عبيدة. ومثله أوطأته عَشْوَةٌ وعُشْوَةٌ وعِشْوَةٌ، روى ذلك أبو عبيدة وابن الأعرابى.

وروى الكسائى: كلمته بِحَضْرَةِ فلان وحضرته، وحكى ابن الأعرابى: غَشْوَةٌ وغُشْوَةٌ وغِشْوَةٌ، وغِلْظَةٌ وغُلْظَةٌ وغَلْظَةٌ. وقالوا: شاة لَجْبَةٌ ولُجْبَةٌ ولَجْبَةٌ ورَبْوَةٌ ورَبْوَةٌ ورَبْوَةٌ، فكذا تكون أيضاً العِدْوَةُ والعُدْوَةُ والعُدْوَةُ. وروى ابن الأعرابى أيضاً: المَدِيَّةُ والمَدِيَّةُ والمَدِيَّةُ، بالفتح.

* * *

فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ ٥٧

ومن ذلك ما يروى عن الأعمش أنه قرأ: «فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ»^(٣)، بالذال معجمة.

قال أبو الفتح: لم يعمد بنا فى اللغة تركيب ش ر ذ، وأوجه ما يُصَرَّفُ إليه ذلك أن تكون الذال بدلا من الدال، كما قالوا: لحم خَرَادِلٍ وخَرَاذِلٍ. والمعنى الجامع لهما أنهما مجهوران ومتقاربان.

* * *

فَأَجْنَحَ ٥٨

ومن ذلك قراءة الأشهب العقيلي: «فَأَجْنَحَ»^(٤)، لها بضم النون.

(١) وقراءة زيد بن على. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٩٩، الكشف ٢/١٢٧، الرازى ٤/٣٦٩).

(٢) قتادة بن دعامه بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسى البصرى (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ -

٧٣٦ م): مفسر حافظ ضرير. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع

علمه بالحديث، رأسا فى العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد

يدلس فى الحديث. مات بواسط فى الطاعون. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/١١٥، نكت الهميان

٢٣٠، النووى ٢/٥٧، ابن خلكان ١/٤٢٧، المعارف ٣/٢٠٣، طبقات المدلسين ١٦، إرشاد

الأريب ٦/٢٠٢، الأعلام ٥/١٨٩).

(٣) ابن مسعود والمطوعى. انظر: (الإتحاف ٢٣٨، الكشف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥٠٩).

(٤) انظر: (القرطبى ٨/٣٩، الكشف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥١٤).

قال أبو الفتح: حكى سيبويه جَنَحَ يَجْنَحُ، وهي في طريق رَكْدٍ يَرُكِدُ، وقَعْدَ يَقْعُدُ، وسَفَلَ يَسْفُلُ في قربها ومعناها. ويؤكد ذلك أيضًا ضَرْبٌ من القياس، وهو أن جَنَحَ غير متعد، وغير المتعدى الضمُّ أَقْيَسُ فيه من الكسر. فقعد يقعد أَقْيَسُ من جلس يجلس؛ وذلك أن يفعلَ بابَه لِمَا ماضيه فَعَلَ نحو شَرَفَ يَشْرُفُ، ثم ألحق به قعد. وباب يفعلَ بابَه لِمَا يتعدى نحو ضرب يضرب، فضرب يضرب إذا أَقْيَسُ من قتل يقتل، كما أن قعد يقعد أَقْيَسُ من جلس يجلس. وقد تفصّيت هذه الطريق في كتابي المنصف (١).

* * *

وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴿١٧﴾

ومن ذلك قراءة ابن جَمَاز: «والله يُريدُ الآخرة» (٢)، يحملها على عَرَضِ الآخرة. قال أبو الفتح: وجه جواز ذلك على عزته وقلة نظيره - أنه لما قال: «تريدون عَرَضَ الدنيا»، فجرى ذكر العَرَضِ فصار كأنه أعاده ثانيًا فقال: عرض الآخرة، ولا يُنكَرُ نحو ذلك.

ألا ترى إلى بيت الكتاب (٣):

أَكُلَّ امْرئٍ تحسّين امراً ونارَ تَوَقَّدَ بالليل نارا
وأن تقديره: وكل نار؟ فتاب ذكره كُلاًّ في أول الكلام عن إعادتها في الآخر حتى كأنه قال: وكلّ نار هرباً من العطف على عاملين، وهما كل وتحسين. وعليه بيته أيضًا (٤):

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَيُّكَ يَعْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ (٥)

(١) انظر: (المنصف ١/١٨٥ وما بعدها).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/١٣٤، البحر المحيط ٤/٥١٨).

(٣) نسبه في الكتاب ٦٦/١ لأبي داود، وفي أمالي ابن الشجري ٢٩٦/١ بدون نسبة، وفي كامل المبرد ١٦٣: وأنشد سيبويه لعدي بن زيد العبادي وفي حواشيه «الصحيح أنه لأبي داود الإيادي» وكذا نسب إلى عدي في الكامل ٤٨٩.

(٤) أنشده سيبويه لبعض الأعراب. انظر: (الكتاب ٣/٨١، العقد الفريد ٥/٣٩٢، الخصائص ٢/٣٠٧، أمالي ابن الشجري ٢/١٦٨، الزجاجة ٢٣٤، ٢٣٥، مجالس العلماء ٨٢٠، شرح شواهد المغنى ١٤٣، همع الهوامع ٢/٢٢٢، شرح التصريح ٢/١٥، شرح الأشموني ٢/٢٢٢، اللسان «عمل»).

(٥) يعتمل: يعمل لنفسه ويحترف لإقامة العيش وبعدهما في اللسان: فيكس من بعدها ويكتحل.

أراد: من يتكل عليه، فحذف عليه من آخر الكلام استغناءً عنها بزيادتها في قوله: «على من يتكل»، وإنما يريد إن لم يجد من يتكل عليه. وعليه أيضاً قول الآخر (١):

أَتَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ أَتَاهَا حِمَامُهَا فهلا التي عن بين جنبيك تَدْفَعُ (٢)
أراد فهلا عن التي بين جنبيك تدفع، فزاد «عن» في قوله: عن بين جنبيك، وجعلها عوضاً من «عن» التي حذفها وهو يريد في قوله: فهلا التي، ومعناها فهلا عن التي.

وله نظائر، فعلى هذا جازت هذه القراءة، أعنى قوله: «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ»، في معنى عرض الآخرة وعلى تقديره. ولعمري إنه إذا نصب فقال على قراءة الجماعة: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فإنما يريد عرض الآخرة، إلا أنه يحذف المضاف ويقيم المضاف إليه مقامه، وإذا جرّ فقالا: يريد الآخرة صار كأن العرض في اللفظ موجود لم يحذف، فاحتمل ضعف الإعراب تجريداً للمعنى وإزالة للشك أن يظن ظان أنه يريد الآخرة إرادة مرسلة هكذا. هذا إلى ما قدمناه من حذف لفظ لجئته فيما قبل أو بعد.

* * *

(١) لرجل من محارب يعزى ابن عم له على ولده. انظر: ذيل الأمالي، ذكر منسوب إلى زيد بن رزين ابن الملوحة الحاربي أخى ابن بكر في: (سمط اللآلى ١٠٩، وشواهد المغنى ١٤٩).
(٢) روى: «فهل أنت عما بين جنبيك تدفع؟».

سورة التوبة

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۝١

من ذلك حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون: «براءة من الله»^(١)؛ يَجْرُونَ الميم والنون.

قال أبو الفتح: حكاها سيويه، وهى أول القياس، تكسرهما لالتقاء الساكنين، غير أنه كثر استعمال «من» مع لام المعرفة فهربوا من توالى كسرتين إلى الفتح. وإذا كانوا قد قالوا: ﴿قَمَ اللَّيْلِ﴾^(٢)، ﴿وَقُلْ الْحَقُّ﴾^(٣)، ففتحوا ولم تلتق هناك كسرتان فالفتح فى ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لتوالى الكسرتين أولى.

* * *

ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا كُمْ شَيْئًا ۝٤

ومن ذلك قراءة عكرمة: «ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا كُمْ شَيْئًا»^(٤)، بالضاد معجمة. قال: أى لم ينقضوا أموركم، وهو كناية حسنة عن النقص؛ لأنه إذا نقصه شيئاً من خاصه فقد نقصه عما كان، فهذه طريقة.

* * *

إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ ۝٥

ومن ذلك قراءة عكرمة أيضاً: «إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ»^(٥)، بياء بعد الكسرة خفيفة اللام.

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٦/٢، الكشف للزخشري ١٧٢/٢، البحر المحيط ٥، ٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/٢، تفسير الألوسى ٤٢/١٠).

(٢) سورة المزمل الآية (٢).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٤) وعطاء بن يسار، وأبو زيد، وابن السميع. انظر: (الكشف ١٧٤/٢، الجامع لأحكام القرآن

٧١/٨، التبيان للطوس ١٧٢/٥، البحر المحيط ٨/٥، إعراب القرآن للعكبرى ٦/٢، مجمع البيان

٤/٥، تفسير الرازى ٢٤٤/١٥، تفسير الألوسى ٤٩/١٠).

(٥) وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٢، إعراب القرآن للعكبرى ٧/٢،

الكشف ١٧٦/٢، مجمع البيان ٨/٥، البحر المحيط ١٣/٥).

قال أبو الفتح: طريق الصنعة فيه أن يكون أراد «إلا» كقراءة الجماعة، إلا أنه أبطل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام، وانضاف إلى ذلك كسرة الهزمة وثقل الهزمة. وقد جاء نحو هذا أحرف صالحة كدينار، لقولهم: دنانير، وقيراط لقولهم: قراريط، ودماس فيمن قال: دماميس، وديياج فيمن قال: دباييج، وشيراز فيمن قال: شراريز. وقد جاء مع الفتحة استثقالاً للتضعيف وحده. قال سعد بن قُرط يهجو أمه (١):

يا ليتما أمنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار
ورويانا عن قطرب (٢):

لا تفسدوا آبآلكم أيما لنا أيما لكم
وقال عمر بن أبي ربيعة (٣):

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت فيضحي وأيما بالعشى فيخصر
وقد قلبوا الثاني منهما فقالوا في أملت: أملت، وفي أمل: أملى أنا. وحدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى عنهم: لا ورئيك لا أفعل، أي لا وربك، فكذا تكون قراءة عكرمة «إيلاً ولا ذمة»، يريد إلا، وأبطل الحرف، الأول ياء لما ذكرناه.
وقد يجوز أن يكون فعلاً من ألت الشيء إذا سئته أعوله إيالة. إلا أنه قلب الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها.

* * *

وَيَتُوبُ اللَّهُ (١٥)

ومن ذلك قراءة الأعرج (٤) وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي (٥) وعمرو

(١) انظر: (شرح الحماسة للتبريزي ١٧٥/٤).

(٢) انظر: (خزانة الأدب ٤/٤٣٢).

(٣) انظر: (ديوانه ١٨٣).

(٤) عبدالرحمن بن هرمز، أبو داود، من موالى بنى هاشم، عُرف بالأعرج (١١٧هـ = ٧٣٥م): حافظ، قارئ، من أهل المدينة. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه. وهو أول من برز في القرآن والسنن. وكان خبيراً بانساب العرب، وافر العلم، ثقة. رابط بغير الإسكندرية مدة، ومات بها. وفي اسم أبيه خلاف. انظر: (نزهة الألبا ١٨، تذكرة الحفاظ ٩١/١، تهذيب الأسماء ٣٠٥/١، طبقات القراء ٣٨١/١، مرآة الجنان ٣٥٠/١، الأعلام ٣٤٠/٣).

(٥) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان (١٤٩هـ = ٧٦٦م): من أئمة اللغة. وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه. وهو من أهل البصرة. انظر: (وفيات الأعيان ٢٩٣/١، إرشاد التهذيب ١٠٠/٦، خزانة الأدب ٥٦/١، نزهة الألبا ٢٥، صبح الأعشى ٢٣٢/٢، طبقات النحويين ٣٥ - ٤١، الأعلام ١٠٦/٥).

ابن عُبيد ورويت عن أبي عمرو: «ويتوب الله»^(١)، بالنصب.

قال أبو الفتح: إذا نصب فالتوبة داخله في جواب الشرط معنى، وإذا رفع كقراءة الجماعة فقال: «ويتوب الله على من يشاء» فهو استئناف؛ وذلك أن قوله: «قاتلوهم يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» فهو كقولك: إن تزرني أحسن إليك وأعطى زيدا درهما، فتنصبه على إضمار أن، أي: إن تزرني أجمع بين الإحسان إليك والإعطاء لزيد.

والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف؛ لأنه تم الكلام على قوله تعالى: «وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ»، ثم استأنف فقال: «ويتوب الله على من يشاء»، فالتوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم، هذا هو الظاهر؛ لأن هذه حال موجودة من الله تعالى قاتلوهم أو لم يقاتلوهم، فلا وجه لتعليقها بقاتلوهم. فإن ذهبت تعلق هذه التوبة بقتالهم إياهم كان فيه ضرب من التعسف بالمعنى.

* * *

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ

ومن ذلك قراءة ابن الزبير^(٢) وأبى وجزة^(٣) السعدى ومحمد بن على وأبى جعفر

(١) وقراءة الحسن، وزيد بن على، وعمرو بن فائد، ورويس، ويعقوب، ومقاتل. انظر: (الكشاف ١٧٨/٢، مجمع البيان ١١/٥، مختصر شواذ القراءات ٥١، إعراب القرآن للنحاس ٨/٢، البحر المحيط ١٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٨٧/٨ النشر في القراءات العشر ٢٧٨/٢، إتخاف فضلاء البشر ٢٤٠، تفسير الألوسى ٦٣/١).

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى، أبو بكر (١ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م): فارس قریش فى زمنه، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وحراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة. انظر: (ابن الأثير ١٣٥/٤، فوات الوفيات ٢١٠/١، تاريخ الخميس ٣٠١/٢، حلية الأولياء ٣٢٩/١، اليعقوبى ٢/٣، صفة الصفوة ٣٢٢/١، الطبرى ٢٠٢/٧، الأعلام ٨٧/٤).

(٣) يزيد بن عبيد، روى الحروف عنه محمد بن يحيى بن قيس ومحمد بن إسحاق، وروى عنه هشام ابن عروة، توفى سنة ١٣٠ هـ. انظر: (طبقات القراء ٣٨٢/٢).

القارى: «أَجَعَلْتُمْ سُقَاةَ الْحَاجِّ» ^(١) وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ^(٢)، وَقَرَأَ «سُقَايَةَ الْحَاجِّ وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ» ^(٣) الضحاك ^(٤).

قال أبو الفتح: أما سُقَاةُ فجمع ساق، كقاض وقضاة وغاز وغزاة. وعَمَرَةَ جمع عامر، ككافر وكفرة وبار وبررة.

وأما سُقَايَةَ ففيه النظر، ووجهه أن يكون جمع ساق، إلا أنه جاء على فعال كعرق ^(٥) وعراق، ورخل ورخال ^(٦)، وتوأم وتؤام، وظئر وظَّار، وإنسان وأناس، وثني ^(٧) وثناء، وبريء وبرأء.

فكان قياسه إذ جاء به على فعال أن يكون سُقَاء، إلا أنه أنه كما يؤنث من الجمع أشياء غيره، نحو حجارة وعبارة وقصير وقصارة.

(١) وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وابن وردان، ومحمد بن علي الباقر، وأبي حيوة، وابن الزبير، وأبي وحزة السعدي، وابن جهمز، وسعيد بن جبير. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٩/٢، إعراب القرآن للعكبري ٧/٢ تحبير التيسير ١١٧، مختصر شواذ القراءات ٥٢، الجامع لأحكام القرآن ٩١/٨، البحر المحيط ٢٠/٥، تفسير الفخر الرازي ١٢/١٦، النشر في القراءات العشر ٢٧٨/٢، الكشف ١٨٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، تفسير الألوسي ٦٧/١٠).

(٢) وردت في المصادر «وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ» بكسر الدال وهي قراءة أبي حيوة، وعبد الله بن الزبير، والضحاك، وابن وردان، وابن جهمز، وكذلك قراءة المذكورين في نص المختص. انظر: (الكشاف ١٨٠/٢، مجمع البيان ١٤/٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، إعراب القرآن للعكبري ٩/٢، البحر المحيط ٢٠/٥، تفسير الفخر الرازي ١٢/١٦، النشر ٢٧٨/٢، تفسير الألوسي ٦٧/١٠).

(٣) وردت في المصادر «وَمُشْتَايَةَ الْحَاجِّ وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ» وهي قراءة الضحاك، ومشاركة ابن جبير في قراءة «وعمرة المسجد». انظر: (غيث النفع ٢٣٧، مجمع البيان ١٤/٥، الجامع لأحكام القرآن ٩١/٨، البحر المحيط ٢٠/٥، تفسير الألوسي ٦٧/١٠، إعراب القرآن للعكبري ٧/٢).

(٤) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم (١٠٥هـ = ٧٢٣م): مفسر. كان يؤدب الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. له كتاب في التفسير توفي بخراسان. انظر: (ميزان الاعتدال ٤٧١/١، تاريخ الخميس ٣١٨/٢، المحرر ٤٧٥، العبر ١٢٤/١، الأعلام ٢١٥/٣).

(٥) العَرَقُ: العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة جمع عِرَاق. انظر: المعجم الوسيط «عرق».

(٦) الرَّخْلُ: الأنثى من أولاد الضأن جمعه أرخل، ورخال بالضم أو الكسر، ورخلان. انظر: المعجم الوسيط «رخل».

(٧) الثني: كل ما سقطت ثنيته جمع ثناء بالضم أو الكسر، وثنيان. انظر: المعجم الوسيط «ثني».

وجاءت في شعر الأعشى وغيثورة وخيوطه، وقد جاء هذا التأنيث أيضاً في فعال هذا. ذهب أبو علي في قولهم: نقاوة المتاع إلى أنه جمع نقوة، فعلى هذا جاء سقاية الحاج، فهو كتأنيث ظُوار وتؤام ونحو ذلك.

وكان الذي أنس من قرأ «سقا» و«عمرة» و«سقاية» وعدل إليه عن قراءة الجماعة: ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - هربه من أن يقابل الحدث بالجوهر، وذلك أن السقاية والعمارة مصدران، ومن آمن بالله جوهر، فلا بد إذا من حذف المضاف، أى أجعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله؟ فلما رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ: «سقا» «عمرة» و«سقاية» على ما مضى.

ولست أدفع مع هذا أن يكون سقاية الحاج جمع ساق و عمارة المسجد الحرام جمع عامر، فيكون كقائم وقيام وصاحب وصحاب وراع ورعاء، إلا أنه أنت فعلا على ما مضى، فصار كحجارة وعيارة، وأن يكونا مصدرى سقيت وعمرت أقيس؛ لأن ذلك في اللغة أفشى. وبنى سقاية وهو جمع ساق على التأنيث لا على أنه أنت سقاء؛ لأنه لو أراد ذلك لقال: سقاة فهمز، كعطاء إذا بُنيت على العطاء، ويكون كل واحد منهما قائماً برأسه.

* * *

وَإِنْ خِفْتُمْ عِيَلَكُمْ

ومن ذلك قراءة ابن مسعود ^(١): «وإن خِفتم عائلَةً» ^(٢).

قال أبو الفتح: هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعاقبة والعافية، وذهب الخليل في قولهم: ما باليت بالة أنها في الأصل بالية، كالعاقبة والعافية، فحذفت لامها

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن (٣٢ هـ = ٦٥٣ م): صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادما رسول الله ﷺ الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله و غزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوما وقال: وعاء مسلى، علما. وولى في عهد عمر بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى فيها عن نحو ستين عاما. انظر: (الإصابة ترجمة ٤٩٥٥، غاية النهاية ٤٥٨/١، البدء والتاريخ ٩٧/٥، صفة الصفوة ١٥٤/١، حلية الأولياء ١٢٤/١، تاريخ الخميس ٢٧٧/٢، الأعلام ١٣٧/٤).

(٢) وقراءة علقمة. انظر: (الكشاف ١٤٢/٢، مجمع البيان ٢٠/٥، البحر المحيط ٢٨/٥).

تخفيفاً. ومنه قوله سبحانه: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾^(١)، أى لغوا. ومنه قولهم: مررت به خاصة أى خصوصاً. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾^(٢) فيجوز فيه أن يكون مصدرًا أى خيانة منهم، ويجوز أن يكون على أن معناه على نية خائنة أو عقيدة خائنة، وكذلك أيضًا يجوز أن يكون لا تَسْمَعُ فيها كلمة لاغية، وكذلك الآخر على إن خِفْتُمْ حالا عائلة. فالمصدر هنا أعذب وأعلى.

* * *

إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴿٣٧﴾

ومن ذلك قراءة جعفر بن محمد والزهرى^(٣) والعلاء بن سَيَّابة والأشهب: «إِنَّمَا النَّسِيءُ»^(٤) مخففاً فى وزن الهدى بغير همز.

قال أبو الفتح: تحمل هذه القراءة ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون أراد النسء^(٥) على ما يحكى عن ابن كثير بخلاف أنه قرأ به، ثم أبدلت الهمزة ياء، كما أبدلت منها فيما رويناه من قول الشاعر^(٦):

أَهْبَى الترابَ فوقه إهبايا

يريد إهباء ونحو منه قوله:

(١) سورة الغاشية الآية (١١).

(٢) سورة المائدة الآية (١٣).

(٣) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر (٥٨ - ١٢٤ هـ = ٦٧٨ - ٧٢٤ م): أول من دَوَّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/١٠٢، وفيات الأعيان ١/٤٥١، تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥، حلية الأولياء ٣/٣٦٠، غاية النهاية ٢/٢٦٢، تاريخ الإسلام ٥/١٣٦ - ٢٥٢، الأعلام ٧/٩٧).

(٤) وقراءة ابن كثير، وشبل. انظر: (السبعة ١٣١٤؛ إعراب القرآن للعكبرى ٨/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٦/٢ الكشف ٢/١٨٩، مجمع البيان ٥/٢٨).

(٥) قرأ بها أيضًا، محمد بن سعدان، والسلمى، وطلحة، والأشهب، وشبل، وعبيد بن عقييل. انظر: (إعراب القرآن ٨/٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٥، السبعة فى ٣١٤، الكشف ٢/١٨٩، البحر المحيط ٥/٣٩).

(٦) ذكره فى الخصائص ٢/٣٥٠، المنصف ٢/١٦٢ - أيضًا - دون نسبة.

كَفَعَلَ الْهَرِ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا^(١)

يريد العظاءة، لا على قول أبي عثمان من أنه شبه ألف النصب بهاء التأنيث، ولا على ما رأيته من كونه تكسير العظاية كإدواة وأداوى.

والوجه الثاني أن يكون فعلاً من نسييت، وذلك أن النسيء من نسأت: أى أخرت، والشئ إذا أخر ودفع به فكأنه منسى.

والثالث وفيه الصنعة أنه أراد النسيء، على فعيل ثم خفف الهمزة وأبدلها ياءً وأدغم فيها ياء فعيل فصارت النسيى، ثم قصر فعيلًا بحذف يائه فصار نسي ثم أسكن عين فعيل فصار نسيى.

ومثله مما قصر من فعيل ثم أسكن بعد الحذف قولهم فى سميح: سَمَح، وفى رطيب: رطب، وفى جديب جدب، ومما قصر ولم يسكن قولهم فى لبيق: لَبِق، وفى سميح سَمِج، وقد ذكرنا ذلك.

* * *

يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٣٧)

ومن ذلك قراءة أبي رجاء: «يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا»^(٢)، بفتح الياء والضاد. قال أبو الفتح: هذه لغة، أعنى ضَلَّلْتُ أَضَلَّ. واللغة الفصحى ضَلَّلْتُ أَضِلُّ. وقراءة الحسن بخلاف وابن مسعود ومجاهد^(٣) وأبى رجاء بخلاف وقتادة وعمرو بن

(١) البيت فى المنصف (١٥٥/٢):

ولاعب بالعشر بنى بنيه كفعَلَ الهَرِ يلتمس العظايا

(٢) انظر: (إعراب القرآن ٨/٢، البحر المحيط ٤٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/٨، الكشف ١٨٩/٢، تحبير التيسير ١١٧).

(٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بنى مخزوم (٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م): تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل فى الأسفار، واستقر فى الكوفة. انظر: (طبقات الفقهاء ٤٥، إرشاد الأريب ٢٤٢/٦، غاية النهاية ٤١/٢، صفة الصفوة ١١٧/٢، ميزان الاعتدال ٩/٣، حلية الأولياء ٢٧٩/٣، الأعلام ٢٧٨/٥).

ميمون^(١) ورواه عباس^(٢) عن الأعمش: «يُضِلُّ به»^(٣).

وفيه تأويلان: إن شئت كان الفاعل اسم الله تعالى مضمرًا، أى يُضِلُّ الله الذين كفروا. وإن شئت كان تقديره يُضِلُّ به الذين كفروا أولياءهم وأتباعهم.

* * *

ثَانِي أَثْنَيْنِ

ومن ذلك قال عباس: سألت أبا عمرو وقرأ «ثانِي اثْنَيْنِ»، قال أبو عمرو: وفيها قراءة أخرى لا ينصب الياء «ثانِي اثْنَيْنِ»^(٤).

قال أبو الفتح: الذى يُعمل عليه فى هذا أن يكون أراد ثانِي اثْنين كقراءة الجماعة، إلا أنه أسكن الياء تشبيها لها بالألف. قال أبو العباس: هو من أحسن الضرورات، حتى لو جاء به إنسان فى الشر كان مصيبا.

فإن قيل: كيف تجيزه فى القرآن وهو موضع اختيار لا اضطرار؟ قيل: قد كثر عنهم جدًّا، ألا ترى إلى قوله^(٥):

(١) عمرو بن ميمون أبو عبد الله الأودى الكوفى التابعى الجليل، أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن مسعود، وروى عن عمر بن الخطاب وأدرك النبى ﷺ ولم يلقه، توفى سنة ٧٥ هـ وقيل: سنة ٧٤ هـ. انظر: (طبقات القراءة ١/٦٠٣).

(٢) عباس بن الفضل الأنصارى الواقفى، (١٨٦ هـ = ٨٠٢ م): قاض، من رجال الحديث. من أهل البصرة. كان عالما بالقرآن والشعر. ولى قضاء الموصل، فى أيام الرشيد العباسى، ومات فيها. له كتاب فى «القراءات» كبير. انظر: (تهذيب التهذيب ٥/١٢٦، الأعلام ٣/٢٦٤).

(٣) وقراءة أبى عمرو، ويعقوب، ورويس. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٢، إعراب القرآن للنحاس ١٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٨/٢، البحر المحیط ٥/٤٠، التبيان ٥/٢١٦، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٣٩، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٥، الكشف ٢/١٨٩، مجمع البيان ٥/٢٨، معانى القرآن للفراء ١/٤٣٧، تفسير الفخر الرازى ١٦/٥٧، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٩، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٢).

(٤) انظر: (البحر المحیط ٥/٤٣، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٤٤، الكشف ٢/١٩٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٩، تفسير الألوسى ١٠/٩٦).

(٥) البيتان من الرجز نسبهما ابن رشيق فى العمدة إلى رؤبة بن العجاج، ولم أعر أثر عليهما فى ديوانه. انظر: (شرح شواهد الشافعية ٤/٤٠٦).

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ . أَيْدَى عَذَارَى يَتَعَاطِينَ الْوَرِقَ^(١)

وقول الآخر:

حُدُبًا حَدَابِيرَ مِنَ الْوَحْشَتَيْنِ تَرْكُنَ رَاعِيَهُنَّ مِثْلَ الشَّنِّ^(٢)

وقال رؤبة، أَنشَدَنَاهُ أَبُو عَلِيٍّ:

سَوَى مَسَاحِيهِنَّ تَقْطِيطَ الْحُقُوقِ تَقْلِيلُ مَا قَارَعْنَ مِنْ سُمرِ الطُّرُقِ^(٣)

وقال الأعشى^(٤):

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبِلَا د صَدَرَ الْقَنَاقَةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

وقد جاءَ عنهم في النثر قولهم: لَا أَكَلِمَكَ حَيْرَى دهر، كذا يقول أصحابنا، ولى أنا

فيه مذهب غير هذا، وهو أن يكون أراد حَيْرَى دهر بالتشديد، ثم خفف الكلمة

(١) ورد في شرح شواهد الشافية ٤/٤٠٥: «أيدى حوار يتعاطين الورق».

قال البغدادى: على أن تسكين الياء مع الناصب شاذ.

قال ابن الشجرى: قال المبرد: هذا من أحسن الضرورات؛ لأنهم ألحقوا حالة بجالتين، يعنى أنهم جعلوا المنسوب كالجورور والمرفوع، مع أن السكون أخف من الحركات، ولذلك اعتزموا على إسكان الياء فى ذوات الياء من المركبات، نحو معدى كرب وقالى قلا انتهى. وضمير: «أيديهن» للإبل، والقاع: المكان المستوى، والقرق - بفتح القاف وكسر الراء - الأملس، وقال الشريف المرتضى: هو الخشن الذى فيه الحصا، وحوار - بفتح الجيم: جمع جارية، ويتعاطين: يناول بعضهم بعضا، والورق - بكسر الراء - الدارهم، شبه حذف مناسم الإبل للحصى بحذف حوار يلعبن بدراهم، وخص الجوارى لأنهن أخف يدا من النساء. انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٤٠٦).

(٢) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢١٧).

(٣) انظر: (ديوان رؤبة ١٠٦، الكتاب ٣/٣٠٦، المقتضب ٤/٢٢، المنصف ٢/١١٤، شرح المفصل ١٠/١٠٣، أمالى ابن الشجرى ١/١٠٤، اللسان «سحا»، «ققط»، «حقوق»). أراد بالمساحى حوافر الأتّن لأنها تسحو الأرض، أى: تقشرها وتؤثر فيها لشدة وطئها. والتقطيط: قطع الشيء وتسويته. والحقق: جمع حقة، بالضم، وهى وعاء من الخشب أو العاج ونحوه، ينحت ليوضع فيه الطيب أى: إن الصخر سوى حوافر هذه الأتّن، كأنما قطعت تقطيط الحقق. فتقطيط منصوب على المصدر المشبه به.

(٤) من قصيدة فى مدح هوزة بن على الحنفى (من المتقارب) مطلعها:

غشيت لليلى بليل حذورا وطالبتها ونذرت النذورا

انظر: (ديوانه ١٣١).

فحذف ياءها الثانية وقد كانت الأولى المدغمة فيها ساكنة، فأقرها على سكونها تلفتاً إلى الياء المحذوفة الثانية؛ لأنها في حكم الثبات كما صحح الآخر الواو في العواور؛ لأنه إنما يريد العواوير، فلما حذف الياء وهى عنده فى حكم الثبات أقر الواو على صحتها دلالة على أنه يريد الياء.

ومثله أيضاً ما جاء عنهم من تخفيف ياء لاسيما، وذلك أن السىّ فعل من سوّيت، وأصله سيوى فقلت الواو ياء لسكونها مكسوراً ما قبلها، أو لوقوع الياء بعدها، أو لهما جميعاً. فلما حذفت الياء التى هى لام وانفتحت الياء بالقاء فتحة اللام عليها كان يجب أن ترجع واواً لأنها عين أو تصح كما صحت فى عَوْضٌ وَجَوْلٌ، وأن تقول: لا سيوما زيد. لكنه أقرها على قلبها دلالة على أنه يريد سكونها ووقوع الياء بعدها. وإن شئت لأنها الآن قد وقعت طرفاً فضعفت. فهذا كله ونظائر له كثيرة ألغينا ذكرها لئلا يمتد الكتاب باقتصاصها تشهد بأن يكون قولهم: لا أكلّمك حيرى دهرٍ إنما أسكنت ياءه لإرادته التثقيب فى حيرى دهر، غير أن الجماعة تلتقته على ظاهره.

وشواهد سكون هذه الياء فى موضع النصب فاش فى الشعر، فإذا كثرت هذه الكثرة وتقبله أبو العباس ذلك التقبل ساغ حمل تلك القراءة عليه.

يؤكد ذلك أيضاً أنك لو رُمّت قطعه ورفعته على ابتداء، أى هو ثانى اثنين، لتقطع الكلام، وفارقته مألوف السديد من النظام، وإنما المعنى إلا تنصروه فقد نصره الله ثانى اثنين إذ هما فى الغار. وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بدل من قوله جل وعز: ﴿إِذْ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

فإن قلت: فإن وقت إخراج الذين كفروا له قبل حصوله ﷺ فى الغار، فكيف يُبدل منه وليس هو هو، ولا هو أيضاً بعضه، ولا هو أيضاً من بدل الاشتمال، ومعاذ الله أن يكون من بدل الغلط؟ قيل: إذا تقارب الزمانان وُضع أحدهما موضع صاحبه، ألا تراك تقول: شكرتك إذ أحسنت إليّ، وإنما كان الشكر سبباً عن الإحسان، فزمان الإحسان قبل زمان الشكر، فأعملت شكرت فى زمان لم يقع الشكر فيه.

ومن شرط الظرف العامل فيه الفعل أن يكون ذلك الفعل واقعاً فى ذلك الزمان كزرتك فى يوم الجمعة وجلست عندك يوم السبت، لكنه لما تجاور الزمانان وتقاربا جاز عمل الفعل فى زمان لم يقع فيه لكنه قريب منه. وقد مرّ بنا هذا الحكم فى المواضع أيضاً. قال زياد بن منقذ:

وَهُمْ إِذَا الْخَيْلَ جَالُوا فِي كَوَاتِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلَ وَلَا قَزَمَ^(١)
وإنما مقعد الفارس في صهوة الفرس لا في كائنته؛ لأن المكانين لما تجاورا استعمل
أحدهما موضع الآخر. ألا ترى إلى قول النابغة:

إِذَا عَرَّضُوا الْخَطَىٰ فَوْقَ الْكَوَاتِبِ^(٢)

ومحال أن يجلس الفارس موضع عرض الرمح من أدنى معرفة الفرس، فافهم بما ذكرنا
ما مضى.

* * *

لَوْ اسْتَطَعْنَا ﴿٤٢﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش: «لَوْ اسْتَطَعْنَا»^(٣) بضم الواو.

قال أبو الفتح: شبهت واو لو هذه بواو جماعة ضمير المذكورين، فضمت كما تلك
مضمومة في قول الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾^(٤). وكذلك شبهت واو الجمع هذه
بواو لو فكسرت، وذلك على من قرأ: «فَتَمَنَّوْا الموت»، و «الذين اشتروا الضلالة»^(٥).

وهناك قراءة أخرى: اشْتَرَوْا^(٦) الضلالة، بفتح الواو ولالتقاء الساكنين. فلو قرأ
قارئ متقدم «لَوْ اسْتَطَعْنَا» بفتح الواو لكان محمولا على قول من قال: «اشْتَرَوْا
الضلالة»، فأما الآن فلا عذر لأحد أن يرجح قراءة وإن سوغتها العربية، من حيث
كانت القراءة سنة متبعة.

* * *

(١) انظر: (الصحيح، لسان العرب «قزم»).

(٢) انظر: (أساس البلاغة، اللسان مادة «كتب») يقال: عرض رمح على كائنة فرسه، وكتب
الطعام وغيره: جمعه وباتوا على كئيب من رسل وكتب وكتبان وكأن قد ودهن قطبان، على
كتبان.

(٣) وزيد بن علي. انظر: (إعراب القرآن ٩/٢، البحر المحيط ٤٦/٥، الكشاف ١٩/٢، مجمع البيان
٣٢/٥).

(٤) سورة البقرة الآية (٩٤)، وسورة الجمعة الآية (٦).

(٥) سورة البقرة الآية (١٦).

(٦) قراءة أبي السمال. انظر: (البحر المحيط ٧١/١). وسبق الإشارة إليها.

لَاَعْدُوا لَهُ عُدَّةٌ ﴿٤٦﴾

ومن ذلك ما رواه ابن وهب عن حرملة بن عمران أنه سمع محمد بن عبد الملك يقرأ: «لَاَعْدُوا لَهُ عُدَّةٌ» (١).

قال أبو الفتح: المستعمل في هذا المعنى العُدَّة بالتاء، ولم يمرر بنا في هذا الموضع العُدَّة، إنما العُدَّة: البئر يخرج في الوجه.

وطريقه أن يكون أراد: ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّتَه: أي تأهبوا له، إلا أنه حذف تاء التانيث وجعل هاء الضمير كالعوض منها. وهذا عندي أحسن مما ذهب إليه الفراء في معناه، وذلك أنه ذهب في قول الله تعالى: ﴿وَإِقامِ الصَّلَاةَ﴾ إلى أنه أراد إقامة الصلاة، إلا أنه حذف هاء الإقامة لإضافة الاسم إلى الصلاة.

وإنما صار ما ذهبت إليه أقوى لأنني أقمت الضمير المجرور مقام تاء التانيث، والمضمر المجرور شديد الحاجة إلى ما جره من موضعين: أحدهما حاجة المجرور إلى ما جره، ألا تراه لا يفصل بينهما ولا يُقدم المجرور على ما جره؟ والآخر أن المجرور في «عُدَّة» مضمر، والمضمر المجرور أضعف من المظهر المجرور للطف الضمير عن قيامه بنفسه، وليست الصلاة بمضمرة فتضعف ضعف هاء عُدَّة، فيقدر ضعف الشيء وحاجته إلى ما قبله ما يكاد يُعتد جزءاً منه فيخلف جزءاً محذوفاً من جملته، فافهم ذلك.

وأما أصحابنا فعندهم أن الإقام مصدر أقمت كالإقامة، وليس مذهبا فيه كما ظنه الفراء.

* * *

وَلَاَوْضَعُوا خِلالَكُمْ ﴿٤٧﴾

ومن ذلك قراءة ابن الزبير: «وَلَاَوْضَعُوا خِلالَكُمْ» (٢).

قال أبو الفتح: هذا هو معنى القراءة المشهورة التي هي: ﴿وَلَاَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾. يقال: وضع البعير يضع وأوضعه أنا أي: أسرع به، وكذلك الرقص، والرقص

(١) وقراءة معاوية بن محمد بن عبد الملك. انظر: (البحر المحيط ٤٨/٥، الكشف ١٩٣/٢، تفسير

الآلوسي ١١١/١٠).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشف ١٩٤/٢، تفسير الآلوسي ١٩٢/١٠).

والرقصان. يقال: رقص وأرقصته أنا. قال^(١):

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَحْبَبَ فِيهَا وَأَضَعُ
كَأَنَّنِي شَاةً صَدَعُ^(٢)

وقال حسان^(٣):

بِزْجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي دَنِّهَا رَقَصَ الْقُلُوصُ بِرَاكِبٍ مُسْتَعَجِلٍ^(٤)
وَفِي الْخَيْرِ: فَإِذَا رَاكِبٌ يَوْضِعُ، أَيْ يَحْتَ رَاكِبُهُ. وَقَالَ جَمِيلُ^(٥):
بِمَاذَا تَرَدِّينَ امْرَأً جَاءَ لَا يَرَى كَوْدُكَ وَدَا قَدْ أَكَلْ وَأَوْضَعَا
وَلَا يُقَالُ رَقَصَ إِلَّا لِلْعَابِ أَوْ لِلْإِبِلِ، وَشَبَّهْتَ الْخَمْرَ بِذَلِكَ.

* * *

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ۖ

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ النَّاسِ: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا»، وَقَرَأَ طَلْحَةُ وَأَعْيَنَ قَاضِي الرِّي: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا»^(٦)، مُشَدِّدًا.

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: ظَاهِرُ أَمْرِ عَيْنٍ أَصَابَ يُصِيبُ أَنَّهَا وَاوْ، وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي جَمْعِ مُصِيبَةٍ: مَصَاوِبُ بِالْوَاوِ، وَهِيَ الْقُوَّةُ الْقِيَاسِيَّةُ. فَأَمَّا مَصَائِبُ بِالْهَمْزِ فَغَلَطَ مِنَ الْعَرَبِ، كَهَمْزِهِمْ حَالَتْ السُّوَيْقُ وَرَثَاتُ زَوْجِي وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُمَزَ وَلَا أَصْلَ لَهُ فِي الْهَمْزِ. وَوَاحِدُ الْمَصَائِبِ مُصِيبَةٌ وَمَصُوبَةٌ وَمُصَابٌ وَمَصَابَةٌ.

(١) لِدْرِيدِ بْنِ الصَّمَةِ قَالَهُ فِي يَوْمِ غَزْوَةِ حَنْزَلَةَ، وَقَدْ كَانَ شَيْخًا مِمَّا لَا قُوَّةَ فِيهِ [مِنْ الرِّجْزِ]. انْظُرْ:

(دِيَوَانُهُ ٩٣، الْأَغْنَانِي ٣٠/١٠: ٣٢).

(٢) الْجَذَعُ: الشَّابُّ الْحَدِيثُ. قَالَ فِي اللِّسَانِ «وَضَعُ»: يُقَالُ: وَضَعَ الرَّجُلُ إِذَا عَدَا يَضَعُ وَضَعًا وَأَنْشَدَهُ لِدْرِيدٍ.

(٣) مِنْ قَصِيدَةٍ (مِنْ الْكَامِلِ) مَطْلَعُهَا:

أَسْأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلْ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبِضْعِ فَحَوْمَلْ

انْظُرْ: (دِيَوَانُهُ ٢٩٠).

(٤) وَرَدَ فِي دِيَوَانِهِ ٢٩٣ بِزْجَاجَةٍ وَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا. أَيْ: اضْطَرَابَ الْحَبَابِ فِيهَا، رَقَصَ الْقُلُوصُ: أَيْ: سِيرَ النَّاقَةُ خَبِيًّا.

(٥) لَمْ يَرِدْ فِي دِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ. انْظُرْ: (دِيَوَانُ الْعَذْرَيْنِ ط دَارُ الْجِيلِ).

(٦) انْظُرْ: (الْكَشَافُ ١٩٥/٢، الْبَحْرُ الْخَيْطُ ١/٥، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٢٣/٢، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ١٦٠/٨).

وأنا أرى أن تكون مصايب جمع مُصاب. لأن الألف هنا وإن كانت بدلا من العين فإنها أشبه بألف رسالة التي يقال في تكسيرها رسايل، وذلك أن الألف لا تكون أصلاً في الأسماء المتمكنة ولا في الأفعال، إنما تكون زائدة أو بدلاً، وليست كذلك والياء والواو لأنهما قد تكونان أصلين في القبيلين جميعاً كما يكونان بدلين وزائدتين، فألف مصاب ومصابة أشبه بالزائد من ياء مصيبة وواو مصوبة، فافهم ذلك فإن أحداً من إخواننا لم يذكره.

وبعد فقد مر بنا في تركيب ص ي ب في هذا المعنى، فإنهم قد قالوا أصاب السهم الهدف يصيبه كباعه يبيعه، ومنه قول الكمي (١):

أَسْهُمُهَا الصَّائِدَاتُ وَالصَّيْبُ

فعلى هذا ومن هذا الأصل تكون قراءة طلحة يصيئنا بالياء، فيكون يفعلنا منه، فيصيب على هذا كيُسَيَّر ويُسَيِّع. وقد يجوز أيضاً أن يكون يصيئنا من لفظ ص و ب، إلا أنه بناه على فَعِلَ يُفَعِّلُ، وأصله على هذا يُصَيِّبُونَا فاجتمعت الياء والواو وسبقت الياء بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء فصارت يصيئنا. ومثله قوله: تحيِّز، هو تفعيل من حاز يجوز، والوجه ما قدمناه لأن فَعَلَ في الكلام أكثر من فيعل.

ويجوز وجه آخر، وهو أن يكون من الواو، إلا أنه لما كثر يُصَيِّب والمصيبة - أنس بالياء لكثرة الاستعمال ولخفتها عن الواو كما قالوا: ديمة وديم، فلما كثر ذلك وكانت الياء أخف من الواو مروا عليها فقالوا: دامت السماء تديم.

ولا يحسن أن يُذهب في هذا إلى قول الخليل في طاح يطيح وتاه يتيه: إنه فعل يفعل؛ لقلّة ذلك ووجود المندوحة عنه في قولهم: هذا أتيه منه وأطيح منه، فأعرف ذلك.

* * *

إِلَّا إِحْدَى ﴿٥٢﴾

ومن ذلك قراءة الناس: ﴿إِلَّا إِحْدَى﴾ غير ابن مُحَيِّص، فإنه كان يصلها ويسقط الهمزة (٢).

(١) انظر: لسان العرب «صيب».

(٢) انظر: (البحر المحيط ٥/٥٢).

قال أبو الفتح: قد ذكرنا ذلك فيما مضى فى قراءة ابن مُحَيَّصِينَ أيضاً فى سورة الأعراف.

* * *

مَغَارَاتِ ﴿٥٧﴾

ومن ذلك قراءة الناس ﴿مَغَارَاتِ﴾، وقرأ سعد بن عبد الرحمن بن عوف «مَغَارَاتِ»^(١).

قال أبو الفتح: أما مَغَارَات على قراءة الناس فجمع مَغَارَة أو مَغَار، وجاز أن يجمع مَغَار بالتاء وإن كان مذكراً لأنه لا يعقل، ومثله إوان وإوانات وجمَل سبَطر وجمال سبَطرات وحمَام وحمامات، وقد ذكرنا هذا ونحوه فى تفسير ديوان المتنبي عند قوله^(٢):
ففى النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطَبُولٌ^(٣)

ومَغَار مَفْعَل من غار الشيء يغور. وأما مَغَارَات فجمع مَغَار، وليس من أغرت على العدو، ولكنه من غار الشيء يغور، وأغرته أنا أغيرته، كقولك: غاب يغيب وأغْبته، فكأنه: لو يجدون ملجأ أو أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويسترون أنفسهم، وهذا واضح. ويؤكد ذلك قراءة مَسْلَمَة بن محارب^(٤): «مُدْخَلًا»^(٥)، أى مكاناً يدخلون فيه أنفسهم.

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٣٢/٢، الكشف ١٩٦/٢، البحر المحيط ٥٥/٥).

(٢) من قصيدة فى مدح سيف الدولة الحمدانى، أنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة، مطلعها:

ليالى بعد الظاعنين شكول طوالاً وليلى العاشقين طويل

انظر: (ديوانه ٢١٧/٣).

(٣) صدره: «إذا كان بعضُ الناس سيقاً لدولة» انظر: (ديوانه ٢٢٩/٣).

والبوقات: جمع بوق، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويصر، قال ابن جنى: وقد عاب على أبى الطيب من لا خيرة له بكلام العرب جمع بوق، والقياس يعضده، إذ له نظائر كثيرة: مثل حمام وحمامات، وسرادق وسرادقات، وجواب وجوابات، وهو كثير فى كلام العرب فى جمع ما لا يعقل من المذكر إذ لا يوجد له مثال القلة. انظر: (شرح الديوان ٢٢٩/٣، ٢٣٠).

(٤) مسلمة بن محارب أبو عبد الله الفهرى البصرى النحوى، له اختيار فى القراءة. انظر: (طبقات القراء ٢٩٨/٢).

(٥) وقراءة الحسن، والأعمش، ومحبوب، وعيسى بن عمر. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، الكشف ١٩٦/٢، البحر المحيط ٥٥/٥، إعراب القرآن للعكبرى ٩/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٦/٢).

ورويت عن أبي بن كعب ^(١) أو «مندخلا» ^(٢)، وهو من قول الشاعر:

ولا يدى فى حميت السكن تندخل ^(٣)

ومنفعل فى هذا شاذ؛ لأن ثلاثيه غير متعد عندنا.

* * *

لَوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

ومن ذلك ما رواه الأعمش قال: سمعت أنسا ^(٤) يقرأ: «لَوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ» ^(٥) قيل له: وما يجمزون؟ إنما هي يجمحون. فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرءون الحرف مكان نظيره من غير أن

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بنى النجار، من الخزرج، أبو المنذر (٢١هـ = ٦٤٢م): صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حراً من أجداد اليهود، مطالعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتى على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه. وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثًا، ومات بالمدينة. انظر: (طبقات ابن سعد ٥٩/٢/٣، غاية النهاية ٣١/١، صفة الصفوة ١٨٨/١، حلية الأولياء ٢٥٠/١، الجمع ٣٩، الكواكب الدرية ٤٥/١، الأعلام ٨٢/١).

(٢) انظر: (معاني القرآن للأخفش ٣٣٢/٢، البحر المحيط ٥٥/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٨).
(٣) فهو من أدخلته، ونظيره أطلقته فانطلق، وهو من باب انقطع الجبل لأن اليد لا تكون فاعلة، وإنما هي آلة يفعل بها، كما يقال سمعت بأذني، ونظرت بعيني وإنما الفاعل هو الجملة لا العضو وحده. انظر: (المنصف ٧٢/١).

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة (١٠هـ = ٩٣هـ - ٦١٢ - ٧١٢م): صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر: (طبقات ابن سعد ١٠/٧، تهذيب ابن عساكر ١٣٩/٣، الجمع ٣٥، صفة الصفوة ٢٩٨/١، الأعلام ٢٤/٢، ٢٥).

(٥) انظر: (الكشاف ١٩٦/٢، تحبير التيسير ١١٨، البحر المحيط ٥٥/٥، مجمع البيان ٣٩/٥، تفسير الفخر الرازي ٩٦/١٦).

تتقدم القراءة بذلك، لكنه لموافقة صاحبه في المعنى. وهذا موضع يجد الطاعن به إذا كان هكذا على القراءة مطعناً، فيقول: ليست هذه الحروف كلها عن النبي ﷺ، ولو كانت عنه لما ساغ إبدال لفظ مكان لفظ إذ لم يثبت التخيير في ذلك عنه، ولما أنكر أيضاً عليه: «يجمزون»، إلا أن حُسنَ الظن بأنس يدعو إلى اعتقاد تقدم القراءة بهذه الأحرف الثلاثة التي هي «يجمحون» و«يجمزون» و«يشتدون»، فيقول: اقرأ بأبيها شئت، فجميعها قراءة مسموعة عن النبي ﷺ؛ لقوله عليه السلام: «نزل القرآن بسبعة أحرف كلها شاف كاف»^(١).

فإن قيل: لو كانت هذه الأحرف مقروءاً بجميعها لكان النقل بذلك قد وصل إلينا، قيل: أو لا يكفيك أنس موصلاً لها إلينا؟ فإن قيل: إن أنساً لم يحكها قراءة وإنما جمع بينها في المعنى، واعتل في جواز القراءة بذلك لا بأنه رواها قراءة متقدمة، قيل: قد سبق من ذكر حسن الظن ما هو جواب عن هذا.

ونحو من هذه الحكاية ما يروى عن أبي مَهديّة من أنه كان إذا أراد الأذان قال: الله أكبر مرتين، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين كذلك إلى آخر الأذان، ينطق من ذلك بالمرّة الواحدة، ويقول في إثرها: مرتين كما ترى، فيقال له: ليس هكذا الأذان، إنما هو كذا، فيقول: المعنى واحد، وقد علمتم أن التكرار عي. وهذا لعمرى مسموع من أبي مَهديّة إلا أنه كان مدخولاً. ألا ترى أن أبا محمد يحيى بن المبارك البزيري^(٢) وخلفاً

(١) وأخرجه النسائي في الصغرى (٩٤٠) من طريق: عمرو بن منصور قال: حدثنا أبو جعفر بن نفيل قال: قرأت على معقل بن عبيد الله، عن عكرمة بن خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة فبينما أنا في المسجد جالس إذ سمعت رجلاً يقرؤها يخالف قراءتي فقلت له: من علمك هذه السورة فقال: رسول الله ﷺ فقلت: لا تفارقني حتى تأتي رسول الله ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله إن هذا خالف قراءتي في السورة التي علمتني فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا أباي» فقرأتها فقال لي رسول الله ﷺ: «أحسن» ثم قال للرجل: اقرأ فقرأ فخالف قراءتي فقال له رسول الله ﷺ: «أحسن» ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أباي إنه أنزل القرآن على سبعة أحرف كلهن شاف كاف».

قال أبو عبد الرحمن النسائي: معقل بن عبيد الله ليس بذلك القوى.

(٢) يحيى بن المبارك بن الغيرة العدوي، أبو محمد، البزيري (١٣٨ - ٢٠٢ هـ = ٧٥٥ - ٨١٨): عالم بالعربية والأدب. من أهل البصرة. كان نازلاً في بني عدى بن مناة بن تميم، أو كان من مواليتهم، فقيل له العدوي. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري يودب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافة وتوفي بمرو. من كتبه: -

الأحمر^(١) لما أنفذهما إليه أبو عمرو ليسألاه عن شيء من اللغة لخلاف جرى بينه وبين عيسى بن عمر أتياه وهو يخاطب الشياطين في صلاته: احسانان عني، احسانان عني.
وكذلك قول ذى الرمة: (٢)

وظاهر لها من يابس الشخت

ف قيل له: أنشدتنا يابس فقال: يابس يابس واحد. وهذا شعر ليست عليه مضايقة الشرع.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى قال: كان يحضر ابن الأعرابي شيخاً من أهل مجلسه يوماً ينشد: (٣)

وموضع زَيْن لا أريد براحه كأنى به من شدة الروع آنس^(٤)
فقال له الشيخ: ليس هكذا أنشدتنا يا أبا غبيد الله. فقال: كيف أنشدتك؟ فقال له: وموضع ضيق، فقال: سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا سنة ولا تعلم أن الزين والضيق شيء واحد؟ فهذا لعمري شائع لأنه شعر وتحريره جائز، لأنه ليس ديناً ولا عملاً مسنوناً.

* * *

= والنوادر في اللغة، والمقصود والمدود. انظر: (وفيات الأعيان ٢/٢٣٠، إرشاد الأريب ٧/٢٨٩، ابن النديم ٥٠ - ٥١، النجوم الزاهرة ٢/١٧٣، غاية النهاية ٢/٣٧٥، خزنة البغدادى ٤/٤٢٦، الأعلام ٨/١٦٣).

(١) خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر (نحو ١٨٠هـ = نحو ٧٩٦م): راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. كان أبواه موليين من فرغانة وله: «ديوان شعر»، وكتاب: «جبال العرب»، ومقدمة في النحو - طه. انظر: (إرشاد الأريب ٤/١٧٩، مراتب النحويين ٤٦، سمط اللآلئ ٤١٢، بغية الوعاة ٢٤٢، الشعر والشعراء ٣٠٨، الأعلام ٢/٣١٠).

(٢) انظر: (ديوانه ١٧٦).

(٣) من قصيدة للمرقش مطلعها:

أمن دل أسماء الطلول الدوارس يخطط فيها الطير قفر بسابس
انظر: (المفضليات ٢٢٤).

(٤) يروى:

ومنزل طنك لا أريد مبيته كأنى به من شدة الروع آنس
انظر: (المفضليات ٢٢٥).

لَوْلُوا إِلَيْهِ ﴿٥٧﴾

ومن ذلك ما حكاه ابن أبي عبيدة بن معاوية بن قُرْمَل عن أبيه عن جده - وكانت له صحبة - أنه قرأ: «لَوْلُوا إِلَيْهِ»، بالألف وفتحة اللام الثانية^(١).

قال أبو الفتح: هذا مما اعتقب عليه فاعل وفعل، أعنى وَالُوا وَوَلُوا. ومثله ضَعُفَتْ وضاعفت الشيء، ووصلت الحديث وواصلته، وسوّفت الرجل وساوفته. ومن أبيات الكتاب:

لو ساوَفْتَنَا بِسُوفٍ مِنْ نَحْيَتِهَا سَوْفَ الْعِيُوفِ لِرَاحِ الرِّكْبِ قَدِ قَعِوَا
سوف العيُوف: مصدر محذوف الزيادة، أى مساوفة العيُوف.

* * *

إِنْ تُعَفُّ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةً ﴿٦١﴾

ومن ذلك ما روى عن مجاهد: «إِنْ تُعَفَّ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ»، بالتاء المضمومة «تُعَذِّبُ طَائِفَةً»^(٢).

قال أبو الفتح: الوجه يُعَفُّ بالياء لتذكير الظروف، كقولك: سِيرَتِ الدابة وسير بالدابة، وقُصِدَتْ هند وقُصِدَ إلى هند. لكنه حمّله على المعنى فَأَنْتَ «تُعَفُّ»، حتى كأنه قال: إِنْ تُسَامَحَ طَائِفَةٌ أَوْ إِنْ تُرْحَمَ طَائِفَةٌ. وزاد فى الأُنس بذلك مجيء التأنيث يليه، وهو قوله: «تُعَذِّبُ طَائِفَةً»، والحمل على المعنى أَوْسَعُ وَأَفْشَى: منه ما مضى، ومنه ما سترى.

* * *

(١) وقراءة الأشهب العقيلي. انظر: (البحر المحيط ٥٥/٥، الرازى ٩٦/١٦).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشف ٢٠٠/٢، البحر المحيط ٦٧/٥، تفسير الفخر الرازى ١٢٤/١٦).

وقرأ «تُعَذِّبُ طَائِفَةً» مع قراءة: «يُعَفُّ، وَتُعَفُّ» حمزة، والكسائى، وابن عامر، وأبى عمرو، وابن كثير، ونافع، وأبى جعفر، وخلف، ويعقوب، ومجاهد. انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٤٥/١، السبعة ٣١٦، غيث النفع ٢٣٨، تبيان التيسير ٢٢٨، البحر المحيط ٦٧/٥، التبيان ٢٥٢/٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٦، الحجة لأبى زرعة ٣٢٠، التيسير ١١٨، ١١٩، مجمع البيان ٤٥/٥، إتخاف فضلاء البشر ٢٤٣، تفسير الفخر الرازى ١٢٤/١٦، النشر ٢٨٠/٢، تفسير الألوسى ١٣٢/١٠).

فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾

ومن ذلك ما يُروى عن مالك بن دينار: «فاقعدوا مع الخلفين» ^(١)، بغير ألف. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون مقصوداً من الخالفين كقراءة الجماعة، وقد جاء نحو هذا، قال الراجز:

أصبح قلبى صَرِدَا لا يشـتـهـى أن يـرـدَا
إلا عَرَادَا عَرَادَا وَصَلِيَانَا بَرِدَا
وَعَنْكُشَا مَلْتَبِيدَا ^(٢)

يريد: عاردا وباردا، كما قال أبو النجم:

كَأَنَّ فِي الْفُرْشِ الْقَتَادَ الْعَارِدَا

وقد حذفت الألف حشواً في غير موضع. قال:

مِثْلَ النَّقَالِ بَدَهُ ضَرْبُ الطَّلَلِ ^(٣)

يريد الطلال، كقول القحيف:

دِيَارُ الْحَى تَضْرِبُهَا الطَّلَالُ بِهَا أَنَسٌ مِنَ الْخَافَى وَمَالُ
وَرُونَا عَنْ قَطْرَب:

ألا لا بارك الله فى سهيل إذا ما الله بارك فى الرجال
يريد: لا بارك الله، فحذف الألف قبل الهاء، وينبغي أن يكون ألف فعال لأنها
زائدة، كقوله تعالى: ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾، ولا تكون الألف التى هى عين فعَل فى أحد قولى
سيبويه: إن أصله لآء كُتاب؛ لأن الزائد أولى بالحذف من الأصلي، وقد حذفوا الواو
حشواً أيضاً قالوا:

إِنَّ الْفَقِيرَ بَيْنَنَا قَاضٍ حَكَمٌ أَنَّ تَرْدَ الْمَاءِ إِذَا غَابَ النُّجْمُ
يريد النجوم.

وقال الأخطل:

(١) وقراءة عكرمة: انظر: (البحر المحيط ٨١/٥ الكشف ٢/٢٠٦، مختصر شواذ القراءات ٥٤، تفسير الألوسى ١٠/١٥٣).

(٢) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢٧٠).

(٣) ذكره فى الخصائص دون نسبة (٢/٣٦٧).

كَلَمْعَ أَيْدِي مُشَاكِيلٍ مُسَلِّبَةٍ يَنْدَبْنَ ضَرَسَ بَنَاتِ الدَّهْرِ وَالْخُطْبِ^(١)
يريد الخطوب. وقد حُذِفَتِ الْيَاءُ أَيْضًا نَحْوَ قَوْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ:

وَبُدِّلَتْ بَعْدَ الزَّعْفَرَانِ وَطِيئِهِ صَدَا الدَّرْعِ مِنْ مُسْتَحْكِمَاتِ الْمَسَامِيرِ
يريد المسامير. وقال الآخر: ^(٢)

وَالْبِكَرَاتِ الْفَسَجِ الْعَطَامِ^(٣)

يريد العطاميس.

فَكَمَا حُذِفَتِ حُرُوفُ اللَّيْنِ مِنْ هَذَا وَنَحْوِهِ مِمَّا تَرَكْنَاهُ إِجْمَاعًا بِحَذْفِهِ فَكَذَلِكَ تَحْذِفُ
الْأَلْفُ مِنَ الْخَالِفِينَ، فَيَصِيرُ الْخَلْفِيُّ.

* * *

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴿٥٥﴾

وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَسَلَامَ وَسَعِيدَ بْنِ أَسْعَدَ وَيَعْقُوبَ
ابْنِ طَلْحَةَ وَعِيسَى الْكُوفِيَّ: «مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»^(٤).

قال أبو الفتح: الْأَنْصَارُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ﴾.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿الْأَنْصَارِ﴾

(١) انظر: (الخصائص ١٣٦/٣)، ديوانه ١٨٨، اللسان «ضرس».

(٢) من قول غيلان بن حريث، أو هو ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة. انظر: (الكتاب ٤٤٤/٣)،
الخصائص ٦٤/٢، جمع الجوامع ١٥٧/٢، المخصص ٤٧/٤، ٦١/٧، ١٣٨، اللسان «فسج»،
وليس في ديوان ذي الرمة ولا ملحقاته.

(٣) صدره: «قد قربت ساداتها الروانسا». انظر: (الكتاب ٤٤٥/٣). الفسج: جمع فاسج وفاسجة،
وهي التي ضربها الفحل قبل أن تستحق الضراب. والعيطموس: الناقة الفتية الحسنة الخلق.

(٤) وقراءة يعقوب. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٤، إعراب القرآن للنحاس ٣٧/٢، إعراب
القرآن للعكبري ١١/٢، البحر المحيط ٩٢/٥، التبيان ٢٨٧/٥، تفسير الطبري ٧/١١، الجامع
لأحكام القرآن ٢٣٥/٨، الكشف ٢١٠/٢، إتخاف فضلاء البشر ٢٤٤، تحبير التيسير ١١٨،
مجمع البيان ٦٤/٥، معاني القرآن للفراء ٣٣٦/٢، معاني القرآن للأخفش ٣٣٦/٢، تفسير
الفخر الرازي ١٦، ١٧١، النشر ٢٨٠/٢، تفسير الألوسي ٨/١١).

في رفعه وجره، ويجوز أن يكون معطوفاً على السابقين، وأن يكون معطوفاً على الأنصار لقربه منه.

* * *

صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ ﴿١٣﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «صدقة تُطَهِّرُهُمْ»^(١)، خفيفة.

قال أبو الفتح: هذا منقول من طهر وأطهرته كظهر وأظهرته، وقراءة الجماعة أشبه بالمعنى لكثرة المؤمنين؛ فلذلك قرأت: «تُطَهِّرُهُمْ»، من حيث كان تشديد العين هنا إنما هو للكثير.

وقد يؤدَّى فعلت وأفعلت عن الكثرة من حيث كانت الأفعال تفيد أجناسها، والجنس غاية الجموع. ألا ترى إلى ما أنشده الحسن من قوله:

أنت الفسادُ لِقِبْلَةٍ هَدَمْتَهَا وَنَقَرْتَهَا بِيَدِيكَ كُلِّ مَنْقَرٍ
ولم يقل كل نقر، وهذا واضح، وعليه قراءة من قرأ: «وَأَغْلَقْتَ الْأَبْوَابَ»،^(٢) وهو واضح.

* * *

أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ ﴿١٤﴾

ومن ذلك قراءة عبد الله بن يزيد: «أحق أن تقوم فيه رجال»^(٣)، بكسر هاءٍ فيه الأولى، وضم هاءٍ فيه الآخرة مختلستين.

قال أبو الفتح: أصل حركة هذه الهاء الضم، وإنما تكسر إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة، كقولك: مررت به، ونزلت عليه. وقد يجوز الضم مع الكسرة والياء، وقد يجوز إشباع الكسرة والضمه ومطلهما إلى أن تحدث الواو والياء بعدهما، نحو مررت بهي وبهو ونزلت عليهي وعليهو، وهذا مشروح في أماكنه، لكن القول في كسر فيه الأولى وضم فيه الثانية.

(١) انظر: (الكشاف ٢/٢١٢)، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٤٩، البحر المحيط ٥/٩٥).

(٢) سورة يوسف الآية (٢٣).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٥/٩٩).

والجواب أنه لو كسرهما جميعاً أو ضمهما جميعاً لكان جميلاً حسناً، غير أن الذى سوغ الخلاف بينهما عندى هو تكرير اللفظ بعينه؛ لأنه لو قال: «فيه فيه»، أو «فيه فيه» لتكرر اللفظ عينه البتة.

وقد عرفنا ما عليهم فى استتقالهم تكرير اللفظ حتى أنهم لا يتعاطونه إلا فيما يتناهى عنايتهم به، فيجعلون ما ظهر من تجشمهم إياه دلالة على قوة مراعاتهم له، نحو قولهم: ضربت زيداً ضربت، وضربت زيداً زيداً، وقولهم: قم قائماً قم قائماً، وقولهم فيما لا محالة فى توكيده، أعنى الأذان: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر.

ومما يدل على قوة الكلفة عليهم فى التكرير أنهم لما صاغوا ألفاظ التوكيد لم يرددوها بأعيانها، وذلك كقولهم: جاءنى القوم أجمعون أكتعون أبصعون، فخالفوا بين الحروف، لكن أعادوا حرفاً واحداً منها تنبيهاً على عنايتهم وإعلانهم أنه موضع يختارون تجشم التكرير من أجله، وجعلوا الحرف المعاد منه لأمه لأنه مقطع، والعناية بالمقاطع أقوى منها بمدرج الألفاظ.

ألا تراهم يتسمحون بحشو البيت فى اختلافه، فإذا وصلوا إلى القافية راعوها ووقفوا بين أحكامها، أعنى فى الروى والوصل والخروج والردف والتأسيس والحركات؟ وسبب ذلك أنه مقطع، والمعول فى أكثر الأمر عليه.

ومنه إجماع الناس فى الدعاء على أن يقولوا: اختم بخير، ومنه قول الله سبحانه: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾^(١) أى طعم مقطعه فى طيب رائحة المسك، وهذا اللطف معنى من أن يكون المراد به أن هناك خاتماً عليه، وأنه من مسك.

ومن تجنب التكرير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾^(٢) ولم يقل: من بعد الفتح تجنباً للتكرير، ولهذا - فى التكرير وكراهيتهم إياه إلا فيما يدلون بتجشمهم تكريره على قوة اهتمامهم بما هم بسبيله - نظائر.

وفى ما ذكرنا كافٍ، فعلى هذا تكون هذه القراءة التى هى: «فيه فيه»، اختيرت لوقوع الخلاف بين الحرفين على ما ذكرنا.

(١) سورة المطففين الآية (٢٦).

(٢) سورة الحديد الآية (١٠).

فإن قيل: فلم كسر الأول وضُم الآخر وهلا عكس الأمر؟ ففيه قولان: أحدهما أن الكسر في نحو هذا أفشى في اللغة فقُدِّم، والضم أقل استعمالاً فأُخِر. والثاني - وهو أغمض - وهو أن «فيه» الأولى ليست في موضع رفع، بل هي منصوبة الموضع بقوله تعالى: ﴿تَقُومُ﴾، من قوله: أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فيه. و«فيه» من قوله: ﴿فيه رجال﴾ في موضع الرفع؛ لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه، والمبتدأ رجال، و«فيه» خبر عنه، فهو مرفوع الموضع. فلما كان كذلك سبقت الضمة لتصور معنى الظرف.

ومعاذ الله أن نقول: إن ضمة الهاء من «فيه» عِلْم رفع، كيف ذلك والهاء مجرورة الموضع بـ«في»؟ نعم وهي اسم مضمر، والمضمر لا إعراب في شيء منه، وهي أيضاً مكسورة في أكثر اللغة. هل يجوز أن يظن أحد أن الضمة فيها عِلْم رفع؟ لكن الكلمة مرفوعة الموضع، وتصور معنى الرفع فيها أسبق إلى اللفظ كما ذهب بعضهم في ضمة تاء المتكلم في نحو قمت وذهبت إلى أنها إنما بُنيت على الضم لمَحَا لموضعها من الإعراب، إذ هي مرفوعة، وكانت أقوى من تاء المذكر والمؤنث في نحو قمت وقمت، فكانت لذلك أحق بذلك.

وليس الظرف هنا وصفاً لمسجد، بل هو على الاستئناف. والوقف عندنا على قوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فيه﴾، ثم استأنف الكلام فقليل: ﴿فيه رجال﴾. وهذا أولى من أن يجعل الظرف وصفاً لمسجد، لما فيه من الفصل بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو «أحق»، ولأنك إذا استأنفت صار هناك كلامان، فكان أفخر من الوصف من حيث كانت الصفة مع موصوفها كالجاء الواحد.

* * *

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ

أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ۚ

ومن ذلك قراءة نصر بن عاصم^(١) بخلاف: «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ

(١) نصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ = ٧٠٨م): من أوائل واضعي «النحو» قال ياقوت: كان فقيهاً، عالماً بالعربية، من فقهاء التابعين، وله كتاب في العربية وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأى الخوارج ثم ترك ذلك، وله في تركه أبيات. انظر: (طبقات النحويين واللغويين ٢/٢١)، إرشاد الأريب ٧/٢١، بغية الوعاة ٤٠٣، الأعلاق النفيسة ٢٠٠، الأعلام ٨/٢٤.

ورِضْوَانٌ خَيْرٌ أَمْ مِنْ أَسَسُ بُنْيَانِهِ»^(١) فى وزن فعل. وقرأ: «أَسَسُ بُنْيَانِهِ»^(٢) بفتح الألف وألف بين السينين نصر بن على بخلاف، وروى عنه أيضاً: «أُسُ بُنْيَانِهِ»^(٣) برفع الألف وخفض النون فى بنيانه، والسين مشددة.

قال أبو الفتح: يقال هو أَسُّ الحائط وأساسه، فُعل وفَعَال. وقد قالوا: له أَسٌّ بفتح الألف، وقد أَسَّ البناء يؤسُّه أَسًّا: إذا بناه على أساس. وقالوا فى جمع أَس: أساس كقفل وأقفال، وقالوا فى جمع أساس إساس وأُسُس. ونظير أساس وإساس ناقة هجان ونوق هجان، ودرع دِلاص وأدرع دِلاص، وإن كان هذا مكسور الأول، فإن فعلاً وفعلاً تجريان مجرى المثال الواحد. ألا ترى كل واحد منهما ثلاثياً وفيه الألف زائدة ثالثة؟ وقد اعتقبا أيضاً على المعنى الواحد فقالوا: أوان وإوان، ودواء، ودواء وحصاد وحِصاد، وجَزاز وجِراز وجِرام وجِرام.

وقد يجوز أن يكون إساس جمع أَس كبرد وبراد، وقد يجوز أن يكون جمع أَس كفَرخ وفراخ. وأما أُسُس فجمع أساس، كقُذْل وقَذَال. قال كَذَّاب بنى الحرماز:

وأُسٌ مجد ثابتٌ وطيد نال السماء فرعه البديد

* * *

عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ (١٩)

ومن ذلك ما حكاه ابن سلام قال: قال سيويه: كان عيسى بن عمر يقرأ: «على تقوى من الله»^(٤) قلت: على أى شىء نون؟ قال: لا أدرى ولا أعرفه. قلت: فهل نون أحد غيره؟ قال: لا.

(١) ونصر بن على. انظر: (البحر المحيط ١٠٠/٥، إعراب القرآن للنحاس ٤١/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٨).

(٢) ونصر بن على اليماني. انظر: (مجمع البيان ٧٠/٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، معاني القرآن للفراء ٤٥٢/١. إعراب القرآن للعكبرى ٤١/٢، البحر المحيط ١٠٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٨ الكشف ٢١٥/٢).

(٣) وقراءة نصر بن على. انظر: (البحر المحيط ١٠٠/٥، الكشف ٢١٥/٢، مجمع البيان ٧٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٨).

(٤) انظر: (الكشف ٢١٥/٢، مختصر شواذ القراءات ٥٥، البحر المحيط ١٠٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٨، حاشية يس ٣٨٤/٢).

قال أبو الفتح: أخبرنا بهذه الحكاية أبو بكر جعفر بن علي بن الحجاج عن أبي خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام.

فأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءة فإن قياسه أن تكون ألفه للإلحاق لا للتأنيث، كثرى فيمن نون وجعلها ملحقة بـجعفر.

وكان الأشبه بقدر سبويه ألا يقف في قياس ذلك وألا يقول: لا أدري. ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها. فأما أن يقول سبويه: لم يقرأ بها أحد فحائز. يعني فيما سمعه، لكن لا عذر له في أن يقول: لا أدري لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفه للإلحاق.

* * *

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴿١١٣﴾

ومن ذلك قرءة الجماعة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ وفي قراءة أبي وعبد الله بن مسعود، ويروى أيضاً عن الأعمش: «التائبين العابدين»^(١).

قال أبو الفتح: أما رفع ﴿التائبون العابدون﴾ فعلى قطع واستئناف، أي هم التائبون العابدون. وأما «التائبين العابدين» فيحتمل أن يكون جرّاً وأن يكون نصباً: أما الجر فعلى أن يكون وصفاً للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ «التائبين العابدين». وأما النصب فعلى إضمار فعل لمعنى المدح، كأنه قال: أعنى أو أمدح «التائبين العابدين»، كما أنك مع الرفع أضمرت الرفع لمعنى المدح.

* * *

وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ﴿١١٤﴾

ومن ذلك قراءة طلحة: «وَمَا يَسْتَغْفِرُ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ»^(٢)، ورويت عنه أيضاً: «وما استغفر إبراهيم لأبيه»^(٣).

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٤٣/٢ إعراب القرآن للعكبري ١٣/٢، مجمع البيان ٧٤/٥، الكشف ٢١٦/٢، التبيان ٣٠٧/٥، البحر المحيط ١٠٤/٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، تفسير الفخر الرازي ٢٠٢/١٦، تفسير الآلوسي ٣٠/١١).

(٢) انظر: (الكشاف ٢١٧/٢، البحر المحيط ١٠٥/٥، تفسير الآلوسي ٣٤/١١).

(٣) وقراءة عبد الله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ١٠٥/٥، الكشف ٢١٧/٢، تفسير الآلوسي ٣٤/١١، شواذ القراءات للكرمانى «مخطوط»).

قال أبو الفتح: أما «يَسْتَغْفِر» فعلى حكاية الحال، كقولك: كان زيد سيقوم، إن كان متوقفاً منه القيام. وحكاية الحال فاشية في اللغة، منها قول الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(١) ولم يقل: أحدهما من شيعته، والآخر من عدوه.

وذلك أنه تعالى لما حكى الحال الماضية صار النبي ﷺ ومن يسمع من بعد كالحاضرين للحال، فقال: هذا، وهذا. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢)، وهذه اللام إنما تدخل على فعل الحال الحاضرة، فحكى الحال المستأنفة كما حكى السالفة.

* * *

الَّذِينَ خَلَفُوا

ومن ذلك قراءة الناس ﴿الَّذِينَ خَلَفُوا﴾، وقرأ: «خَلَفُوا»^(٣) بفتح الخاء واللام خفيفة - عكرمة وزر بن حبيش^(٤) وعمرو بن عبيد، ورؤيت عن أبي عمرو. وقرأ: «خالفوا»^(٥) أبو جعفر محمد بن علي وعلي بن الحسين^(٦) وجعفر بن

(١) سورة القصص الآية (١٥).

(٢) سورة النحل الآية (١٢٤).

(٣) وقراءة معاذ القارئ، وحמיד. انظر: (البحر المحيط ١١٠/٥، الكشف ٢١٨/٢، مجمع البيان ٧٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٨١/٨، ٢٨٢، تفسير الفخر الرازي ٢١٧/١٦).

(٤) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي (٨٣هـ = ٧٠٢م): تابعي، من جلتهم. أدرك الجاهلية والإسلام، ولم ير النبي ﷺ. كان عالماً بالقرآن، فاضلاً. وكان ابن مسعود يسأله عن العربية. سكن الكوفة. وعاش مائة وعشرين سنة. ومات بوقعة دير الجماجم. انظر: (الإصابة ٥٧٧/١، حلية الأولياء ١٨١/٤، الأعلام ٤٣/٣).

(٥) وقراءة أبي زيد، وأبي مجلز، والشعبي، وابن يعمر، وزيد بن علي، ومحمد الباقر. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٥، البحر المحيط ١١٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٨١/٨، ٢٨٢، الكشف ٢١٨/٢، مجمع البيان ٧٨/٥، تفسير الفخر الرازي ٢١٧/١٦، تفسير الألوسي ٤١/١١).

(٦) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، الملقب بزين العابدين (٣٨هـ - ٩٤هـ = ٦٥٨ - ٧١٢م): رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في العلم والورع. انظر: (وفيات الأعيان ٣٢٠/١، ابن سعد ١٥٦/٥، اليعقوبي ٤٥/٣ =

محمد^(١) وأبو عبد الرحمن السلمى.

قال أبو الفتح: من قرأ «خَلَفُوا» فتأويله: أقاموا ولم يبرحوا، ومن قرأ «خَالَفُوا» فمعناه عائد إلى ذلك؛ وذلك أنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا هناك.

* * *

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿١٢٨﴾

ومن ذلك قراءة عبد الله بن قُسيط المكي: «لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم»^(٢).

قال أبو الفتح: معناه من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفُسُ المتاع، أى أجوده وخياره، واشتقه من النفس، وهى أشرف ما فى الإنسان.

* * *

= صفة الصفوة ٥٢/٢، ذيل المذيل ٨٨، حلية الأولياء ١٣٣/٣، ابن الوردي ١٨٠/١، الأعلام ٢٧٧/٤.

(١) جعفر بن محمد الباقر بن على زيد العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥ م): سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان من أحلاء التابعين. وله منزلة رفيعة فى العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. انظر: (نزهة الجليس ٣٥/٢، وفیات الأعيان ١٥٠/١، الجمع ٧٠، يعقوبى ١١٥/٣، صفة الصفوة ٩٤/٢، حلية الأولياء ١٩٣/٣، الأعلام ١٢٦/٢).

(٢) وقراءة عائشة، وابن عباس، وأبى عمرو، ومحبوب، ويعقوب، وأبى العالية، وفاطمة، والضحاك، وابن محيصن، وابن عليه، والزهرى. انظر: (الكشاف ٢٢٣/٢، مجمع البيان ٨٥/٥ مختصر شواذ القراءات ٥٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٦، البحر المحيط ١١٨، الجامع لأحكام القرآن ٣٠١/٨).

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ ﴿٤﴾

من ذلك قراءة أبي جعفر والأعمش وسهل بن شعيب «وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» (١).

قال أبو الفتح: إن شئت كان تقديره: وعد الله حقاً لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، أى من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غنى عن إخلاف الوعد، وإن شئت كان تقديره: أى وَعَدَ اللَّهُ وَعْدًا حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، فتكون «أنه» منصوبة بالفعل الناصب لقوله: «وَعْدًا».

ولا يجوز أن يكون «أنه» منصوبة الموضع بنفس «وَعْدٍ» لأنه قد وصف بقوله: «حقاً»، والصفة إذا جرت على موصوفها أذنت بتمامه وانقضاء أجزائه، فهي من صلتها، فكيف يوصف قبل تمامه؟ فأما قول الخطيئة (٢):

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مَبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
فلا يكون قوله: من نوالكم من صلة يأس من حيث ذكرنا. ألا تراه قد وصفه بقوله: «مبيناً»؟ وإذا كان المعنى لعمرى عليه ومُنْعَ الإعراب منه أضمر له ما يتناول حرف الجر، ويكون يأساً دليلاً عليه، كأنه قال فيما بعد: يثبت من نوالكم.

* * *

(١) وقراءة عبد الله بن مسعود، وابن أبي عبيدة. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٤٩/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٣/٢، تفسير الطبرى ٦١/١١، الكشاف ٢٢٥/٢، مجمع البيان ٨٩/٥، معاني القرآن للفراء ٤٥٧/١، تفسير الفخر الرازى ٣٠/١٧، النشر فى القراءات العشر ٢٨٢/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

(٢) انظر: (ديوانه ٢٨٣، الخصائص ٢٦٠/٣).

وَعَاخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

ومن ذلك قراءة ابن مُحَيِّصٍ^(١) وبلال بن أبي بُردة ويعقوب: «أَنَّ الحمد لله».

قال أبو الفتح: هذه القراءة تدل على أن قراءة الجماعة ﴿أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٢) على أَنَّ «أَنَّ» مخففة من «أَنَّ»، بمنزلة قول الأعشى^(٣):

فِي فِتْيَةٍ كَسَيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ هَالِكًا كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَتَعَلَّ^(٤)
أَيُّ أَنَّهُ هَالِكٌ، فَكَأَنَّهُ عَلَى هَذَا: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ «أَنَّ» هُنَا زَائِدَةٌ كَمَا زِيدَتْ فِي قَوْلِهِ:

وَيَوْمًا تَوَافَيْنَا بَوَجْهِهِ مَقْسَمٌ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ
أَيُّ كُظْبِيَّةٍ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَقْدِيرُهُ: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ الْحَمْدُ لِلَّهِ. هُوَ
كَقَوْلِكَ: أَوَّلُ مَا أَقُولُهُ: زَيْدٌ مَنْطَلِقٌ. وَعَلَى أَنْ هَذَا مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ جَائِزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ لَكِنْ
فِيهِ خِلَافٌ لَتَقْدِيرِ قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ، وَفِيهِ أَيْضًا الْحَمْلُ عَلَى زِيَادَةِ «أَنَّ» وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ.

وَلَوْ قَرَأَ قَارِئٌ: إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، بِكُسْرِ الِهْمْزَةِ عَلَى الْحِكَايَةِ الَّتِي لِلْفِظِ بَعَيْنُهُ لَكَانَ جَائِزًا،
لَكِنْ لَا يُقَدَّمُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَرِدَ بِهِ أَثَرٌ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعَرَبِيَّةِ سَائِعًا. وَإِذَا فَتَحَ فَقَالَ: أَنَّ
الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَلَمْ يَحِكْ الْفِظَ بَعَيْنُهُ وَإِنَّمَا جَاءَ بِمَعْنَى الْكَلَامِ كَقَوْلِنَا: بَلْغَنِي أَنْ زَيْدًا مَنْطَلِقٌ -

(١) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَيْصَانَ السَّهْمِيِّ بِالْوَلَاءِ، أَبُو حَفْصٍ الْمَكِّيُّ (١٢٣هـ = ٧٤١م): مَقْرَأُ
أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَعْلَمُ قُرَاتِهَا بِالْعَرَبِيَّةِ. انْفَرَدَ بِمَجْرُوفٍ خَالَفَ فِيهَا الْمَصْحُفَ، فَتَرَكَ النَّاسَ
قِرَاءَتَهُ وَلَمْ يُلْحَقُوا بِالْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ فِي الْخَبَرِ. رَوَى لَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ حَدِيثًا وَاحِدًا. انْظُرْ: (غَايَةُ النِّهَايَةِ ١٦٧/٢، الْعَبَرُ ١٥٧/١، تَهْذِيبُ ٤٧٤/٧، التَّجَاوُزُ
١٨٠/٩، الْأَعْلَامُ ١٨٩/٦).

(٢) وَقِرَاءَةُ عِكْرَمَةَ، وَمَجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَابْنِ يَعْمَرَ، وَأَبِي مَجْلَزٍ، وَأَبِي حَيَاوَةَ. انْظُرْ: (إِعْرَابُ الْقُرْآنِ
لِلنَّحَاسِ ٥٢/٢، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الْعَكْبَرِيِّ ١٤/٢، الْبَحْرُ الْحَيْطُ ١٢٧/٥، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ
٣١٣/٨، مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٩٢/٥، إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٢٤٧).

(٣) مِنْ قَصِيدَتِهِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا:

وَدَعِ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ
انْظُرْ: (دِيَوَانُهُ ٢١٧).

(٤) وَرَدَتْ فِي الدِّيَوَانِ (٢٢١) عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

فِي فِتْيَةٍ كَسَيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْخِيلَةِ الْخَيْلُ
إِمَّا تَرِينَا حِفَاةً لَا نَعَالُ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَتَعَلُ

فليس هذا على حكاية ما سمع لفظاً. ألا تراه إذا قيل له: قد انطلق زيدٌ فقال: بلغنى أن زيداً منطلق، كان صادقاً، وإن لم يؤدّ نفس اللفظ الذى سمعه، لكنه أدى معناه؟ وإن كسّر فقال: إنّ الحمد لله، فهو مؤدّ لنفس اللفظ وحاك له البتة.

* * *

لِنَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ومن ذلك قراءة ابن شعيب قال: سمعت يحيى بن الحارث يقرأ: «لِنَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»^(١)، نون واحدة. قال: فقلت له: ما سمعت أحداً يقرأها، قال: هكذا رأيتهما فى الإمام: مصحف عثمان. أيوب، عن يحيى، عن ابن عامر: «لِنَنْظُرْ»، بنون واحدة مثله.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا أنه أدغم نون ننظر فى الظاء، وهذا لا يعرف فى اللغة، ويشبه أن تكون مخفاة فظنها القراء مدغمة على عادتهم فى تحصيل كثير من الإخفاء إلى أن يظنوه مدغماً. وذلك أن النون لا تدغم إلا فى ستة أحرف ويجمعها قولك: يَرْمَلُونَ.

* * *

وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ ﴿١٥﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسن وابن سيرين: «ولا أدراأتكم به»^(٢).

قال أبو الفتح: هذه قراءة قديمة التناكر لها والتعجب منها. ولعمري إنها فى بادئ أمرها على ذلك، غير أن لها وجهاً وإن كانت فيه صنعة وإطالة.

وطريقه أن يكون أراد «ولا أدريتكم به» ثم قلب الياء لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة - ألفاً، كقولهم فى يئس: ياعس، وفى ييس يابس. وكقولهم: ضرب عليهم ساية، وإنما يريد سيّة، وهى فعلة من سوّيت، فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء فصار سيّه، ثم قلبت الياء الأولى لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة - ألفاً، فصارت ساية.

وقالوا فى الإضافة إلى الحيرة: حارىّ، وإلى طىّ طائىّ، وقالوا: حاحيت وعاييت وهاهيت. والأصل حيحيت وعيعيت وهيهيت، فقلبت الياءات السواكن فى هذه

(١) وقراءة ابن عامر. انظر: (البحر المحيط ١٣١/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٤/٢).

(٢) وقراءة أبى رجاء. انظر: (إعراب القرآن ٥٣/٢، البحر المحيط ١٣٣/٥، تفسير الطبرى ٣٢١/٨،

معانى القرآن للفراء ٤٥٩/١، الكشاف ٢٢٩/٢).

الأماكن ألفات، فكذلك أيضاً قلبت ياء «أدرتكم» ألفا فصارت «أدرأتكم» وعلى ذلك أيضاً ما روينه عن قطرب: أن لغة عقيل أن يقولوا في أعطيتك: أعطاتك. فلما صارت أدرتكم إلى أدرأتكم همز على لغة من قال في الباز: الباز، وفي العالم: العالم، وفي الخاتم: الخاتم، وفي التابل وتابلتُ القدر: التابل، وتابلت القدر. وأنشد ابن الأعرابي^(١):

ولّي نعامُ بنى صفوان زوزاةً لما رأى أسداً في الغار قد وثبا
يريد زوزاة. ولنحو هذا نظائر قد أوردناها في كتابنا الموسوم بالخصائص في باب ما همزته العرب ولا أصل له في همز مثله، فهذا وإن طالت الصنعة فيه أمثل من أن تعطى اليد بفساده وترك النظر في أمره.

* * *

حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ ﴿٢٢﴾

ومن ذلك قراءة أم الدرداء «حتى إذا كنتم في الفلكي»^(٢)، بكسر الكاف وتثيit الياء.

قال أبو الفتح: اعلم أن العرب زادت ياء الإضافة فيما لا يحتاج إليها، من ذلك قولهم: في الأحمر أحمرى، وفي الأشهر أشهرى.

قال العجاج:

والدهر بالإنسان دَوَّارٍ

أى دَوَّار. وقال فيها أيضاً:^(٣)

غُضِفَ طواها الأمس كَلَابِىَّ

أى: كَلَاب.

فإن قيل: فإن هذا أمر يختص بالصفات، وليس «الفلك» بصفة فتلحقه ياء النسب، قيل: قد جاء ذلك فى الاسم أيضاً. ألا ترى إلى قول الصلتان^(٤):

(١) انظر: (الخصائص ١٤٧/٣، لسان العرب «زوى»).

(٢) وقراءة أبى الدرداء. انظر: (الكشاف ٢٣١/٢، البحر المحيط ١٣٨/٥).

(٣) انظر: (الخصائص ١٠٦/٣).

(٤) انظر: (أمالى أبى على القالى ١٤٢/٢، ١٤٣).

أنا الصلتانى الذى

وأيضاً فقد شبه كل واحد من الاسم والصفة بصاحبه، فغير منكر أن يُشبه الفُلك بالخلو والمر. ويزيد فى شبهه به أن الفلك عندنا اسم مكسر، وليس عندنا كما ذهب إليه الفراء فيه: من أنه اسم مفرد يقع على الواحد والجمع، كالطاغوت ونحوه. وإذا كان جمعا مكسراً أشبه بالفعل من حيث كان التكسير ضرباً من التصرف، وأصل التصرف للفعل، ألا ترى أن ضرباً من الجمع أشبه الفعل فمُنِع من الصرف وهو باب مفاعل ومفاعيل؟ ولأن التكسير أيضاً ثان كما أن الفعل ثان، وإذا أشبه التكسير الفعل من حيث وصفنا قاربَ الصفة لشدة ملابسة الصفة للفعل لفظاً ومعنى وعملاً، فهذا عندى هو العذر فى إلحاق «الفلك» ياءى الإضافة فى هذه القراءة.

* * *

وَأَزَيَّنْتَ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءة الأعرج «وَأَزَيَّنْتَ» ^(١)، وهى أيضاً قراءة نصر بن عاصم وأبى العالية والحسن بخلاف وقتادة وأبى رجاء بخلاف والشعبى وعيسى الثقفى. وقرأ: «وَأَزَيَّانْتَ» ^(٢) أبو عثمان النهدى.

قال أبو الفتح: أما «أَزَيَّنْتَ» فمعناه صارت إلى الزينة بالنبت، ومثله من أفعل، أى: صار إلى كذا أجذع المهر صار إلى الإجذاع، وأحصد الزرع، وأجزّ النخل: أى صار إلى الخصاد والجزار، إلا أنه أخرج العين على الصحة وكان قياسه أزاننت، مثل أشاع الحديث، وأباع الثوب: أى عرضه للبيع.

وأما «أَزَيَّانْتَ» فإنه أراد فعالت، وأصله ازياننت مثل ابياضت واسودت، إلا أنه كره التقاء الألف والنون الأولى ساكتتين، فحرك الألف فانقلبت همزة، كقول كثير:

(١) وقراءة سعد بن أبى وقاص، وأبى العالية، وعبدالرحمن، وابن يعمر، وابن هرمز. انظر: (إعراب القرآن للعكرى ٥٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٥/٢، البحر المحيط ١٤٣/٥، ١٤٤، تفسير الطبرى ٧٢/١١، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/٨، الكشف ٢٣٣/٢، مجمع البيان ١٠٢/٥، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكرى ١٥/٢، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/٨، إعراب القرآن للنحاس ٥٦/٢، البحر المحيط ١٤٤/٥).

وَالْأَرْضِ أَمَا سُودُّهَا فَتَجَلَّتْ بِيَاضًا وَأَمَا بِيَضُّهَا فَادْهَأَمَتْ^(١)
وقد تقدم نظير ذلك فيه.

* * *

كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءة مروان على المنبر: «كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ»^(٢).

قال أبو الفتح: جاء هذا بحجى نظائره، كقولهم: تمتعت بكذا، وتأنقت فيه، وتلبست بالأمر، مما جاء تفعلت على هذا الحد.

* * *

بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴿٢٨﴾

ومن ذلك قراءة عمرو بن فائد^(٣): «بِسُورَةٍ مِثْلِهِ»^(٤) بالإضافة.

قال أبو الفتح: هو عندي على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أى بسورة كلامٍ مثله، أو حديثٍ مثله، أو ذكرٍ مثله. وقد ذكرنا حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه.

* * *

أَلْحَقُّ هُوَ ﴿٥٣﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش: «أَلْحَقُّ هُوَ؟»^(٥).

قال أبو الفتح: اعلم أن الأجناس تتساوى فائدتها معرفتها ونكرتها فى نحو هذا، تقول: ثِقَ بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ، وثِقَ بِالْأَمَانِ مِنَ اللَّهِ، وهذا حق، وهذا الحق، وهذا صدق، وهذا الصدق.

(١) ديوانه ص ٣٢٣. وهو من قصيدة فى رثاء عبدالعزيز بن مروان. انظر: (سر صناعة الإعراب

٧٤/١). وروى فى الخصائص (١٤٣/٣): فأسوأدت فى موضع: فادهأمت.

(٢) انظر: (الكشاف ٢٣٣/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٥/٢، البحر المحيط ١٤٤/٥).

(٣) انظر: (الأسوارى ٨٣/٥).

(٤) انظر: (الكشاف ٢٣٧/٢، البحر المحيط ١٥٨/٥).

(٥) انظر: (الكشاف ٢٤١/٢).

ومن قولهم: خرجت فإذا بالباب أسد، وإذا بالباب الأسد، المعنى واحد ووَضَعَ اللفظ مختلف، وسبب ذلك كون الموضع جنسًا، وقد تقدم نحو هذا.

* * *

فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴿٥٨﴾

ومن ذلك قراءة النبي ﷺ وعثمان بن عفان وأبى بن كعب والحسن وأبى رجاء ومحمد بن سيرين والأعرج وأبى جعفر بخلاف والسلمي وقتادة والجحدري وهلال بن يساف والأعمش بخلاف وعباس بن الفضل وعمرو بن فائد: «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا»، بالتاء^(١). وقرأ: «فَبِذَلِكَ فَافْرَحُوا»^(٢) أبى بن كعب.

قال أبو الفتح: أما قراءة أبى هذه «فافرحوا» فلا نظر فيها، لكن «فلتفرحوا» بالتاء خرجت على أصلها، وذلك أن أصل الأمر أن يكون بحرف الأمر وهو اللام، فأصل اضرب لتضرب، وأصل قم لتقم. كما تقول للغائب: ليقيم زيد، ولتضرب هند، لكن لما كثر أمر الحاضر نحو قم، واقعد، وادخل، واخرج، وخذ، ودع، حذفوا حرف المضارعة تخفيفاً - بقى ما بعده ودل حاضر الحال على أن المأمور هو الحاضر المخاطب، فلما حذف حرف المضارعة بقى ما بعده فى أكثر الأمر ساكنًا فاحتيج إلى همزة الوصل ليقع الابتداء بها فقليل: اضرب، اذهب، ونحو ذلك.

فإن قيل: ولم كان أمر الحاضر أكثر حتى دعت الحال إلى تخفيفه لكثرتة؟ قيل: لأن الغائب بعيد عنك، فإذا أردت أن تأمره احتجت إلى أن تأمر الحاضر لتؤدى إليه أنك تأمره، فقلت: يا زيد، قل لعمرو: قم. ويا محمد، قل لجعفر: اذهب، فلا تصل إلى أمر الغائب إلا بعد أن تأمر الحاضر أن يؤدى إليه أمرك إياه، والحاضر لا يحتاج إلى ذلك لأن خطابك إياه قد أغنى عن تكليفك غيره أن يتحمل إليه أمرك له.

(١) وقراءة أنس، وابن عباس، وابن هرمز، وزيد بن ثابت، ويعقوب، ورويس، والمطوعى، وابن عامر فى رواية غير المشهورة عنه، والكسائى فى رواية زكريا بن وردان. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٧، الكشف ٢/٢٤١، الطبرى ١١/٨٨، القرطبى ٨/٣٥٤، مجمع البيان ٥/١١٦، الفراء ١/٤٦٥، الأخفش ٢/٣٤٥، النشر ٢/٢٨٥، الإتحاف ٢٥٢، النحاس ٢/٦٥، الكشف ١/٥٢٠، الحجة لأبى زرعة ١٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٨٢، التبيان ٥/٣٩٥، العكبرى ٢/١٦، معجم الهوامع ٤/٣٠٨، مغنى اللبيب ١/١٨٦).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٦٩، الكشف ٢/٢٤١، الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٥٤، البحر المحيط ٥/١٧٢، إعراب القرآن للنحاس ٢/٦٥، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٠٨).

ويدلك على تمكن أمر الحاضر أنك لا تأمر الغائب بالأسماء المسمى بها الفعل فى الأمر نحو: صه، ومه، وإيه، وإيهها، وحيهل، ودونك، وعندك، ونحو ذلك.

لا تقول: دونه زيذاً، ولا عليه جعفرًا كقولك: دونك زيذاً، وعليك سعدًا. وقد شذ حرف من ذلك فقالوا: عليه رجلاً لَيْسَنِي. ولهذا المعنى قوى ضمير الحاضر على ضمير الغائب فقالوا: أنت وهو، فلما صاغوا لهما اسمًا واحدًا صاغوه على لفظ الحضور لا لفظ الغيبة، فقالوا: أنتما، فضموا الغائب إلى الحاضر، ولم يقولوا: هما، فيضموا الحاضر إلى الغائب، فهذا كله يريك استغناءهم بقم عن لئتم ونحوه.

وكأن الذى حسن التاء هنا أنه أمر لهم بالفرح، فخطبوا بالتاء لأنها أذهب فى قوة الخطاب، فاعرفه، ولا تقل قياسًا على ذلك: فبذلك فلتحزنوا؛ لأن الحزن لا تقبله النفس قبول الفرح، إلا أن تريد إصغارهم وإرغامهم، فتؤكد ذلك بالتاء على ما مضى.

* * *

فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴿٧١﴾

ومن ذلك قراءة أبى عبدالرحمن والحسن وابن أبى إسحاق وعيسى الثقفىّ وسلام ويعقوب، ورؤيت عن أبى عمرو: «فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ»، مكسورة الميم ورفع «شركاؤكم»^(١).

وقرأ: «فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ»^(٢)، غير مهموزة والميم مفتوحة و «شُرَكَاءَكُمْ» نصبًا الأعرج وأبو رجاء وعاصم الجحدري والزهرى، وروى عن الأعمش. وفى قراءة أبى: «واذْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثم اجمَعُوا أَمْرَكُمْ»^(٣).

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٤٦/٢، السبعة ٣٢٨، الكشف ٢٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، البحر المحيط ١٧٩/٥، التبيان ٤٠٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨، الحجة المنسوبة لابن خالويه ١٨٣، النشر ٢٨٠/٢، مغنى اللبيب ٣٤/٢).

(٢) وقراءة نافع، وأبى عمرو، ويعقوب، والأصمعى، والتمار، ورويس. انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٤٦/٢، السبعة ٣٢٨، الكشف ٢٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، البحر المحيط ١٧٩/٥، التبيان ٤٠٨/٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٨٣، النشر ٢٨٠/٢، مغنى اللبيب ٣٤/٢).

(٣) فى مختصر شواذ القراءات ٥٩: «فادعوا».

قال أبو الفتح: أما «فأجمعوا أمركم وشركاؤكم» بالرفع فرفعه على العطف على الضمير في «أجمعوا»، وساغ عطفه عليه من غير توكيد للضمير في «أجمعوا» من أجل طول الكلام بقوله: «أمركم». وعلى نحو من هذا يجوز أن تقول: قم إلى أخيك وأبو محمد، واذهب مع عبد الله وأبو بكر؛ فتعطف على الضمير من غير توكيد وإن كان مرفوعاً ومتصلاً لما ذكرنا من طول الكلام بالجار والمجرور. وإذا جاز قول الله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾^(١) وأن نكتفى بطول الكلام بـ «لا» وإن كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو أطول من «لا»، وهو أيضاً قبل الواو، كما أن التوكيد لو ظهر لكان قبلها - أخرى.

وعلى ذلك فلو قال قائل: «قم وزيد» فعطف على الضمير المرفوع من غير توكيد كان أقبح من قولنا: «قمت وزيد»، وذلك أن المعطوف عليه في «قم وزيد» ضمير لا لفظ له فهو أضعف من الضمير في قمت؛ لأن له لفظاً وهو التاء، و«قمت وزيد» أضعف من «قمنا وزيد» لأن «نا» من قمنا أتم لفظاً من التاء في قمت.

وعليه أيضاً تعلم أن قمتما وزيد أشبه شيئاً من قمنا وزيد؛ لأن «تما» من «قمتما» أتم لفظاً من «نا» من قمنا. وكذلك أيضاً قولك للنساء: ادخلنَّ زيد أمثل من قولك: دخلنَّ زيد؛ لأن «نان» من ادخلنَّ أطول من «تن» من دخلتن.

فهذه مُصارفة وإن خفيت ولطفت تؤثر في أنفس العارفين بها ما لا تخطر على أوهام الساهين عنها.

وكذلك لو قلت: اضربنا «نه» وزيد لكان أمثل من ادخلنَّ زيد، لأن «نانه» ستة أحرف «ونان» أربعة أحرف، وكذلك اضربنَّهما زيد، أمثل من اضربنَّه زيد لأن «نانهما» سبعة أحرف «ونانه» ستة أحرف، وكذلك الزيدَين الثوبين اكسونانَّهما هما - أمثل من قولك: الزيدَين اكسونانَّهما لأن «نانهما» عشرة أحرف «ونانهما» سبعة أحرف.

فهذا مبنى يعاد عليه، ويبنى أشباهه إليه. وجميعه من بعد ليس في قوة التوكيد نحو قم أنت وزيد، و﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾^(٢)؛ وذلك أن التوكيد وإن لم يكن في طول هذه الفروق والفصول فإن فيه معنى ليس فيها، وهو تثبيته معنى الاسمى للمضمر

(١) سورة الأنعام الآية (١٤٨).

(٢) سورة يونس الآية (٧١).

المتصل الذى قد شَعَثَ الفعل فمازجه وصار كجزء منه، فضعف عن العطف عليه، كما لا يجوز العطف على جزء من الفعل. فإذا وَكَّد صار فى حيز الأسماء ولحق بما يحسن العطف عليه بعد توكيده كما حسن عليها.

* * *

ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى (٧١)

ومن ذلك قراءة السرى بن يَنْعَم «ثُمَّ أَقْضُوا إِلَى» (١) من أَقْضَيْتَ.

قال أبو الفتح: معناه أَسْرَعُوا إِلَى، وهو أَفْعَلْتُ مِنَ الْفَضَاءِ؛ وذلك أنه إذا صار إِلَى الْفَضَاءِ تمكن من الإسراع، ولو كان فى ضيق لم يقدر من الإسراع على ما يقدر عليه من السعة. ولام أَقْضَيْتَ وَالْفَضَاءُ وما تصرف منهما واو لقولهم: فَضَا الشَّيْءُ يَفْضُو فُضُوًا إذا اتسع. فقولهم: أَقْضَيْتَ: صرت إِلَى الْفَضَاءِ، كقولهم: أَعْرَقَ الرَّجُلُ إِذَا صَارَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَعْمَنَ الرَّجُلُ إِذَا صَارَ إِلَى عُثْمَانَ، وَأُنْجِدَ: أَتَى نَجْدًا، ونحو ذلك.

* * *

إِنَّ هَذَا السَّاحِرَ مُبِينٌ (٧٢)

ومن ذلك قراءة مجاهد (٢) وسعيد بن جبیر (٣): «إِنَّ هَذَا لَسَّاحِرٌ مُبِينٌ» (٤).

(١) وقراءة أبى حيو. انظر: (البحر المحيط ٥/١٨٠، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، تفسير القرطبي ٣٦٤/٨ الكشف ٢/٢٤٦، معانى القرآن للقرائى ٤٧٤/١).

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بنى مخزوم (٢١ - ١٠٤هـ = ٦٢٤ - ٧٢٢م): تابعى، مفسر من أهل مكة. قال الذهبى: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير من ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عنه كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل فى الأسفار، واستقر فى الكوفة. ويقال إنه مات وهو ساجد. انظر: (طبقات الفقهاء ٤٥، إرشاد الأريب ٦/٢٤٢، غاية النهاية ٢/٤١، صفة الصفوة ٢/١١٧، ميزان الاعتدال ٣/٩، حلية الأولياء ٣/٢٧٩، الجمع بين رجال الصحيحين ٥١٠، الأعلام ٥/٢٧٨).

(٣) سعيد بن جبیر الأسدى، بالولاء الكوفى أبو عبد الله (٤٥ - ٩٥هـ = ٦٦٥ - ٧١٤م): تابعى، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشى الأصل، من موالى بنى والبة بن الحارث من بنى أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. انظر: (وفيات الأعيان ١/٢٠٤، طبقات ابن سعد ٦/١٧٨، تهذيب التهذيب ٤/١١، حلية الأولياء ٤/٢٧٢، ابن الأثير ٤/٢٢٠، المعارف ١٩٧، الطبرى ٨/٩٣، الأعلام ٣/٩٣).

(٤) وقراءة الأعمش. انظر: (البحر المحيط ٥/٨١).

قال أبو الفتح: هذا - على قول قراءة الجماعة: ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ - إشارة إلى الفعل الواقع هناك من قلب العصا حيّة ونحوه، وهذا - على من قرأ: لَسَاحِرٌ - إشارة إلى موسى عليه السلام، كما أن هذا - من قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾^(١) إشارة إلى اليوم، وهذا - على قراءة من قرأ: «هذا يوم لا يَنْطِقُونَ»، بالنصب - إشارة إلى الفعل الواقع في هذا اليوم.

* * *

قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَاتُكُمْ»^(٢).

قال أبو الفتح: هذه جمع دعوة، وبهذه القراءة تعلم أن قراءة الجماعة: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ﴾ يراد فيها بالواحد معنى الكثرة. وساغ ذلك لأن المصدر جنس، وقد تقدم أن الأجناس يقع قليلها موقع كثيرها، وكثيرها موقع قليلها.

* * *

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴿٩٢﴾

ومن ذلك قراءة أبي بن كعب ومحمد بن السَّمِيفَع ويزيد البربري: «فاليوم نُنَجِّيكَ»^(٣)، بالخاء.

قال أبو الفتح: هذه تُفَعِّلُكَ من الناحية، أى نجعلك فى ناحية من كذا. يقال: نَحَوْتُ الشَّيْءَ أَنَحْوَهُ إِذَا قَصَدْتَهُ، وَنَحَيْتُ الشَّيْءَ فَتَنَحَّى: أى باعدته فتباعده فصار فى ناحية.

قال رؤية وهو فى جماعة من أصحابه ممن يأخذ عنه، وقد أقبلت عجوز منصرفة عن السوق، وقد ضاق الطريق بها عليهم:

(١) سورة المرسلات الآية (٣٥).

(٢) وقراءة الضحاك. انظر: (البحر المحيط ١٨٧/٥، تفسير القرطبي ٣٧٦/٨، الكشف ٢٥٠/٢).

(٣) وقراءة ابن مسعود، واليزيدى. انظر: (مجمع البيان ١٣٠/٥، الكشف ٢٥٢/٢، البحر المحيط

١٨٩/٥، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٥٧).

تَنَحَّى لِلْعَجُوزِ عَنْ طَرِيقِهَا إِذْ أَقْبَلَتْ رَائِحَةً مِنْ سَوْقِهَا
دَعَا فَمَا النَحْوَى مِنْ صَدِيقِهَا (١)

وقال الخطيئة لأمه (٢):

تَنَحَّى فَاقْعُدِي مِنِّي بَعِيدًا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
وقد استعملت العرب مصدر نحووت الشيء نحواً ظرفاً، كقولك: زيد نحوك: أى فى
شِقِّكَ وناحيَتِكَ وعليه ما أنشده أبو الحسن (٣):

تَرْمِي الْأَمَاعِيزَ مُجْمَرَاتٍ بِأَرْجُلِ رُوحٍ مُحَبَّبَاتٍ
يَخْدُو بِهَا كُلُّ فَتَى هَيَّاتٍ وَهَنَ نَحْوَ الْبَيْتِ عَامِدَاتٍ
فنصب عامدات على الحال لتمام الكلام من قبلها. وقد جمعوا نحواً على نُحُوٍّ،
فأخرجوه على أصله.

(١) انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/١٣٨).

قال البغدادي: على أن صديقاً فيه جمع؛ لأن من للتبعيض، ولا يصح أن يكون النحوى بعض
صديق، بل يكون بعض الأصدقاء، كأنه قال: دعها فما النحوى من أصدقائها، كما تقول: دعنى
فما أنت من أشكالى، وفعل من صيغ الجمع كالكلب والعييد، ومثله قول قعنب ابن أم
صاحب:

مَا بِأَلِ قَوْمِ صَدِيقٍ لَيْسَ لَهُمْ دِينَ وَلَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ إِذَا أَمْنُوا
وقال الصاغاني فى العباب: قال ابن دريد: أخبرنا أبو عثمان عن التوزي، قال: كان رؤية يقعد
بعد صلاة الجمعة فى رحبة بنى تميم فينشر، ويجتمع الناس إليه، فازدحموا يوماً، فضيقوا الطريق،
فأقبلت عجوز معها شئء تحمله، فقال رؤية الأبيات.

وقال: أحد شراح أبيات الإيضاح للفراس: ولعل المخاطب على هذه الحكاية رجل من نحو بن
شمس، وقيل: إن المخاطب بقوله: (دعها) يونس بن حبيب النحوى، وذلك أن رؤية كان يسير
ومعه أمه إذ لقيهما يونس، فجعل يداعب والدته رؤية ويمنعها الطريق، فخاطبه رؤية بهذه
الأبيات، وقيل: هذا الشعر لامرأة من العرب خاطبت به أبا زيد الأنصارى، قال ابن الأنبارى:
مرت امرأة من العرب بأبى زيد النحوى وأصحابه، وقد منعوا الطريق، فلم يمكنها أن تجوز،
فخاطبته بالأبيات أى: أن هولاء إنما لازموك لصداقتهم، وأنا لست كذلك، فدعنى أسير. انظر:
(شرح شواهد الشافية ٤/١٣٨، ١٣٩).

(٢) انظر: (ديوانه ٢٧٧).

(٣) انظر: (الخصائص ١/٣٥، لسان العرب «نحا»).

ومنه حكاية الكتاب: إنكم لتنتظرون في نحو كثيرة، ومثله من الشاذ بهو وبهو
للصدر، وأب وأبو، وابن وبنو. قال القناني يمدح الكسائي^(١):

أبى الذم أخلاق الكسائي واتمى به المجد أخلاق الأبوسوانق

* * *

(١) انظر: تاج العروس «أبو».

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴿١﴾

من ذلك قراءة الناس: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، وقرأ: «فَصَّلَتْ»^(١)، بفتح الفاء والصاد خفيفة عكرمة والضحاك والجحدري، ورؤيت عن ابن كثير.

قال أبو الفتح: معنى «فَصَّلَتْ»: أى صَدَرَتْ وانفصلت عنه ومنه، وهو كقولك: قد فصل الأمير عن البلد: أى سار عنه.

* * *

يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ ﴿٥﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وعبدالرحمن بن أفزى والجحدري وابن أبي إسحاق وأبى رزّين وأبى جعفر محمد بن على وعلى بن حسين وزيد بن على وجعفر بن محمد والضحاك وأبى الأسود: «تَتَنَوَّنِي صُدُورُهُمْ»^(٢) على تفعوعل، وقرأ: «تَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ» ابن عباس بخلاف^(٣)، وقرأ: «تَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ»^(٤) عروة الأعشى، ورؤيت عن عروة الأعشى أيضاً: «يَتَنَوَّنُ

(١) وقراءة زيد بن على. انظر: (التيبان ٤٤٦/٥، الكشف ٢٥٨/٢، تفسير القرطبي ٣/٩، البحر المحيط ٢٠٠/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٩/٢، تفسير الفخر الرازى ١٧٩/١٧).

(٢) وقراءة عاصم الجحدري، وعبدالرحمن بن أبزى، والدؤلّى، والأعشى. انظر: (البحر المحيط ٢٠٢/٥، معانى القرآن للفسراء ٣/٢، معانى القرآن للأخفش ٣٥٠/٢، تفسير الطبرى ١٢٦/١١، تفسير القرطبي ٥/٩، إعراب القرآن للنحاس ٧٩/٢، مختصر شواذ القراءات ٥٩، تفسير الآلوسى ٢١٠/١١).

(٣) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٩، الكشف ٢٥٩/٢، البحر المحيط ٢٠٢/٥، الآلوسى ٢١٠/١١).

(٤) وقراءة مجاهد. انظر: (الكشف ٢٥٩/٢، العكبرى ١٩/٢، مجمع البيان ١٤٢/٥، البحر المحيط ٢٠٢/٥).

صدورهم»^(١) ورؤى ذلك عن مجاهد أيضاً، ورؤى عن ابن عباس: «تَنُونٌ صدورهم»^(٢) ورؤى عن سعيد بن جبير وأحسبها وهما: «يُشْنُونٌ صدورهم»^(٣)، بضم الياء والنون.

قال أبو الفتح: أما «تَنُونِي» فتفعول، كما قال: وهذا من أبنية المبالغة لتكرير العين، كقولك: أعشب البلد، فإذا كثر فيه ذلك قيل: اعشوشب، واحلولقت السماء للمطر: إذا قويت أمارته ذلك، واغْدُودَنَّ الشعر: إذا طال واسترعى. أنشدنا أبو علي^(٤):

وقامت ترائيك مُغْدُودِنَا إذا ما تنوء به آدها^(٥)
وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى قول الشاعر:
لو كنت تعطى حين تُسألُ ساحتُ لك النفس واحلولاك كل خليل^(٦)
وقال حميد بن ثور^(٧):

فلما مضى عامين بعد انفصاله عن الضرع واحلولى دِمائنا يرودها
فهذا أقوى معنى من استحلى.

وأما «تَنُونٌ» و«تَنُونٌ» ففيهما النظر فتشَنُّنَ تفعيلٌ من لفظ التَّنَّ ومعناه، وهو ما هشَّ وضعف من الكلا. وأنشد أبو زيد ورويناه عنه^(٨):

يأيها الفصيِّلُ المعنَّى إنك رِيَّانٌ فصَّمت عَنَّى
يكفى اللقوحَ أَكَلَةً من ثِنَّ
وأصله تننَّ فحُرَّكت الألف لسكونها وسكون النون الأولى، فانقلبت همزة على ما مضى قبل، وعليه قول دُكَيْنَ:

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبري ١٩/٢).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٨٠/٢).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٢٠٢/٥، إعراب القرآن للعكبري ١٩/٢، تفسير الآلوسی ٢١١/١١).

(٤) من قصيدة لحسان بن ثابت (ديوانه ١٢٧) (من المتقارب) مطلعها:

ألم تذر العين تسهادها وجدى الدموع وإنفادها
انظر: (ديوانه ١٢٧).

(٥) المغدودن: الشعر الطويل الكثير، تنوء: تنهض بجهد ومشقة، آدها: أثقلها. انظر: (هامش ديوانه ١٢٨).

(٦) انظر: لسان العرب «حلا».

(٧) انظر: (ديوانه ٧٣).

(٨) انظر: لسان العرب «شن».

راكدةً مِخْلَاطُهُ ومَحْلِبُهُ وجُلُّهُ حتى ابيضاً ملبِئُهُ
يريد ابيض، فحرك الألف فهمزها على ما مضى. والتقاء المعنيين أن «الثن»: ما
ضعف ولان من الكلا، فهو سريع إلى طالبه خفيف، وغير معنص على آكله، وكذلك
«صدورهم» مجيبة لهم إلى أن يثنوها ليستخفوا من الله سبحانه.

وأما «تثنون» فإنها تفعوعل من لفظ الثن ومعناه أيضاً، وأصلها تثنونن، فلزم الإدغام
لتكرير العين إذ كان غير ملحوق، وكذلك قالوا: في مفعوعل من رددت مُردوداً، وأصلها
مُردودِدُ. فلما لم يكن ملحوقاً وجب إدغامه، فنقلت الكسرة من الدال الأولى فألقيت
على الواو، وأدغمت الدال في الدال فصار مُردودُ. وكذلك أصل هذه تثنونن،
فأسكنت النون الأولى، ونقلت كسرتها على الواو، فأدغمت النون في النون فصار
«تثنون».

وذهب أبو إسحاق في قولهم: مصائب، بالهمز إلى أن أصلها مصابوب، فهمزت
الواو لانكسارها، كما همزت في إسادة وإعاء، فقياسه على هذا أن تكون «تثنون»
أصلها تثنونن، فهمزت الواو لانكسارها، وعلى أن مذهب أبي إسحاق هذا مردود
عندنا غير أن قياسه أن يقول ما ذكرنا.

وأما «تثنون صدورهم»، بنون مكسورة من غير ياء، ورفع «صدورهم» فإنه أراد
الياء، فحذفها تخفيفاً كالعادة في ذلك، ولا سيما والكلمة طويلة بكونها على تفعوعل.

وأما «يثنون صدورهم»، بالنصب، وبالهزمة المضمومة فوهم من حاكبه أو قارئه؛
لأنه لا يقال: ثنأت كذا. بمعنى تثنيت، وكذلك «يثنون صدورهم»؛ لأنه لا يعرف في
اللغة أثنيت كذا. بمعنى ثنيت، إلا أن يكون معناه يجدونها منثية، كقولهم: أحمدته:
وجدته محموداً، وأذمته: وجدته مذموماً.

* * *

وَبَطِّلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

ومن ذلك قراءة أبي وابن مسعود: «وباطلاً ما كانوا يعملون»^(١).

قال أبو الفتح: «باطلاً» منصوب بـ«يعملون»، و«ما» زائدة للتوكيد، فكأنه قال:

(١) وقراءة عاصم. انظر: (مجمع البيان ١/٤٨، الكشاف ٢/٢٦٢، البحر المحيط ٥/٢١٠، إعراب

القرآن للعكرى ٢/٢٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٢).

وباطلاً كانوا يعملون. ومن بعدُ ففى هذه القراءة دلالة على جواز تقديم خير كان عليها، كقولك: قائماً كان زيد، وواقفاً كان جعفر. ووجه الدلالة من ذلك أنه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل، و«باطلاً» منصوب بـ«يعملون»، والموضع إذا لـ«يعملون»؛ لوقوع معموله متقدماً عليه، فكأنه قال: ويعملون باطلاً كانوا. ومثله قول الله تعالى: ﴿أَهْؤَلَاءِ إِنَّا كَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْكُمْ بَعْضٌ يَدْعُونَ﴾^(١)؟ استدل أبو على بذلك على جواز تقديم خير كان عليها؛ لأن «إياكم» معمول «يعبدون»، وهو خير كان. وإنما يجوز وقوع المعمول فيه بحيث يجوز وقوع العامل على ما قدمناه.

وعلى نحو من ذلك ما استدل أبو على على جواز تقديم خير المبتدأ عليه بقول الشماخ^(٢):

كَلَّا يَوْمَى طَوَالَةَ وَصَلُ أَرَوَى ظَنُونٌ أَنْ مُطَّرَحَ الظُّنُونِ
فقال: «كلا» ظرف لقوله: «ظنون»، و«ظنون» خير المبتدأ الذى هو «وصل أروى»، فدل هذا على جواز تقديم «ظنون» على «وصل أروى» كأنه قال: ظنون فى كلا هذين اليومين وصل أروى، أى: هو متهم فيهما كليهما. وقد مضى نحو هذا.

* * *

فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا^(٣)

ومن ذلك قراءة ابن عباس بخلاف وأيوب السخيتاني^(٣): «فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا»^(٤).

قال أبو الفتح: الجدل اسم بمعنى الجدال والمجادلة، وأصل «ج د ل» فى الكلام: القوة، منه قولهم: غلام جادل: إذا ترعرع وقوى، وركب فلان جديلة رأيه: أى صمم عليه ولم يلين فيه. ومنه الأجدل للصقر، وذلك لشدة خلقه، وعليه بقية الباب. وكذلك

(١) سورة سبأ الآية (٤٠).

(٢) انظر: (أمالى أبى على القالى ٣٢/٢).

(٣) أيوب بن أبى تيممة كيسان السخيتاني البصرى، أبو بكر (٦٦ - ١٣١ هـ = ٦٨٥ - ٧٤٨ م): سيد فقهاء عصره. تابعى، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثبناً ثقة روى عنه نحو ٨٠٠ حديث. انظر: (تهذيب التهذيب ٢٩٧/١، حلية الأولياء ٣/٣، اللباب ٥٣٦/١، الأعلام ٣٨٨/٢).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢١/٢، إعراب القرآن للنحاس ٨٨/٢، البحر المحيط ٢١٨/٥، الجامع الأحكام القرآن ٢٨/٩، الكشف ٢٦٧/٢، معانى القرآن للأخفش ٣٥٢/٢).

الجدال إنما هو الاقتواء على خصمك بالحجة. قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١)، أى: مغالبة بالقول، وتقويًا.

ونحو منه لفظاً قولهم: ظبى شادن: أى قد قوى واشتد، والشين أخت الجيم، والنون أخت اللام. ونحو منه قولهم: عطوت الشيء: إذا تناولته، وقالوا: أتيت عليه: إذا ملكته واشتملت عليه. والعين أخت الهمزة، والطاء أخت التاء، والواو أخت الياء. وهذا باب من اللغة لعله لو تُقْرِئَتْ لأتى على أكثرها، وقد أتيت على كثير منه فى كتاب الخصائص^(٢).

ولولا أن القراء لا ينبسطون فى هذه الطريق لنبهت على كثير منه. لا، بل إذا كان متحلوا هذا العلم والمترسمون به قلما تطوع طباعهم لهذا الضرب منه، وإن اضطروا إلى فهم شيء من جملة أظهروا التجاهل به، ولم يشكروا الله عز وجل على ما لاح لهم وأعرض من طريقه؛ جريا على عادة مستوخمة، وإخلاداً إلى خليقة كرهة مستوبلة حسداً يريهم ونغلاً يُجويهم. وما أقلهم مع ذلك عدداً! وكذلك هم بحمد الله ولو ضوعفوا مدداً، فما ظنك بالقراء لو جُشِمُوا النظر فيه والتقرى لغروره ومطاويه؟ جعلنا الله مَنْ يَأْوِي إلى طاعته وأودعنا أبداً شكر نعمته.

* * *

وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ^(٤٢)

ومن ذلك قراءة على بن أبى طالب عليه السلام وعروة بن الزبير^(٣) وأبى جعفر محمد بن على وأبى عبد الله جعفر بن محمد: «وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ»^(٤)، ورؤى عن عروة:

(١) سورة الكهف الآية (٥٤).

(٢) انظر: (الخصائص ١٤٧/٢).

(٣) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى أبو عبد الله (٢٢ - ٩٣هـ = ٦٤٣ - ٧١٢م): أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل فى شيء من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى المدينة فتوفى فيها. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. انظر: (ابن خلكان ٣١٦/١، صفة الصفوة ٤٧/٢، حلية الأولياء ١٧٦/٢، الأعلام ٢٢٦/٤).

(٤) وقراءة عروة وغيره، (فى مختصر شواذ القراءات: هشام بن عروة)، وقراءة على بن الحسين. انظر: (التبيان ٤٩٥/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٨/٩، الكشاف ٢٧٠/٢، مجمع البيان ١٦٠/٥، تفسير الفخر الرازى ٢٣١/١٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢١/٢، إعراب القرآن للنحاس ٩٢/٢، مختصر شواذ القراءات ٦٠).

«ابْنَهَا»^(١). وقرأ: «ابْنَاهُ»^(٢)، ممدودة الألف السُّدَى على النداء. وبلغني أنه على التَّثْنِي، وروى عن ابن عباس: «نُوحُ ابْنُهُ»^(٣)، جزم.

قال أبو الفتح: أما «ابْنُهُ» فإنه أراد ابنها كما يروى عن عروة فيما قرأ: «ابْنَهَا»، يعنى ابنَ امرأته؛ لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه: «وَأَهْلَكَ»^(٤)، فحذف الألف تخفيفاً، كقراءة من قرأ: «يا أَبْتَ»^(٥). قال أبو عثمان يريد: يا أبتاه، وقد ذكرنا حذف الألف فيما مضى، وأنشدنا البيت الذى أنشده أبو الحسن وابن الأعرابي جميعاً:

فلستُ بمدرِك ما فات منى بلهفَ ولا بليتَ ولا لو انى^(٦)
أراد بلهفًا، وغيره.

وقراءة السُّدَى: «ابناه» يريد بها النُّدْبَةَ، وهو معنى قولهم: التَّثْنِي. وهو على الحكاية: أى قال له: يا ابناه، على النداء. ولو أراد حقيقة الندبة لم يكن بُد من أحد الحرفين: يا ابناه، أو والابناه، كقولك فيها: وازيده، ويازيده.

وأما «ابْنُهُ»، يجزم الهاء فعلى اللغة التى ذكرناها لأزد السَّرَّاءِ فى نحو قوله:

ومطواى مشتاقان له أرقان
* * *

عَلَى الْجُودَى

ومن ذلك قراءة الأعمش بخلاف: «على الجُودَى»، خفيف^(٧).

(١) وقراءة على، وعكرمة. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، البحر المحيط ٥/٢٢٦، التبيان ٥/٤٩٥، الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٥، الكشاف ٢/٢٧٠، مجمع البيان ٥/١٦١، تفسير الفخر الرازى ١٧/٢٣١).

(٢) وقراءة ابن أبى ليلى. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٦٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، الكشاف ٢/٢٧٠، مجمع البيان ٥/١٦١، البحر المحيط ٥/٢٢٦).

(٣) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، البحر المحيط ٥/٢٢٦، مجمع البيان ٥/١٦١).

(٤) سورة هود الآية (٤٠).

(٥) سورة يوسف الآية (٤)، وهى قراءة ابن عامر، وأبى جعفر، والأعرج. انظر: (البحر المحيط ٥/٢٧٩).

(٦) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٣٩٣).

(٧) وقراءة المطوعى، وابن أبى عبله. انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/١٦، إتحاف فضلاء البشر ٦/٢٥٦، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٢، البحر المحيط ٥/٢٢٩).

قال أبو الفتح: تخفيف ياءى الإضافة قليل إلا فى الشعر. أنشدنا أبو على^(١):

بَكَّى بعينك واكف القطر ابن الخوارى العالى الذَّكْر
يريد «الخوارى». وروى عنهم: لا أكلمك خيرى دهر بتخفيف الياء، يريد خيرى
دهر، وهذا فى النثر، فعليه قراءة الأعمش: «الجودى»، خفيفاً.

* * *

فَضَحَكَتْ (٧١)

ومن ذلك قراءة محمد بن زياد الأعرابى^(٢): «فَضَحَكَتْ»، فتحاً.

قال أبو الفتح: روى ابن مجاهد قال: قال أبو عبد الله بن الأعرابى: الضَّحْك: هو
الحيض، وأنشد^(٣):

ضَحْكُ الأَرانب فوق الصفا مثل دم الجوف يوم اللقا
قال: وأنشد^(٤):

فجاءت بِمَزَجٍ لم يرَ الناس مثله هو الضَّحْكُ إلا أنه عمل النحل^(٥)
وبعد، فليس فى اللغة ضَحَكَتْ، وإنما هو ضَحِكَتْ، أى: حاضت. قال أحمد بن
يحيى: ضَحِكَتْ وَطَمِنَتْ لوقتها، والضَّحْك: والشَّهْد، وهو الثلج. وقال أحمد بن يحيى:

(١) هو لعبيد الله بن قيس الرقيات (من الكامل). فى ديوانه: «بكى بدمعك واكف القطر». انظر:
(ديوانه ١٨٣، النوادر ٢٠٥).

(٢) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابى، أبو عبد الله (١٥٠ - ٢٣١ هـ = ٧٦٧ - ٨٤٥ م):
راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. كان أحول، قال ثعلب: ولقد أملى على الناس ما
يحمل على أحمال، ولم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه، له تصانيف كثيرة، منها: «أسماء الخيل
وفرسانها»، «تاريخ القبائل»، «النوادر»، «تفسير الأمثال»، «شعر الأخطل»، «معانى الشعر»،
«الأنواء». انظر: (وفيات الأعيان ٤٩٢/١، تاريخ بغداد ٢٨٢/٥، الوافى بالوفيات ٧٩/٣، نزهة
الألباب ٢٠٧، طبقات النحويين واللغويين ٢١٣، إرشاد الأريب ٥/٧، الأعلام ١٣١/٦).

(٣) انظر: لسان العرب «ضحك».

(٤) لأبى ذؤيب الهذلى من قصيدة مطلعها:

ألا زعمت أسماء أن لا أحبها فقلت بلى لولا ينازعنى شغللى
انظر: (ديوان الهذليين ٣٤/١ وما بعدها).

(٥) وفى الديوان: «فجاء بمزج لم ير الناس مثله». انظر: (ديوان الهذليين ٤٢/١). قال الأصمعى:
الضحك: الثغر، فشبه بياض العسل به، وقال بعضهم: هو الطلع، وقال آخرون: هو الزبد.

وهو الطلع. قال محمد بن الحسن: قلت لأبي حاتم في قوله:

تضحك الضبُع لِقَتْلَى هذِيل^(١)

قال: ومن أين لهم أن الضبُع تحيض؟ وقال: يا بني، إنما تكثير للقتلى إذا رأتهم، كما قالوا: يضحك العير إذا انتزع الصليانة.

ويقال في:

تضحك الضبُع لِقَتْلَى هذِيل

أى: تستبشر لقتلاهم لتأكلهم، فيهرّ بعضها على بعض، فجعله ضحكاً.

وترى الذئب لها يستهلّ

أى: يعوى، فيستدعى الذئب فرحاً بذلك.

* * *

وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا^(٢)

ومن ذلك قراءة الأعمش: «وهذا بعلى شيخ»^(٢).

وقال أبو الفتح: الرفع في «شيخ» من أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون «شيخ» خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هذا شيخ، والوقف إذاً على قوله: «هذا بعلى»؛ لأن الجملة هناك قد تمت، ثم استأنف جملة ثانية فقال: «هذا شيخ».

والثاني: أن يكون «بعلى» بدلاً من «هذا»، و«شيخ» هو الخبر.

والثالث: أن يكون «شيخ» بدلاً من «بعلى»، وكأنه قال: هذا شيخ، كما كان التقدير فيما قبله: بعلى شيخ.

والرابع: أن يكون «بعلى» و«شيخ» جميعاً خبراً عن هذا، كقولك: هذا حلو حامض،

(١) هو لتأبط شرا ولم أعثر عليه في ديوانه. انظر: (الجمهرة ١٦٧/٢، لسان العرب «ضحك»).

(٢) وقراءة ابن مسعود، وأبي، والطوعى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٣/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٢، إتخاف ٢٥٩، تفسير القرطبي ٧٠/٩، مجمع البيان ١٧٥/٥، معاني القرآن للأخفش ٣٥٦/٢، معاني القرآن للفراء ٢٣/٢، مغني اللبيب ١٤٢/٢، ١٤٣، البحر المحيط ٢٤٤/٥ مختصر شواذ القراءات ٦٠، الكشف ٢٨١/٢، مجمع البيان ١٧٥/٥).

أى: قد جمع الخلاوة والحموضة، وكذلك هذا: أى قد جمع البعولة والشيخوخة.

فإن قلت: فهل تجيز أن يكون «بعلى» وصفاً لـ«هذا»؟ قيل: لا؛ وذلك أن هذا ونحو من أسماء الإشارة لا يوصف بالمضاف. ألا تراهم لم يجزوا مررت بهذا ذى المال، كما أجازوا مررت بهذا الغلام؟ وإذا لم يجز أن يكون «بعلى» وصفاً لـ«هذا» من حيث ذكرنا لم يجز أيضاً أن يكون عطف بيان له؛ لأن صورة عطف البيان صورة الصفة، فافهم ذلك.

وهنا وجه خامس، لكنه على قياس مذهب الكسائي، وذلك أنه يعتقد فى خير المبتدأ أبداً أن فيه ضميراً وإن لم يكن مشتقاً من الفعل، نحو زيد أخوك، وهو يريد النسب. فإذا كان كذلك فقياس مذهبه أن يكون «شيخ» بدلاً من الضمير فى «بعلى»؛ لأنه خير عن «هذا».

فإن قلت: فإن الكوفيين لا يجيزون إبدال النكرة من المعرفة إلا إذا كان من لفظها، نحو قول الله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾^(١)، وليس قبل «شيخ» معرفة من لفظه - قيل: أجل، إلا أن هذا اعتبار فى الاسمين الملفوظ بكل واحد منهما، فأما الضمير فيه فعلى قياس قول من استودعه إياه فلا لفظ له أيضاً فيعتبر خلافه أو وفاقه، وإذا سقط ذلك ساغ، وجاز إبدال النكرة منه لما ذكرنا من تقديم لفظه المخالف للفظها.

* * *

هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبّير والحسن بخلاف ومحمد بن مروان وعيسى الثقفى وابن أبى إسحاق: «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ»، بالنصب^(٢).

قال أبو الفتح: ذكر سيويوه هذه القراءة وضعفها، وقال فيها: احتبى ابن مروان فى حنّه، وإنما قبح ذلك عنده لأنه ذهب إلى أنه جعل «هُنَّ» فصلاً، وليست بين أحد الجزئين

(١) سورة العلق الآيتان (١٥، ١٦).

(٢) وزيد بن على، وعبد الملك بن مروان. انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٥٦/٢، الكشف ٢٨٣/٢، مجمع البيان ١٨١/٥، التبيان ٤٠/٦، الطبرى ٥٢/١٢، القرطبى ٧٦/٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢٤/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٢، مغنى اللبيب ١٠٤/٢، همع الموامع ٢٣٨/١).

الذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك، كقولك: ظننت زيدا هو خيرا منك، وكان زيد هو القائم.

وأنا من بعدُ أرى أن لهذه القراءة وجها صحيحا، وهو أن تجعل «هن» أحد جزئى الجملة، وتجعلها خيرا لـ «بناتى»، كقولك: زيد أخوك، وتجعل «أطهر» حالا من «هن» أو من «بناتى»، والعامل فيه معنى الإشارة، كقولك: هذا زيد قائما أو جالسا، أو نحو ذلك. فعلى هذا مجازه، فأما على ما ذهب إليه سيويه ففساد كما قال.

* * *

أَوَّأَوِيَّ

ومن ذلك ما رواه الخلواني عن قالون^(١) عن شيبه: «أَوَّأَوِيَّ»^(٢)، بفتح الياء. وروى أيضا عن أبي جعفر مثله. قال ابن مجاهد: ولا يجوز تحريك الياء هاهنا.

قال أبو الفتح: هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى سائغ جائز، وهو أن تعطف «أَوِيَّ» على «قوة»، فكأنه قال: لو أننى بكم قوة أو أويّا إلى ركن شديد. فإذا صرت إلى اعتقاد المصدر فقد وجب إضمار أن ونصب الفعل بها، ومثله قول ميسون بنت بحدل الكلبيّة^(٣):

للبس عباءة وتقرّ عيني أحب إلى من لبس الثُّقُوف
فكانها قالت: للبس عباءة وأن تقرّ عيني، أى: لأنّ لبس عباءة وتقرّ عيني أحب إلى من كذا، وعليه بيت الكتاب أيضا^(٤):

فلولا رجال من رزام أعزّة وآل سبيع أو أسوءك علقما

(١) عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدنى، مولى الأنصار، أبو موسى (١٢٠ - ٢٢٠ هـ - ٧٣٨ - ٨٣٥ م): أخذ القراء المشهورين. من أهل المدينة، مولداً و وفاة. انتهت إليه الرياسة فى علوم العربية والقراءة فى زمانه بالحجاز وكان أصم يقرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتى القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ. و«قالون» لقب دعاه به نافع القارئ، لجودة قراءته، ومعناه بلغة الروم جيد. انظر: (التيسير للدانى، النجوم الزاهرة ٢/٢٣٥، إرشاد الأريب ٦/١٠٣، غاية النهاية ١١٠/١، التاج ٩/٣١٣، الأعلام ٥/١١٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٤٧، الكشف ٢/٢٨٣، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٤، مجمع البيان ١٨١/٥).

(٣) انظر: (الكتاب ١/٤٢٦).

(٤) انظر: (الكتاب ١/٤٢٨).

أى: أو أن أسوءك، فكأنه قال: أو مساءتي إياك، فكذلك هذه القراءة: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ أَوْيَاءً، أى: أو أن آوئى إلى ركن شديد، وهذا واضح.

* * *

يُحْرِمَنَّكُمْ

ومن ذلك قراءة يحيى والأعمش: «يُحْرِمَنَّكُمْ»^(١).

قال أبو الفتح: حَرَّمَ الرجل ذنبًا إذا كَسَبَ الجُرْمَ، ثم يُنْقَلُ فيقال: أَجْرَمْتُهُ ذَنْبًا إذا كَسَبْتَهُ إِيَّاهُ، فعليه جاء: «لا يُحْرِمَنَّكُمْ» أى: لا يَكْسِبَنَّكُمْ بُغْضُ القوم تركَ العدل، كما يدعو الإنسانَ الحِفْظَةَ والغَضَبَ إلى ما يَحُوبُ فيه وينال من دينه.

* * *

بَعَدَتْ ثُمُودٌ

ومن ذلك قراءة السُّلَمِيِّ: «بَعَدَتْ ثُمُودٌ»، بضم العين^(٢).

قال أبو الفتح: أما بَعَدَ فيكون مع الخير والشر، تقول: بَعَدَ عن الشر، وبَعَدَ عن الخير، ومصدرها البُعْدُ. وأما يَبْعَدُ ففي الشر خاصة، يقال: يَبْعَدُ يَبْعُدُ بَعْدًا. ومنه قولهم: أَبْعَدُهُ الله، فهو منقول من يَبْعَدُ؛ لأنه دعاء عليه، فهو من بَعَدَ الموضوع للشر. فقراءة السُّلَمِيِّ هذه: «أَلَا بُعْدًا لِمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ» متفقة الفعل مع مصدره، وإنما السؤال عن قراءة الجماعة: «أَلَا بُعْدًا لِمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ».

وطريق ذلك أن يكون البُعْدُ بمعنى اللعنة، فيكون أَبْعَدَهُ الله فى معنى لعنه الله، ومنه قوله:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّنْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

أى: مقام اللعين، أى: المَبْعَدُ. وعلى كل حال فالإبعاد للشيء نقص له وابتذال منه، فقد يلتقى معنى بَعَدَ مع معنى بعد من هذا الموضع. ألا ترى أنهم إذا أَدْنَوْا شيئًا من

(١) وقراءة ابن كثير، ويعقوب. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٠٨/٢، إعراب القرآن للعكبري ٢٤/٢، القرطبي ٩٠/٩، النشر ٢٤٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٠، البحر المحيط ٢٥٥/٥).

(٢) وقراءة أبي حنيفة، ومعاذ، وعلى بن أبي طالب، وعيسى. انظر: (البحر المحيط ٢٥٧/٥، القرطبي ٩٢/٩، الكشف ٢٩١/٢، مجمع البيان ١٨٦/٥، إعراب القرآن للنحاس ١٠٩/٢، إعراب القرآن للعكبري ٢٥٠/٢).

نفوسهم قالوا: هو الحبيب القريب، فالقرب على كل حال من صفات المدح، فتقيضه إذاً من صفات الذم، ولهذا قالوا: حبذا زيد، ولم يقولوا: حبذاك؛ لأنه موضع بشارَة وَتَحَفُّ به. فالقرب أولى به من البعد، ولهذا قالوا فيمن يُصطفى: قد أدناه منه، وقد قُرِبَ من قلبه، وعليه قال:

ودارَ أنْتَ ساكنها حبيب تودُّهَا إلى قلبي قريب
فهذا طريق قراءة الجماعة: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودٌ﴾، وإن شئتَ كان من هذا الطَّرْز، وإن شئتَ كان من معنى اللعنة.

* * *

لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ

ومن ذلك قراءة الزُّهري وسليمان بن أرقم: «لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ»^(١) بالتنوين.. ابن مسعود والأعمش: «إِنْ كُلُّ إِلَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ»^(٢).

قال أبو الفتح: أما «لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ»، بالتنوين فإنه مصدر كالذى فى قوله سبحانه: ﴿وَيَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ أى أكلاً جامعاً لأجزاء المأكول، فكذلك تقدير هذا: وَإِنْ كَلَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ لَمًّا، أى: توفية جامعة لأعمالهم جميعاً، ومحصلة لأعمالهم تحصيلاً، فهو كقولك: قياماً لأقومنّ، وقعوداً لأقعدنّ.

وأما «إِنْ كُلُّ إِلَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ» فمعناه: ما كُلُّ إِلَّا والله ليوفينهم، كقولك: ما زيد إلا لأضربته، أى: ما زيد إلا مستحق لأن يقال فيه هذا، ويجوز فيه وجه ثان، وهو أن تكون «إِنْ» مخففة من الثقيلة، وتجعل «إِلَّا» زائدة، وقد جاء عنهم ذلك. قال:

أرى الدهر إلا منجنونا بأهله وما طالب الحاجات إلا مُعَلِّلاً
أى: أرى الدهر منجنوناً بأهله يتقلب بهم، فتارة يرفعهم، وتارة يخفضهم. وعلى ذلك أيضاً تأولوا قول ذى الرمة^(٣):

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، البحر المحيط ٢٦٦/٥، الطبرى ٧٤/١٢، ٧٥، جمع البيان ١٩٦/٥، معاني القرآن للقراء ٣٠/٢، التبيان ٧٥/٦، الحجة لأبى زرعة ٣٥١، القرطبي ١٠٥/٩، الكشف ٢٩٥/٢).

(٢) وقراءة أبى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، القرطبي ١٠٦/٩، الكشف ٢٩٠/٢، جمع البيان ١٩٦/٥).

(٣) انظر: (ديوانه ١٧٣).

حَرَّاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ تَرْمِي بِهَا بِلْدًا قَفْرًا
أى: ما تنفك مناخة، وإلا زائدة.

* * *

وَلَا تَرَكُّنُوا

ومن ذلك قراءة طلحة وقتادة والأشهب، ورويت عن أبي عمرو: «ولا تَرَكُّنُوا»^(١)، بضم الكاف.

قال أبو الفتح: فيها لغتان: رَكَنَ يَرَكُنُ كَعَلِمَ يَعْلَمُ، وَرَكَنَ يَرَكُنُ كَقَتَلَ يَقْتُلُ. وَحُكِيَ عَنْهُمْ رَكَنَ يَرَكُنُ فَعَلَ يَفْعَلُ. وهذا عند أبي بكر من اللغات المتداخلة، كأن الذى يقول: رَكَنَ بفتح الكاف سمع مضارع الذى يقول: رَكِنَ، وهو يَرَكُنُ، فتركبت له لغة بين اللغتين، وهى رَكَنَ يَرَكُنُ. وقد ذكرنا فى كتابنا الخصائص باباً فى تركيب اللغات^(٢).

وعليه كان أبو بكر يقول أيضاً فى قولهم ضَفَنَ الرجل يَضْفِنُ: إن قائل ذلك سمع قولهم: ضِيفَنَ، وظاهر لفظ ذلك أن يكون فِعْلاً لأنه أكثر فى الكلام من فَعْلَنَ، فصارت نون ضِيفَنَ وإن كانت زائدة كأنها أصل لما ذكرناه. فلما استعمل الفعل منه جاء به على ذلك، فقال: ضَفَنَ يَضْفِنُ. فَضَفَنَ يَضْفِنُ على حقيقة الأمر إنما هو فَلَنَ يَفْلِنُ؛ لأن الضاد فاءٌ والفاء لام، وعين ضيف التى هى ياء محذوفة للشبهة الداخلة هناك من حيث ذكرنا، وله نظائر.

* * *

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ

ومن ذلك قراءة يحيى والأعمش وطلحة بخلاف ورواه إسحاق الأزرق عن حمزة: «فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ»^(٣).

قال أبو الفتح: هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع ما ثانى ماضيه مكسور، نحو

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٦، الكشف ٢/٢٩٦، القرطبي ٩/١٠٨).

(٢) انظر: (الخصائص ١/٣٧ وما بعدها).

(٣) وقراءة علقمة. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٦، البحر المحيط ٥/٢٦٩، الكشف ٢/٢٩٦).

علمت تَعْلَم، وأنا إَعْلَمُ وهي تَعْلَمُ، ونحن نِرْكَبُ. وتَقِلّ الكسرة في الياء، نحو يَعْلَم، ويرْكَب استقلاً للكسرة في الياء، وكذلك ما في أول ماضيه همزة وصل مكسورة، نحو: تَنْطَلِق، ويوم تَسْوُدُّ وجوه وتَبْيِضُ وجوه، فكَذَلِكَ «فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ».

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَيْتَ تَبَيَّنَ فَإِنَّمَا كُسِرَ أَوَّلُ مُضَارَعِهِ وَعَيْنُ مَاضِيهِ مَفْتُوحَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ الْمُضَارِعَ لَمَّا أَتَى عَلَى يَفْعَلْ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ صَارَ كَأَنَّ مَاضِيَهُ مَكْسُورَ الْعَيْنِ حَتَّى كَأَنَّهُ أَبَى. وَقَدْ شَرَحْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا الْمُنْصَفِ.

* * *

وَزُلْفَا ١١٥

ومن ذلك: «وَزُلْفَا»^(١)، بضم الزاى واللام. قرأ بها أبو جعفر يزيد وطلحة بن مصرّف بخلاف، وعيسى وابن أبي إسحاق، وقرأ: «وَزُلْفَا»^(٢)، بضم الزاى ساكنة اللام ابن محيصن ومجاهد.

قال أبو الفتح: مَنْ قَالَ: «زُلْفَا»، بضم الزاى واللام جميعاً فواحدته زُلْفَةٌ، كِبُسْرَةٌ وَبُسْرٌ فَيَمْنُ ضَمُّ السَّيْنِ، وَمَنْ قَرَأَ: «زُلْفَا»، بِسُكُونِ اللَّامِ فواحدته زُلْفَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ جَمَعَهُ جَمْعُ الْأَجْنَاسِ الْمَخْلُوقَاتِ، كَبُرَّةٍ وَبُرٍّ، وَدُرَّةٍ وَدُرٍّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الزُّلْفَةَ جِنْسٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَوْهَرًا، كَمَا أَنَّ الدَّرَّةَ وَالْبُرَّةَ جَوْهَرٌ جِنْسٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ. وَعَلَى هَذَا أَحَازَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي قَوْلِنَا: ضَرَبْتَ ضَرْبًا أَنْ يَكُونَ جَمْعُ ضَرْبَةٍ كَجَبَةٍ وَحَبٍّ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

حَتَّى اتَّقَوْهَا بِالسَّلَامِ وَالتَّحِيٍّ

يريد جمع تحية.

(١) وقراءة أبي عمرو، وورش، وأبي عمرو، والشبنوذى، وشيبة، ونصر بن علي. انظر: (إتحاف) ٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ١١٧/٢، إعراب القرآن للعكبري ٢٦/٢، البحر المحيط ٢٧٠/٥، التبيان ٧٨/٦، الطبري ٧٧/١٢، القرطبي ١٠٨/٩، مجمع البيان ١٩٩/٥، معاني القرآن للفراء ٣٠/٢، النشر ٢٩٢/٢.

(٢) وقراءة ابن محيصن، واليماني. انظر: (مختصر شواذ القراءات) ٦١، إتحاف فضلاء البشر ٢٦١، البحر المحيط ٢٧٠/٥، الطبري ٧٧/١٢، القرطبي ١٠٨/٩، إعراب القرآن للنحاس ١١٧/٢، إعراب القرآن للعكبري ٢٦/٢، الكشاف ٢٩٧/٢، تفسير الفخر الرازي ٨٤/١٨.

والزُّلْفَة: الطائفة من الليل. وأما قراءة الجماعة: ﴿وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ فعلى الظاهر، نحو غُرْفَة وَغُرْف، وَصُفَّة وَصُفَف.

* * *

وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ

ومن ذلك قراءة جعفر بن محمد والعلاء بن سَيَّابَة، ورواه حسين الجُعْفِيّ عن أبي عمرو: «وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا»^(١)، بضم الهمزة، وإسكان التاء، وكسر الباء.

قال أبو الفتح: هو عندنا على حذف المضاف: أَى أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا جزاء ما أُتْرِفُوا فيه وكانوا مجرمين، أَى جزاء ما أُتْرِفُوا فيه وأُجرموا فلم يشكروا، بل أُتْرِفُوا فيه مجرمين ظالمين.

* * *

آخر الجزء الأول، ويليه بإذن الله الجزء الثاني وأوله «سورة يوسف».

المحتويات

٣	مقدمة التحقيق.....
١٠١	مقدمة المؤلف.....
١١٠	سورة فاتحة الكتاب.....
١٢٩	سورة البقرة.....
٢٤٦	سورة آل عمران.....
٢٧٨	سورة النساء.....
٣١١	سورة المائدة.....
٣٣١	سورة الأنعام.....
٣٥٠	سورة الأعراف.....
٣٨٦	سورة الأنفال.....
٣٩٩	سورة التوبة.....
٤٢٧	سورة يونس.....
٤٤٠	سورة هود.....
٤٥٤	المحتويات.....